الخطة الوطنية للترجمة
٥

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الطيماوس واكريتيّس



تأليف
أفلاطون

تحقيق وتقديم:
البير ريڤو

ترجمة:
الأب فؤاد جرجي بَربارة

الطيماوس واكريتيَّس

الخطة الوطنية للترجمة
(٥)

الطيماوس واكريتيَّس

تأليف : أفلاطـون
تحقيق وتقديم: البيـر ريـڤـو
ترجمة: الأب فؤاد جرجي بربارة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤م

العنوان الأصلي للكتاب:

Collection des Universités de France
publiée sous le patronage de l'ASSOCIATION GUILLAUME BUDÉ

PLATON

ŒUVRES COMPLÈTES
TOME X
Timée - Critias

Texte Etabli et Traduit
Par
Albert Rivaud
Membre de l'Institut
Quatriéme tirage revu et corrigé

PARIS
SOCIÉTÉ D'ÉDITION «LES BELLES LETTRES»
95, Boulevard Raspail
1963

صدرت الطبعة الأولى ضمن منشورات
وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي
دمشق - ١٩٦٨

الطيماوس واكريتيس / تأليف أفلاطون؛ تحقيق وتقديم البير ريفو؛ ترجمة فؤاد جرجي بربارة . - ط٢ . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤ . - ٤٢٤ ص؛ ٢٤ سم

(الخطة الوطنية للترجمة؛ ٥)

١ - ١٨٤ أ ف ل ط ٢ - العنوان ٣ - أفلاطون
٤ - ريفو ٥ - بربارة ٦ - السلسلة

مكتبة الأسد

اعتمدنا في هذه الترجمة مجموعة **Budé**، الطبعة الرابعة. حقق النص اليوناني وقدّم له الأستاذ البير ريفو من أكاديمية الفلسفة بباريس، كما قام الأب فؤاد جرجي بربارة بترجمة المقدمات والحواشي عن الفرنسية والمتن عن الأصل اليوناني.

ولقد اعتمد الأب بربارة في كتابة الأعلام اللفظ اليوناني.

(الناشر)

مفتتــح

يُعتبر كتاب **التيماوس** Τίμαιος من أواخر الكتب التي حررها أفلاطون قبل **كريتياس** Κριτίας. وكتبهما قبل وفاته (٣٤٦ أو ٣٤٨) بعشر سنوات تقريباً. وكان من المقرر أن يؤلّف **التيماوس** الجزء الأول من ثلاثية تتضمن **كريتياس** و**هِرْموكراتيس** (ولكن هذا الأخير قد فُقد). ورامت هذه الثلاثية أن تعالج مسألة أصول الكون والإنسان والمجتمع.

و**التيماوس** هو بالأحرى دراسة للكون (كوزمولوجيا) أكثر منها دراسة لنشأة الكون (كوزموغونيا) التي تناولها بعض الشعراء الإغريق بصورة أسطورية. فاستهل هزيود كتابه «**نشأة الآلهة**»، بتضرع إلى ربات الفن (Muses) كي يلهمنه القول الصادق والصحيح حول هذه النشأة. ومن بين الأساطير التي طرحها أفلاطون أسطورة الأطلنتيس التي تتصدر كتاب **الطيماوس**: وهي جزيرة هائلة المساحة مقابل البرتغال وأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) والمغرب، كانت تتمتع بحضارة مزدهرة وبجيش جرار حاول اجتياح اليونان فصدته أثينا ودحرته. وأرض أطلنتيس هي أرض الطيطان أبناء الإله أطلس الذين يرتقون في حسبهم ونسبهم إلى الإله بوسيذون. وسرعان ما تراجعت حضارتهم وأغرق زوس جزيرتهم هذه منذ ٩٠٠٠ سنة قبل أفلاطون. وأورد أفلاطون هذه القصة الخيالية ليركز على الحضارة الأثينية العريقة التي لم تندثر، ولينبّه مواطنيه بأن مصيرهم مصير الأطلنتيس إن هم فسدوا. واستُغِلت قصة الأطلنتيس كثيراً في الأدبيات الباطنية

والإشراقية الأوروبية، وفي روايات الخيال العلمي (انظر على سبيل المثال رواية جول فيرن «**عشرون ألف فرسخ في أعماق البحر**» (١٨٦٩).

والموضوع الأهم في كتاب **الطيماوس** يبقى موضوع البارادايغما. فإذا كانت البارادايغما في كتاب **الجمهورية** قد طرحت مسألة «ماذا نفعل؟»، وطرحت في كتاب «**السياسة**» مسألة «كيف نفعل؟»، فإنها في كتاب **الطيماوس** تكلمت عن «لماذا نفعل؟»، والمقصود بذلك هو التالي: إن دراسة الطبيعة – طبيعتنا – تؤدي إلى القول بأن عالمنا هو من صنع العقل، وبأننا قادرون على بنائه وتطويره. صحيح أن صانع الكون قد بنى العالم انطلاقاً من بارادايغما مثالية، كما أنه صنع الزمن انطلاقاً من بارادايغما الخلود والسرمد. ونظرية المحاكاة (mimesis) هنا تفضي إلى محاكاة أخرى: وهي روح العالم الكاملة الأوصاف، وروح الفرد التي يجب أن تشابهها، بالاستناد إلى العقل الذي يجب أن يتطور، وإلا تحول إلى مسخ، سمّاه الفارابي بالداء السبُعي (الضاري والمتوحش والمسعور) وسمّاه الفيلسوف الإنكليزي هوبس (Hobbes) بالحالة الذئبية (homo homini lupus).

وينادي **الطيماوس** بمثال أعلى ينبغي على البشر أن يحققوه. وما نظرية تناسخ الأرواح إلا دعوة إلى تحقيق هذا الهدف الأعلى، أو الاقتراب منه على الأقل. ولا تتوجه هذه الدعوة إلى الفرد فحسب، بل إلى المجموعة أو المجتمع. صحيح، في نظر أفلاطون، أن دورنا كبشر ليس إعادة خلق عالم خُلِق أصلاً، بل استكمال هذا الخلق للوصول إلى الإنسان الفاضل والمدينة الفاضلة.

لقد وظف أفلاطون مجموعة من العلوم والمعارف (من فيزياء ورياضيات وفلك وجيولوجيا وفيزيولوجيا وعلم نفس وطب،...)، فأتى كتاب **الطيماوس** كموسوعة علمية شملت علوم زمانه، واقتبس بعضها من العلماء

والمفكرين الذين سبقوه. ولكن يبقى أن الهدف الأسمى الذي كان يتوق إليه أفلاطون هو التطلع إلى المطلق والحقيقة الثابتة والمثال الأعلى.

ترجم الأب فؤاد جرجي بربارة هذا الكتاب الصعب من الأصل اليوناني بأمانة علمية دقيقة وبلغة عربية مبينة وبهية تذكر بالترجمات التي قام بها حنين بن اسحق في العصر العباسي، مع أن ترجمة بربارة استفادت من علوم العصر فأتت بدقة ورهافة شديدتين تليقان بالنص الأفلاطوني وتحتفيان به.

ويسعد الهيئة العامة السورية للكتاب أن تعيد نشر هذا السِفر المهم من أعمال أفلاطون، أسوة بالكتب الإغريقية الأخرى التي باشرت بإصدارها.

دمشق في ٢٠١٣/٩/١٠

د. جمال شحيّد

الفصل الأول

تأليف الحوار وتاريخه

ملاحظات عامة

١ - مصير التيمئس على مرّ العصور:

إن رَفائيل في لوحته الكبيرة «مدرسة أثينا» يصوّر **أفلاطون** مُمسكاً بيده نص التِيْمِئَس. وقد سبق ومثّله هكذا فنانو بيزَنْطية وأحياناً مزوّقو المخطوطات في هوامشها. وهؤلاء كلهم لبثوا أمينين لتقليد طويل يرجع إلى عهد أفلاطون بالذات. وقد عَدّ تلاميذ أفلاطون التِيْمِئُس رأس مؤلفات أستاذهم. **وأرسطو** الذي يستشهد به مراراً، يرى فيه تعبيراً عن الفكرة الأفلاطونية، من أكثر التعابير اتساماً بطابع المعلّم.

واكْرانْتُر هو، في ما يقال، أول من وضع شرحاً لهذا الكتاب. أما **اسبِفْسِبّس واكْسنُكْراتِس** فقد ناقشا مقاطع عدّة منه. وبعدهما درسه جمهرة من **الرواقيّين**. وعلى ما يبدو، لم يأنف **إبِيكُرَسْ** نفسه أن يفرد كتاباً خاصّاً لدحضه.

وخصّ أصحاب **المدرسة الاسكندريّة** بدورهم وكذلك **الانتقائيّون** (les Eclectiques) هذا الحوار بتجلّة فريدة. وقد ناقش **أبْلُوتَرْخُس** مقاطع

واسعة منه، ووضع له شرحاً جزئياً، **ولم تَحِدِ الحضارة القديمة في أواخرها عن ذلك التقليد.**

أما **العلماء المسيحيّون والعرب واليهود،** فقد علِقوا هذا النص وأكرموه إكراماً يداني إكرامهم الكتب المقدسة. واستشهد به بلا انقطاع كتّاب العصور الوسطى، وقد عرفوه عن طريق ترجمة لاتينية وضعها **كَلْتْشِيدِيُس** في القرن السادس الميلادي. وإنّ مدرسة من أبرز مدارسنا بشخصيتها في الأجيال الوسطى، وهي **مدرسة شارْتِرْ،** حاولت أن توفّق بين معطيات **تِيْمِئُـــسَ** بشأن نشأة الكون، ونصوص **سفر التكوين** المتعلقة بالخلق. وقد احتلت ترجمة تِيْمِئس اللاتينية مكانها في مكتبة المتفقّه عندهم. إلى جانب «**مقولات أرسطو**» وذِيِنيسبُـــسَ الأرْيباغي المزعوم.

فأثر هذا (الحوار) على الفكر الغربي لم ينقطع إلى القرن السابع عشر والنهضة الغربية (التي تلت العصور الوسطى) راحت تشرح وتناقش تِيْمِئُـــسَ بشغف خاصّ. فضاعف علماء اللغات والرياضيون والفلكيون جهودهم ليكتنهوا معنى المقاطع الشهيرة الخفيّ، المتعلقة بروح الكون. وعندما أكبّ تبحُّر القرن التاسع عشر على حوار تِيْمِئُـــسَ وجد نفسه أمام موسوعة ضخمة من التقاليد، العائدة عن طريق وسطاء كثيرين إلى **المدرسة الأفلاطونيّة** بالذات.

وليس حوار تِيْمِئُـــسَ، كسواه من الحوارات الأفلاطونية، مديناً بهذا المصير الذي يكاد يكون منقطع النظير في تاريخ التآليف الفلسفية، لمحاسنَ في الشكل لا تُضاهَى. وإذا ما استثنينا مطلع الحوار وخصوصاً أسطورة **الأطلنتيس،** فليس لتِيْمِئُـــسَ من روعة الإنشاء، ما يُقابَل بروعة إنشاء **فِيْذن وفِيْذْرسْ والمأدبة والجمهورية.** فقد خلا أو يكاد من عنصر المآسي ولم

يحتفظ إلا بطريقة العرض المسهب الجاف، في أسلوب مدرسي ولغة مهنيّة يمازجها أحياناً ارتباك غريب ظاهر، كأن أفلاطون يجد بعض العناء في التعبير عن فكرته تعبيراً كاملاً. ومع أن الفيلسوف عوّل دوماً على أدقّ التعابير، وأكثرَ من الجهود بوجه يكاد أن يكون متعباً، لكي يُفهّم بضبط، فمع هذا كله ما برح التِيْمِئس في نظرنا من أغمض المصنّفات القديمة. ولا بد من الاعتراف بأن ذاك الغموض الحقيقي أو الظاهر ساعد على انتشار الكتاب أكثر من لذّة ما شمل من تعاليم.

وقد ظن الناس حقبة طويلة أنهم يعثرون فيه على حكمة سرّية، وليدة **الحكمة البِثَغوريّة** المفقودة. وقد بحثوا في جنباته عن رموز وتعاليم خفية وتجاهلوا السمة العلمية الموضوعية في هذا العمل الذي باشره أفلاطون. واشتهر تِيْمِئس خصوصاً وانتشر بسبب الأخطاء «التقويّة» التي ارتكبها قراؤه، شأنه في ذلك شأن مصنفات كثيرة ذائعة الصيت. وهو، علاوة على ذلك، المؤلف الوحيد بين مؤلفات أفلاطون، البادي بمظهر دائرة معارف، وموسوعة للمعارف البشرية. وهذه الموسوعة، على اقتضابها، ثريَّة على كل حال إلى حدّ غريب. وقد ظن علماء الأجيال الوسطى، في ولعهم الشديد بتأليف تفسير متكامل نهائي للكون، أنهم وجدوا نموذجه في حوار تِيْمِئس.

ولذا فإن معنى تِيْمِئُس التاريخي يكاد يضاهي معنى «أوْرْغَنُنْ» أرسطو. وهو أحد المصنفات الذي تأملته أجيال متعاقبة، فاغتنى لُبابه الخاص في بطء على مرّ العصور بعناصر غريبة عنه لا تحصى. فمهمتنا قبل كل شيء، هي المثول أمام نص الحوار بالذات في محاولة لاكتناه معناه، دون اكتراث بكل ما طلبه فيه مطالعوه من بعد.

٢ - ميزة تِيْمِئُـــسَ العامة:

إن أول ما يلفت النظر في تصفح الحوار هو أسلوبه المنهجي وطريقته التعليمية. ففي حوارات أخرى لأفلاطون، مع أنها لا تقل عن هذا الحوار دقة في التأليف، يحجب الفن المرهف بروز التقاسيم المفرط، بحيث يبدو الحديث، مهما بلغ من الترابط المنهجي، مرسلاً على عواهنه طبقاً لنزوات خاطرٍ مجنّح.

أما في تِيْمِئُـــسَ، فكان أفلاطون على عكس ذلك، يُعنى عناية خاصة بإظهار معالم طريقه وإبراز تفاصيل خطابه، إبرازاً تكاد الغلاظة تداخله. فلا ينقص فيه شيء من ذلك: إعلانات تُكرّر مراراً لما يلي من توسّعٍ في المواضيع، ومراجعات دقيقة لما نال الخطاب من نتائج. فلا أقل من عشرة ملخصات أو برامج جزئية في حوالي تسعين صفحة ينطوي عليها الحوار: d-e٢٦، d٣٩، ٤٠ c-d، ٤٤ c، ٤٨ a، ٥١ e، ٥٢ a، ٥٥ c-d، ٦١ d، ٦٩ a-b[(١)].

لا غرو أن بَرْمِنِيْدِسْ **والسياسي والسُفِسْتِيْ وفِيْلِفُس،** (كل تلك الحوارات) تقدم لنا نماذج لمثل هذا الضبط. ولكن ما من حوار يلجأ إلى هذا الأسلوب بمثل هذه المثابرة وهذا الاجتهاد. وتِيْمِئُـــسَ، وهذا شيء معروف أيضاً، هو الوحيد بين كتابات أفلاطون الذي يشغل فيه العرض المتصل أكبر من قسط من الحوار. فإذا استثنينا تمهيداً زهيداً فعرض تيمئس الطويل يستوعب المصنف بأكمله. وقد يحسب المرء أن ذاك العرض درس أو بالأحرى موجز درس، يماثل الدروس التي كانت ربما تُلقَى في الأكَذِمِية.

---

٢ - (١) هذه المراجع بأرقامها وأحرفها اللاتينية، مأخوذة عن طبعة بيكر Bekker للأصل اليوناني. وهي التي يتبعها إجمالاً المترجم الفرنسي ألبير ريفو. (المعرب)

ولا يُلقَى هذا الدرس على أُناس غشم، ولكن على أُناس ضليعين في مختلف العلوم، تأهبوا لفهم أي تلميح، ولو بعبارات مبطنة، إلى النظريات العلمية. وقد عُني أفلاطون منذ مطلع حواره بلفت النظر إلى هذا الأمر. وعرضه المقتضب خصوصاً للتفاصيل الرياضية المتعلقة بروح الكون أو بالمعطيات الفلكية، يفرض في الواقع مستمعين «مستأنسين بأساليب العلم»(٢).

فالتِيمْئُـــَس يوحي، أكثر من أي كتاب آخر لأفلاطون، أنه انبثق عن تعليم عقائدي. وقد يظن القارئ أنه يعثر أحياناً على هنات الأستاذ ونزواته الخاصة. والأستاذ هنا يحب الترتيب ويمتاز في إعداد دروسه. كما يمتاز في تعبئتها دونما لجاجة بقدر لا حدّ له من شتى المعلومات. فالعرض يبدو بطيئاً. ويتخذ بين الفينة والفينة سيراً يكاد يكون زحفاً، فلا يخلو من بعض التثاقل، إذ تبسط كل جملة بلا تسرع، وكأن المؤلف لا يعجل إلى بلوغ الهدف.

ومع ذلك، كم من الثراء في تلك الصفحات القلائل. فتِيمِئُس يكدّس دون عناء أو فتور أحداثاً دقيقة من كل صنف. ولا نرى بين المحدثين، إذا استثنينا **دِيكارْت**، من يجمع بين هذا التراخي الظاهر وبين فكر عميق إلى هذا الحدّ ودوماً في غاية التماسك. إن تِيمِئُس يحوي موسوعة كاملة للعلم الأفلاطوني. وهو رفيق الفيلسوف ورجلِ الدولة، ويحمل من المعلومات ما لا غنى لهما عنه، مصنفةٍ حسب ترتيب ترابطها، وقد عولجت بما يقتضيه كل منها من البسط والتوسع.

ويجب أن لا يخدعنا ثوب الخيال في العرض: فالعلم وأرجح العلم هو ما يثار فيه. وستتاح لنا الفرصة، لدى التنقيب عن تفاصيل الحوار، لنتثبت أن

---

(٢) ٥٣ c.

التِيْمئُـــَس يعرض لنا عادة في كل مادة يتناولها: في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب، ليس معلومات قد عتِقت وعفَت، وإنما حالة أحدث علم وأغزره إطلاعاً، عندما وُضع الحوار. وأكيد أن تلك الموسوعة ليست بكاملة من كل وجه. فأفلاطون يزيح بكلمة جملة من المسائل الهامة، وينبهنا أنه سوف يهمل عدداً وافراً من الموضوعات قد تستحق بسطاً مسهباً. وبعد أن يحدد إطاراً شاسعاً، لا يملأ منه إلا بعض الأجزاء. ولكنه يدلي بشأن كل ما يقبل معالجته من المواضيع، بالتفاصيل الدقيقة الفنية المبتغاة. بحيث يوحي المجموع شعوراً قويّاً بالملء والكمال، لا يقدر إيحاءه إلا مؤلف تمكن كل التمكن من موضوعه. فكل لوحة صغيرة من اللوحات التي ينطوي عليها التِيْمئُـــَس، تبدو تصغيراً تاماً في إطاره الضيق. إلا أن وحدة المجموعة تبرز بروزاً مدهشاً، لأن الرسام غدا ماهراً في فن انتقاء التفاصيل وإضفاء الانسجام عليها وعلى الموسوعة بكاملها.

٣ - الموضوع الرئيسي في الحوار:

لقد تمسك الشرّاح الأقدمون منهم والمحدثون خصوصاً بما يتعلق في هذه الموسوعة بعلم الكون. وقد استهوتهم بالأكثر قصة تصوير روح العالم، ونظرية المكان والعناصر، والنظام الفلكي. ولكن مع كل لذة تلك المعلومات، لا تكمن فيها زبدة التِيْمئُـــَس في نظر أفلاطون بالذات. فالقسم الرئيسي، بدون ريب، هو في اعتقاد الفيلسوف القسم المتعلق بالإنسان. ومن أجل هذا القسم قد كتب كل ما تبقى تمهيداً وإعداداً له. وهذا الهدف يفسر لنا في آن واحد، تنسيق الحوار والغرابات الظاهرة في تأليفه. إذ قد وجد بين الشراح المحدثين من يدعي أنه لا ارتباط بين نشأة الكون وغيرها من أجزاء تِيْمئُس. وزعم

رُوهدِه[1] أن أفلاطون كتب حواره أولاً، ثم أدخل عليه بعد ذلك توسعاته في علم الفلك والفيزياء، وقلب هكذا رأساً على عقب تصميم مؤلفه الأصلي.

ولكن لا سبيل لتأييد مثل هذا الرأي، لأسباب كثيرة. فلنتذكر أولاً ما دعا إلى رواية الحوار. فهو يُفتَتح بملخّص حديثٍ اشترك فيه الليلة المنصرمة **سقراط وتِيمِئُس واكْرتِيَّس وهِرْمُكْرَاتِس. وقد وصف سقراط** في سياق ذلك الحديث الدولة المثلى. وفي مطلع الحوار، يُذكر لنا بعض من أبرز الخطوط وأغربها في ذاك الوصف. وعندئذٍ فقط، يُدخِل أفلاطون موضوع البحث الجديد الذي سيُبسط:

تلك الدولة المثلى الموصوفة نظرياً، هل يستطيع المرء أن يتمثلها في الواقع، ويتصورها في حقيقة حية عاملة، عرضة لمصاعب السلام والحرب؟ هل يمكن أن يبني المرء لها نموذجاً واقعياً، وأن يسكب عليه الحياة، بحيث قد تتمكن أجزاؤه كلها أن تعيش وتتحرك ؟

إن المعضلة مذهلة لأول وهلة، إذ ليس سوى جواب واحد على سؤال يطرح على هذا الوجه: محاولة عملية ليحقق المرء في الواقع بثورة أو إصلاح اجتماعي دولة تماثل نموذجنا المثالي. فالعمل المرتبط بالمستقبل قد يستطيع وحده أن يعطينا الجواب بتأييد آمالنا نهائياً أو تحطيمها. ولكن أفلاطون لا يفكر الآن بهذا الجواب، القاطع في الحقيقة وحده، إذ يُحتمل أن تكون الإخفاقات المتعاقبة قد فتحت عينيه. فبضرب من الخيال المضاعف يشرع يروي لنا ما كان ممكناً أن يكون تاريخ دولته المثالية، لو كان كل شيء قد جرى في العالم كما يقتضيه العقل ويصعب أن لا يرى المرء في هذا

---

٣ - (١) E. Rhode, Psyche II, 2, p. 266. – Cf. en sens contraire H. Raeder, Platons philosophische Entwicklung. 1905, p. 378.

المنهج، شبهَ اعترافٍ شجيّ بالعجز بعد خيبات كثيرة. فمن لم يقدر العمل أن يُرضيه، يُضطر في النهاية أن يكتفي بالحلم. وربّ كاتب معاصر كان فكر بقصة وهميّة، وما كان ليتردد أن يجعل مدينته المثلى في المستقبل. ولكنه بفعله هذا، يكون قد حرم (دولته) الوهميّة من نفوذ التاريخ وهيبته.

فبضرب غريب من الحيلة، ينبري أفلاطون ليروي لنا تاريخ وطنه، ذاك التاريخ المجهول المنسيّ. وبمحافظته هكذا على حرية تامة في الاستنباط والبناء، يضمن لنفسه مغنم الحياة، الغائبة عادة من السِير السياسيّة الوهميّة. وإذ لا يهمل أفلاطون وسيلة من الوسائل التي ألِفها كتّاب الروايات ليسبغوا على قصصهم ظواهر الحقيقة، يتمكن هكذا من أن يضيف إلى مراجعه الخيالية أو المفترضة، إثباتات غير منتظرة من نوع إيجابي.

فقد استغلت أغلب الفلسفات السابقة، لصالح محتوى جديد، إطار مواليد الكون القديمة. ويزمع أفلاطون أن يحذو حذوها. فيستنبط نظير برْمِنِيْدِس أو اكْسنِفُانِس مولداً للكون لا اعتباطياً أو شعريّاً فقط، ولكن مولداً تتلاءم كل تفاصيله وأثبت معطيات العلم وأحدثها. فسوف يربط تاريخ البشرية ودولة أثينا الخيالي، ربطاً يحكمه ما استطاع الإحكام، بمولد الكون هذا المحتمل جداً. وهكذا يظهر الخاطر السياسي اللعوب بمظهر المستفيد من النفوذ المرتبط بمعطيات علم الفيزياء.

ويشبه أسلوب أفلاطون، إذا ما فكر فيه المرء، كل الشبه أسلوباً اتبعه أصحاب التطور المعاصرون. ألم يصف اسْبَنْسِر التطوّر الشاسع، ليبرِّر في النهاية برنامجاً سياسيّاً معيناً؟ وينطوي مثل هذا الحل، في نظر فنّان كأفلاطون، على فوائد أخرى. فهو يبرز بروزاً مدهشاً وحدة الأشياء. ويُتيح للفيلسوف أن

يؤلف قصة متماسكة ينتظم فيها بالتتالي كل ما يهمه من أحداث، ويُفسح له المجال ليحوّل مصنفاً مهنيّاً إلى رواية تنبض بالحياة وظاهر الخاطر اللعوب.

٤ - التصميم والإنجاز :

إن تِيمِئُس واكْرِتِيَّس، كما بلغا إلينا، لا يؤلّفان إلا فصلين من ذاك التاريخ الذي كان عليه أن يتضمن ثلاثة فصول. هذا، والفصل الثاني ناقص، إما لأن أفلاطون قد قضى نحبه قبل أن ينجز عمله بجملته، وإما لأنه توقف عن إنجازه ليؤلف كتاب الشرائع، وهذا ما افترضه الأقدمون.

إن التيمئس يدلنا على الأقسام الرئيسية في «الثلاثيّة»(١). فالجزء الأول يروي لنا تاريخ نشأة البشرية، المربوط على ما رأينا منذ قليل، بتاريخ الكون. وكان على اكْرِتِيَّس أن يتناول بالبحث تاريخ المجتمعات البشرية الأمثل، طبقاً لما حققته أثينا في الأزمان الغابرة، وفُرض أخيراً على هِرمُكراتِس أن يتمم اللوحة التي رسمها اكْرِتِيَّس بإيجاز. فكان لا بد من صوغ ثلاثة حوارات تؤلف ثُلاثيّة واحدة. وقد طُلب إلى ثلاثة أشخاص، هم تِيمِئُس واكْرِتِيَّس وهِرمُكْراتِس أن يتداولوا أطراف الحديث.

في الحقيقة، إن دلائل التِيمْئُس لا تتفق في الظاهر تماماً ومعطيات اكْرِتِيَّس. فحسب التِيمئُس كان يفرض على اكْرِتِيَّس وصف الدولة الأثينية البائدة. والحال أن حوار اكرتيس في قسمه البالغ إلينا - وهو الوحيد على ما يبدو الذي ألفه أفلاطون – لا يتكلم إلا عن نظم الأطالسة. ولكن لا ريب أن

---

(١) الثلاثيات عند الأقدمين تآليف ثلاثة، موضوعها أو الفكرة فيها أو هدفها واحد. وكانت مأنوسة خصوصاً في الإنتاج المسرحي على اختلافه، والمباريات المسرحية كان دوماً قوامها ثلاث روايات هزلية أو ثلاث مآسٍ. (المعرب)

تفصيل الشرائع الاثينية كان قد شغل القسم الثاني من الحوار لو أنجز. ومدى التوسع في شرح شؤون الدولة الأطلسية يحملنا على الظن أن وصف حال أثينا قبل الطوفان، لو تم، لكان قد فصل هو أيضاً تفصيلاً أوفى.

إن التيمئس يبسط لنا تاريخ نشأة البشرية. وهو في الوقت نفسه يصف لنا الطبيعة البشرية من الناحية الطبيعية والناحية الأدبية وصفاً شبه كامل. ويُوجَّه هذا الوصف برمته إلى التطبيقات العملية في مجال التربية والطب والسياسة. وآخر قسم من التِيمِئُس ليس بمجرد دراسة في تركيب أجهزة الجسم أو علم النفس أو الحالات المرضية، لأن أفلاطون لا يتشاغل هنيهة عن التطبيقات المحتملة وعن وسائل التأثير في الطبيعة البشرية، ما أتاحت هذه الطبيعة التأثير فيها. ورغم الظواهر المعاكسة، لا يقوم وصف الكون وعلم اللاهوت والمعارف الفلكية والفيزياء إلا بدور ثانوي في العرض.

ويبدو أن التوسعات الهامة التي يخصصها أفلاطون لهذه المعلومات هي في الحقيقة باهظة، إذا كان هدف الحوار سياسياً، على ما قلنا منذ لحظة. ولكن هذا النقص الظاهر في توزيع المواد يفسر بسهولة. فأفلاطون متثبت أولاً أن اتحاداً وثيقاً يصل بين الطبيعة البشرية والطبيعة الشاملة. فالتيمئس أسهم أكثر من أي مصنف قديم آخر، في فرض الاعتقاد على الأجيال المقبلة، إن هناك صلة ما بين العالم الأصغر والعالم الأكبر. (وهذه الصلة كانت قد أقحمت في أسطورة (السياسي). وقد كُتب لها أن تسيطر على فلسفة النهضة الأوروبية وفلسفة القرن السابع عشر). هذا ومع كل ما يبذل أفلاطون من جهود في سبيل الإيجاز، فإنه ربما يستسلم للذة المسائل التي يعالجها ولفرح عرض أهم اكتشافاته الشخصية واكتشافات خلانه ولو عرضاً عابراً.

وإذا وافقنا على ما تقدم، يصبح تأليف حوار التيمئس ذا نصاعة كاملة. فلدينا قبل كل شيء من الصفحة ٢٧ c إلى الصفحة ٤١ e لمحة خاطفة عن نشأة الكون، ركّز عليها الشراح الأقدمون والمحدثون أوفر شطر من جهودهم. ولكن مشكلة مصير النفوس تثار أخذاً من الصفحة ٤١ e. ومن تأملاتنا العامة في الكون، يعود بنا الفيلسوف حالاً إلى التثبت من أخطائنا وأوهامنا، ويدعونا إلى التفكير في وسائل مداولتها (e٤٣ - ٤٤ abc). وبعد ذلك مباشرة، وبدون تمهيد تقريباً، يُقبل أفلاطون على درس أقسام الجسم البشري (٤٤، ٤٧). وهكذا يتضح لنا لماذا عالج في هذا المقام - وهو مقام في الظاهر غير منطقي - نظرية المحل، أو كما يقال دوماً، نظرية المادة. وكان من المحتمل أن يثير منذ البدء مشكلة تلك «العلة التائهة التي تفسر خواص المحل الفريدة، وأن تكون إثارته لها مشروعة. غير أن نظرية المحل لا تظهر إلا بداعي صفات الأجسام الحسية، ولا يؤتى على ذكر تلك الصفات إلا لأنها توفر لنا إحساسات تستطيع أن تفيد منها. وكذلك لا يقبل الفيلسوف على عرض نظرية العناصر إلا لتطبيقاتها على الإدراك الحسي. ولا يعالج بعد ذلك معالجة عابرة علم الفيزياء وعلم المعادل والكيمياء، إلا بداعي الظاهرات الطبيعية التي تثير مباشرة اهتمام البشرية (كالأحداث الفلكية ٥٨ c-e – وخصائص المعادن ٦٠ c إلخ). ويردف حالاً بتعداد أنواع الأجسام الرئيسية درس الإحساسات. ثم يعاود وصف الإنسان، صفحة ٦٩ c بعد انقطاع طويل، يدرس علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، ويُعقبه بدرس الحالات المرضية العامة ودرس في حفظ الصحة والعلاج.

وهكذا فموضوع تِيْمِئُس العام، أخذاً من صفحة ٤٤، هو تاريخ الإنسان الطبيعي. ولا يُقاطَع بسط هذا الموضوع من فترة إلى فترة إلا بأقواس (أو

شروح) غايتها تلخيص معارف إضافية. فمسألة أصل النبات مثلاً تُعالَج عَرَضاً في معرض الكلام على الغذاء ٧٦ c - ٧٧ c، وكذلك أيضاً قصة الحيوانات ٩١ d - ٩٢ c. فإن قبلنا بما فرضنا منذ البداية، فلا أمتن ولا أجلى من توزيع مواد التِيْمِئُس. فالإنسان يظل دوماً محو دراسات أفلاطون. وكل العلوم حتى أسماها تجريداً تخضع لعلم الإنسان. ويلاحظ المرء التشابه بين هذه النظرية ونظرية دِيْكارْتْ أو نظرية الوضعيين المحدثين.

٥ - طابع التخمين في العرض

إن حوار تِيْمِئُس قصة، لا بل رواية أو خرافة. فالعرض فيه لا يدعي متانة البرهان، بل يكتفي منه بما يشابه الحقيقة. فإن تناول البحث أصل العالم ٢٩ c، أو نظرية الكيفيات والإحساسات ٦٨ d، أو وظائف النفس المائتة ٧٢ d e، أو على وجه أعم جملةَ المصنَّف ٦٩ a d، فلا ينفك أفلاطون يبرز طابع التخمين في خطابه.

فهو يروم أن يحد من ثقتنا في استقراءاته، وينبهنا كي لا نَجِدَّ تماماً في قبول كل أقواله؟ ولكن إن صح هذا الافتراض، تكون قيمة التِيْمِئُس العلمية زهيدة، ويكن الحوار تمريناً من التمارين العائدة علينا بترويح لذيذ للنفس دون أن نعيرها ضرورة كثيراً من الاهتمام. وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين، ولا سيما هوالد Howald منذ عهد قريب جداً، في فهم تحفظات أفلاطون. غير أنهم قد تجاهلوا ربما روح التعليم عنده.

أما في الحقيقة، فكلمة اكوس، المستعملة في التِيْمِئُــَسْ لنعت الأسطورة، لا ترمي إلى إضعاف نفوذ الرواية بل إلى تقويته. وأفلاطون لا يؤكد طابع نبإه الوهمي الواضح، بقدر ما يؤكد أسباب اعتقاده هذا النبأ قريباً

إلى الحقيقة. لا بل يؤكد في شيء من الاختيال والكبرياء الظاهرة أن استقراءاته مرجحة أرجحية خارقة. أجل إن حواره (يروي لنا) أسطورة. غير أن تلك الأسطورة تداني الحقيقة المطلقة أكثر من أية أسطورة أخرى. وهذه النقطة أبرزها ابْرُشار بكل جلاء[1]. فإله فقط قد يستطيع معرفة الحقيقة في عالم الفيزياء والطبيعة. وإن اتفق لحكيم أن يستشفِ علل الأشياء فكيف يمكنه أن يكشفها للبشرية الجاهلة؟ ولن يقول أفلاطون كل شيء. ولكن كل ما يقوله مرجح، بقدر ما يمكن الحكم في ذلك.

هذا، وقد طال ما أفاض الشراح بصورة عامة بشأن الأسطورة الأفلاطونية، دون أن يلاحظوا أن لأفلاطون أساطير تختلف بطبيعتها وصفاتها. فأفلاطون الشاعر، وهو من أروع الشعراء، يستسلم أحياناً إلى خاطره الطروب وقريحته الفياضة، ويتذوق لذة خفية عندما يتلاعب بصور بهية. وفي سخريته الرهيبة، يطيب له أن يضارع ويعارض استنباطات سلفائه ومعاصريه. بيد أنه يحب أيضاً أن يبدي بعضاً من أغلى عقائده بشكل الأساطير.

وهكذا نجد في حواراته أساطير من كل صنف: بعضها مجرد صور رشيقة، يلقيها في سبيله لبهجة الإبصار، وبعض آخر تشويه كل خبث لتعاليم معادية، وبعضها أخيراً تعبير شعري عن نظريات رصينة لها من الأرجحية قدر كبير. فإن كان التِيْمئِس بجملته أسطورة. فهذه الأسطورة تتجزأ إلى أقسام مختلفة تتباين طبائعها جداً. فهنا يبدي أفلاطون تشككه بشأن أنساب الآلهة، أو ازدراءه الشعراء، بعبارات تهكم عابرة. وهناك يمازج الخاطر اللعوب عنصر

---

(١) Cf. notamment: V. Brochard et L. Dauriac; Le devenir dans la Philosophie de Platon. Bibl. Du Congrès international de Philosophie 4, Paris. 1902. p. 127.
راجع التِيْمئِس ٦٨ d.

جدٍّ. فأسطورة القطر الأطلسي وبالتالي الكْرِتِيَّس برمّته هما من نسج الخيال على تأييد صولن لهما وكهّان المصريين. إلا أننا نجد، وراء الخاطر اللعوب نفسه مجموعة من الاحتمالات كما نجدها في روايات جُول فرن Jules Verne أو قصص وِيلْزْ العلمية. ومن المؤكد أن أفلاطون يعتقد بوقوع كوارث كبرى في طبقات الأرض قديماً.

وتتسم أخيراً أسطورة تِيْمِئُــَس الرئيسية بميزات تختلف تماماً عما ذكرنا. لا غرو أن إطار العرض هو برمته أسطوري. ولا ريب أن أفلاطون لا يؤمن بوجود كوبٍ يتمّ فيه المزيج. ويعسر على المرء أن يعبر عن عمليات «الصانع» المتعاقبة في مقال موضوعّي عن نشأة الكون. إلاّ أن الأرقام المتعلقة بأبعاد الكواكب السيارة، ووصفَ مداراتها وتلاقيها وتقابلها، تتفق وأصحّ معطيات العلم الفلكي في عهد أفلاطون. كما تنسجم نظرية أقسام النفس ونظرية العناصر وتعاليم رياضية دقيقة. وإجمالاً كل ما يمت إى الكيمياء والظاهرات الجوية وعلوم الحياة، يفرض مجموعة أبحاث رصينة جداً يَقدُرها أفلاطون أكبر قدر.

وقد يتساءل المرء في مثل هذه الظروف لمَ حوّط أفلاطون الوقائع بهذا الزيّ الأسطوري بدل أن يعرضها عرضاً بسيطاً، كما سيفعل أرسطو فيما بعد، ولمَ قبل أن يجازف سلفاً بقيمة أهمّ ملاحظاته. فهل هي مجرد نزوة فنان، أو بالأحرى شعورٌ عميق ينقص كل محاولة تهدف إلى تعليل علمي شامل متكامل؟ كيف نفرض أن أفلاطون لم يشعر شعوراً أليماً ببطلان كل محاولاتنا، لنعطي الكون تفسيراً كلياً، وهو الذي ساورته ربما أكثر من أي فيلسوف آخر، رغبة اكتشاف الحقيقة الأزلية؟ كيف نفرض أن أفلاطون لم يشعر ذلك الشعور، وتعليمُه برمته يثبت لنا جهده المستميت ليبلغ من وراء

الظواهر، الواقعَ الثابت؟ وإذ وُجد التحول، فلابدّ من النقصان في بنائنا الفكري، ولابدّ فيه من المراودات والأخطاء. ومع ذلك، على الفيلسوف شاء أم أبى، أن يجازف ويحاول ويغامر. وعمله تمهيدي وبعض أقسام عمله مهلهل. أما بعضه الآخر فيبدو متيناً نهائياً. فيطيب لأفلاطون أن ينظر إليه مليّاً.

هذا، ويعترف العلم الحديث نفسه بعجزه عندما يميز بين الوقائع وبين النظريات والفرضيات المعدة لربطها وتفسيرها. غير أن وصف الكون في نظر أفلاطون هو خصوصاً وصف ما يتحول، وخروج من عالم الحقائق الثابتة، واضطرار إلى مواجهة مبدإ تشويش وفوضى لا يضبط. ويصدف العلم بطيبة خاطر عن هذا المبدإ. ويفضل ملازمة العلاقات الثابتة، إذ يبدو أن قليلاً من الانتظام والانسجام ينفذ بسببها إلى قلب الفوضى. إلا أن العلم لا يستطيع جهل عنصر الإخلال بالنظام، وجهل حضوره المقلق. ولذا لا مفرّ من أن تحتفظ كل معرفة لعالم التبدل بشيء من عدم اليقين والخفاء، مهما بلغ العلم من الدقة والضبط. فنظرية العالم المتحول تلبث دوماً نظريةً مرجّحة فقط. ولا شك أن منهجاً جيداً يسمح لنا أن نرفع الأرجحية إلى درجة عالية من اليقين. إلا أن هاوية دائمة قد أُثبِتت بين علم المُثُل وعلوم الأشياء المتغيرة، وهذا كان رأي بَرْمينيذِس عندما كان يصف عالم الظن (الذُّكسا doxa) فالصيغة الأسطورية تعبّر تعبيراً عميقاً أخّاذاً عن هذه الضرورات الباهظة. وهي في آن واحد تتيح لنا أن ننمق بوشي الشعر أكثر التعاليم تجريداً، وتلفتُ نظرنا دونما إفاضة في الشرح إلى فقر عقلنا فقراً لا يعالج.

وقد تبين هكذا أن التِيْمِئُس أسطورة، ولكن أسطورة تداني الحقيقة، تفسر لنا بقدر ما يُسمح للضعف البشري، أسمى ما بلغ إليه الإنسان من حقائق في هذا المجال. والمهمة المترتبة على الشاعر والفنان تفوق ربما في الحقيقة

أروع العبقريات. فهناك وقائع علمية لا يستطيع شعر أن يمحو جفافها الطبيعي. وإذا عمد المرء إلى الاستعارة وأسرف في استعمالها، فهي تُشيع الغموض أحياناً في تعاليم، لو عُرضت عرضاً بسيطاً، لغدا فهمها أسهل متناولاً. وما فائدة أسطورة روح العالم، إن كانت الغاية تعيينَ الأبعاد فقط بين الكواكب، والتقليلَ عن طريقة حركاتها؟ ولمَ لجأ أفلاطون إلى هذه الحيل، وله ما له من المقدرة الأكيدة على عرض أعوص المفاهيم بجلاء؟

لا ريب أن إيضاح هذه المسألة يجب التماسه من تقاليد العلم اليوناني في القرن الخامس ق.م. إن أفلاطون يسعى إلى تفسير شخصي للكون تفسيراً متكاملاً موحداً، يستفيد من جميع معطيات العلم. وبفعله هذا فقد حفظ لنا في ذات الوقت إرث أسلافه مفكري إليه والفلاسفة البِثَغوربين والسفاسطة. فالتِيْمِئُس من بعض الوجوه ضرب من المساوفة أو المجاراة لروايات نشأة الكون السابقات. وأفلاطون يحافظ على الصيغة التي خلقها له أسلافه، ويطابق بينها وبين عوائد زمانه. وينسج حسب الحاجة على غرار هؤلاء أو أولئك فيتفق له أن يُقحم في أرْصَنِ المقالات تلاميح لا تخلو من الظرف وناعم التهكم.

٦ - أشخاص الحوار:

مع أن طريقة العرض متواصلة أو تكاد، فالتِيمِئُس حوار كسائر مؤلفات أفلاطون التي حفظنا. ولا يتلافى أفلاطون عناءً ليوحي لنا أن المشتركين في الحديث أشخاص حقيقيون. فالتاريخ يثبت لنا وجود سُقراط واكْرِتيَّسْ وهِرْمُكْراتِسْ. وابْرُكْلُسْ (٢٢، IF ص ٧١، ٩١ Diehl) ينبئنا أن هِرْمُكْراتِس هو عين القائد السركوزي حامل هذا الاسم، الذي يفيض اكْسِنُفُونْ وتُكِذِيْذِسْ

وذِيُوذُوسْ الصقلي[1] في التحدث عنه. وقد قام هِرْمُكْرَاتِس هذا بدور خطير. وناوأ أشد المناوأة وأكثرها توفيقاً المطامع الأثينيّة التوسعيّة. ونجح مرتين متتاليتين في درء هجمات أثينا، ومنى المجتاحين بهزيمة نكراء. ولم يستحق غيره أكثر منه اكليل القائد واكليل الدبلوماسي. وقد روى لنا ثُكِذيذِسْ انتصاراته، ونسب إليه ثلاث خطب جميلة. ويؤكد لنا أنه ترأس بعثات سياسيّة هامة. ويعلمنا ذِيُوذُرُسْ أن هِرْمُكْراتِسْ اضطر فيما بعد إلى مغادرة وطنه، حيث تغلبت الكتلة الشعبية. وذهب بعض المؤرخين إلى أنه طلب حماية أثينا، وأنه قد يكون هكذا للتِيمِئُس أساس تاريخّي.

غير أن هذا الافتراض ليس على شيء من الرجاحة. إذ يخبرنا **ذِيُوذُرُسْ** أن **هِرْمُكْراتِسْ** بعد أن نُفي عن سركوزا، التجأ أوّلاً إلى اسْبَرْطة، ثم إلى آسية الصغرى واستجار بفَرْنَبازْ. ولا يسمح توقيت تلك الفترة افتراض إقامة خلال ذلك في أثينا. ومن ظنّ أن في وسع الأثينيّين أن يحتفوا بعدوّ هارب، فقد أخطأ معرفتهم. فاختيار هِرْمُكْراتِسْ ليعبِّر عن لسان حال أفلاطون، له مغزاهُ دونما ريب. وإن أبدى أفلاطون في التِيمِئُس ميلاً إلى التغني بأمجاد أَثِينا، فتقاريظه تقع دوماً على أثِينّيي الماضي، وليس له استعداد ليعطف على معاصريه. ولعله يعهد إلى عدوّ من أعند أعدائهم بمهمة تقرير نظامهم السياسّي المقبل، ليلقي عليهم درساً مريراً في سخريّته. فما كان دور هِرْمُكْراتِسْ في ذلك؟ إنّ ابْرُكْلُسْ (LA ٢٣، ص٧٢، ٦، Diehl) يروي لنا بعبارات لا تخلو من الألغاز، جدالاً أثير بين قدامى مفسري التِيمِئْس. ففي

---

٦ - (١) ثكذيذس ٤: ٥٨ -٦٦، ٦: ٣٢ -٣٥، ٧٢ -٧٣، ٧٥ -٨٠، ٩٦ -٩٩، ٧:٢١، ٨: ٢٦، ٣٩ -٤٥، ٨٥ - اكْسِنفُون: الحروب الهِلِينيّة ١: ١:١٦ و١٨و٢٧. ذِيُوذرس ١٣: ١٨ -١٩، ٣٤، ٣٨، ٦٣ر أيضاً أبلوَترْخس، سيرة نِكِيّس ٢٦: ٥٤٠ و٢٧:٥٤١.

زعم بعضهم يُرجَّح أن تِيمِئس قد قام بدور العلة المثاليّة (أو الغائيّة)، **واكْرتيس** بدور العلة الصورية. ولم يبق **لهِرْمُكْراتِس** إلا الإصغاء، لأن الأدوار الفعليَّة قد وُزّعت على الأشخاص الآخرين[١].

وعاد بعض الشراح المعاصرين إلى ما أشار إليه **ابْرُكْلُس** من رأي، وأكّدوا أنّ أفلاطون لم ينوِ قطّ أن يؤلف حواراً ثالثاً يشغل فيه هِرْمُكْراتِسْ المقام الأول ويحاول مُونْك Munk خصوصاً أن يبرّر هذا الرأي بنصوص التيمئس نفسها (٢٧ a-b): وفعلاً لم توزّع الأدوار إلا على **اكْرتِيَّس وتِيمِئس**. وصفحة ٢٧ لم يعد بعد من ذكر **لهِرْمُكْراتِسْ**.

ولكن هذا البرهان غير مقنع. لأن سقراط كان قد صرح أن من اختصاص اكْرتِيَّس وهِرْمُكْراتِسْ أن يقوما بالمهمة، ويعود ويؤكد ذلك صفحة ٢٠ d. ويلمح الكْرتِيَّس من جديد (١٠٨ d) إلى الخطاب الذي وعد به هِرْمُكْراتِسْ. فبدون تهورٍ مفرط إذن يمكن أن نفترض أن أفلاطون كان يحسب، إبان تأليفه التِيمِئس، حساب حوار ثالث قد يحمل اسم هِرْمُكْراتِسْ عن المهمة المنوطة باكْرتِيَّس؟ لقد فرض سُوزْمل Susemihl بهذا الشأن فرضية خيالية لبقة. وادعى أن الدولة المثلى التي يبغي أفلاطون الكتابة عنها، يستطيع المرء أن يتصوّرها في شكلين أو حالتين مختلفتين، في الماضي وفي المستقبل. فاكْرتِيَّس يُعنى بوصف النوذج المستمّد من الماضي. وهِرْمُكْراتِسْ يكلف بوصف دولة المستقبل المثلى.

إلا أن سُوزْميل يعمد إلى برهانٍ دقة النظر فيه تفوق قوة الحجة. ففي زعم أفلاطون يتم تطور الكون خلال حقب، قوام كل منها عشرة آلاف سنة.

---

(١) نجد عند ابركلس عين الملاحظة ف ٨ b.

والحال أن تسعة آلاف عام قد انصرمت منذ بدء العالم، حسب معطيات التِيمِئُسَ (٢٣ e) واكْرِتِيَّس (١٠٠ e) ألا يعني أفلاطون إذن أننا نقارب نهاية الحقبة الأولى من حياة الكون، وأن طوراً جديداً على وشك أن يبدأ قريباً؟ لقد رذل اشتينهرت صنوف التحاليل هذه المفرطة اللباقة[٣]. ولكنه لم يفعل إلا ليعرض تحايلاً آخر غير مقبول كسواه. ففي رأيه أن هِرْمُكْراتِسْ كان قد قام ربما بالدور الذي يقوم به في كتاب الشرائع مِيغِلسْ واكْلِنِيَّسْ والنزيل الأثيني. وقد كان عليه، في نطاق دولة حقيقية، ذات قوانين تُجاري قوانين المدن الذورية، أن يصف دولة تداني الكمال المثالي ما أمكن. فيكون هكذا قد حلّ المشكلة التي سبق أفلاطون وأثارها في جمهوريته « ٦، ٤٩٩ C ».

غير أن أكثر المقارانات لباقة لا تستطيع أن تغني عن النصوص. ولا ندري أي شيء كان يمكن أن يحويه حوار هِرْمُكْراتِسْ، لوقُدَّر لأفلاطون أن يكتبه. ومن المحتمل أن أفلاطون نفسه لم يكن يعرف حين إنشاءِ التِيمئُس ما كان مزمعاً أن يقوله فيه.

ففي الفن الأفلاطوني، مهما بلغ من دقة المنهج وعمق التفكير، قِسط لا يُجبر من الحرية والارتجال، يفوت دوماً حكم العلماء المنقبّين، وحكمهم بالطبع محدود. ومع ذلك، فلا يقدر المرء أن يمتنع عن إبداء هذه الملاحظة: يُستغرب أن يكون أفلاطون قد وصف نظام الدولة المثلى، على أوجه تختلف ذلك الاختلاف كله؟ **فالجمهورية والشرائع واكْرِتِيَّس** ومقاطع من السياسي تعرض لنا ضروباً متباينة من المِثال الأفلاطوني. وهذا التباين بالذات نلفيه بين علم التيمِئس الطبيعي ونفس العلم في الباب العاشر من كتاب الشرائع. ألا

(3) Susemihl, dans Jahn's Jahrb., 1855. p. 380: Steinhart, éd. du Timée, note 57. Cf. H. Raeder, o. c. p. 379.

يعني ذلك أنه يستحيل في نظر أفلاطون أن يُخطّ للدولة الكاملة مُخطط لا يتغير؟ وكذلك لا بد أن يشمل وصف العالم المادي قسطاً محتوماً من الاحتمال. وإذا ما أكثر المفكر هكذا من الصور التقريبية في تعريف الأشياء، ساعده الحظ على مداناة الحقيقة الغير المدركة مداناةً مطّردة.

إن سقراط واكْرِتِيَّس أشهر من أن يُضطر المرء إلى تعريفهما بكلمات قلائل. وعلى ما عهدنا من سقراط في الحوارات المنطقية، لا يقوم ههنا أيضاً إلا بدور السامع المنصت. ولكن لا يعني هذا قطعاً، فيما يبدو، أن أفلاطون قد عدل تماماً عن تعاليم البيئة السقراطية. فقد تناول سقراط الحديث قبل تِيمِئس وقبل: وهو الذي رسم ملامح الدولة المثلى، وسطّر النموذج الواجب مداناته في الحقيقة. وغاية رواية اكْرِتِيَّس دعمُ سقراط بتأييد تاريخي. فكأن أفلاطون يقول: كلاّ يا قوم، إن نظريّات سقراط ليست وهمية إلى حد ما قد يظن المرء، إذ إنّ شطراً منها على الأقل يمكن تطبيقه عملياً. وحينما يبدو أن الفيلسوف يُعرض عن أوهام الجمهورية، في تلك اللحظة عينها كأنّه يتغاوى خفية ولا يُسَفِّهها في شيء.

أما تِيمِئس اللوكْريّ، وهو الشخصية البارزة في حوارنا، فلا نعرفه إلا بشهادة أفلاطون. لقد ألِّف تِيمِئُس لوكْرِي برمته استناداً إلى معطيات التِيْمِئس. ولا شك أن اسم تِيمِئُس بالذات لم يقحم في لائحة الفلاسفة البثَغوريّين إلا فترة طويلة بعد أفلاطون. ولا يحوي التِيمِئس في الحقيقة أية دلالة تسمح لنا بالاعتقاد أن أفلاطون شاء أن يبرز لنا في تِيْمِئس تابعاً من أتباع البِثَغورية. لا غرو أن تِيْمِئس من مواليد لوكْرِي في إيطاليا. وقد ترعرعت البِثَغورية في إيطاليا. والرواية البِثَغورية تذكر أن في لوكْرِي بالضبط فرعاً من الشيعة

البِثَغورية. غير أن تلك الرواية عينها تستغل التِيمِئس استغلالاً وافياً[١]. هذا، ولا يأتي أفلاطون على ذكر لوكْرِي إلا ليعيد إلى ذهننا الدور السياسي القائم به تِيمِئس في موطنه وامتياز النظم السياسية فيه. وكل ما نقف عليه من أمر تِيمِئس هو أنه ضليع في الرياضيات وعلم الفلك أكثر من أيّ شخص آخر من أصحاب الحوار. ويحتمل أن يكون قد وُجد بثغوريّ يحمل هذا الاسم، ولكن ليس لدينا سبب معيّن موجب لتأكيد هذا الأمر.

ويذكر لنا أخيراً نصّ التِيمِئس محاوراً خامساً اشترك في حديث السهرة ومنعه انحراف صحته من لذة متابعة النقاش. ولما فاتنا الدليل من قبل أفلاطون (على هوية ذلك الشخص) لبثت مخيلتنا طليقة الجناح لتشرد حيثما يعنّ لها. فهل ذاك المحاور هو فيْلِفس كما حسب افلْيْدرِرْ (Pfleiderer)، أو أفلاطون نفسه كما خمّن فان هوسد (Van Heusde)، أو فِلوْلَوسْ كما يُقدّر رِتّرْ[٥]؟ من الواضح أننا نجهل ذلك، وكل ما قد نقوله لإثبات هويّات أولئك الأشخاص أو رذلها يكون بلا فائدة. وقد افترض ردولُفْ هِرْتسِل بهذا الشأن إفتراضاً لبقاً[٦]، وزعم أن أفلاطون لم يكن يعرف لدى كتابة التِيمِئسَ أي شيء يكون ذلك الشخص. ولم يأت على ذكره، بضرب من التفنن الناعم في التأليف إلا ليحتفظ الحقّ لنفسه بأن يبرزه ذا وجه واضح المعالم إذا بقي، بعد إنجاز التِيْمِئس واكْرِتيّس وهِرْمكْراتِس، موضوعات أخرى هامة لم تعالج بعد وبهذا

---

(١) راجع Diels, Vorsokratiker,I3, p. 339. ويذكر أرِستوكسنس مشترعاً من لوكري اسمه تمريس Timaris عاش على الأغلب بعد ٤٦١ ق.م (Jamblique V.p.130)

A. delatte, Essai sur la politique pythagoricienne. Biblioth. de la faculté de philos de Liège, 29, 1922, p. 28, 183.

(5) Pfleiderer, Socrates und Platon. Tubingen. 1876, p.690. C. Rirter Neue Untersuchugen uber Plato, 1910, p. 174; 181-182.

(6) R.Hirzel. Der Dialog I. 1899. p. 240. 257.

التحايل يلبث أفلاطون حرّاً ليضيف إلى حواراته الثلاثة الأولى، التي قصد تأليفها، حواراً رابعاً يوسّع ثُلاثيّته فتصبح رُباعية.

إن تخميناً كهذا محتمل، ولا يحول دونه مانع. غير أننا لا نعرف عنه شيئاً. والفطنة تنهانا بلا ريب عن معرفة ما لم يشأ أفلاطون أن يبوح لنا به.

٧ - إحالات التِيْمِئُــَس إلى حوارات سابقة:

إن مطلع التِيْمِئُس يلخّص حديثاً سابقاً، بين أشخاص هم أشخاص الحوار أنفسهم. وقد عالجوا في سياق ذلك الحديث دستور الدولة المثلى. وخلاصة ذاك الحديث هي النس ستوحي، فيما بعد، كل المحاولات لتصوير المثال الأسمى حيّاً متحققاً في الواقع. ولما تلا التِيْمِئُس، في أكثر المخطوطات، كتاب الجمهورية، وبدا هذا الملخّص إجمالاً، مطابقاً لتأكيداتٍ وردت في الجمهورية، قَبِل العموم بلا تقصٍّ أشمل أن التِيْمِئُس يحيل إلى الجمهورية.

ولكنّ رِتِرّ بيّن دون كبير عناءٍ أن هذا الزعم ليس على شيء من اليقين(١). فأفلاطون يصرّح في الحقيقة أن تلخيص حديث السهرة أمين لا بل كامل، وأنه لم يهمل شيئاً (١٩ a). والحال أن الجمهورية إذا تناولت بالبحث فعلاً شيوع النساء والأرزاق، وتربيةَ الدولة الأولاد الذكور والإناث تربية واحدة، وضرورة التخلص من البنين المشوّهين أو فاسدي الطباع، ودورَ حماة الدولة، فإنها تتناول بالبحث أيضاً ألف مسألة لا يأتي التيمئس على ذكرها قطعاً. أضف إلى ذلك أن ذاك التلخيص لا يكون ناقصاً فقط بل مخلاًّ بالأمانة. فعلى سبيل المثال، يلمّح التِيمِئُس إلى **أعياد أثِنا الكبرى** (٢١ a). أما

٧ - (١) Cf. H. Raeder. Platons Philosophische Entwicklung. Leipzig. 1905, p. 374-376 et C. Riuer, Timaios, cap. I, in Neue Unters.. 1910. p.174.

الجمهورية فتشير لا إلى أعياد أثِنا، بل إلى أعياد فنْذيْسْ. أخيراً وخصوصاً ليست أشخاص التِيْمِئُس أشخاصَ الجمهورية.

فما نستنتج من هذا؟ إن هذا الملخص، كما توهّم رُوهْدهْ، يرتبط بنص للجمهورية سبق النص الذي بلغ إلينا(٢)؟ هذا غير محتمل قَطعاً، ولدينا أسباب جيدة كثيرة تحملنا على الظن أن التِيْمِئس قد أتى حتى بعد تصنيف الجمهورية التي بين أيدينا. أم أنّ أفلاطون سبق وألّف حواراً، ضائعاً اليوم، عاد فيه إلى ما عالج من موضوعات في الجمهورية بعد أن بدّل فيها وغير الأشخاص؟ ولكن لم يأتِ أحد من الكتّاب الأقدمين على ذكر هذا المؤلّف.

ولعل من الإسراف بحقوق النقد، أن يخلق المرء عندما يشاء ازدواجية لكل من كتب أفلاطون. وقد قيل أيضاً إن أفلاطون لا يحتفظ من الجمهورية في مقدمة التِيْمِئُس إلا بما بدا له صحيحاً، عندما شرع في تأليف هذا الحوار الأخير. وفي هذه الحال، لِمَ لا يتفق هذا الملخص وما نجده في كتاب الشرائع حول عين المسائل، مع أن الشرائع جاءت على الأغلب بعد التِيْمِئُس؟

فالحل بلا ريب أبسط بكثير، إذ لم يوجد قط حوار لأفلاطون يتلاءم نصه تلاؤماً ومطلع التِيْمِئُس إذا حُلل. وإن كان هناك مؤلّف فهو وهمي. والحديث الذي يشار إليه لم يجر قط على هذا الوجه. فلم هذا الضرب من الخيال الباطل في الظاهر، ولم لا يلج الفيلسوف صُلب موضوعه مباشرة؟ ذلك أنه أضحى ربما من المناسب أن يبرز أفلاطون بجلاء، ميزات عملٍ متجدد تماماً، يباشره من ذاك الحين، كما هو من المناسب أن يُظهر الفرق بين هذا العمل العلمي الموضوعيّ، وبين التخرصات السالفة. فكأن أفلاطون في إشرافه على الشيخوخة يبدي اهتماماً

---

(٢) E.Rohde, o. c.II, p.266 note.

متزايداً بضبط نتائج تأملاته الطويلة: فقالبه العقلي يزداد رسوخاً وتأكيداً، وهو يبغي في نوبته التعبير عن فلسفة وعن سياسة نهائيتين.

لا غرو أن المرء يستطيع أن يتصور نماذج لتلك الدولة المثلى، وأن يصفها ويقابل بينها، دون أن يكترث لظروف الواقع التي قد يُفرض أن تتحقق فيها. لقد تجاوز أفلاطون، في ذلك الحين من عمره، تلك المرحلة. ولو شاء مفكر معاصر أن يبدي ما بين الطريقتين من تضادّ، للجأ إلى تعابير عامة. أما أفلاطون فهو يضفي عليهما شيئاً من الحياة، ويبرزها طبقاً لعادته في صورة واقعية، ويتخيل محادثة سابقة تعالج المواضيع نفسها. ولا بد لنا أن نتمثل أفلاطون بالذات وتلاميذه متسترين بأسماء متحاورين وهميين. ولم تحفظ لنا الحوارات إلا تلاخيص مقتضبة جداً، لِما كان يدور بين المعلم وطلابه من أحاديث لا تنقطع. وكم أثيرت تلك المسائل بينهم، ونوقشت من كل الوجوه! فالحديث الذي لُخص في مطلع التِيمْئُس ليس بالضبط ما حفظت لنا الجمهورية من حيث. فلِم نعجب من هذا الأمر، ولِم نفرض كل تلك الفرضيات الباطلة، مع كل دقتها، لتستوضح الاختلافات؟

٨ - تاريخ التِيمْئُــَس وعلاقاته بِفيلِفُــَس والسياسي:

يَقبل العلماء إجمالاً أن حوارنا جاء بعد الجمهورية وسبق الشرائع. هذه هي النتيجة التي توصل إليها لأسباب مصدرها فحص الإنشاء، قسطنطين رِتّر (١٨٨٨)، ولوتسلافسكي Lutoslawski (١٨٩٧) وجومبرز Gomperz (١٩٠٢) وناتورب Natorp وريدر Raeder (١٩٠٣)، وحديثاً رِتّر في أول مجلد من مؤلفه الضخم (١٩١٠). ففي نظر هؤلاء الكتاب، واتفاقهم ذو بال، أن حوارات أفلاطون الأخيرة الخمسة قبل الشرائع هي: السفستيّ والسياسيّ

وفِيْلِفُس وتِيْمِئُس واكْرَتِيَّس. وهذه هي النتيجة التي وصل إليها اتْسِيار لأسباب استمدها خصوصاً من محتوى تلك الحوارات. غير أن رِتّر ترك معلقة مسألة تأخر الفيلفُس عن التِيْمِئُس أو سَبْقِه له[١].

هذا وبين الفِيلِفُس التِيْمِئُس تشابه غريب ليس فقط في التعابير، كما لاحظ ذلك كثيرون ولا سيمارتر، ولكن في الأفكار أيضاً، إذ نجد في الحوارين آراء قريبة جداً. ونجد أن بعض هذه الأفكار أو الآراء يعرض في الفِيلِفُس، مع أنه يبدو أن التوسع في الموضوع لا يفرضها حتماً. فكأن أفلاطون لا يستطيع أن يمر بأبحاثه الحديثة مرّ الكرام ويذعن لإغفالها تماماً، وذهنه لا يبرح مليئاً منها:

١ - في فِيلِفُس مثلاً يحدّد الجسم الحيّ بأنه تركيب من العناصر الأربعة وهي تدخل أيضاً في جسم الكون (٢٩ a - e) ولكن في قدر أعظم من النقاء وهذه المقابلة بين الجسم البشري وجسم العالم، غايتها إثبات مبدأ منظم في الكون شبيه بروح الإنسان، ولكنه روح ملكي وعقل ملكي يشرف على انتظام السنين والفصول والشهور، وهو حكمة فائقة. والحال أن الاستدلال عينه يسود في القسم الأول كله من التيمئس، ويظهر التماثل الشامل بين الأرواح والأجساد البشرية وبين روح العالم وجسده.

وفي فِيلِفُّس نظرية عامة في اللذة والألم (٣١ d - ٣٣ b): ينشأ الألم دوماً عندما يطرأ على الجسد والروح تبدلات تغاير طبعها الخاص. ويقع الألم خصوصاً حين تتكاثف الرطوبة بعامل البرد، أكثر ما تتحمل طبيعة الجسد

(١) - C. Ritter, Platon. Sein Leben. Seine schriften. Seine Lehre I.München. 1910, p.256. ٨ - 268. Cf. Platons Dialoge: Inhaltsdarstellungen I. Dieschriften des spuâteren Alters, Stuttgart, 1903. P.416.

الذي يحوي تلك الرطوبة (a b ٣٢). وينشأ الانشراح على عكس ذلك، عندما يأخذ النظام الطبيعي مجراه. ويُعثَر على نفس التعليم في التِيمٍئُس وبنفس التعابير تقريباً.

ويقبل الفيِلفٌس (d ٣٣ - ٥١ a)، وشأنه في ذلك التِيْمِئُس بأنّ هنالك بعض مؤثرات يمكن أن تنطفئ في الجسد دون أن تبلغ الروح.

ويلاحظ التِيمِئُسَ أن مشاعر النظر والشمّ توفِّر لنا ملاذ في غاية السفاء ويشير الفيْلِفس (a b ٥١) الى نفس الحادس ولكن بتفاصيل أوفر.

أخيراً يُعارض التِيمِئُسَ بين الصيرورة والكيان، وبصدد الصيرورة يميّز بين الولادة والوفاة. وهذا التمييز بين «اليِيْنِسِس والأُسِيّا» أي الصيرورة والكيان، يعرضه الفيِلفُس (a ٥٤) بتعابير هي عين تعابير التِيمِئُسَ بالضبط. وهذا التمييز سوف يستغله الحوار لتحديد اللذة.

وبوجه عام، إن الشعور الذي يوفّره عرض فِيلِفَس، يشبه الشعور الذي توفّره لنا مقاطع كثيرة من التِيمِئُسَ. وقسطنطين رِتّر يجد في فِيلِفُسْ شيئاً من التثاقل والعسر، ينبئ بتعب الشيخوخة وضعفها. ولقد أشرنا إلى أن التِيمِئُسَ يحوي نقائص هي ذات تك النقائص.

ولكن ولا ميزة من هذه الميزات تتيح لنا التأكيد أن أحد الحوارين تقدّم على الآخر. ودلائل الإنشاء هي من الغموض بحيث لا تُحلّ استنتاجاً قاطعاً. ونظراً لاعتبارات أخرى، لا يستحيل قطّ أن يكون أفلاطون قد انصرف إلى العمل على تأليف الحوارين في آن واحد، وعلى نفع كل منهما بما بلغ إليه الآخر من نتائج. فنشر كتاب عند المحدثين يفرض بين المؤلف وتأليفه انقطاعاً في الغالب نهائياً. إلا أن الكاتب اليوناني لا يقطع حتماً مهمة التنقيح

والتصليح، عند ما يسلّم مخطوطه إلى النقلة. ولا بأس في تصوّر أفلاطون، وهو يقابل بين حواراته المختلفة، منصرفاً إلى تهذيبها على هَوْنٍ، وعاملاً حتى على تأليف كتب متباينة.

٢ - أما صلات التِيمِئُسَ بالسياسيّ فهي جلية نفس الجلاء. فالأوضاع في الحوارين تتشابه في تفاصيل جمة. وليس هذا فقط هو وجه الشبه فيهما، بل يشير السياسيّ أيضاً إلى طائفة من التعاليم يتبسط فيها التيمئسَ وحده:

ففي أسطورة السياسيّ يحدّثنا المؤلف عن صانع الكون أو منظِّمه بتعابير يستعملها أفلاطون هي ذاتها في التِيمِئُسَ(٢). وفي السياسي كما في التيمئس إله يدفع الكون إلى دورانه (c d ٢٦٩). بيد أن هنالك فوارق هامّة بين الحوارين. لاغرو أن السياسي يدع جانباً فرضية تظهر في الشرائع، إلا وهي فرضية روح العالم الشريرة. غير أن هذا الحوار لا يميز بجلاء بين الإله المنظم والروح بالذات.

ومن جهة أخرى يلمّح التِيمِئُس إلى انحرافات في حركات الكون تحدث خلال أحقاب طويلة. ولكنه لا يتحدث عن تلك الحركة الرجعية الناشئة أحياناً عن تراخي العمل الإلهي، وأسطورة السياسي تصف وصفاً غريباً نتائج تلك الحركة. ومع هذه الفوارق الطفيفة، يمكن الظن أن السياسي والتِيْمِئُس قد كُتبا في فترتين قريبتين الواحدة من الأخرى، إن لم ينصرف أفلاطون إلى تأليفهما في آن واحد.

---

(٢) راجع d ٢٦٩ من السياسي: الموفق وخالق الانسجام - b ٢٧٣: المبدع والوالد الربان d ٢٧٣٠ منظم الكون ومزينه.

٩ - مصادر التِيْمِئُس:

لقد قبلنا ضمنياً أن التمِيئُس يطلعنا على تعاليم أفلاطون الخاصة وعلى تعاليم مدرسته. وعندما يتكلم المرء عن تعاليم أفلاطون، لا سيما على الصعيد العلمي، لا بدّ له أن ينتبه إلى أن الأكَذميّة، نظير اللِكيُّنْ فيما بعد، جماعة يتشارك أعضاؤها في محصول أبحاثهم. وقد بيّنت إبْفَا سَاخْسSachs، وهذا ما سنراه بعد قليل، أن أفلاطون على الأرجح، قد استغلَّ تآليف صديقه ثئِيْتِتُسْ الرياضيّة. ولو كنا نعرف البيئة الأفلاطونية معرفة أفضل، لتمكنّا دون ما ريب أن نشير إلى حالات أخرى كثيرة مماثلة. وعلاوة على ذلك، فإن منهج الفلسفة الأفلاطونية نفسه هو في جوهره منهج اختيار وانتقاء.

والدأب على تتبع كل الأشكال الفكر القائمة، ومحاولة التعبير عنها أكمل وأقوى تعبير، كما يفعل أفلاطون بلا انقطاع، ينطوي على تصميم عنده أن لا يحتفظ من تلك الأشكال إلا بأنفس ما تُقدّم له. وأفلاطون لا يتعفّف في الواقع عن الأخذ من كل يده لا بل يضطره مبدأ مذهبه نفسُه أن ينهج هذا المنهج.

وكم استعار ولا بدّ من مصنفات تعالج أحداثاً موضوعية أكثر مما تعالج أفكاراً ومذاهب؟ فهناك نَقْل عريق في القدم – لعله يرجع إلى تلاميذ أفلاطون أنفسهم -، يزعم أن أفلاطون قد استمدّ أوفى شطرٍ من فزيائه وعلم الحياة عنده، من أتباع **بِثَغورَس**. وقد أشاروا مدة طويلة إلى التِيْمِئُس باسم التِيْمِئُس البِثَغُوري[١]. ولكن لابدّ من الإشارة إلى أن أفلاطون لا يلمّح في موضع ما، لا في التِيْمِئُس ولا في غيره، إلى أشغال البِثّغوريّين العلمية. ومن المؤكد أن

٩ - (١) راجع روستنيي: بثغورس والبثغوريون في التيمئس Atti della R. Academ. delle S. di Torino. vol. 49. 1913- 1914, p.373. ولا يفتأ أيروكلس يقارب بين أفلاطون والبثغوريين. راجع ديهل ١:٧:١٨.

الحوار يفرض كون نظرية الكميّات الصماء معروفة، كما يفرض أن مطروحة **بِثَغُورَس** معروفة. ولكن هذا الحوار في قسمه الرياضي يلجأ خصوصاً إلى نظرية المتوسّطات، وإلى نظرية متعددات الأوجه المنتظمة. ويبدو أن هذه وتلك، كما سنرى، قد ترعرعت بالضبط في عهد أفلاطون والبيئة السقراطية. ونظرية الكميات الصماء ذاتها، يُحتمل أن يكون البِثَغُوريّون قد باشروا درسها. ولكن **ثِئُوذُرُس الكَرِينِي** أستاذ أفلاطون هو الذي عبّر عنها خير تعبير.

وثِئَيْتِتُس هو أوّل من بنى المجسّمات الخمسة المنتظمة كما سيستعملها التِيْمِئُس. فيمكن الظن إجمالاً أن القسم الرياضي من التِيْمِئُس لا يمتّ إلى البِثَغورية بصلة. صحيح أن مقطوعات فِلُولَوُس ولأرْخِيْتّس تتضمّن نظريات مختلفة شبيهة بنظريات التِيْمِئُس. ولكن أسباباً عدة تحدونا إلى الاشتباه بصحة هذه النصوص، أو على الأقل أنها تسبق التِيْمِئُس في شكلها الحالي. وتدليل بَرْنت على هذه النقطة الأخيرة يبدو إلى الآن قاطعاً(٢).

أما بالنظر إلى المذهب الذري فمعضلة مصادر التيمئس معضلة دقيقة جداً. إذ نعرف أن أفلاطون لا يذكر أبداً لا **لِيُفْكِبُس** ولا **ذِمُوكْرِتُس**. وربما نستطيع أن نفهمه إذا فُرض أن تُردَّ إلى الوراء ردّاً مقبولاً، طبقاً لرأي الكثيرين اليوم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إذا لبثت مؤلفاتهم مغفلة تمام الإغفال تقريباً، كما تثبت لنا ذلك شذرة من شذرات ذِمُوكْرِتُس.

غير أن هناك نقاط تقارب لا يستهان بها بين فيزياء التِيمِئُس وفيزياء ذِمُوكْرِتُس. أفلا يفسر أفلاطون في النهاية مولد العناصر ونشوء الصفات المحسوسة بنظرية الذرّات؟

---

(٢) راجع :
H. Diels, Elementum. Leipzig, 1899, p.22, Burnet. Early Greek ph. 3.1920. p.277.

فرأي أفلاطون في سير أجهزة الحواسّ وعملها، يجاري أوفر مجاراة رأي ذِمُوكْرِتُس. وإذا كان لمذهب ذِمُوكْرِتُس الذرّي أساس بعضه مبني على الرياضيات، كما يمكن المرء أن يفترضه، فالصلات بين التعليمين قد تظهر عندئذ بجلاء أوفى. ويبدو أن أرسطو يؤيد بنفوذه هذا الافتراض لأنه يُقرّب غالباً بين الفيلسوفين(٣). فلنفحص أوجه الشبه بينهما فحصاً أدق. وهذه هي الرئيسية فيها:

١ - نجد في التِيمِئس صور مجسمات بدائية تكوّن العناصر الأربعة وتشبه بعض الشبه ذرّات ذِمُوكْرِتُس.

٢ - ذاتيّة الأشكال التي يسبغها ذِمُوكْرِتُس وأفلاطون على العناصر.

٣ - تفسير الصفات المحسوسة ولا سيما اللون والحرارة ومشاعر اللذة والألم بصورة الأجسام الأولية.

٤ - نظرية الفرق بين الأشياء الثقيلة والأشياء الخفيفة، بفعل حركات الجسم «القابل» المشبهة بحركات الغربال.

هذا وإن كثيراً من الأوضاع والمفردات التي يستعملها أفلاطون نجدها في شذرات ذِمُوكْرِتُس. وأفلاطون يعمد في كلامه عن العناصر إلى تشبهها بالأحرف. وهذا التشبيه كان مأنوساً لدى الذريّين.

أجل إن أوجه الشبه هذه مثيرة. ويبدو من الثابت أن المذهب الذري كان شائعاً شيوعاً لا بأس به في عهد سقراط. وقد علَّم الرياضي **إِيكْفَنْتُس**، فيما يبدو، آراء تداني آراء ذِمُوكْرِتُس مداناة وافية.

---

(٣) راجع بروشار، ابرتغورس وذموكرتس، في مجلة Etudes de phitosophie ancienne et de philosophie moderne, 1912. 32-33. Stenzet: Platon und Demokritos (Neue lahrb. 8. d. KI. Alt. 1920. p. 89-100).

وكتابا اكْسنكراتِس «الخطوط غير المقطوعة» و«الآراء» تفرض تآليف سابقة لم تصنف كلها في مدرسة **ليْفكِبس**. ويبدو خصوصاً أنه وُجد في عهد سقراط ضرب من التعليم الذري الرياضي، أثار في معاهد العلوم مناقشات عويصة. ويُحتمل أن يكون أفلاطون قد استمدّ أكثر فروضه من تلك النظرية النووية، ذات الصبغة الخاصة المختلفة قليلاً عن غيرها.

ومع ذلك فإن استفاد أفلاطون من أعمال النوويّين، فهو يعدّ لها تعديلاً يبدل معناها إلى حد بعيد. فقبل كل شيء سنرى أن جُسيمات أفلاطون ليست صامدة كجسيمات دِمُوكْرِتُس. فهي عرضة لاهتراء بطيء، يَبْرُد نتوءاتها ويفسر لنا تقلبّاتها بعض التفسير. فتلك الجسيمات تستطيع أن تغيّر أشكالها بتأثير البيئة. وعلاوة على ذلك، فالأشكال الهندسية التي تحدد الجسيمات، كأنها تحضن جوهراً أو مادة، قوامها معالم نوعيّة، ولا علاقة لها البتة بجوهر ذرات دِمُوكْرِتُس المتجانسة والكثيفة على الإطلاق. وفيما تحاول فيزياء دِمُوكْرِتُس أن تفسر النوعية بمعالم رياضية أو آلية بحتة، يتلاحم مذهب أفلاطون الذري ويتضافر، في كثير من الغرابة، مع نظريةٍ نوعيةٍ تُعلل الكائنات. أخيراً ليس في الأفلاطونية ما يقابل «المجال الفارغ» عند الذريين. لأن أحد معتقدات أفلاطون الأساسية هو بالضبط أنه «ما من فراغ». ونظرية المكان في التيمئُس الغامضة الصعبة، تبدو لنا فعلاً بمثابة دحض لتعليم دِمُوكْرِتُس بشأن اللاوجود والتيمئُس جملةً ينطوي خصوصاً على تفسير للطبيعة يتعمّد الغائيّة.

والسيد **رُوبان**، وشأنه في ذلك شأن كثيرين غيره من قبله، قد أثبت هذا الأمر من عهدٍ ليس ببعيد، بفراسته المأنوسة(١). وهذا الاتجاه الغائي وحده قد

---

(١) راجع: Léon Robin, Etudes sur la signification et la place de la physique dans la philosophie de Platon. Paris, 1919. p. 7, 60 et suiv.

يكفي لمعارضة فيزياء أفلاطون فيزياء الذريين، ولمقارنتها بفيزياء **أَنَكْسَغُورَس**. وهذا ما يدعونا إليه أفلاطون نفسه بفم سقراط. إلا أن تعليم **أَنَكْسَغُورَس** لا يرضيه، على ما يظهر من حوار **فِيْذُن**، لأن ذاك التعليم يخلو من الدقة العلمية ويرضى على طيبة خاطر بالعموميات. فأفلاطون يشعر أعمق الشعور بالآلية في كل أشكالها المنطقية أو الطبيعية، رغم الروح الغائية الصريحة التي تنعش كل تعليمه. فمن جهةٍ، هناك ضرب من الآلية تشرف عليه المُثل نفسها. وهذا النوع من الآلية يعمل في عالم المعقولات على سنّة الخير. ومن جهة أخرى هناك في الطبيعة غاية عليا. وهذه الغاية لا تستطيع أن تُنفَّذ إلا ضمن شروط محتومة ضرورية لا يبلغ الفكر إلى أغوارها.

وهذان الشكلان من الآلية يظهران أحياناً وكأنهما مندمجان، كما يحدث للمُثُل عندما ينظر المرء إلى صلاتها. وقد توسع أفلاطون توسعاً وافياً في تحليل فكرة الضروري. وحاول أرسطو أن يبلغ بها إلى الكمال. ولعل لايْبِنتزْ الذي أمعن في دراسة أفلاطون، مدين له بأهم اعتباراته في هذا المضمار. والضرورة في نظر الذريّين أمر يتصدّع عليه الفكر، ولا ينفذ فيه. أو بالحري يسبق الفكر. ولكن العقل في نظر أفلاطون ينفذ في الضرورة نفسها ولو إلى حدٍّ ما.

فهكذا يستطيع أن يستمدّ من الذريّين بعض تفاصيل تعليمهم، ولكن لا يمنع ذلك أن تكون فلسفته مناقضة فلسفتهم كلَّ المناقضة بأسلوبها وروحها. ونستطيع أن نقول القول نفسه عما يتعلق بعلم الحياة والطب في التِيمِئُس. فهناك نقاط ارتباط كثيرة بين تعاليم أفلاطون وبين التعاليم التي نجدها ليس فقط عند أَلْكْمِيئُن، ولكن في أقدم أجزاء مجموعة **هِبُكْراتِس**. فالعرض المبسّط مثلاً المتعلق بأجهزة الحواس له صلات بيّنة بشذرات **أَمْبِيذُكْلِيس** و**الْكْمِيئُن** عن الموضوعات نفسها. وسنذكر في سياق الكلام أهم تلك الصلات.

ويجدر بنا الآن أن نمحص تمحيصاً أدق، المشاكل الكثيرة التي يثيرها تفسير التِيْمِئُس. وقد قصدنا أن نجمع في هذه الدراسة كلّ العناصر التي تمكّن الباحث من التصدّي لها بفائدة.

الفصل الثاني

أسْطورَة الأطلنتيسْ

يبدأ الحوار في كثير من الغرابة بأسطورة الأطْلَنّتِيس الشهيرة. وبين هذه الأسطورة وباقي التِيمئُس صلة وثيقة، مع أن البعض قد أدعى أحياناً عكس ذلك. ويستطيع المرء أن يرى بإعجاب في هذا الترابط نموذّجاً من أكمل النماذج، المستمدة من ذاك الفن الناعم المشرف على تأليف الحوارات.

وقبل كل شيء فإن غرابة الرواية نفسها تضفي على كل ما يأتي بعدها جواً سرياً غير واقعي. وبفضل الأسطورة الافتتاحية يغمر الشعر بنوره أكثر أجزاء التِيْمئُس دقة علميّة، وأوفرها تجريداً، ليزيد من رونقها وبهائها. وهذه الأسطورة تفتح على الماضي والمستقبل آفاقاً لها من العمق والإبهام ما تمُكّن به اكرِتيَّس وهَرمِكْرَاتِس، مهما كانت أوجه تنسيقهما، من أن يُربطا على هينة بحوار التيمئس. هذا، ولا بد أن نلاحظ أن أفلاطون يغتنم الفرصة، كي يمجّد أثينا الأحقاب الخوالي على حساب أثينا المعاصرة، ويتملّق قّراءه ويذلهم في ذات الوقت. إن قصد الفيلسوف مبطنّ معقّد. ولكن يمكن فهمه دون كثير عناءٍ إذا تنبّه المرء إلى أن فن أفلاطون يبرع في معالجة موضوعات عدة في آن واحد، خلافاً لمناهجنا المدرسية.

ومع ذلك علينا ألا نعجب مما لقيته أسطورة أطلنتيس من تعليقات كثيرة وغير منتظرة. وقبل كل شيء هل كانت في الحقيقة أسطورة؟ فإن تلاميذ أفلاطون المباشرين، مع ما طبعوا عليه، كما يبدو، من روحانية متثاقلة، قد صدقوا كل التصديق هذه القصة برمتها، واعتبروا الرواية الأفلاطونية حقيقة. وقد ذهب اكْرانْتُر هذا المذهب، وهو أول المفسرين الذين لا حصر لهم (ابْرُوكْلُس ٢١ a.d). وإن كان أرسطو، بتحفّظه المعهود، قد عدّ قصة الأطْلَنْتِيس خرافة (اسْتْرَافُن ١٣، ٥٩٨) فبيذُونِيْس، وهو في ذلك أكثر فطنة، كان يحسب أن أفلاطون قد استطاع أن يبني خرافته على معطيات صحيحة: «من الممكن جداً أن لا يكون التقليد المتعلق بتلك الجزيرة مجرد خيال، لأن الكهّان المصريّين، الذين كان صولن يسألهم، قد أكدوا له وجود جزيرة في القدم سُمِّيت بهذا الاسم. وأضافوا أنها توارت ولو بلغت من الاتساع مساحة قارة (**اسْتُرافُنْ** ٢، ١٠٢). أما الإسكندريّون فمعظمهم قد رأى في رواية أفلاطون رمزاً. وهذا لا يمنعهم من الاعتقاد بوجود الأطْلَنْتِيس (**ابْرُوكْلُس** b٢٤). حقيقة تاريخية، رواية شعرية لوقائع حقيقة، رمز، خيال مجرد، تلك في الواقع الفرضيات الأربع التي كانت ممكنة والتي اضطر المعاصرون أن يختاروا هم أيضاً بينها.

فإلى عهد قريب نسبياً قد قبل أكثر الشراح والمفسرين بصحة رواية أفلاطون، وحاولوا فقط أن يحدّدوا مكان الأطْلَنْتِيس. ولعل لُوئيس لروا Loys Le Roy، وهو أول مترجم فرنسي لحوار التِيمِئُس، هو الوحيد الذي يتجرأ على إبداء شكه، إذ يقول: «أما أنا فأظن أن أفلاطون قد روى تلك الرواية ليؤتي بلده شرفاً ويدلّ على قدم العالم»[1]. وبعده، من أُلَفْ رُدْبِيك[2] Olaf Rudbeck إلى الفلكي بابيي Bailly الذي بعث برسائله عن الأطْلَنْتِيس إلى

(١) تِيمِئس أفلاطون ١٥٨٢ ص ١٣ من خلف.

(٢) Upsal Atlantica ١٦٨٢ ص ١٤٤ وما يلي.

فولتِير، لم تنقطع الفرضيات. فهل كانت الأطْلَنْتِيس واقعة بعد أعمدة هِرَكْلِيس، تجاه سواحل **البُرتغال ومراكش**؟ أو كان لابدّ من البحث عنها في خليج غَسْكُونِيَة Gascogne؟ أو كما عرض بعضهم بعد **خرستوف كولمب**، باتجاه **أميركا الشمالية** أو **أميركا الوسطى**، في جوار بعض جزر المحيط الأطْلَسي، وهي آخر ما تبقى من القارات الغائرة؟ أو هل كانت الأطْلَنْتِيس واقعة باتجاه أكثر ميلاً إلى الشمال نحو محيط الجليد **الأركتيكي** أو نحو **السبِتْزبِيرْغ**، على ما قال رُدبِيك وردَّده بعده بايي(٣)؟ ونحن في هذا المقام، نعفي القارئ من البراهين والمقارنات المختلفة، الغريبة أحياناً في تعنتها، وقد حاول بها الكتبة من القرن السادس عشر حتى الثامن أن يبرروا أوفى الاستنتاجات تهوراً: ويجد من يريد في المجلد الأول من كتاب **هَنرِي مارْتان** (دراسات حول التِيمِئُس) (I ٢٥٧ -٣٣٣) تحليلاً شبه كامل، لكل ما كتب عن الموضوع قبل ١٨٤٠. ولقد بحثوا عن الأطلنتيس في كل مكان تقريباً، حتى في شرقي البحر الأبيض المتوسط وفي المحيط الهندي نفسه. وقد صرف النقدُ الحديث اهتمامه تدريجياً عن هذه المشكلة التي لا حلّ لها(٤).

ولكن من عهد حديث قد عالج الموضوع من جديد عالم بطبقات الأرض هو السيد ابْيير نرْمييْه، واستنتج من أبحاثه أن الأطْلَنْتِيس قد وُجدت مؤكداً وفي المكان الذي يعيّنه أفلاطون في التِيْمِئِس بالضبط(٥). ففي حقبة

---

(٣) الكتاب المذكور ص ٤٦٤.

(٤) وإليك في هذه القضية المراجع التالية:
Gaffarel, Revue de géographie 1880. I. p. 241-259; 331-345, 421-430; II. P. 21-29; Lagneau Revue d'anthropologie, 1880. p. 460-468. Berlioux, les Atla, Paris. 1882: Sur les données géographiques cf. l'excellent exposé de S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, I, 1913: p. 326-329. Cf. Critias. Notice. P. 247.

(٥) راجع له محاضرة نشرها في المجلة التي يصدرها معهد علوم المحيطات، عدد حزيران سنة ١٩٧٣. وعاد هذا العالم ونشرها في كتابه: «على شرف الأرض» باريس ١٩٢٢، ص١١٧ -١٤٦.

قريبة إلينا نسبياً، تعود إلى أواخر العهد الرابع، انهارت بقعة شاسعة برية أو مؤلفة من جزر فسيحة «تقع إلى غربي مضيق طارق، وآثار تلك الكارثة تلبث بادية المعالم لعلماء طبقات الأرض. فإلى يومنا هذا مهاوٍ عميقة مستطيلة تحفّ بسواحل **المحيط الأطلسي** شرقاً وغرباً، كان انهيارات هائلة قد حدثت على جانبيه. ومن **جزر جُوجْ** إلى **جزيرة جان مايِن**، سلسلة من البراكين تحاذي البراكين المنجرفة إبان الكارثة، وتنتشر على الشفير الشرقي من هاوية المحيط على امتداد الساحل الإفريقي. وقد سبر العلماء سنة ١٨٩٨ الأغوار الشمالية من جزر **الأصور**، واستخرجوا عينات من قذائف البراكين الزجاجية. وإذا بها من نوع لا يتكوّن إلا بتأثير الضغط الجوي: فهي تعود إذن إلى حقبة سبقت انهيار البراكين المشار إليها. وإن مجموعات الجزر الأربع، وهي آخر بقايا القارّة المتوارية، الآصور **وماديرِ والكناري** وجزر **الرأس الأخضر**، تحتفظ إلى أيامنا بضروب من الحيوان أصله من البر، يشبه ضروب الحيوان في جزر الأنتيل وسواحل السنغال. وهذا برهان قاطع على أن تلك الأراضي كانت جزءاً من قارة واحدة. وأكثر من ذلك هو أن حوار اكْرِتيّسْ يحوي وصفاً لطبقات أرض الأطْلَنتيس، يتجاوب كلّ التجاوب مع التكوين الحاضر لأرض تلك المجموعات من الجزر: «قاعدة من الصخور القديمة، ذات بقع كلسية بيضاء، تحمل جبالاً بركانية منطفئة، وسيولاً من قذائف البراكين السوداء أو الحمراء الباردة من عهدٍ بعيد».

فمثل هذه المقارنات تحدث في الذهن انفعالاً يعسر التخلّص منه. ولكنّا قد نخطئ في استسلامنا له دون مقاومة، ونسيانِ مقاصد أفلاطون الصريحة. ولنا على تقلبات وجه الأرض المتواصلة، شهادات حديثة ومخيفة تمنعنا من الشك في إمكانية وقوع أحداثٍ في طبقات الأرض نظير التي يذكرها أفلاطون. فمن كل جهة حوله في **اليونان** وفي جنوب **إيطاليا**، كان بإمكان

الفيلسوف أن يشهد عمل قوى الأرض الداخليّة المتواصل. وقد لاحظ العلماء من عهودٍ بعيدة عدم استقرار سطح البسيطة. وهذا التقلّب الدائم هو الذي أوحى دونما شكّ بأسطورة ميتات العالم ومواليده المتعاقبة. وقد استفاد منها أفلاطون نفسه في حواري السياسيّ والتيمئِس.

ولكن مهما قربت منا الكوارث الطبيعية التي نجم عنها البحر المتوسط الحالي، فهي أولاً تسبق بكثير الأحداث التي سجلها التاريخ. ومهما أوغلت في الماضي أسفار الأخبار المصرية التي يقال إن **صولُنْ** قد طالعها، فهي دون ريب لم تأت على ذكر تلك الأحداث العريقة في القدم. وفضلاً عن ذلك ففي التيمئِس والكْرِتيّسْ وصف حضارة تختلف عن الحضارة الإغريقيّة، وتاريخ دقيق لاصطدامٍ وقع بين شعوب الأطْلَنتيس وشعوب البحر المتوسط. والحال إنه لم يشر أحد قبل أفلاطون، على علمنا، إلى تلك الحضارة وذلك الاصطدام، وما يَذْكر بايي من أشعار **الأذسيّة** لا يشير إلى الأطْلَنْتيس[٦]، بل إلى **أطلاس** أبي كَلَبْسو. ولا مقتطف واحد من كاتب سبق سقراط، ولا نصّ واحد من **أرسطو** يُلمّح إلى الأطْلَنْتيس. و**ثئوفْرَسْتس** يستشهد ببعض أقوال التيمئِس ويذكر بعض انمحاقات مماثلة لاضمحلال الأطْلَنْتيس. غير أنه لا يحكي عن روايات أقدم لقصة أفلاطون[٧]. أمّا **هيروْدتس** (٤:١٨٤) فلا يعرف باسم اطَلانْته إلا أهل المقاطعات القريبة من جبل اطْلاسْ. وهؤلاء سوف يدعوهم **بَفْسَنيّسْ نَسّموني** (١:٣٣:٥)، وينسب إليهم **ذِيوذرسْ** وجهاً كله من نسج الخيال (٣:٣٣). فكل الاحتمالات توحي أن أفلاطون استنبط قصة الأطْلَنْتيس بحذافيرها. وما من شيء يثبت عبقريّته مثل اختيار اسم القصة الخيالية، طبيعتها. ولم يكن في وسع أفلاطون أن يضع بلده الأمثل صوب

---

(٦) هومرس النشيد الثاني، ش ٢٤٥؛ ثم النشيد الأول، ش ٥٢.

(٧) مقطوعة ١٢ رأي ٦،٤٩.

المشرق، حيث كان الرحل إذا ما أوغلوا في مجاهل آسيا يجدون باستمرار متاهات شاسعة لا تتبدل من اليابسة. ولكن الإغريق حتى القرن الخامس ق.م. وبعده، لم يكونوا قد حصلوا إلا على معلومات مبهمة جدّاً عن الغرب. والبحر بعد عمد **هوَكْلِيس** لبث لهم غير مفتوح. **وهروْدُتس** (١:١٠٣) يتكلم هو وصاحب كتاب **جرمانية** (ف١٧) عن الأطْلَنْتيس والأطْلَسي **وخضم أطْلاسْ**، كلامه عن بحر مجهول. إذ كانوا يحسبون أن المرء لا يقدر على بلوغه، إمّا لركود الرياح وإما بسبب أغوار ومستنقعات حالت دون ولوجه في اعتقادهم.

ومن ثَمّ أيّة بقعة أنسب لقصد أفلاطون؟ هذا، ونحن نلقى أن فناً دقيقاً واحداً يتفجّر في انتقاء تفاصيل من شأنها أن تسدل على القصة الخياليّة ثبات الواقع. وبعض تعابير التّيمِئُس كفيلة بان تبرهن لنا أن أفلاطون قد طالع نصوصاً لهروْدُتس متعلقة بمصر. ولكن هروْدُتسْ يهتمّ خصوصاً بإبراز التباين بين ما درج عليه اليونان وبين عوائد المصرَيِّين المذهلة. أمّا أفلاطون فهو يلتقط عند اليونان القدامى وعند معاصري صوْلَنْ من أهل مصر أوجه تقاربٍ من شأنها أن تفرض فكرة تلاحم قديم بين الشعبين. وقد اعتمد الفيلسوف في ذلك على ملاحظاته الشخصية (رَ الشرائع ٧:٨١٩ a-c). وبهذه اللمسات الدقيقة التي تزيّن الرواية من هنا وهناك، يتّخذ مجرى تلك الرواية كلّه نَسق التاريخ ومجراه. وسيلاحظ القارئ كم يتحفّظ أفلاطون ويحتاط لأمره ليثبت ويؤكّد صحّتها. ومن هذا القبيل، رواية اكْرِتيّس برمّتها، وهي في ذاتها رواية أخاذة، فإعادة ذكريات قديمة تتناقلها الأسرة، فاستشهاد بشهادة صوْلَنْ أكبر المشترعين، ثم استشهاد بشهادة كهان مصر، وهم في رأي الجميع ودائع أجلّ التقاليد. فما من روائي معاصر افتنّ افتتان أفلاطون في استخدام وسائل الإيحاء، ليفرض على العقول الساذجة قصّة في ذاتها «لا تحتمل التصديق»[٨].

---

(٨) راكرتيّس المقدمة، الفصل الخامس؛ مشكلة مصادر الحوار.

الفصل الثالث

اللّه وَنموذجَا العَالم

١ - نموذجا العالم:

ولكن اللهجة تتبدل فجأة في مطلع خطاب تِيْمِئُس. فبينا كنا نطير على أجنحة الخيال، إذا بنا أمام أساليب علمية، هي أساليب أكثر العلوم جفافاً وأوفرها تجريداً. وسوف يحافظ تِيْمِئُس على هذه اللهجة المنهجية حتى نهاية خطابه. ما لم نستثنِ استطرادين وجيزين أو ثلاثة.

فهو يفتتح الكلام بتمييز عقلي، ليس سوى ترجيعٍ لما ورد في «الجمهورية» و«السُفِسْتِيّ». فيصرح أن العالم المنظور مصنوع حتماً تبعاً لنموذج. ومن الممكن تصور نموذجين متضادين: أحدهما دائم فلا يصير أبداً، والآخر لا وجود له قط إذا تحرينا الضبط، فلا ينقطع عن الولادة (d٢٧، ٢٨ c-a ٢٩ a b). وفعلاً من المبادئ العامة في المنهج الأفلاطوني أنه لابدّ من البحث لكل شيء عن مثال أو نموذج على غراره صُنع الشيء. ففي مقطع غريب من الجمهورية، يبرهن أفلاطون عن واقعية «مثال العدل» بحتمية وجود نموذج للعدالة (٤٧٢:١:٥ e). لأن كل صانع أياً كان، ينسخ نسخاً ويعمل طبقاً لأصل. وعلى ما يبدو، ينتج بجلاء من النصوص المتعلقة بروح العالم، أن التمييز بين النموذج والنسخة له، في التيمئس، مجرد صفة

منهجية. وفعلاً تظهر الماهيتان في تلك النصوص (٣٦ a)، الماهية الدائمة الوجود «فلا تصير أبداً، والماهية التي لا تنقطع عن التحول، لا ظهور نماذج، بل ظهورَ مواد تدخل في تركيب روح العالم.

ولأول وهلة نرى أن النموذج الأزلي، الذي يبنى العالم على صورته، هو واحد بالذات وعالم المُثل. أما النموذج المتحول، الذي ينحّيه أفلاطون، فلا يمكن أن يكون سوى الصيرورة الخام والتبدل بلا رادع ولا قاعدة، أي «المادة». بيد أن هذه المطابقات الذاتية، التي يقبل بها المفسرون، ليست أكيدة على الإطلاق. فالنموذج الأزلي – وسنرى ذلك فيما بعد (٣٠ c d) - هو في الواقع «الحي بذاته الحاوي في كيانه صور كل الأحياء أو ماهياتهم الأزلية. إنه ما سيُطلّق عليه فيما بعد اسم أَفْتُزُوْؤُنْ (الحي بذاته)، أي نموذج للعالم يؤلفه منظومة ماهيات أزلية متكاملة الارتباط في ظل سنة «الخير». ومثل تلك المنظومة هي شيء أسمى من مجموعة المُثل أو العالم المعقول.

أما النموذج المتحول فهل هو الصيرورة فقط، لا أكثر ولا أقل؟ ألا يكون بالأحرى هو أيضاً عالَمَاً، مجموعة، منظومة، مهما تشوش وتناقض تنظيمه، ومهما فُرِض أن ذلك التنظيم عابر لا استقرار فيه؟ وعلاوة على ذلك، فإن التمييز الذي يميزه أفلاطون (صفحة ٢٨ a) لا يطابق تمام المطابقة تمييزه (صفحة ٣٥). أخيراً إن الأَفْتُزُوْؤُنْ «الحي بذاته» يشمل لا روح العالم الكامل فقط، بل جسم ذاك العالم أيضاً[1]. وهذا ما يشير إليه أفلاطون في حديثه عن العناصر إذ لهذه أيضاً مُثُل.

لا ريب أنه يجب العدول عن طلب الدقة الكاملة في نص الحوار. فأفلاطون لم يتحراها فيه، ولا وصلت إليها اجتهادات المجتهدين من بعده أكثر

---

(١) أبروكلس ٣ ص ٨، ١٦ ديهل. راجع أيــضاً ٢ I.E ص ٦،١؛ ٤ G، I ص١١، ٨؛ ٧١ I.A ص ٢٣١، ٨؛ III، ١٦،٨ «إن الحي بذاته هو ملء جماعة الأحياء العقليين».

مما وصل إليها. ولا يغربنّ عن ذهننا إن المحاولات التي يحاولها أفلاطون في هذا الحوار كانت تقريباً مطلع التفكير الميتافيزيقي – اللاهوتي. وقد دخل منذئذ في صراع مع معضلات عويصة: وجود صور أزلية لا تتحول، وبواسطة هذه الصور تأليف نموذج مثالي لكل كمال، وتأليف عالم يخضع للتحول، وعلاقات هذه الصور بعقل أسمى وإرادة فائقة، وصلات الكائن الأزلي الذي لا يتبدل بالأشياء المتحولة ذلك هو علم ما وراء الطبيعة وعلم اللاهوت الطبيعي كله. إن هذه المفاهيم المتشابكة كانت في جدتها الأولى، عندما شرع أفلاطون في تأليف التِيْمِئُس.

٢ - وجود المُثُل والصور:

إن لم يكن ثابتاً أن «الحي بذاته» هو عالم المُثل عينه، فهناك أمر واضح منذ البداية إذ إن التِيْمِئُس مبني برمتّه على فرضية الصور المثلى، وقد يستحيل فهمه أو يكاد، إذا انقطعنا فترة عن قبول وجودها. هذا وإن النصوص (القائلة بهذه الفرضية) متوفرة جداً. ويمكن للمرء أن يدهش من إعراض عدد كبير من المفسرين المعاصرين المجيدين عن التقيد بها، أو من إساءتهم فهمها. فنحن نقرأ في التِيْمِئُس أن الصانع ينظم العالم المنظور وعيناه تحدقان بالنموذج الأمثل في عالم المُثل. والحال أن التعابير التي تستخدم ههنا لوصف النموذج وتعيينه، هي حرفياً عين التعابير التي استعملها أفلاطون في حِوار فِيْذُن لتحديد عالم المثل كحقيقة ثابتة، بل يعنى أيضاً بأن يقدم لها دليلاً مقتضباً يتفق مع أحد البراهين، التي تلجأ إليها المدرسة الأفلاطونية، لإثبات وجود الكائنات غير المتحولة. وذاك الدليل هو الدليل المستمد من ضرورة العلم المطلق الكامل. فإن لم توجد صور أزلية، فليس هناك أيضاً علم مطلق. وأكثر من ذلك ليس هناك حتى ولا ظن يستحق الثقة. فلا يبقى سوى مزاعم قلقة خداعة: «لأن الاستدلال يمتّ بصلة إلى الأشياء التي يفسرها» (٢٩ a-c).

فيصعب أن يؤكد المرء بصورة قاطعة أقوى من هذه، وجودَ نظام عُلوي غير محسوس، وكمال يفوق الأشياء الدنيوية. وفي النهاية يمكننا اعتبار التِيْمِئُس برمته تطبيقاً متواصلاً لنظرية الصور. ففي الحوار كله، يجتهد أفلاطون أن يبين كيف يتحقق الأفضل، قدر المستطاع بالرغم من العوائق الناجمة عن مقاومة الحتميّة. وشرطُ تحقق الأفضل هو فعلاً وجود الصور ومثال الخير ونشاط مبدأ منظِّمٍ وإله صالح خيّر.

ومع ذلك، فنحن نجد نفس الصعوبة إذا استعنّا بنصوص التِيْمِئُّس لنكوّن في ذهننا صورة ناصعة عن نظرية المُثُل، أو إذا رمنا أن نعيد بناء هذه النظريّة، معتمدين في ذلك على معطيات الجمهورية أو السُّفِسْتِيّ. وفي هذا الحوار أيضاً، لن نعلم أين هي المُثُل، ولا هل هي متميّزة تميزاً مطلقاً عن الأشياء المحسوسة ومفارقة لها، ولا بأية آلية تستطيع الاتصال بعضها ببعض، أو الاتصال بالأشياء الزائلة. ولن نستوضح بجلاءٍ تامّ أو نعرف مسألة العلاقات القائمة بين عالم المُثُل «والحيّ بذاته» والله وروحِ العالم. فهذه الأوضاع المختلفة سوف تظهر لنا طبقاً للقرائن متميّزة كلَّ التميز، أو أسماء مختلفةً لحقيقةٍ عُلويّة غير محسوسة فريدةٍ واحدةٍ بالذات. وإنما يكفي أن يُهيمن الغيرُ المتحول الكامل الأزليّ على الأشياء الزائلة. وهذا ما يعتقده أفلاطون حتى الصميم في غروب عمره.

ولكن إن حافظ على نظريّة المُثُل، أفلا يُدخل عليها إصلاحات تبدّل معناها؟ في الحقيقة إن طرأ على التِيْمِئُّس مثل هذه الإصلاحات، لن يكون في وسعنا تقدير مداها بالضبط، إلا على شرط أن نعرف بدقة ما كانت تعني نظرية المُثُل قبل هذا الحوار. فهل عَدّ قطّ أفلاطون المُثُل حقائق واقعيّة، تتميّز تميّزاً تاماً عن الأشياء المحسوسة، فتؤلف عالماً مفارقاً لا اتصال له بعالمنا؟ أو بالعكس هل نمرّ مروراً لا يُشعّر به من المِثال الأسمى والأوفر ثباتاً، إلى

صور أدنى متسلسلة حاضرة في صميم الظواهر؟ إن كلا من التأويلين يًمكنه أن يستشهد بنصوصٍ تبدو جازمة.

ففي التِيْمِئُس نفسه، وهو قصّة ولوج المِثال ولوجاً تدريجيّاً في التحوّل والفوضى، يؤكد في البدء انفصال العالمين، عالم المُثُل وعالم المحسوس بقوة ما بعدها قوة. فإن مثال العالم لا يختلط لحظة واحدة، مع النسخة الدائمة النقص التي يحققها الصانع.

٣ – إِله أفلاطون في التِيْمِئُس:

إننا نلقى بشأن الصانع نفس المشكلة التي لقيناها بشأن المُثُل. ففي (٢٨ a - b) يؤكد أفلاطون أنه، ما عدا النموذجين المُمكنين، لا بدَ من صانع قادر على أن يحقق أحدهما. وأول ميزة في هذا الصانع كونه سبباً (٢٨ c - a). ويحجم أفلاطون في البدء عن تعريف هذا السبب تعريفاً أدق. ولكنه يحسبه علةً عاملة، ونحن نقول فاعلة، وقدرة عمل تتمكن من إحداث حركات. وهذه بعينها ما تكون ميزة السببية المنسوبة إلى الآلهة الثانوية، المكلفة بتكوين أجسام الأحياء (٤١ a - d). بيد أن السببيّة التي يدور الحديث حولها في الحوار، ليست القدرة الخلاّقة التي ينسبها اللاهوت الاسكندري واللاهوت المسيحي إلى الألوهة. فالصانع وعمّاله يُبرِزون صوراً جديدة. إلاّ أن هذه الصور ينالونها بمزج عناصر سابقة الوجود، مزجاً منسّقاً. فلا يُحدِث الصانع أو الآلهة الثانوية شيئاً إحداثاً مطلقاً، لا على صعيد الوجود ولا على صعيد الصيرورة. لكن عملهم يُمارس على أشياء واقعيّة موجودة من قبل. ويقوم هذا العمل على مزج تلك الأشياء فقط، طبقاً لبعض قوانين الترتيب والجمال، وعلى الاقتداء بنموذج سابق، قد سبق فيما يبدو الآلهة أنفسهم والعالمَ المحسوس.

لا غرو أن عمل الآلهة يبقى كبيراً ضمن هذه الحدود: فهم يقررون ويديرون ويحدَّدون. فالصانع هو الذي يعيّن حركة كرة الثوابت ليعمل منها حركة «ما هو عين ذاته» والمماثل. وهو الذي يعيّن مصير الأنواع المائتة، وينظّم نسب الماهيّات. لأنّ اختلاط هذه الماهيات ينشئ النفوس والأجسام. ولكنّه لا يخلق شيئاً إلا النظام والجمال طبقاً لنموذج ينسخه.

وقد يطيب لنا أن نستعيد قوام ما يدعوه الاسكندريّون لاهوت أفلاطون، وأن نعيّن بالضبط موقع ذاك الصانع من الآلهة الآخرين وعالمِ المُثُل والنموذج الذي يَنْسخه ويقتدي به. إلا أن الصعوبات تتكاثر حالاً في وجهنا.

فقبل كلّ شيء نجد في التِيْمِئُس عدة آلهة: الصانع نفسه، وخدامه المنحدرين عنه، وآلهة الكواكب الثابتة (٤٠ a - b) والأرضَ والكواكب السيارة (٣٨ a، ٣٩ d)، وأخيراً آلهة الأسطورة الشعبية (٤٠ d - e) التي يتحدث عنها أفلاطون بتهكّم يكاد يكون سافراً. فهل يفضل ديانةً قوامها معطيات الفلك؟ وهل يعتقد ولو قليلاً بالديانة التقليديّة؟ أو هل يبغي استبدال ديانة الشعب بضرب من الميتافيزيقا المجرّدة، المصفّاة من كل عناصر الحس؟ - ومن جهة أخرى، ما هي علاقة كلّ تلك القوى الإلهية بعضها ببعض، وعلاقتها بعالم المُثُل؟ فلأول وهلة، بما أن «الحي بذاته» يحوي ضرورة نموذج كل الحقائق الواقعيّة، ألا ينبغي أن يحوي في ذاته نموذجاً للألوهة نفسها؟ وهل يكون هكذا نوعان من الآلهة، نوع مثاليّ ومحسوس؟ لا ينبئنا أفلاطون عن ذلك في مكان ما من التِيْمِئُس. ولكنّه في مقطع غريب يميّز بين الآلهة المرئية، أي الكواكب، وبين الآلهة الذين يستطيعون عندما يطيب لهم أن يظهروا للعيان مع أنهم يلبثون في الغالب محتجبين عن الأبصار. فهل يزدوج العالم هكذا، فيكون هناك عالم تعمل فيه الآلهة المنظورة، وعالم تسود فيه القوى غير المنظورة؟ إنه حلّ مستغرب يصعب علينا تصوّره. وإن كان

الصانع لا يختلف عن مثال الخير وعالمِ المُثُل، وإن لم يكن هناك إلهان أعليان الواحد فوق الآخر، فهل يمكن أن يكون الصانع غيرَ مثال الخير نفسه؟ وفي هذه الحال، ألا يخرج المِثال من عزلته الفائقة الحس ليتدخل في التحوّل بالذات في صورة الصانع؟ إن الشرّاح قد أفاضوا في معالجة هذه المشاكل. فبينما يدمج أغلبهم لاسيما اتْسِلِر Zeller الصانع بمثال الخير، يؤكد غيرهم وابْرٌّ وشار Brochard في طليعتهم أن الصانع هو نفسه بلا ريب مركّب من المُثُل، وأنه من ثم لا يعود إلى مِثال الخير، وأن النموذج يبقى دوماً متميزاً عن الواقع الذي يصوغه الصانع على شبهه.

هذا، ويستحيل في الحقيقة أن يستخلص المرء من النصوص حلاًّ متماسكاً ففي مواضع كثيرة، لا يتميّز الصانع إلا بصعوبة عن مثالٍ الخير. وفي مواضع أخرى، يبدو مثالُ الخير أسمى من الله نفسه، الذي لا ينقطع عن تأمله وعن الاقتداء به في أفعاله.

وفي التِيْمِئُس لا ينفكّ أفلاطون يلجّ في الكلام عن الصلاح الإلهي (٢٩ e). فهذا الصلاح وحده يسمح لنا أن نفقه أفعال العلّة الأولى. وهذا الصلاح يتجلى في تنسيق أجزاء العالم تنسيقاً منسجماً. وهو الذي يفسر لنا الدراية العجيبة السابقة، البادية في كلّ صنائع الطبيعة بلا استثناء. وما من موضوع في التِيْمِئُس يُطرق أكثر من هذا الموضع، إن ألحّ أفلاطون منذ البدء على أهميّة التربية (٤٤ c)، أو لمّح في كل سانحةٍ، وهو يدرس بنية الجسم البشريّ، إلى ضرورة إدخال العلل الغائيّة في تعليل الأمور (٤٤ d، ٤٥ cde، ٦٨ c، ٦٩ a - c، ٨٧ a - d). ولكنه لا يعبر في مكان ما بأوضاع دقيقة، عن علاقات الصانع بعالم المُثُل. وإنما يقول لنا مرةً واحدة إن الصانع «يعود إلى راحته المألوفة» بعد إنتاج روح العالم وتوزيع المهمّات على الآلهة الأدنين، وإعداده لهم الخلائط التي يستعملونها (٤٢ e). فهل نفهم من هذا القول أن مثال الخير

خرج برهة، في مبادئ الأمور، من العالم العقليّ في هيئة المُبدِع، وأنه عاد وولج ذلك العالم دون أن يبرحه فيما بعد؟ يبدو أن أفلاطون قد أحجم في كل مؤلفاته عن الجهد اللازم لصوغ علم لاهوت عقائدي والربط بين حقائقه ربطاً محكماً. ولكن ليس من الأكيد في النهاية أن هذه الميتافيزيقا قد أثارت اهتمامه بصورة خاصة. فنتاجه الفكري برمته تسوده رغبة متواصلة في التطبيقات. والأخلاق والسياسة وأمور الطب تشغل باله أكثر من علم اللاهوت. فلا يطلب أفلاطون من علم ما وراء الطبيعة سوى أمر واحد، وهو شيء من روح الثقة بالعقل والخير، وشيء من الاستعداد الفكري للتفاؤل المنهجيّ الرصين. وعزمه على أن يوفّر لنا انطباعات، هو أوفر من عزمه على أن يفرض علينا عقائد. وفنّه يشيد لنا في ضبابٍ باهر، أشكالاً هندسيّة متحوّلة، ليعود بنا في حزم، بفضل الذهول الذي يلقيه علينا هذا المشهد، إلى المهام الإنسانية التي تؤمن مصيرنا في هذه الدنيا.

الفصل الرابع

رُوح العَـالـم

١– موقع روح العالم:

إن «روح العالم»، أوّلَ وأقدّم إنتاج الصانع، هي أيضاً إلهية. ولكن ما هي منزلتها الخاصة من الإله الذي ركبها؟ فهل هي وهو ضمناً واحد، كما أكدّ ذلك كتاب كثيرون؟ أو هي خاضعة له؟ وهل تأتي بعده في مراتب الماهيات، كما قد يأتي هو نفسه بعد مثال الخير؟

إن تعليم التِيْمِئُس لا ينطوي على علم لاهوت مسبوك متكامل. ومن ثَمّ فهو قابل أن يُفسر طبقاً لاستعداد كل شارح، على أنه ضرب من نظرّية الانبثاق، أو صنف من عقيدة الخلق غامضة بعدُ وغيرِ واضحة المعالم. ويبدو بجلاء أن إيحاءات مختلفة قد تقاطعت في فكر أفلاطون، دون أن يعرف أو يريد أن يتخذ منها موقفاً صريحاً.

«فروح العالم» تبرز أولاً في التِيْمِئُس كمبدأ حركات الكون المنتظمة (٣٤ c). والروح في نظر أفلاطون هي فعلاً سبب الحياة العام. وتتجلى الحياة دوماً في حركات موجهة بانتظام إلى غاية معينة. وبفضل «روح العالم» يحصل المرور من الاعتبارات النظرية إلى وصف الحقيقة الحسيّة وصفاً

واقعياً. وروح العالم سوف يتشوّش أمرها فتمسي هي والسماء، أوّلُ وأوسعُ شيء مرئيّ، أمراً واحداً. وهكذا يجتاز أفلاطون مباشرة من علم اللاهوت إلى علم الفلك والفيزياء.

وهنا ثلاثة أمور ذات بال تسترعي انتباهنا فوراً: أولاً يَفرض علينا اعتبار الخير والغائيّةُ قبولَ وحدة الكون (٣٠ d، ٣١ a). فوحدة العالم المحسوس تستخلص طبعاً من وحدة النموذج الضروريّة (٣١b - a). ولمّا كان العالم المحسوس واحداً، على غرار نموذجه، وجب أن يشمل هذا العالمُ المحسوس كلَّ الأجسام، ومن ثَمّ لا يبقى خارجاً عنه شيءٌ على الإطلاق (٣١ b، ٣٣a). والعالم لم يقع، طبقاً لقول الذريّين والبِثَغُوريّين، في فراغ لا نهاية له، ولا في وسطٍ يتغذّى هو على حسابه. إنه كافٍ لذاته، وليس له أعضاء إذ لا حاجة له أن يتصل بشيء آخر سواه (٣٣ cd). إنه كُرويّ وكرويّته تنجم عن كون الشكل المستدير أبهى الأشكال طرّاً. وهذا الشكل أبهى الأشكال، لأنه يشمل أوفر قسط من الوجود في أقلّ حجم. فأفلاطون يطبّق هكذا «مبدأ الاقتصاد في الوسائل»، وهو المبدأ الذي سيسيطر فيما بعد على فلسفة لايْبِنْتز.

ثانياً إنّ العالم يتحرّك وهو بسبب شكله يتحرك في إطار دائرة (٣٤ a). ولكن إن كانت روح العالم هي عين الكرة السماويّة، فلا بدّ أن تضفو روح العالم على جسمه: إذن يجب أن تغشاه من كل جانب نظير قبة السماء (٣٤b).

أخيراً إن الروح، مبدأ الحياة، تسبق حتما في الكرامة الجسم الذي تحيي. فقد كانت إذن قبله، قبل الأرض والكواكب. ولا يتوسع أفلاطون قليلاً في كلامه عن العناصر (٣١، ٣٣) إلا تمهيداً لإدخال عرضه بشأن بنية روح العالم.

ولكن إن كان كل هذا العرض واضحاً، فشكل المقطع بأكمله مُذهل. فهو من جهة مليء بتفاصيل لها في نظر أفلاطون أهمية علمية كبرى، لأنه يعرض علينا كل نظرياته الفلكية بدقة ممتازة ومعطيات عددية مدروسة

بإتقان، يوليها في صراحة قدراً كبيراً. ومن جهة أخرى نرى أفلاطون يجلبب كل توسعه في الموضوع بوشاح رمزي أسطوري لا يسهم البتة في زيادة التوسع جلاء. فما المراد من تلك الجام حيث يتم المزج، ومن تلك الماهيات التي يؤلف الصانع بينها، ومن تلك التقاسيم العويصة المتشابكة؟ فلا يستطيع المرء أن يفسر كل هذا إلا بصورة واحدة. لا ريب أن أفلاطون يعتبر ضرباً من المحال كل تعليل علمي قاطع لنشأة الكون، أو فرضيةٍ يمكنها أن تفسر كيف جرت الأمور في الواقع. ومع ذلك فالتِيْمِئُس يسترسل في إطار تعليل من هذا النوع. فلا بد إذن من اختيار صور قوية الإيحاء، تبدي الترتيب الذي جرت الأمور عليه في الظاهر. ولكن لا ريب أن ليس لتلك الصور سوى أهمية ثانوية. إذ يجهد أفلاطون كل جهده ليفرض علينا اعتقاداً وهو أن الفلك قد نُظِّم بناء على معادلات رياضية محددة بالضبط. وهو من ثم يدأب بحذق غريب في تعيين تلك المعادلات ويلح في ذلك. ولسوف يلاحظ القارئ كيف يستعمل أفلاطون، في مطلع بحثه هذا، براهين يستمدّها من الفلاسفة الايليائيين ويحورها بعض التحوير.

٢- عناصر تركيب «روح العالم»:

إن روح العالم (وبالتالي الكرة السماوية والمبدأ الذي يحركها) تتركب من ماهيتين: ماهية لا تتجزأ وهي عين ذاتها أبداً، وماهية متجزئة جسمانية. أما خلط هاتين الماهيتين فهو بلا ريب صعب، لا كما قد يتوقع المرء، لأن الكائن غير المنقسم لا يقبل الدخول في خليط، ولكن بسبب وجود الماهية الجسمانية (٣٥a). وقد اتخذ الصانع هاتين الماهيتين وركب منهما ماهية ثالثة، تحوي في آن واحد عناصر متجزئة وعناصر غير قابلة التجزيء. ثم عاد وخلط معاً هذه الماهيات الثلاث وألف منها ماهية رابعة سوف يستخدمها في

بنيانه. وهذه العملية المزدوجة غايتها الرمز إلى كمال الخليط، وقد جُعل متداخلاً أقصى التداخل.

فقبل كل شيء، يبدو من الصعب توحيد الماهيتين الأولَيَيْن توحيداً ذاتياً. فالأولى، أي الماهية غير المتجزئة المتصرفة دوماً حسب معادلات هي دوماً عين ذاتها، أليست هي الماهية غير المتحولة، تلك الماهية بالذات التي تؤلف، كما رأينا أعلاه، طبيعة النموذج المثالي؟ ومن ثَمّة أليست عالمَ المُثل بالذات، ومجموعة الصور الأزلية؟ فهذا التفسير هو تفسير كل الشرّاح. بيد أنه لا يخلو من صعوبات خطيرة. إذ كيف يمكن أن يمسي ذاك العالم العقلي جزءاً صميماً من خليط دون أن يفقد خواصه؟

ثم ما هي ماهيةُ الأجسام المنقسمةُ؟ فالمفردات التي يستعملها أفلاطون ليبين مزاياها، ليست نفس المفردات التي عمد إليها في تحديد النموذج المتغير الذي تحول عنه الصانع حينما شرع في تصوير العالم. وفضلاً عن ذلك، عندما بدأ تركيب روح العالم، لم يكن بعد من جسم. وفي كل ما يعقب ذلك الموضع من الحوار، لن يثار من بعد أمر تلك الماهية المتجزئة. وهذا ما سوف نحققه في فحصنا نظرية المحل. وهكذا فمنذ هنيهة بدا لنا أفلاطون وكأنه يسمو بنا إلى صعيد التسامي، وها هو الآن يفسح مجالاً لنظرية (التداخل) أو (المحايثة) في تنازلات تبدّل كلّ هندسة بنيانه وتخلّ بها. لأن العالم المحسوس لم يعد يبدو لنا نسخة عن العالم العقليّ، إذ إن الصورة تنحدر هي نفسها إلى المادة لتنظمها بفعل مباشر.

ولكن ما يفيدنا أن نفرض على أفلاطون في هذه المسائل الشاقة دقة مستحيلة؟ فهل ابتغى أمراً آخر غير غرس إيحاء غامض، ولكنه أكيد لا يقاوم، بأن الأشياء نظمت تدريجياً بتأثير الصور؟ وأياً كان أسلوب ذلك الفعل، ومهما خفيت سبل سيره، فنحن نعاين في وضوح نتائجه الظاهرة: انسجام

العالم، وانتظام الكواكب في الفلك، ومجرى حركاتها المنتظمة الثابت. فنحن نجوز من علم الطبيعة إلى نشأة الكون. واعتبارات أفلاطون بصددها ليست اعتباطية خيالية، شأنها عند الإيُونِيّين، ولكنها علمية وضعية، مبنية على البرهان الرياضي والملاحظة.

٣ - تركيب روح العالم:

وبالتالي إن كانت المقدّمات مبهمة، فما تُعدُّ له من توسع سيكون في منتهى الدقّة. ولا يعني هذا أن كل شيء في هذا التوسع واضح. إذ حالاً بعد أفلاطون، لقي تلاميذه الأولون صعوبات جمّة في فهمه. ولا يُحصى ما عرض لهذا التوسع من تفاسير في الزمن القديم. وقد كتب فيه آذْرَسْتس واكْلِيئَوْخس الصّولي واكْرانْتُرَ وايفْذُكْسُسْ وإرَتُسَثْيْنِسْ وثئوذُرس الأسكانيّ واثراسلُّس وابلوترْخُس وغيرهم كثيرون. ولكن التفسيرات ماعتمت أن أفسدتها تأويلات المتصوفة النظرية. فتناسوا الحقائق الرياضية والفلكية، التي أراد أفلاطون أن يعبر عنها. وقد أقلقت أحلام الاسكندرانيّين والبثغوريّين المُحدثين معاصرينا، فاضطربوا وارتبكوا. بحيث اضطررنا أن نبلغ عهد آ.بيخ لنعثر على شرح مقبول لنصوص الحوار. وابتدأت دراسات بيْخ منذ ١٨٠٧، وجلت لحسن الحظ معظم الصعوبات، فلم يزد الشراح خلفاؤه، نظير مرَتان واتْسِلِرْ ودُبوي وأرشه – هانْد وافْرَ كارُوليّ، شيئاً هاماً يُذكر على ما استخلص بيْخ[١].

إن الخليط النهائيّ الذي تخيّله أفلاطون تؤلفه ثلاثة جواهر يمكن تسميتها A B G وتعادل $C\frac{A}{2}+\frac{B}{2}$. ولكن حتى بعد هذا الخلط المضاعف، وغايته البلوغ إلى انصهار العناصر الأساسيّة أقوى انصهار ممكن، تلبث

---

٣ - (١) A. Boeckh, Kleine Schriften, 3,1866, p. 115 et sq.

نسبة العنصر غير المتحوّل أوفر في جزء المركّب القريب إلى سطح الكرة (٣٧ bc). وبعد أن أنجز الخليط، قسّم الصانع تركيبه إلى سبعة أقسام تتناسب بينها كأعداد متواليتين هندسيّتين، أحداهما أساسها اثنان (١، ٢، ٤، ٨)، والأخرى أساسها ثلاثة (١، ٣، ٩، ٢٧). ومن هاتين المتواليتين ألّف الصانع متواليةً واحدة، قلب فيها أفلاطون، لسبب لم يُشر إليه، ترتيب عددين (١، ٢، ٣، ٤، ٩، ٨، ٢٧). ويعبّر أفلاطون عن هذه الأحداث، بقوله إن النسب في هذه المتوالية الأخيرة تَرِدُ كما يلي: العدد الثاني (٢) ضعف الأول (١)، والثالث (٣) أكبر من الأول ثلاث مرات، وأكبر من الثاني مرة ونصف. والرابع (٤) ضعف الثاني (٢). والخامس (٩) أكبر من الثالث (٣) ثلاث مرات. والسادس (٨) ضعف الرابع (٤). والسابع والأخير (٢٧) هو ثلاث أضعاف الخامس (٩).

ثم عمد الصانع إلى «مَلء» المجالات بين الأعداد وأنجز هذا المَلء باستخدام واسطتين. ويسمّون (mésotis) واسطة بلغة الرياضيّات اليونانيّة: إما سلسلةً ثلاثة أعداد تؤلف متوالية متّصلة (annlaogia sinekhis) وإما العددَ الوسيط الجامع طرفي المتوالية.

ويعرف أفلاطون أصنافاً ثلاثة مختلفة من الوسائط: الواسطة الحسابيَّة والواسطة المنسجمة والواسطة الهندسيّة. ولا يعنى في نصّنا إلا بالأوليين. فالواسطة الحسابية هي واسطة يتجاوز فيها العدد الوسيط العدد الأول بكمية تعادل الكميّة التي يفوقه بها العدد الثالث، بحيث يكون الوسيط معادلاً لنصف مجموع الطرفين. ومتوالية ٢، ٣، ٤ هي متوالية من هذا النوع، فيها الثلاثة تساوي $\frac{4+2}{2}$. وفي الواسطة المنسجمة، يفوق الوسط الطرف الأوّل بكسر من هذا الطرف يعادل ما يفوقه به الطرف الثاني من كسر (٣٦ a). مثال ذلك

المتوالية ٣، ٤، ٦. فلدينا $\frac{3}{3}+3=4$، و $\frac{6}{3}+4=6$ وبتعبيرنا الحاضر، الوسيط المنسجم x بين a و b تظهره العبارات التالية.

$$\frac{\frac{ba=}{b+a}}{c}\ \frac{b\,a\,2}{b+a}=x \quad \text{أو} \quad \frac{a}{b}=\frac{a-x}{x+b}=x$$

ولكنّ أفلاطون في تحديد المجال الفارق بين عددين متتابعين في واسطة، سيتعمد إلى مفاهيم يستمدّها من الموسيقى لا من الحساب. والمجال تعينه فوارق واقعة لا بين أعداد، بل بين أصوات تربطها بعضها ببعض علاقات موسيقيّة.

فلنقبل أن كلّ عددٍ من متواليتنا يقابل صوتاً معيّناً (افْثُنْغُس) من الدستور أي السلم الموسيقية. فنسمي بعداً (ذِياسْتِما) مجموعة يؤلفها صوتان مختلفا العلوّ، أو كما يقول إفْكْليذِس: مختلفا الارتفاع والعمق(٢). والحال إن علم الأنغام اليوناني لا ينظر كعلمنا إلى عدد المتوجات الصوتية، لوصف الأصوات الرفيعة أو العميقة. وفعلاً في النظرية الصوتيّة القديمة، يقابل العددَ الأكبر الصوتُ الأعمق، وبتعبير آخر كان الدستور عندهم نازلاً (أي إنهم كانوا يشدون بأنغامهم هبوطاً من القرار إلى الجواب). والوتر الأعمق من القيثارة عندهم يدعى هبّاتي (hypati) والوتر الأعلى(٣) عندهم يُدعى نيتي

---

(٢) «البعد (ما يحدق به) صوتان مختلفا الارتفاع والعمق». هذه ترجمة نص افكليذس بالضبط! .Cf. Aristoxène, Harm Meybaum I, 4, 34 et saepe (المعرب)

(٣) إن كلمة هباتي اليونانية تعني الوتر الأعلى، وكلمة نيتي تعني الوتر الأسفل، ورفو يخطئ في قوله «الوتر الأعلى». وكان أحرى به لحفظ المقارنة بين الوترين أن يقول «الأرفع، لأن الوتر الأعلى هباتي يعطي الصوت الأعمق، والوتر الأسفل نيتي يعطي الصوت الأرفع. وهذا ما يقول ويدلل به هو نفسه. ولكنه خلط في قوله بين الوتر والصوت فتشوش عليه الأمر. (المعرب)

(niti)، طبقاً لمنزلة الأوتار من آلات الطرب(٤). وفي الدستور أو السلم ينطلقون من الوتر الأعلى (أو الصوت الأعمق) إلى الوتر الأسفل (أو الصوت الأرفع)(٥) ويسمّون بعداً المجموعة التي تؤلفها الأصوات نفسها (أورِي hori) أي الحدود. والمعادلة الرياضية الرابطة بين الأصوات تدعى لوْغسُ Iogos أي علاقة.

وواضح أن صوتين متماثلين تماماً لا يستطيعان أن يُحددا بعداً، وأن في بعدٍ واحد توجد دوماً معادلتان. ففي البُعد ٢:١ مثلاً معادلتان ١: ٢ و ٢:١ وهاتان العلاقتان متباينتان أبداً. فالكبرى (٢:١) تُسمّى ابْرُّوْلُغْسْ (prologos) السابقة. والصغرى تسمى هِبُّوْلُغُسْ (hypologos) اللاحقة.

وكل هذا الضرب من التعبير مأنوس لدى أفلاطون كما يثبت ذلك، فضلاً عن نص التِيْمِئُش مقاطع مختلفة من الجمهورية وحواري فِيْلِفسُ ولاخِيْس. فهو يتكلّم في الفِيلِفُس عن عناصر الصوت الثلاثة، العمق والارتفاع والتساوي (homotonon)، وعن الأبعاد (ذِياسْتِيْمَتا)، وعن الأصوات المنشئة لتلك الأبعاد، وعن الأنغام أو الألحان الصادرة عنها. وكلمة هِبُولُغُسْ توجد في اللاَخِيس (١٨٩ b). وقد استعملها أفلاطون في تورية تتضمَّن تحديد هذا الوضع الموسيقي. وأخيراً في الجمهورية (٤: ٤٣٣ d) يذكر أفلاطون الأوتار الرئيسيّة الثلاثة من السلم الثمانيّة الأوتار. فهذه الأوضاع الموسيقية كانت

---

(٤) Pseudo – Aristoie. Problem. 23, 919 b,I et sq. 42, 921b, 24.
Aristoxène. Haim. II. 34. 3.

(٥) أرسطو، ما وراء الطبيعة ١٠، ٨، ١٠٥٧، ٢٢: «نظير المرء إذا هبط من الأعلى إلى الأسفل وبلغ الصوت الأضأل، فهو يمر قبل ذلك بالأصوات الواقعة في الوسط».
ويبدو أن عبارات ابرولغس وهبولغس وهموتنن لم تعد مستعملة في عهد ارستوكسنس.
Cf. L, Laloy. Aristoxène de Tarente et Ia Musique de l'antiquité. Paris. 1904.

دارجة في زمن أفلاطون. ونحن نجدها مستعملة في المقطوعة السادسة من الفِلُوْلَوُسْ.

ومشكلة تنسيق الأنغام تقوم، حسب المقطع الأخير من الجمهورية، على توحيد «الأبعاد، أو على «مَلْئِها» بأعداد أخرى تمتّ إلى الأولى بعلاقات معيَّنة. وهذه العملية تدعى «التنسيق» (أرْمُوتِّنْ armottine). وهذه الكلمة يُعثر عليها دوماً في الحوارات. ونتيجة هذه العمليَّة هي تساوق الأصوات (السِمْفُنَيّة) في الأبعاد، أو تناغمها واتفاقها. ولكن اختيار الأعداد التي تحدد الأبعاد، أو تملؤها، لا يقوم البتة على ملاحظة الأحداث الموسيقية. فأفلاطون يعمد فوراً في الظاهر إلى براهين ذات صبغة رياضيّة محضة.

فلنطبق هذه التعاريف على المتواليات المشار إليها في التِيْمِئُش. إننا نجد ستّة أبعاد واثنتي عشرة معادلة أو (لُوْغِي):

٢:١ – ١:٢ و ٣:٢ - ٢:٣ و ٤:٣ -٤ ٣ و ٩:٤ – ٤:٩ و ٨:٩ – ٩:٨ و ٢٧:٨ – ٨:٢٧.

وهذه المعادلات قد تتخذ ثلاثة أشكال متغايرة:

أولاً : يمكن أن تكون العلاقة الكبرى مضاعف الصغرى بالضبط (علاقة علماء الأنغام المضاعفة لُوْغُسْ بُلَبلا سِيُس). رَ الجمهوريّة ٧:٥٣٤ a. مثلاً $\frac{2}{1}=2\left(\frac{1}{2}\right)$.

ثانياً : العلاقة الكبرى إذا قيست بالصغرى تساوي الوحدة مضافاً إليها قسم مضبوط من الوحدة. مثلاً:

$$\frac{1}{8}+1=\frac{9}{8} \text{ ، } \frac{1}{3}+1=\frac{4}{3} \text{ ، } \frac{1}{2}+1=\frac{3}{2}$$

وأفلاطون لا يتوقّف على الحالة الثالثة الممكنة: وهي أن العدد الأكبر إذا قيس بالأصغر يساوي الوحدة مضافاً إليها قسم غير مضبوط منها. وفي كل حساباته، لا يعمد إلاّ إلى علاقات الصنف الثاني الثلاث: الأولى $\left(1+\frac{1}{2}\right)$ يسمّيها علاقة نصفيّة (**لُوغُسْ هِمِؤُولْيُسُ** وفي اللاتينيّة ratio sesquialtera)، والثانية $\left(1+\frac{1}{3}\right)$ يدعوها علاقة ثلثيه (**لُوْغُس إِبِيْتِرْتُسْ** ratio sesquitertia)، والثالثة $\left(1+\frac{1}{8}\right)$ هي العلاقة الثمنية (**لُوْغُسْ إِبُوِغْذُؤُس** ratio sesquioctava). فالوضعان الأوّلان هِمِؤُولِيس وابِيْتِرْتُسَ، نلقاهما الأول في حوار فذُن (١٠٥a) وحوار ثِيْئِيْتِتُس (١٥٤ a) والثاني في الجمهورية (٨: ٥٤٦ c)[٦].

ولا يعبأ الموسيقيّون اليونان عملياً إلا بالبعد الأول ٢:١ من الأبعاد الستّة الممكنة. وهذا البعد هو المضاعف. وقد سُمِّي إجمالاً في عهد أفلاطون تناغماً أو انسجاماً وتناسقاً (هَرْمُنِيّا). وقد شرعوا أيضاً من ذلك الحين يطلقون عليه اسم «خلال الجميع» (ذِيَبَصُوْن) (أي جميع الأصوات)، لأنه يؤخذ بملامسة جميع أوتار «الثمانيّة الأوتار». و«مَلْءُ» البعد في نظر الموسيقي يعني إقحام أصوات العميق والصوت الرفيع، تتصل بهذين الأخيرين بناء على علاقات بسيطة. وهذا الإقحام يجب أن يتم على وجه لا يعود المرء معه يلاحظ البعد الجديد القائم بين صوتين متتابعين إضافيين. فيُقْسم البعد هكذا إلى أقساط متباينة، يدعوها أفلاطون تساوقات (سِمْفُنِيّهْ)[٧] وهناك تقابل أو تجاوب بين الأصوات والأعداد. ولكن ما هو صنف ذلك التجاوب؟ لا يدور الأمر، كما رأينا، على عدد التموجات الصوتية. بل يدور إما على طول الأوتار أو غلظها، وإما على مساحة الآلات المعدنية وثقلها عندما ترن تحت المهباج، إذا

---

(٦) رَ في هذه الأوضاع، لاَ لْوَا، ك. م. معجم أرِسْتُوكْسِنُس.

(٧) الجمهورية ٤: ٤٣ e والفيلفس ١٧ c و ٢٥ d والتيمئس ٨٠ a.

نظر امرؤ إلى آلات طربٍ غير الثمانية الأوتار. ومثل هذه الاعتبارات قديمة جداً. وهذا ما تثبته لنا القصَّة المرويّة لنا عن هِيْبَّسُسْ المِتَبُونتي(٨).

هذا، وان البعد «خِلالَ الجميع» يمكن أن يملأ بواسطتين: الأولى منسجمة والثانية حسابية. فنحصل هكذا على الجملة:

$$2 : \frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1 : 1$$

ويمكن على الطريقة نفسها أن نملأ البعد ٣:١ بالواسطة الحسابية٢، وبالواسطة المنسجمة $\frac{3}{2}$ - أو $1+\frac{1}{2}$. ويقال إن البعد الأكبر ثلاثَ مرات قدْ ملئ بفضل بعد مضاعف، زيدت عليه علاقة نصفية. ومجموعة الأصوات المعبّرة عنها الجملة:

$$\frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1$$

تُؤلّف هي أيضاً بعداً جديداً تملؤه هو أيضاً واسطتان الواحدة منسجمة والأخرى حسابية فنحصل هكذا على بعد آخر $\frac{9}{8}$ هو العلاقة الثمانية أو الصوت:

$$\frac{1}{2} + 1 : \frac{1}{3} + 1$$

والصوت نفسه ينقسم إلى شطرين متفاوتين أكبرهما يُسمّى القطعة والأصغر يُسمّى الراسب (Limma ليماً). وعبارة القطعة (Apotomi أبتمي) لا نجدها إلا في التيمئس اللوكري (٩٧ d). غير أننا نجد في حوار أكرتيس (١١٨ a) كلمة مقطوع (Apotomos أبُوتمُسْ). ويستعمل التيمئس نفسه كلمة (ليما) ليدلّ على راسب من الرواسب (٧٦ a).

---

(1) Theon de Smirne, 106, p.59. 4 Hiller. Diels. Vors. 31. 39. Laloy. o. c. p. 49-50.

٤ – تأليف السلسلة:

سوف يعمد أفلاطون إذن إلى «مَلْءِ» أبعاد السلسة الأوليّة:

١: ٢: ٣: ٤: ٩: ٨: ٢٧

على وجهٍ يلقى معه الأبعاد الموسيقية وأقسامها.

فلنتأمل تباعاً الواسطة المنسجمة (أو الهرمونية) ثم الواسطة الحسابية. ولنتأملهما في كلّ من سلسلتي الأعداد المضاعفة المزدوجة أو الثلاثية التي تتألف منها السلسة الكاملة.

١) الواسطة الهَرْمنِيَة أو المنسجمة:

سلسلة الأعداد المضاعفة المزودجة:

$$.\ \frac{1}{3}+5=\frac{16}{8}\ 8:4\ \frac{1}{3}+2=\frac{8}{3}\ 4:2\ \frac{1}{3}+1=\frac{4}{3}\ 2:1$$

سلسلة الأعداد المضاعفة الثلاثيّة:

$$.\frac{1}{2}+13=\frac{27}{2}\ 27:9\ \frac{1}{2}+4=\frac{9}{2}\ 9:3\ \frac{1}{2}+1=\frac{3}{2}\ 3:1$$

٢) الواسطة الحسابية:

سلسلة الأعداد المضاعفة المزدوجة:

$$.6\ 8:4\ 3\ 4:2\frac{1}{2}+1=\frac{3}{2}\ 2:1$$

سلسلة الأعداد المضاعفة الثلاثية:

$$.18\ 27:9\ 6\ 9:3\ 2\ 3:1$$

ومنها تتألف السلسلتان التاليتان:

$$8\ 6\ \frac{16}{3}\ 4\ 3\ \frac{8}{3}\ 2\ \frac{3}{2}\ \frac{4}{3}\ 1$$

ثم $$27\ 18\ \frac{27}{2}\ 9\ 6\ \frac{9}{2}\ 3\ 2\ \frac{3}{2}\ 1$$

أو وجه أبسط:

$$8\ 6\ \frac{1}{3}\ 5\ 4\ 3\ \frac{2}{3}\ 2\ 2\ \frac{1}{2}\ 1\ \frac{1}{3}\ 1$$

ثم $$27\ 18\ \frac{1}{2}\ 13\ 9\ 6\ \frac{1}{2}\ 4\ 3\ 2\ \frac{1}{2}\ 1\ 1$$

ويُلاحظ أن العلاقة في اضطراد الأضعاف بين المعدّل المنسجم والمعدّل الحسابي هو دوماً $\frac{9}{8}$ ($\frac{3}{2}$ هي $\frac{9}{8}$ العدد $\frac{4}{3}$ ، ٦ هي $\frac{9}{8}$ العدد $\frac{16}{3}$ وهكذا).

فيتمكن المرء إذن منَ ملء كلّ الأبعاد بإقحام عددين جديدين بين كل عدد من كلا الاضطرادين والمعدّل المنسجم أو الحسابي. بحيث تغدو علاقة كل من العددين الجديدين إلى العدد السابق $\frac{9}{8}$. فيحصل المرء عندئذ في سلسلة الأضعاف المزدوجة على المعادلات التالية:

$$،4\ \frac{243}{64}\ \frac{27}{8}\ 3\ \frac{8}{3}\ \frac{81}{32}\ \frac{9}{4}\quad ،2\ \frac{243}{128}\ \frac{27}{12}\ \frac{3}{2}\ \frac{4}{3}\ \frac{81}{64}\ \frac{9}{8}\ 1$$

$$.16\ \frac{243}{16}\ \frac{27}{2}\ 16\ \frac{32}{3}\ \frac{81}{8}\ \frac{8}{9}\quad ،8\ \frac{243}{32}\ \frac{27}{4}\ 6\ \frac{16}{3}\ \frac{81}{16}\ \frac{9}{2}$$

وفي سلسلة الأعداد المضاعفة الثلاثيّة على المعادلات التالية:

$$،\ 3\ \frac{8}{3}\ \frac{81}{32}\ \frac{2}{4}\ 2\ \frac{243}{128}\ \frac{27}{16}\ \frac{4}{3}\ \frac{81}{64}\ \frac{9}{8}\ 1$$

$$9 \quad 8 \quad \frac{243}{32} \quad \frac{27}{4} \quad 6 \quad \frac{729}{128} \quad \frac{81}{16} \quad 4 \quad \frac{243}{64} \quad \frac{27}{8}$$

$$.\ 27 \quad 24 \quad \frac{729}{32} \quad \frac{81}{4} \quad 18 \quad \frac{2187}{128} \quad \frac{243}{16} \quad 12 \quad \frac{729}{64} \quad \frac{81}{8}$$

ولكن هذه الأعداد الكسرية لا يسهل انقيادها في العمليات الحسابية، فيمكن لبناء سلاسلنا، استعمال طريقة قد عمد إليها اكْرانْتُـــرَ وايفْذُكْسُس، وربما عرفها أفلاطون(٨). إن المضاعف المشترك الأصغر لكل هذه الكسور هو ١٢٨، فإذا ضُرب هذا العدد بثلاثة نحصل على العدد ٣٨٤، فنستطيع أن نستبدل به الوحدة. فيمس اضطراد الأضعاف المزدوجة الأولي:

$$3072 : 1536 : 768 : 384$$

واضطراد الأضعاف الثلاثية يصير:

$$10368 : 3456 : 1152 : 384$$

فإذا ملئت الأبعاد، على الطريقة المنّوه إليها سابقاً، نعثر في سلسلة الأضعاف المزدوجة من الواسطة المنسجمة الهرمنية على الأعداد التالية:

$$3072 : 2048 : 1536 : 1024 : 768 : 512 : 384$$

ونجد في سلسلة الأضعاف الثلاثيّة:

$$10368 : 5184 : 3456 : 1728 : 1152 : 576 : 384$$

ونحصل في سلسلة الأضعاف المزدوجة من الواسطة الحسابية على الأعداد التالية:

$$3072 : 2304 : 1536 : 1152 : 768 : 576 : 384$$

---

(١) رَ التِيمئِس اللُوكْرِيّ ٩٦ b.

وفي سلسلة الأضعاف الثلاثية نلاقي:

10368 : 6912 : 3456 : 2304 : 1152 : 768 : 384

على الوجه عينه يُملأ البُعد من ١ إلى ٢ $\left(1+\frac{1}{3}\ 1+\frac{1}{2}\right)$ ما أمكن مَلؤه بأعداد أو عوامل سلسلة الأضعاف المزدوجة:

768 , 729 , 576 , 512 , 486 , 432 , 384

ولكن صعوبة خاصة تعترضنا بشأن العاملين ٥١٢ و ٥٧٦. فالفرق بينهما ٦٤ أي $\frac{512}{8}$. والاله لم يستطع بناء على البعد $1+\frac{1}{8}$ أن يملأ تماماً الأبعاد $1+\frac{1}{3}$.

لنفرض البعد $1+\frac{1}{3}$ القائم بين ٣٨٤ و ٥١٢ (فعلاً 512 = 384 + 128، و 128 تساوي $\frac{384}{3}$). وثُمن ٣٨٤ أي ٤٨ يعطينا ٣٨٤ + ٤٨ أي ٤٣٢، وثُمن ٤٣٢ يعطينا ٥٤، و ٤٣٢ + ٥٤= ٤٨٦. والحال أن البعد بين ٤٨٦ والعامل التالي ٥١٢ ليس إلا ٢٦، بينما ثُمن ٤٨٦ هو ٦٠٧٥. فإذا جمعنا ٤٨٦ و ٧٥ ، ٦٠ نحصل على عدد أقوى ممّا يجب ٧٥، ٥٤٦. وهنا يتحايل أفلاطون لرأب الصدع. إن علاقة ٤٨٦ بـــ ٥١٢ هي علاقة ٨ بـــ ٩ أو ٢٤٣ بـــ ٢٥٦ أي إنها تساوي $1+\frac{13}{243}$.

كذلك يملأ البعد بين ٥٧٦ و ٧٦٨ ببعدين، أحدهما $1+\frac{1}{8}$ والآخر هو بُعد إضافي أي راسب (لِيمًّا). فثمن ٥٧٦ هو ٥٧٦ + ٧٢= ٦٤٨، وثُمن ٦٤٨ هو ٨١ و ٦٤٨ = ٨١ = ٧٢٩ فبين ٧٢٩ و ٧٦٨ البُعد أقلّ من $1+\frac{1}{8}$ فهو أيضاً $\frac{13}{243}$ ($768 - 729 = \frac{13}{243}$ من 729).

وتحوي اللائحة الكاملة التي نحصل هكذا عليها ٣٦ عاملاً:

١ – ٣٨٤، ٤٣٢، ٤٨٦، ٥١٢، ٥٧٦، ٦٤٨، ٧٢٩، ٧٦٨.

٢ – ٧٦٨، ٨٦٤، ٩٧٢، ١٠٢٤، ١١٥٢.

٣ – ١١٥٢، ١٢٩٦، ١٤٥٨، ١٥٣٦.

٤ – ١٥٣٦، ١٧٢٨، ١٩٤٤، ٢٠٤٨، ٢١٨٧، ٢٣٠٤، ٢٥٩٢، ٢٩١٦، ٣٠٧٢.

٨ – ٣٠٧٢، ٣٤٥٦.

٩ – ٣٤٥٦، ٣٨٨٨، ٤٣٧٤، ٤٦٠٨، ٥١٨٤، ٥٨٣٢، ٦١٤٤، ٦٥٦١، ٦٩١٢، ٧٧٧٦، ٨٧٤٨، ٩٢١٦، ١٠٣٦٨.

٢٧ – ١٠٣٦٨.

فعندنا من ١ إلى ٢ خمسة أصوات كاملة وراسبان:

الأصوات: ٣٨٤ – ٤٣٢، ٤٣٢ – ٤٨٦، ٥١٢ – ٥٧٦، ٥٧٦ – ٦٤٨، ٦٤٨ – ٧٢٩.

الراسبان: ٤٨٦ – ٥١٢ ٧٢٩ – ٧٦٨.

وفي الواقع كلّ من الكسور $\frac{384}{432}$، $\frac{432}{486}$، $\frac{512}{576}$، $\frac{576}{648}$، $\frac{648}{729}$ تعادل $\frac{8}{9}$. أما الكسور $\frac{486}{512}$ و $\frac{729}{768}$ فهي رواسب.

وفي سلسلة ٢ إلى ٣ عندنا أيضاً ثلاثة وراسب، وفي سلسلة ٣ إلى ٤ صوتان وراسب، وفي سلسلة ٤ إلى ٨ أربعة أصوات وثلاثة رواسب وقطعة، وفي سلسلة ٨ إلى ٩ صوت واحد، وفي سلسلة ٩ إلى ٢٧ سبعة أصوات وأربعة رواسب وقطعة.

وقد يلاحظ المرء مراراً أن السلسلة التي يستعملها أفلاطون هي أطول بكثير من الدستور الموسيقيّ. ومن الاسترسالات السبعة (في اللائحة الكاملة) التي فصّلناها منذ لحظة، استرسال واحد فقط يُستعمل فعلاً في الموسيقى. إنه البُعد « خِلال الجميع» بقسميه الربُاعي والخماسي وأصواته الخمسة وراسبيه. فهذا البعد يقابل فئتين مؤلفتين من ثمانية أوتار أو مجموعتين كلّ منهما أربعة أو أوتار فهو يَفرض من ثَمْةَ آلة ثُمانيّة الأوتار تفصل مفاتيحها كما يلي:

٣٨٤ الوتر الأسفل

القسم الخماسي:

صوت ٨ : ٩

٤٣٢ الوتر الردف أو المجاور الأسفل

صوت ٨ : ٩

٤٨٦ الوتر الثالث

راسب ٢٤٣ : ٢٥٦

٥١٢ الوتر المجاور الوسط

صوت ٨ : ٩

القسم الرباعيّ:

٦٧٦ الوتر الوسط

صوت ٨ : ٩

٦٤٨ وتر السبابة

صوت ٨ : ٩

٧٤٩ الوتر المجاور الأعلى راسب ٢٤٣: ٢٥٦

٧٦٨ الوتر الأعلى

بيد أن تناغم روح العالم أوسع بكثير. فهو يشمل كلّ الدساتير الموسيقية الممكنة، ويسمو بما لا نهاية له على الانسجامات المحدودة التي تعزفها آلاتنا الناقصة. إن البُعد «خِلال الجميع» أي العلاقة ٢ ١ تفي موسيقانا حقها. إلاّ أن التناسق أو التناغم السماويّ يبلغ البعد ٢٧. وفي هذا الأمر رمز مفقّه وبرهان قاطع أيضاً على قدرة الأعداد العجيبة. ولا يكتفي أفلاطون بإبراز فضل علم الحساب (الذي عزّرته) مدرسته، وذلك بإعطائنا مثلاً يسترعي انتباهنا أكثر من أي مثل آخر، بل يبدي لنا في الحين نفسه كيف يستولي العدد على الأشياء، ويشيع في كل أرجائها النظام والاعتدال والجمال. وهذا الجمال خفيّ لا يراه الطغام، وإنما الفيلسوف الضليع في الرياضيّات والماهر في الحساب يعرف كيف يدركه.

وبين العناصر التي تتألف منها روح العالم، وبالتالي القسم الخالد من روحنا، العنصر الأجلّ والثابت وحده هو العدد. وعندما يُحدّد اكْسنُكْراتِس الروح، ويقول إنها عدد متحرك، فهو يلبث أمينا لروح تعاليم التِيمِئس.

هذا، وإن قسماً على الأقل من المعلومات الرياضيّة والموسيقيّة، التي يطيب لأفلاطون أن يتبسّط فيها في هذه النصوص، كان بلا ريب جديداً عندما أَلَّفَ التِيمئُس. وإذا قبلنا بصحّة المقطوعة السادسة من كتابات فِلولَؤُسْ، فعلم الأنغام هذا كان مأنوساً لدى فِلوْلؤسْ. وعلى كل حال، من المرجح أن فِلوْلَؤُسْ لا يسبق عهد سقراط، وان هذه النظريّات قد بُسطت لأول مرة في الأوساط العلميّة المعاصرة لأفلاطون.

ومهما يكن من أمر، فنحن نشاهد في حوار التِيمئُس مبادئ ضرب من الاعتبارات النظريّة قد نال حُظوة طويلة. لأن النصوص المتعلّقة بروح العالم

ما برحت مدة قرون تثير تأملات الرياضيين والفلاسفة. فمن عهد الاسكندريّين إلى عهد كبْلر وعهد بويُّو Bouillaud لم يبطن ما هاجت في النفوس من اهتمام دائم. وحتى في أيامنا هذه، لا يطالع المرء تلك النصوص دون تأثّر عميق، عندما يفكر بتلك الأحلام التي دغدغت بلا نهاية مخيّلات أسلافنا. ولسوف نلقاها في تفحّصنا نظام التِيْمِئس الفلكيّ.

الفصل الخامس

نظام أفلاطون الفلكي

١– الكرة السماويّة:

بعد تركيب روح العالم، شرع الاله في بناء الكرة السماويّة. ولهذا الغرض عمد إلى تركيب ما هو عين ذاته وما هو آخر، وقسَّمهما طبقاً للنسب التي درسناها الآن. ومن هذا التركيب – القابل أن يبدو شيئاً مثالياً محضاً - شرع يكوّن حقيقة منظورة واقعية، ألا وهي قبَّة السماء. وهكذا يعالج أفلاطون على حدة، بضرب من الخيال يذهل عقولنا العصرية، النواميس الرياضية المشرفة على حركة الكواكب والكواكب بعينها. فهو يضطرنا أن نتأمل العلاقات غير المتحولة، الخاضعة لقدرة العدد، قبل أن نعرف الأجسام. وهذه العلاقات هي التي تتحكم بدوران الأجسام.

فجرأة أفلاطون جرأة تفرض الإعجاب. وهي تعبّر تعبيراً أقوى من أي كلام عن ثقة الفيلسوف باقتدار الصور المثاليّة الذي لا يغلب.

فمن خليط «ما هو عين ذاته وما هو آخر» الذي خلطه الصانع وقسمه طبقاً لسنن رياضيّة، يؤلف شريطتين ويصالبهما الواحدة فوق الأخرى، مثل قوائم حرف خي «X». وإحدى هاتين الشريطتين وضعت حتماً من داخل، والأخرى من خارج، ثم يحني هاتين الشريطتين المصلَّبتين، بحيث تتلاقي

أطرافهما في نقطة مقابلة نقطة تقاطعهما. وهذه العملية تعطي دائرتين متداخلتين الواحدة خارجية والثانية داخليّة.

وقد لاحظنا من قبل أن تركيب الخليط ليس متجانساً تجانساً مطلقاً. ولذا يمكن الشريطة الخارجيّة أن تستمد من مشيئة الله حركة جوهر « ما هو عين ذاته»، وأن تستمد الشريطة الداخليّة حركة جوهر «الآخر». «ودائرة الآخر» تقسم إلى ست دائرات متداخلة تقابل مدارات الكواكب السيارة. والدائرة الخارجيّة، دائرة «ما هو عين ذاته» لا تقبل تقسيماً ما.

٢ – أبعاد الكواكب السيارة

إن أقسام دائرة «الآخر» تقابل لأوّل وهلة حدود سلسلة روح العالم: ١، ٢، ٣، ٤، ٩، ٨، ٢٧. وهذه الأعداد تشير حسب مقطعين من حوارنا (٣٦ d و ٣٨ d) إلى أبعاد الكواكب التائهة عن الأرض. وقد قيست تلك الأبعاد بالنسبة لبعد القمر عن الأرض، كوحدة قياسية. وهذه هي تلك الأبعاد: القمر ١، عطارد ٢، الزهرة ٣، الشمس٤، المريخ ٨، المشتري ٩، زحل ٢٧. هذا ولا ندري على أي معطيات فلكيّة يركز أفلاطون هذه الأرقام.

ولكنّ مقطعاً من أسطورة الباب العاشر من الجمهورية (٦١٦ c وما يلي) يجعل تفسير نصوص التيِّمئُس هذه عسيرا. ففي هذه الأسطورة، يصف أر البَمْفِيلي ابن أرْمِينِيُس رؤيا رآها حيّاً، ولا يستطيع الآخرون أن يعاينوها إلا بعد الموت، على الوجه التالي: لقد شاهد، وفي البدء من بعيد، نوراً يشبه قوس قزح، ولكنه أسنى واصفي يخرق الأرض والسماء من أقصاها إلى أقصاها. وقد انطلقت من ذلك النور رُبُط توصد السماء وتشدها إلى مركز العالم، كأنها مراسي سفينة. ومركز العالم الوضّاء هذا هو «**وشيعة الضرورة**». وقد انتصبت تلك الوشيعة عمودياً من أطراف الكون، وحولها يتمّ دوران الكواكب.

وهذه الوشيعة لها واسطة مركزيّة من ماس، مروّسة الأطراف، يحدق بها غمد. وهذا الغمد نفسه تؤلفه ثمانية أغماد أو ثماني حلقات منوّعة الضياء ومختلفة الألوان. والحلقات تتداخل بعضها في بعض كآنية متفاوتة الحجم أو القطر.

وقد تمكن آر من موقعه على خطّ الانحناء، أن يعاين تقاطع الأغماد الثمانية. المختلفة الكثافة على بقع تقاطعها. فالحلقة الخارجيّة هي الأوفر عرضاً. ثم تأتي بعدها، من المحيط إلى الوسط، أضيق الحلقات، فالتي قبل الأخيرة في العرض، فالثالثة في العرض، ثم السادسة والخامسة، وأخيراً في جوار المركز الرابعة عرضاً.

هذا، وان تلك الحلقات تدور على نفسها بسرعة تتفاوت من واحدة إلى أخرى. وهي تخالف في دورانها اتجاه أكثرها سرعة، أي اتجاه الحلقة الخارجية التي تدفعها **اكلثو** إحدى **المصائر الثلاث** بيدها اليمنى، في حركة تتجه إذن من اليسار إلى اليمين (٦١٧ c).

ويتّضح، من وصف أفلاطون ومن الألوان التي يشير إليها، أن الحلقات تقابل فلك الثوابت وأفلاك الكواكب السيارة. وهذه الكواكب يرتّبها (في الجمهورية) ترتيبها في حوار التِيُمِئِس. أي إذا انطلقنا من المحيط إلى الوسط، فنحن نلقى تباعاً زُحل فالمشتري فالمريخ ثم الشمس والزهرة وعُطارد والقمر. وسرعة الدوران القصوى هي سرعة فلك الثوابت. ثم نجد أن للقمر ولعطارد وللزهرة وللشمس سرعات مماثلة بعضها لبعض. وأخيراً أن المريخ يتحرك هو والمشتري وزحل بسرعة واحدة.

إن هذه الإشارات تتّفق إجمالاً ومعطيات حوار التِيُمِئِس. غير أن نصّ الجمهورية يسوق أمرين غريبين طال ما أقلقا راحة الشرّاح. إن حلقات (مدار) الكواكب، إذا نظر إليها المرء من خط الاستواء في نقاط تقاطعها، تبدو مشافرُ التقاطع ذات كثافة متباينة. بعد الحلقة الخارجية الأوفى عرضاً تصطفّ

بحسب كثافتها المتناقضة، حلقات المريخ فالقمر فالشمس فالزهرة، ثم المشتري وزحل. وليس من علاقة بين هذه الكثافات وأعداد سلسلة التِيُمِئِس.

فهل الكثافة التي يتكلم عنها أفلاطون هنا، هي كثافة جدران الكرات السماوية المختلفة، كما فرض ذلك مرتان(١) (Th. Martin) في مذكرة وضعها سنة ١٨٨١؟ ففي هذه الحالة ينعدم التآلف بين كثافة الكواكب السيّارة وكثافة الأُكَر. هذا من جهة. ومن جهة أخرى تنفي جملة النظام الفلكيّ الأفلاطوني وجود مجالات فارغة بين الكرات التي تتلامس حتماً.

وهل يشير أفلاطون إلى اختلاف البعد، باختلاف الزاوية التي يتمّ فيها رصد الكواكب، كأن ترصد من خط الاستواء أو من نقطة أخرى مصعّدة أو منحدرة نحو أحد القطبين؟ وقد بدأ مرتان نفسه وفرض هذه الفرضيّة في التِيمئسَ. إلا أن نصّ الجمهورية لا يوفر عنصراً ما يسمح بهذا التفسير المعقّد جداً، لاسيّما وأن واضعه قد عدل عنه فيما بعد. هذا، وإن أفلاطون لا يشير في الجمهورية إلى نسبة أحجام الكواكب المختلفة – كما يقبل به ثِيُئُن الإزميريّ(٢) – لأن أفلاطون في تلك الحال، قد يتوّهم أن القمر أضخم من الشمس(٣) وهذا لا يُحتمل قطعاً.

فأبسط تفسير (لنصّ الجمهورية) يداني، دونما ريب، التفسير الذي قرّ عليه مرتان أخيراً. وهو أن الحلقات الملونة الوافرة أو الزهيدة العرض، التي يُشار إليها في الجمهورية، تقابل الأرجاء السماويّة الداخلة في مجال كل كوكب بمفرده، والخاضعة لفعله، والغارقة في ضيائه. والحال أن لا شيء (في الجمهورية) يؤكد لنا أن الكوكب قد وضع (في مداره) على إحدى الدائرات التي تحدّ حلقته الخاصة من الداخل والخارج. فيمكن على هذا

(1) Mémoires de l'Académie des Inscriptions. 1881. 30. 1. p. 101.
(2) Ed. Dupuis, p. 234.
(3) Cf Duhem. Ie Syteme du Monde, 1. p. 64.

الوجه، أن تنتظم أبعاد المدارات بحسب قانون التِيْمِئُسَ العددي. وهذا القانون لا يتيح تعيين منطقة ينفذ إليها أثر كل كوكب، ولا اتساع البقعة التي يسيطر عليها في السماء.

٣ – حركات الكرة السماويّة

إن دوران ما هو عين ذاته «ليس موازياً» لدوران «الآخر» وليس له نفس الاتجاه. فحركة «ما هو عين ذاته» تجري من اليسار إلى اليمين (أي من الغرب إلى الشرق) وفي اتجاه ضلع من المتوازي الأضلاع. وحركة «الآخر» مندفعة من اليمين إلى اليسار (أي من الشرق إلى الغرب) في اتجاه قطر المتوازي الأضلاع عينه.

فيثبت لنا هكذا، دون أن يؤكد ذلك أفلاطون، أن الدائرة الخارجية هي دائرة خطّ الاستواء، وان الدائرة الداخليّة دائرة الانحناء. فإذا رسمت الكرة السماوية على مسطح، فخط الاستواء يمثله القطر، وخط الانحناء يمثله «المستقيم المنحرف»، الواصل بين أطراف خطوط العرض المتوازية (شمالاً وجنوباً).

إلا أن نصّ أفلاطون يحوي إشارة كأنها لغز. فحركة دائرة «ما هو عين ذاته» هي جلياً الحركة النهارية، التي تدفع الكرة السماوية في خط يوازي الأفق. والحال أن الدوران النهاري يتمّ من الشرق (اليمين) إلى الغرب (اليسار) وليس «إبِّذِكْسِيا» باتجاه اليمين (c٣٦). وعلى عكس ذلك، تظهر حركة الكواكب لمن يرقبها متجهة من الغرب إلى الشرق أو من اليسار إلى اليمين. هذا، وإن إشارة تماثل إشارة التِيْمِئُسَ قد أعطيت في أسطورة الجمهورية (١٠: c٦١٧). فإن اكْلُثْو تحافظ بيدها اليمنى على حركة الحلقة الخارجية، وبيدها اليسرى على حركات الحلقات الداخليّة. غير أن أفلاطون لا يستطيع

أن يجهل اتجاه الحركات السماويّة الصحيح. وهو في الواقع يشير إليه بالضبط في الشرائع (٦: d٧٦٠).

وعلاوة على ذلك، فقد سمّى الأقدمون الشرق إجمالاً مَيْمَنَةَ العالم[(١)]، فكيف نفهم كلام أفلاطون في التِيْمِئُسَ؟ إن أقرب تفسير إلى العقل قد اقترحه افْرَكَّرُلّي هو وغيره من الشراح[(٢)]: إن اليمين الحقيقيّة، عندما نعتبر السماء حلقات متداخلة أو كرة ممثّلة على مسطح، تحاذي يسارنا، والعكس بالعكس. ومن ثمّ كل دوران يبدو لنا متجهاً من اليسار إلى اليمين، هو متجه في الواقع من اليمين إلى اليسار. وأفلاطون يلمّح مرتين في التِيْمِئُسَ إلى المفاعيل الغريبة الممكن أن تنشأ عن مواقع الشيء المدرك بالنسبة لمن يدركه[(٣)].

٤ – فرضيات أفلاطون الفلكية:

كل نظريّة أفلاطون الفلكيّة تحاول بواسطة دورات منتظمة لا يتغيّر اتجاهها، أن تفسر ظواهر الفلك غير المنتظمة. «ما هي حركات الدوران المنتظمة انتظاماً كاملاً، التي يجمل أن يتخذها المرء كفرضيّات، ليتمكّن من المحافظة على الظواهر التي تبدّلها الكواكب التائهة؟» إن نص سِمْبْلِتْشِيُس هذا في شرحه كتاب السماء[(١)]، يعبّر خير تعبير، على حد قول دهيم[(٢)]، عن مشاغل الفلَكيّين اليونان من عهد أفلاطون.

إننا نلاحظ في حركة الكواكب السيارة الظاهرة ثلاث مخالفات رئيسية للنظام: فهي تبدو أولاً وكأنها تتحرّك على خط الانحناء بسرعة غير منتظمة.

---

(١) أرسطو، كتاب السماء ٢: ٢، ٢٨٤، ٦ وما بعد.

(٢) Fraccarolli o. c. p. 192.

(٣) ٤٣ e و ٤٦ b.

٤ - (١) كتاب السماء ٢: ١٢: ٤٨٨ و ٤٩٣، هيبرج.

(٢) دهيم Duhem، نظام العالم ، ١ ص ١٣ .

فيظهر تارة أنها تنشط، وتارة أنها تتباطأ في جريها الظاهر. ويبدو ثانياً أنها تتوقّف أحياناً توقّفاً تاماً، لا بل يظهر من حين إلى حين أنها تتقهقر عائدةً إلى الوراء. أخيراً يتهيّأ للمرء أنها تنحطّ مرةً عن خط الأفق ومرة تصعّد فوقه. ولذا اهتم القوم أن يجدوا مُركّباً من الحركات الدورانية المنتظمة، بسيطاً قدر المستطاع، يفسّر كل الظاهر (الفلكيّة). وإليك فرضيّات أفلاطون:

١- إن فلك الكواكب الثابتة ينجز دورته في مدار يوازي خط الاستواء، من الشرق إلى الغرب بسرعة منتظمة، هي أقصى سرعة تبلغها الأجرام السماوية، فيجر في دورانه كلّ الكواكب الثابتة.

٢ - إن الكواكب السيّارة كلها، لاسيما الشمس، تتحرك على مستوى خط الانحناء، فتختلف زوايا سرعاتها المعاكسة لحركة فلك الثوابت. وهي تتجّه من الغرب إلى الشرق (هنا ٣٨ d). والكواكب الثلاثة الداخليّة، أي عطارد والزهرة والقمر، ومداراتها واقعة بين مدار الشمس والأرض، تتحرك بسرعات متساوية (٣٩ a). أما الكواكب الخارجية، أي المريخ والمشتري وزُحل، فهي تتحرك في اتجاه واحد، وبسرعة تنقص من واحد إلى آخر، بقدر ما يقترب من محيط منظمة الكواكب (٣٩ a) . وتأتلف هذه الحركات المختلفة بحيث تسيطر حركة فلك الثوابت على حركة أفلاك الكواكب السيارة وتجرفها جزئياً في جريها(٣٩ a) .

وهكذا، عندما تجتاز سيارة قوسا في جريها على خط الانحناء من الغرب إلى الشرق، فهي تُجَرّ في الوقت ذاته من الشرق إلى الغرب بحركة فلك الثوابت المنتظمة. فيبدو أنها تخطّ في جريها خطاً منحنياً وإهليلجاً أو لولباً، يشبه لوالب الكرمة أو شكلَ سيرٍ لفّوه على أسطوانة[٣].

---

(٣) التيمئس ٣٩ a، وَثِيُـــنْ الإزْمِيْري، الفلك ٤٣، دوبوي ص ٣٢٨.

ومثال ذلك أننا إذا رصدنا الفلك من مكان واقع على أحد خطوط العرض الجنوبية، يوم الاعتدال الربيعي، بدت الشمس على الأفق في نقطة تقاطع خطِّ الاستواء وخطّ الانحناء. وهذه النقطة تحطّ في السماء قوسَ دائرةٍ استوائيّة كبرى، تقطع الطول المارّ بالموقع الذي نرقب منه، على بعض الارتفاع فوق الأفق. ونلاحظ في الغداة أن الشمس قد تقدمت على خطّ الانحناء من الغرب إلى الشرق، وأنها قد ابتعدت عن خطّ الاستواء. ولا تبرح دورات الشمس تضيق يوماً بعد يوم حتى تبلغ الشمس انقلابها الصيفي. ففي ذلك الحين، تكون الشمس قد بلغت أسمى ذروة فوق الأفق ودارت أضيق دوراتها، دورة السرطان. وبعد الانقلاب الصيفي تنحدر الشمس شيئاً فشيئاً، وتتّسع دوراتها تدريجيّاً حتى الاعتدال الخريفي، وهو اليوم الذي يلتقي فيه مدار الشمس الظاهر بخطّ الاستواء. أخيراً بعد اعتدال الخريف، تأخذ دورات الشمس تضيق، ولكن هذه المرة تحت خطّ الاستواء حتى الانقلاب أو الميل الشتوي، وهو اليوم الذي تقطع فيه الشمس أصغر دوراتها تحت الأفق، دورةَ الجدي.

والحال أن تصعيد الشمس أو هبوطها الظاهرين، يجريان بسرعة هي أوفر في الفترات القريبة إلى الاعتدالين الربيعي والخريفي، وأقلّ في الفترات القريبة إلى الانقلابين الصيفي والشتوي. وعلاوة على ذلك، ففي هذا الائتلاف من الحركات، يبدو أن الشمس في تنقّلها على خط الانحناء، تقفز قفزاً في مرورها من خطّ موازٍ للاستواء إلى خط آخر. فترسم في جريها لولباً تضيق حلقاته كلّما اقتربنا من أحد الانقلابين، وتتسع في جوار أحد خطّي العرض الموازيين لخطّ الاستواء(٤). وما يصحّ في الشمس، يصحّ أيضاً في سائر الكواكب التائهة.

---

(٤) إن صاحب المقدمة يريد بدل خطي العرض، خط الاستواء. ولو تابع فكرته وقال: «كلما اقتربنا من أحد الاعتدالين» لما أخطأ. لأن الشمس في أحد الانقلابين تكون بجوار أحد خطي العرض الموازيين للاستواء شمالاً أو جنوباً. ودورتها أنئذ أضيق. وهذا ما يقوله هو نفسه. وفي أحد الاعتدالين تكون بجوار خط الاستواء، ودورتها أوسع عندئذ. (المعرب)

ثم إن الشمس لا تنتقل بسرعة واحدة في جريها على كل من أجزاء خطّ الانحناء. فإن فرضنا أن الأرض واقعة في وسط العالم بالضبط، وأن وسط العالم يلتقي ومركز صورة مدار الشمس، فالأقواس الأربع المؤلفة ذاك المدار يجب أن تظهر لنا أنها تُقطع في فترات متساوية. والحال أن الأرصاد التي كان ميٍتُن وإِفْكْتِمُنْ قد باشراها، تثبت أن مسير الشمس غيرُ منتظم. فالمُدد الحقيقية لكل من الفصول الأربعة كانت في زمن أفلاطون: للربيع ٩٤ يوماً و٢٣، وللصيف ٩٢ يوماً و١، وللخريف ٨٨ يوماً و٥٢، وللشتاء ٩٠ يوماً و٥٠، وأفلاطون لا يتقدم بأي شرحٍ (لهذه الفروق)، مع أنه لا يجهل تلك الأرصاد.

أما الكواكب السيارة بالذات، فهناك أحداث عدة تتعلق بها وتتطلب تفسيراً خاصاً.

لقد رأينا أن الكوكبين السيارين الأسفلين يتنقلان حول الأرض بسرعة تعادل سرعة الشمس. فينتج عن ذلك أنه لابد للزهرة مثلاً أن تظهر لنا دوماً على بعد واحد من الشمس لا يتغير. والحال أنها تارة تتبع الشمس وتارة تسبقها بدرجات في اتجاه الشرق، أو تتأخر عنها درجات نحو الغرب. ولهذا السبب تُدعى الزُهرة على السواء كوكب المساء أو الصباح (من هسْبِيْرا المساء وهُئَسْفُيَورِسْ حامل الفجر). ومن ثم يضطرُّ أفلاطون أن يفرض أن للزهرة حركة خاصة مضادة، تحملها تارة على الدنوّ من الشمس وتارة على الابتعاد عنها (٣٩ a).

وعلاوة على ذلك، فإن الكواكب السيارة لا تكتفي بأن لا تجري من الغرب إلى الشرق بسرعة واحدة، بل تبدو أحياناً وكأنها ناكصة على الأعقاب وسائرة من الشرق إلى الغرب، نحو بعض الكواكب الثابتة، وقد بدأت وتناءت عنها. وعند ابتداء الحركة الخلفية، ولدى انتهائها، يتهيأ للرائي أن الكوكب السيار متوقف فترة وجيزة من الوقت توقفاً كاملاً عن الحركة.

إن أفلاطون لا يجهل أيضاً هذه الظاهرات. فهو يلمّح في الواقع إلى أجواق الكواكب الراقصة وإلى قرانها، وتقدم بعضها على بعض، وتقهقر مداراتها (٤٠ c). وكلمة بَرَفْلي ربما تدل على تجاور كوكبين متباينين. وقد فهمها ابْرُكلس على هذا النحو، فهي في نظره ابتعاد كوكب عن آخر طولاً أو عرضاً، إذا طلعا أو غارا في آن واحد تقريباً، كالزهرة والشمس مثلاً.

وكلمة ابْرُسْخُريسْ أي التداني، تعني في نظره أيضاً تداني مدارات الكواكب بعضها من بعض: «عندما تتقدم الكواكب، فهي تسبق مواقعها الخاصة التي تبلغها فترة بعد فترة. ويريد المواقع التي يُفرض أن تبلغها الكواكب لو كانت حركتها منتظمة. وهذا تقريباً ما يسمّيه ثيُئَنْ الإزْمِيري ابْرُئيغسسُ أي تقدّم[٥].

ويقول لنا أبْرُكلس أن الإبَّنككليسْ أي تقهقر الدوران هي نفس الإبُبَذسمُوس أي النكوص. وثيئن الازميري يسمّي هذه الظاهرة أنبُذسموس أي عودة إلى الوراء[٦]. ولكن إن عرف أفلاطون هذه الأحداث فنحن لا نجد في التِيْمئيس أثراً للنظريتين اللتين نشأتا في عهد إيفدُكسس لتفسيرها: نظريّة الدوائر اللامركزية ونظرية الدوائر المتداخلة[٧].

٥ – موقع الأرض وجمودها أو سكونها عن الحركة:

إنّ الأرض واقعة في النقطة المركزية من العالم (٥٤٠ bc) وأفلاطون يعمد لتعيين موقعها ووصفه إلى كلمة نقلها النساخ على أوجه مختلفة. فإذا قرأنا في نسخة باريس ١٨٠٧ ملتفّة، فإن أكثر المخطوطات الأخرى تحوي مُختلجة. وهذا الخلط بين معنى وآخر يسهل تفهمه.

---

(٥) دبوي، الفلك، ٠٢١
(٦) دبوي، الفلك، ٢١ص ٢٤١ .
(٧) سمبلتشيس، في السماء، ص ٤٨٨، هيبرج، دهيم م.م ص ١١١ .

فإن قرأنا وقبلنا بهذه القراءة، فالأرض «ملتمّة مكبكبة ملتفّة» حول محور العالم[١]. وإن قرأنا القراءة الثانية، فهي «تختلج وتتراوح وتتأرجح» حول ذاك المحور وقد أخذ بالقراءة الأولى كثيرون ومنهم بيْخ. ودافع بَرْنت من جديد عن الثانية بحجج قويّة جداً[٢].

لتأييد هذه القراءة الثانية هناك أولاً شهادة أرسطو الصريحة، تدعهما مخطوطات كثيرة للتيْمئس: «يقول بعضهم إن الأرض موضوعة في المركز، وإنها تختلج حول المحور الممتد خلال الكل، على ما كُتب في التِيمِئس[٣]». وبعض مخطوطات كتاب السماء وعدة مخطوطات للتِيمِئس تضيف: (تختلج وتتحرك). ألم يكتب أرسطو بعد هذا المقطع بقليل[٤]: «إن الذين يضعون الأرض في مركز العالم يقولون إنها تختلج وتتحرّك حول المحور المركزي».

إن هذه الشهادة تبدو قاطعةً لَبْرنت. لأن أرسطو ما برح عضو الأكذمية عندما أُلِّف حوار التِيمِئس. فكيف كان من الممكن أن يسيء فهم معنى تعليم أساسيّ من تعالم أستاذه[٥]؟ وإن نص التِيمِئس، من جهة أخرى يحوي كلمة (Tin) وهذه الأداة تتطلّب فعلاً يدلّ على الحركة[٦]. وفضلاً عن ذلك، ما معنى انتقادات أرسطو؟ فالأرض، على ما يؤكد كتاب السماء، لا يمكن أن تفرض لها الحركة، لا في مركزها ولا خارجاً عنه. إذ أوّلاً لا تكون لها مثل

---

٥ - (١) سمبلتشيس، في السماء، ص ٥١٨، هيبرج .

(٢) Early greek philosophy, 3e éd. p. 302 et suiv. Cf: K. Burdach: die Lehre (Neue iahrb. f. d. kl .Alt. 1922. p. 254).

(٣) كتاب السماء ٢:١٣: ٢٩٣ b ٣٠ راجع ذيجينس اللائرتي، ٣:٧٦.

(٤) ١٤: ٢٩٦ a : ٢٦

(٥) م. م. ص ٣٠٢ حاشية ٢

(٦) ن. م. حاشية ٣.

هذه الحركة «حركة طبيعية». لأن الحركة الطبيعية لعنصر الأرض تحمله نحو المركز. ثم إذا قبلنا بحركة مماثلة للأرض، فإنه ينشأ عنها حركتان مختلفتان: حركة الأرض وحركة الكرة السماوية. ودمج هاتين الحركتين أو التأليف بينهما قد يظهر بشطحات على خطوط العرض، أو بردَّاتٍ ظاهرة في سير الكواكب الثابتة. وهذا ما لا يحدث أبداً. أخيراً إن حوار الإِبنُيَمس (أي التعقيب على الشرائع) يؤكّد حركة الأرض حول محورها (٩٨٧ b)، وهذا الكتاب إن لم يكن من أفلاطون، فهو يبدي آراء أفلاطونية.

بيد أن هذه البراهين لا تبدو لنا قاطعة. فلنتفحص أوّلاً النصوص بالذات. إن القراءة الأولى «يحتمل أن يكون عند أفلاطون من المقولات مرةً واحدة. هذا ما نرى وعلى عكس ذلك توجد القراءة الثانية مرّتين أخريين في التيمئس. وفي كلتا الحالتين لها نفس المعنى: ملتفّ مكبكب (٧٦ b و ٨٦ e). هذا، وليس بأكيد أن أرسطو نفسه قد قرأ في نصّنا القراءة الأولى. إنه يقول لنا فقط «إن بعض المؤلفين يؤكدون اختلاج الأرض حول محور العالم... كما كُتب في التِيمِئس».

أليس في كلامه تلميح إلى بعض تأويلات حول مقطعنا ربما أثيرت في الأكذمية حالاً بعد موت أفلاطون؟ إن أرسطو لا يضمن قطعاً قراءة دون أخرى. وهو يؤكد لنا فقط أن بعض تلاميذ أفلاطون قد تبنّوها. وهؤلاء هم الذين يطلعنا كتاب الإبنميس على تعاليمهم. إلا أن تلك التعاليم تتضمّن تصحيحات هامة جداً أجروها على التعليم الفلكي الأفلاطوني.

ألم يبرهن أفلاطون في حوار فيذن عن سكون الأرض (٩٩ b)؟ أوليس في التِيمِئس ذاته تذكير واضح جدّاً لذاك التعليم؟ فمن خواصّ عنصر الأرض، أليست كراهيته الحركة خاصّة رئيسيّة (٥٥ e)؟ وفي الفقرتين ٦٢ d و ٦٣ a، يشرح لنا أفلاطون أن جسماً قائماً في مركز العالم متوازناً، «لا يهوي أبداً

نحو أحد طرفي العالم». وهذا البرهان، الذي يقول به بعد أنكسيمندرس، يصحّ تماماً في الأرض. لأن موقعها المركزي كاف ليضمن لها السكون والجمود(٧). أخيراً، كل تفسير الظاهرات الفلكيّة مبنيّ في التِيمِئس على فرضية سكون الأرض. إذ حولها تتنقّل، بسرعات متباينة، أكر الكواكب السيّارة وفلك الثوابت. فإن كان للأرض حركة خاصّة، فنظريّة الظواهر السماويّة تغدو برمّتها مغلقة. ولا بدّ عندئذٍ من إحلال بناءٍ جديد كامل محلّ تعليم حوار فيذن. ونحن لا نجد أثراً لهذا البناء في حوار التِيمِئس وقد أشار بعضهم إلى تشخيص أوليّ لمثل هذا البناء في نصّ من نصوص الشرائع (٧: ٨٢٢ a). إلا أن أولئك قد توسّعوا في معنى ذاك المقطع. لأن أفلاطون يؤكد فيه فقط، كما فعل في التِيمِئس، انتظام حركات الكواكب الحقيقيّ، خلافاً لما فيها من خلل ظاهر.

ولا ريب أن البعض شرعوا، فيما بعد وضمن المدرسة الأفلاطونية، يحوّرون نظريّة أفلاطون، ليوفّقوا بينها وبين فرضيّة دوران الأرض على محورها. وملاحظة لتْشتشرو في أكذميّاته الأولى، تساعدنا على فهم ما ربما قد جرى عندئذٍ. إن اتْشيتشرو يأتي على ذكر هكيْتس السركوزي، ويعرض بصورة مستهجنة رأيه في حركات الشمس الظاهرة، وتفسيره لها بدوران الأرض، ثم يُضيف: «وبعضهم يعتقد أن أفلاطون نفسه يقول هذا القول بالذات في حوار التِيمِئس، ولكن على وجه أكثر غموضاً بقليل(٨)».

فنحن نرى من عبارة قَيْقرون (Ciceron) أن ذاك الرأي لم يعمّ قبوله في المدرسة. فلم يتورّع المجدون عن تصحيح نصوص التِيمِئس ليبرّروا تأويلهم،

---

(٧) أرسطو، كتاب السماء، ٢: ١٣: ٢٩٥ ١٠b.

(٨) Les premiers Académiques 2,39,123: «Atque hoc etiam plotonem in Timaeo dicere quidam arbitrantur, sed Paulo obscurios».

ويستشهدوا بأقوال المعلم. فاستعاضوا عن الوضع الذي يستعمله أفلاطون بوضع يدانيه بشكله. وإن كان غير ملائم تماماً للمقام. لأن كلمة (إليمينن) لا تدل على دوران حقيقي قدر ما تدل على تمايل وتأرجح الأرض حول محورها. وهذه الكلمة لا يمكن تفسيرها إلا بضرورة المحافظة في النصّ المستجد على شكل يقربه أكثر ما يكون من نص المخطوطات الأصلية.

وهكذا فالأرض الساكنة عن الحركة لاصقة ملتزة بذاك المحور، الممتد خلال العالم. وفي أسطورة الجمهوريّة (١٠: ٦١٦ b c) محور الكون قوامه عمود من نور. وأفلاطون يقول لنا عنه إنه «ممتدّ أو مسحوب» خلال السماء والأرض. كما أن الأوصال المنطلقة من ذلك العمود (٦١٦ c)، لتحقق ارتباط الكلّ، هي أيضاً ممتدّة «مسحوبة». ويبدو أن تلك الأوصال هي خطوط الطول، كما تمثّلها الحلقات الكبرى الثابتة في رسم مسطّحٍ للفلك.

فأفلاطون يستعمل هكذا كلمة بُولُس استعمالاً جديداً. وفي مقطع من حوار اكرِتِيَّس يكلمنا عن قطب أطلسيّ يختلف عن قطبي الكرة. وشارح أرِسْتَفانس في نصٍّ يذكره ديلز Diels يبدي بشأنه هذه الملاحظة: «إن الأقدمين لا يسمّون قطبا كالمحدثين حداً أو طرفاً من طرفي محور العالم، ولكنهم يسمّون قطباً ما يكتنف الكلّ»[٩].

٦ – صورة العالم

العالم، حسب معطيات التيمئس، كروي مستدير كامل الاستدارة ولكن إن صحّ قول أفلاطون في كرة النجوم وروح العالم، فهل انتظمت الكواكب السيّارة على كرات أو اسطوانات، وهل الأرض نفسها ذات شكل كروي؟ أو

(٩) اكرتيس مقطع ٨١ (Vorsokratiker 3,2,p,318, 30) تعليق على الطيور، ش ١٧٩.

هي تحتفظ بشكل أسطواني مفلطح. إن مطالعة أسطورة الجمهورية تتركنا حائرين متردّدين.

إلا أنّ نصوص التِيمِئس لا تدع مجالاً للشك. لأن أفلاطون لا يكتفي بأن يؤكّد في حزم كرويّة العالم برمّته، بل يقبل ضمناً أن الأرض نفسها تجاري شكل الكل، وقد احتلت منه موقع المركز. وأرسطو يستوحي دوماً في كتاب السماء استنتاجات حوار التِيمِئس.

الفصل السادس

نظريَة المحل والعناصر

البحث الأول: المحل

١ - مقام نظريّة المحل:

إن أفلاطون قد عرض هكذا كل الأحداث المتعلقة بنشأة العالم، دون أن يتكلم مرّةً واحدة وبعبارات واضحة، لا عمّا نسميّه المادّة ولا عمّا ندعوه المكان. إذ يبدو أن العناصر التي يتألف منها العالم هي حقيقة مثاليّة محضة. ويلزمنا مجهودُ تخيّلٍ وافرٍ لنتمثّل أن تلك الطبائع المثاليّة تقابل أشياء واقعية محسوسة كالسماء والكواكب والأرض التي نقطنها.

ومن الآن فصاعداً نأتي إلى شرح الأمور المنظورة. غير أن المنهج لا يتبدل. لأن أفلاطون يعمد دوماً إلى براهين تجريديَّة، ينقلها فيما بعد إلى الصعيد المحسوس، لا بل يترك لنا أغلب الأحيان عناء نقلها نحن إلى هذا الصعيد.

وإلى الآن لم يرَ نفسه مضطراً إلى إدخال مفهوم المحل. لأنه اكتفى بمفهومي «ما هو عين ذاته» «والآخر» لبناء كلِ علْمه الفلكيّ. ونظريّة المحل والعناصر لا تَرِد إلاّ بصورة عارضة، وبمقدار ما تمكّن من فهم بعض

الأحداث المتعلقة بإدراك الحواس ولا يعرض أفلاطون لمسألة طبيعية المحلّ إلا بداعي طبيعة العناصر، وبوجهٍ أعمّ بداعي إنجازات الضرورة (٤٧ e و ٤٨a). ووجود العناصر من شأنه أن يفسّر بعض خصائص الإدراك. ووجود الضرورة من شأنه أن يفسر وجود المحل، ذاك الوجود غير المفهوم منطقياً.

٢– الضرورة:

إن مولد العالم قد فرض تدخّل العقل والضرورة في آنٍ واحد. والضرورة مرتبطة برباط أزلي بكل وجود معقول. وضروري أوّلاً مالا يستطيع الشيء أن يكون بدونه، ما ينجم عن طبيعة الشيء الخاصة ولايمكن أن يفارقه مثال ذلك الطبيعة البشرية فهي إذا وُجدت تشمل رغبات لا مفرّ منها، وبدونها لا يَستطيع جوهر الإنسان أن يَتحقّق. فهذه الضرورة المرتبطة بالماهية لا تُقاوم، وتُفرض على الآلهة أنفسهم[1]. ولا يمكن أن تفسّر تفسيراً تاماً بمفهوم الخير وحده. لأنها في الواقع تتعلّق بتعدّد الماهيات وبحدّ هذه الماهيات بعضها بعضاً. وقد بيّن أفلاطون ميزتها هذه في حوار السِفُتيّ. فالضرورة تَفرض ضرباً من القدرة المنطقيّة تفوق من بعض الوجوه الجمال بالذات.

هذا، ويضيف أفلاطون أحياناً إلى هذه الضرورة المنطقية شكلاً آخر من الضرورة، صادراً عن فعل عفوي من إرادة الآلهة[2]. فتدخل العلة الضرورية لا مفر منه حيثما نلقى كثرة من الحدود القابلة أن تؤلّف كلاً واحداً ومن ثم لا بد أن تحصُل حتى ضمن عالم المثُل و «الحي بذاته» وبفعل الضرورة لا يستطيع لا «المتعدد» ولا «الواحد الفرد» أن يوجد كلٌّ على حدة

---

٢ - (١) ابْرُتَغُورَسْ ٣٤٥ d، الشرائع ٥: ٧٤١ a، ٧: ٨١٨ b.

(٢) الشرائع ٧: ٨١٨ b.

بصورة مطلقة، وإنما عليهما أن يختلطا طبقاً لقوانين منتظمة ليؤلفا كوناً واحداً.

والتيمئس (٥٢ c) يذكّر في وضوح باستنتاجات السَيُفِسْتيّ والحال أن فكرة «الآخر»، وهي التعبير عن الضرورة، إذا كانت تضمن على الصعيد المنطقيّ ترابط الأجناس وافتراقها معاً، فعلى الصعيد الطبيعي سوف تتيح طبيعة المحل تمييز الأشياء وتعاقبها في مكان واحد. ونظرية المحل تبرز في التِيْمئُس بمثابة بديل طبيعي لنظرية جدلية.

٣ – صعاب مشكلة المحل:

وهذا الإبدال أو النقل من صعيد إلى صعيد هو في غاية العسر. وارتباك أفلاطون الحقيقي أو المفتعَل، في الصفحات الثلاث المخصصة لعرض نظرية المحل، يكفي ليثبت لنا ذلك العسر. وجملة المذهب الأفلاطوني يَفرض في الواقع على هذه المسألة شروطاً معقدة. فنحن لا نعرف إلى الآن من التيِمئس وما سبقه من حوارات، سوى وجود مُثُل أو صور من جهة، ووجود تحول وصيرورة بلا نهاية من جهة أخرى. ونعرف أيضاً أن هذا العالم المحسوس هو نسخة نموذج: فالمُثل والصيرورة، النموذج والنسخة، هي الأمور الوحيدة التي نعرفها. والحال أنه لا يمكن أن يوجد غيرها. ونظرية التيمِئس كلها سوف تثبت هذا التعليم.

فالعالم مكتف بذاته، ولاشيء خارجاً عنه، ولا مجال بلانهاية يمكن له أن يتنفس فيه ويتحرك. والعالم وحدة مطلقة. وهذه هي النتيجة الأخيرة لخطاب تيمِئس.

والعملية التي يولج بها الصانع النظام في الصيرورة، لا تخلق أي كائن جديد ولا أية مادة جوهرية. إنها تنتظم فقط الحي المحسوس على غرار الحي

المعقول. فكيف نفقه في هذه الشروط وجود مكان متميز عن الصور وعن الصيرورة معاً؟ فلو كان أفلاطون قد قبل بمكان فارغ نظير مكان الذريين للزمه أن يقحمه في بناء روح العالم أو قبة السماء. والحال أنه لم يفعل. لأن قبة السماء موجود في التيمِئس قبل أن يولد المحل. فلا يستطيع المحل إذن أن يكون واقعاً من رتبة المثال أو الصيرورة، ومن منزلتهما. وإن كان له مبدؤه أو بالأحرى أساسه في عالم المُثل، يمكن أن يوجد بين الصور الصرفة فراغ حقيقي أو مكان، ما لم يكن مكاناً رمزياً. وعلى عكس هذا، لا يوجد في عالم الطبيعة مكان لانهاية له تأتي الأشياء المحسوسة وتنتظم فيه.

فلا يمكن أن يدرك المحل مباشرة، لا في عالم المثل ولا في عالم الأجسام. وليس له سوى وجود مستمد عابر، وفي الغالب غير مدرك. وهذا ما يسمُ عرض أفلاطون باللبس والغموض. والبرهان على وجود المحل لا يمكن أن يكون منطقياً فحسب، لأنه يدور حول «ماهية» يضاف إليها موجود تدركه الحواس. ولا يمكن أن يكون مستمداً من الخبرة، لأن الخبرة، ولو حباها أفلاطون بعض النفوذ، لا تستطيع أبداً أن تكشف لنا حقيقة المحل في ذاته. فميزة ذاك البرهان إذن «هجينة». وهو حل وسط بين القياس والحسّ. وكل مرة نحاول أن نتصور المحل في ذاته، يبدو لنا أننا في حلم (٥٢c b). وكذلك عندما نناقش أمر المحل لا نوفق إلى إبراز فكرة واضحة. فالكبرى في قياسنا هي أن كل شيء في محل، أو أن لاشيء خارج السماء (٥٢ b). ولكن هذه الكبرى في ذاتها ليست حدساً عقلياً ولا إحدى معطيات الحس المباشرة. فما هي إلا عبارة عن ضرب من الترابط الخارج عن نطاق المنطق، والمبني على ضرورة عمياء تبرز للعيان كل مرة نتأمل الكثرة الواقعية.

٤– استعارات أفلاطون:

لتكوين فكرة عن المحل لابدّ دوماً من أن نَفْصِل الأشياء وأن نفكّها عمّا تشغل من «محل»، وذلك بفعل تجريدٍ هو عمليّاً شبه مستحيل التحقيق ومع ذلك فهذا التجريد يفرضه علينا واقع التحوّل، لأن شيئين مختلفين لا يستطيعان أن يوجدا معاً في محل واحد، ولأنّ نفس الشيء يمكنه أن يصير «آخر» دون أن يُغيّر موقعه. ومن ثمّ لا نقدر أن نتخيل «الموقع» ذاته إلا باستعارات. وقد عمد أفلاطون إلى استعارات عدّة متباينة بعض التباين، قد أوقعت المُحدثين في الحيرة والارتباك بشأنها.

«فالمحل» و«الموقع»، و«ما فيه» تظهرُ الأشياء، «وما عليه» تبرز، والجسم القابل (٥٠ b c)، وبيت الرحم (٥٠ d و d٨٨)، والأمّ والمرضع (٤٩ a و ٥٢ d و ٨٨ d)، كلّ هذه التعابير تذكّرنا بالمكان الذي يحوي الأشياء. ثم يحدّثنا أفلاطون بعد ذلك عن «القالب» القابل النقش (٥٠ e)، وعن «المستحضر» أي الجوهر الذي نقّاه العطارون من كل رائحة ليبثوا فيه أطايبهم، وعن الذهب الذي يؤتيه الصائغ شتّى الأشكال والصور (٥٠ a).

وحسب التشابيه التي تسترعي انتباهنا، نحن نفكر تارة بالمكان الفارغ «الذي فيه» تظهر الأشياء المنظورة، وتارة بالمادّة أو الجوهر الدائم الذي تكوّن منه تلك الأشياء على مايبدو.

٥– هل المحل هو المكان الفارغ؟

ايكمُن حلّ المشكلة السابقة في كون أفلاطون يعتبر الجوهر والامتداد أمراً واحداً، على نحو ما يعتبرهما دِيكارت فيما بعد؟ «الموقع» و«المحل» أي المكان (٥٢ a-d)، أليس هو اسم الحقيقة الثالثة الجنسيّ؟ هذا هو التأويل الكلاسيكي منذ أتسلر. وقد قبل به بعد كثيرين غيره آخر شرّاح الفيزياء

الأفلاطونيّة، لويس رُوبان، وهو واحد من الذين هم أثقب نظراً بين أولئك الشراح.

وهذا التأويل ألم يكن تأويل أرسطو منذ ذلك الحين[1]؟ فأرسطو يقول إن المرء لا يستطيع أن يوحّد بين المحل وبين حدّ الجسم أو غلافه – أي من بعض الوجوه شكله – ولا بينه وبين محتوى ذاك الغلاف أي المادة. والحال أن الرأي الثاني، في نظر أرسطو، هو رأي أفلاطون، وفي التِيْمِئُس بالذات: و«لذا قال أفلاطون هو أيضاً في التِيْمِئُس، إن المادّة والمحل شيء واحد بالذات. إذ القابل والمحل شيء واحد».

بيد أن أرسطو يؤكّد لنا أن أفلاطون قد حدّد المحل تحديداً غير هذا الأخير في تعليمه الشفوي. لأنه في ذاك التعليم يوحّد بين المشارك وبين «الكبير والصغير».

وهكذا فالمادة الأفلاطونية في نظر أرسطو هي واحدة بالذات والمحل، أي المكان. ولكن على ما يبدو لنا، ليس هذا هو معنى النصّ المذكور القاطع في الظاهر. وإنما يلاحظ أرسطو ما أشرنا إليه منذ قليل، وهو استحالة فصل المحل عن الأشياء التي تحتله، وفصل المادة عن المكان الذي تشغله، إلا بتجريد لا يُفهم. ومن المحتمل أن يكون الاختلاف أقلّ مما يبدو بين فكرة أفلاطون في المحل وبين نظريّة أرسطو نفسه بشأنه».

٦ - معنى النظرية الأفلاطونية المحتمل:

لو شاء أفلاطون فقط أن يفهمنا أنه يتكلم إما عن المكان الفارغ وإما عن جوهر الأشياء المادي، أيعقل أنه قد لاقى في ذلك كل ما لاقى من صعوبة؟ فأصحاب النظريّات الهندسيّة والمذهب الذري كانوا منذ أمدٍ بعيد قد عالجوا قضيّة

(١) كتاب الطبيعة ٤: ٢: ٢٠٩ b، ١٢.

المكان بدقّة لا يتوخّى المرء من بعدها دقة. أما المادة فقد اجتهدت الفيزياء القديمة أن تحدّد طبيعتها وأن تعدد خصائصها.

كلا، لا يدور الأمر حول تلقيننا وجود مكان أو مادّة. ولكنّ أفلاطون أخذ على نفسه أن يبين لنا كيف أنه من التشتُّت المنطقيّ الناتج عن مفهوم «الآخر» يصدر التشتّت الطبيعي بدوره، أي استحالة وجود شيئين مختلفين معاً في محل واحد. كما آلى على نفسه أن يحوّل إلى حقائق طبيعيّة مفاهيمَ من نوعٍ منطقيّ أو جدليّ محضٍ، وأن يجوز من صعيد المِثال إلى صعيد المحسوس. وهذا لا يمكن إلا بالاعتماد على الاستعارات، وعلى ضرب «هجين» من البرهان، يلزمه أن يلجأ في آنٍ واحد إلى معطيات عقليّة وإلى حدوس حسيّة.

ليس للمحل كيان خاصّ. وما هو إذا توخينا الضبط، جوهرُ جديد، يضاف إلى جوهر التحوّل والصور. ولكن يُفرض على تلك الصور أو المثل وذاك التحول، بضربٍ من الحتميّة الباطنية، أن تنتشر وتتكاثر بالتشتّت. وهذه هي الضرورة التي يروم أفلاطون أن يُسلط عليها الأضواء. ولا تهدف استعاراته إلا إلى إفهامنا إيّاها. فينتج عن ذلك أن استعاراته تبدو ملتبسة، ينطبق بعضها على الامتداد، وبعضها على المادة، في حين أنّ أفلاطون لا يبغي لا المكان ولا الجوهر.

وهكذا يتضح لنا من جهة، كيف لا يُقحم أفلاطون نظريّة المحل في موضوع العناصر، وقد كان يُحتمل مثل هذا الإقحام. ومن جهةٍ أخرى، لماذا يرفض أفلاطون رفضاً مبرماً أن يعين لكل من العناصر موقعاً محدّداً، كما يفعل أرسطو فيما بعد. لا بل ينطوي التِيمئَسَ (a٥٣ ، c٥٨، c٦٢، e٦٣،) على لون من الدحض المسبّق لنظريّة أرسطو في العناصر.

ففي نظر أرسطو كما في نظر أفلاطون، ليس من فراغ خارج عن العالم ولا يوجد مكان نميزه عن جوهر الأشياء. ولكن للكون «فوق وتحت» تعيّنهما

طبيعة العناصر المقابِلة نفسها: فالنار هي ما يصعد دوماً، والتراب ما يهوي أبداً إلى مركز الكون. وتَضادّ الثقيل والخفيف سوف يفيد لترتيب العناصر في العالم المنتظم (**الكُوزْمُسْ**).

بيد أن أفلاطون لا يقبل بهذا القول بهذا القول. وإذا كانت العناصر تتجه في نظره إلى مواقع معينة، فذاك الأمر لا ينجم عن قرابة طبيعية في كل منها مع محل محدود. والقول بوجود موقع معين سلفاً لكل من العناصر يوازي في رأي أفلاطون اعترافاً ضمنياً بتقدم الضرورة على الإدراك.

ولولا خوفنا من استعمال تعابير عصرية جداً، للإفصاح عن فكرة أفلاطون لقلنا إن التِيْمِئُس يحوي استنتاجاً جدلياً لفراغٍ مبهم في قلب عالمٍ مليء. فالوجود المعقول من قبل تجريدياً، والقائم في عزلة عن المكان، وتحت أشكال صورٍ غير متحولة أو صفاتٍ متحولة، هو من بعد الآن «مشتت»، منثور، مبعثر في المكان: إنه يشغل محلا ويتفكك إلى أجزاء خارجٍ بعضها عن بعض.

فيبدو، مع التحفظ ومراعاة ما يجب مراعاته، أنه يوجد عند أفلاطون برهان يشبه البرهان الذي نجده عند لايبْنِتْز. هذا، وإن لايبْنِتْز قد قرأ سنة ١٦٧٦م. وتأمّل حوار التِيمِئس. واستنتاج أفلاطون يرتكز في نهاية التحليل على وجود التحول أو«الآخر»، ويستمد قوّته بوجه غير مباشر حتى من وجود الصور. لأن هذه الصور لا تقدر أن توجد وتبقى بدون طبيعة «الآخر». وهذه الطبيعة وحدها يمكنها أن تميز بينها.

فنحن نفقه إذن ما عانى أفلاطون من صعوبات ليعبّر عن مفهوم معقّد إلى ذاك الحدّ. ونفقه أيضاً حيرة الشرّاح إزاء تلك التعابير غير المألوفة.

البحث الثاني : الصور

١ - وجود المُثُل أو الصور:

ما ينتج في التِيمِئس من سير الحديث نفسه والتبسط في الموضوع، أن مشكلة طبيعة المحل مرتبطة في الصميم بمشكلة وجود الصور أو المُثُل الأزلية. وفي الواقع تُطرح مسألة أصل العناصر مرتين: أولاً بعبارات عامة، وذلك قبل التساؤل عن وجود المحل[١]، ثم من جديد وعلى وجه أدق بعد الشروحات المتعلقة بالمحل[٢]. وعندئذ يتساءل أفلاطون هل هناك صور مطلقة أو مُثُل للعناصر، لا بل بصورة أعمّ، هل توجد مُثل[٣].

ويجيب بتدليل ملخص، ولكن في غاية الجلاء، على واقعية المُثل، كل المُثل، وليس مُثل العناصر فقط. إن المُثل موجودة، لأننا نملك موهبة خاصة تطلعنا عليها: وهذه الموهبة هي إدراكنا العقلي[٤]. إن المِثال موجود، إذ يلزم هذه المعرفةَ غيرَ المتزعزعة الأكيدة، المحفوظة لنفر زهيد فقط من الناس المستنيرين، موضوعٌ يماثلها.

وحقيقة المثل، موضوع المعرفة العقليّة، هي غير متحولة نظير تلك المعرفة. فهي لا تغيّر شكلها، ولا تُولد ولا تموت. لا تقبل أبداً عنصراً ما آتياً من مصدرٍ آخر. إنها غير خاضعة لإدراك الحواس. وأن الحديث يدور في هذا المقام حول المُثُل، وبصورة أدقّ حول المثل كما يصفها لنا السَفِسْتيّ. هذا ما يظهر في جلاء من المقطع التالي، وفيه يلخّص أفلاطون بكلمات القضايا التي

---

١ - (١) التيمئس ٤٨ b .

(٢) ٥١ c .

(٣) ٥١ d .

(٤) ٥١ de .

ناقشها في السُفَسْتيّ: «فالبرهان يبيّن أنّ أمرين الواحد منهما يغاير الآخر، إذا اتفق لهما أن يتدخلا، لايمكنهما أن يكونا هكذا في النهاية شيئاً واحداً وشيئين متباينين في الوقت عينه(٥)».

فهذه الجملةُ تذكرنا بمبدأ الهوية، وعليه تدور فعلاً مناقشات حوار بَرِمنِيْذسْ وحوار السَفِستِيّ. وتتبّهنا أيضاً أن الوجود موضوع البحث ههنا هو أيضاً الوجود المثاليّ.

ويقابل هذا الوجود الحقيقةُ المحسوسة، وهي على مجاراتها الحقيقة الأولى في الاسم، حقيقة تتغير وتولد وتموت في المحل. فإذا قارنا بهذه النصوص التي استقرأناها من قبل، حيث يدور الحديث حول نموذج العالم، يُضطر المرء إلى القول بأن أفلاطون يقرّ في التِيمِئس بصورة جازمة نظريّة المُثُل.

٢ - علاقة نظريّة المُثُل بنظريّة العناصر:

ولكن لماذا يُثير أفلاطون نظريّة المُثل، وهو لا يعود إليها فيما بعد، لماذا يثيرها بالضبط بشأن العناصر؟ ذاك دون ريب أن الأشكال البدائية هي من العالم المثاليّ لا من العالم المحسوس، لأنها قابلة أن تكون موضوع تحديد عقلي ورياضيّ. إذ إن المثلثات البدائية ليست فقط في الواقع غير منظورة، ولكنها أيضاً أبهى المثلثات وأكمل ما يستطيع المرء تصورّه منها(١). والإله قد حقّقها واحكمها إحكاماً(٢) على قدر مطاوعة وجود الضرورة له، بفعل المُثُل والأعداد. وبالتالي تشترك صور العناصر بطبيعة المُثل.

---

(٥) c d٥٢ .

٢ - (١) التيمئس ٥٦ c.

(٢) ن.م.

غير أن هذه الصور ليست مُثلا بجملتها. إذ إن العناصر تنطوي على شيء يستمدّ أصله من الضرورة(٣). وحضور هذا «الواقع الضروري» يفسّر لنا كون العناصر يتحوّل بعضها إلى بعض(٤). إلا أنّ الأجسام البدائية هي في الواقع صور مثاليّة وكاملة من بعض الأوجه. ومع ذلك فهي تزداد اقتراناً بالتحوّل، بمقدار ما تتكون الجواهر الكيميائيّة المختلفة وموادّ الأجسام الحيّة.

ويتدرّج هكذا أفلاطون إلى الكلام عن المجسمات البدائية، كأنها جزيئات مادية، قابلة الاهتراء والتفتت، ومعرّضة لفقدان حِدّة نتوءاتها. وهو يفسر الشيخوخة والموت بهذا الاهتراء عينه، وبتراخي الجسيمات الأولية في النخاع واللحم. وفي المقام يجري المرور من عالم المُثل إلى العالم المحسوس ويَحصل «الاشتراك».

البحث الثالث: العناصر

١ - متوالية العناصر الهندسيّة:

فلنتبع الآن أفلاطون في تفاصيل برهانه. إنه على وجه مستغرب جداً، يضمّ إلى وقائع الاختبار الأقيسة الرياضيّة. فالتراب والنار هما أول ما يُركّب. والحال أنهما بين العناصر العنصران المتضادّان أشدّ التضادّ. وقد اعتبرهما أتباع بِثَغُورَسَ والإِلِياتيّين مبدأي العناصر الأخرى.

إن المبدع سوف يشد هذين الحدّين المتطرفين الواحد إلى الآخر. وأقوى رباط يعمد إليه لذلك هو الرباط الناجم عن الواسطة الهندسيّة، أي عن معادلة

---

(٣) ن.م.

(٤) ٥٦ d.

متصلة، تكون فيها الصلة الرابطة بين الحدّ الأول والحد الوسط، نفس الصلة الرابطة بين الوسط عينه والحد الأخير بحيث نحصل على:

$$\frac{x}{t}=\frac{f}{x} \text{ أو } x^2 = ft \text{ أو أيضاً } \sqrt{ft=x}$$

وبعبارة x هي جانب مربّع فيما f و t هما ضلعا مستطيل مساوٍ.

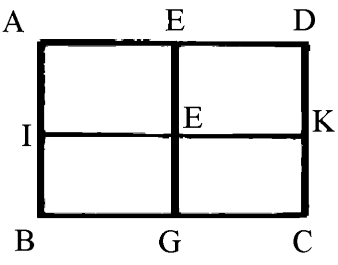
والحال، يؤكد لنا أفلاطون، أن واسطة واحدة تكفي لوصل مسطحين. بينما يلزمنا واسطتان لوصل مجسّمين. وهذه العبارة شغلت فكر الشرّاح ردحاً طويلاً من الزمن. ونحن نرى من قرائتنا اُبْرُكْلُسْ أن المهندسين القدامى ولاسيما ذِمَوُكْرِتُسَ، ما كانوا ليَقبلوا بالعبارة التي يذكرها أفلاطون.

إذ في الواقع يستطيع المرء أن يولج بين عددين مسطّحين لا واسطة واحدة هندسيّة، بل جملة واسطات. فبين المسطّين ١ و٦٤ مثلا يمكن حشر المسطّحين ٤و١٦ إذ إن: $\frac{1}{4}=\frac{4}{16}$ و $\frac{1}{16}=\frac{4}{64}$. وعلى العكس هناك حالات لا يوجد فيها بين عددين مجسّمين إلا واسطة هندسيّة واحدة. فعلى سبيل الذكر ٨ هي المتوسّط الهندسيّ الوحيد بين ١و٦٤، و٦٤ هو الوسط الهندسيّ المجسّم الوحيد بين ٨ و٥١٢. بين المتوزي الأضلاع ١×٤ و ٨×٣٢ هناك الواسطتان ١٦ و٦٤، وبين المتوازيي المستطيلات ١×٢×٤ و ٤×٨×١٦ ليس إلا واسطة واحدة: ٦٤. فكما لاحظ ذلك ابْرُوَكْلُيَس منذ أمد بعيد لا يُحتمل سوى احتمال ضئيل أن يكون أفلاطون قد جهل هذه المعلومات الجليّة.

وقد حلّ بِيْخْ هذه الصعوبة حلاً لبقاً. ففي نظره، أن أفلاطون قد طرح المسألة في شكل هندسي. ففي حالة على الأقل توجد واسطة وحيدة بين مسطّحين، وواسطتان فقط بين مجسميّين.

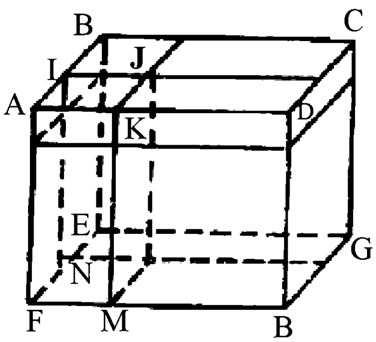
فلنفترض فعلاً مستطيلين متشابهين ABCD و AEF . ولنعتبر a ، b ضلعين للأكبر، و a و B ضلعين للأصغر. فتكون $\frac{B}{a}=\frac{a}{b}$

وبالتالي $\frac{aB}{ab}=\frac{ab}{ab}$ وأيضاً المستطيل $\frac{AEFI}{AECB}=\frac{AECB}{ABCD}$.



شكل (١)

إذن AECB هي واسطة هندسية بين AEFI وبين ABCD . ويمكن أن نبرهن على النمط نفسه أن AIHD تقوم بالمهمة نفسها والحال أن المستطيل هو AECB = AIHD . والقول هو نفسه عن المستطيلات المساوية AECB ففي هذه الحالة الخاصة إذن واسطة هندسية واحدة، أو بالأحرى كل الواسطات الهندسية فيها يساوي بعضها بعضاً.



شكل (٢)

وببراهين مماثلة يبين المرء أن بين المتوازيي المستطيلات ABCDEFGH و AIKJFLMN لا يوجد سوى واسطتين هندسيتين ولا يستحيل أن يكون أفلاطون قد هندس فعلاً بهذين البنائين. وعلى كل حال، فهو يؤكد بصورة عامة أنه لابد أن نحصل، بما أن العالم مجسّم، على المعادلة التالية:

$$\frac{e}{t}=\frac{a}{e}=\frac{f}{a}$$

فنقول بلغتنا الحديثة إن المعلّين المطلوبين توفرهما لنا الجمل التالية:

$$\sqrt[3]{ft^2} = e; \ \sqrt{f^2 t} = a$$

وهذه الجمل تقابل مسألتي المجسمّات: ١ ً - إذا فرضنا أن ضلع مكعب هو a ، فالمطلوب بناء موشور مستقيم علوه t وقاعدته f؛ ٢ ً - إذا فرضنا مكعباً ضلعه e، فالمطلوب بناء موشور قائم علوه f وقاعدته t. وهاتان المسألتان أعمّ على كل حال من المسألة التي يطرحها أفلاطون. وسوف نرى فيما بعد أنه من الصعب جداً أن نوفِّق بين المعطيات السابقة وبين المعلومات العددية، المتعلقة بالمثلثات الأولية(١).

٢ - المثلثات الأساسية :

لما كانت الأجسام الأولية من الجوامد، وحوت العمق في ذاتها، حدّتها المسطحات. والحال أن كل مسطح يتألف من مثلثات أو يتحلل إلى مثلثات. وبكثير من الغرابة، يطبق أفلاطون في هذا المقام مبادئ قياس المساحات العملي.

وكل المثلثات في دورها تنشأ عن صنفين من المثلثات، لكل منهما زاوية قائمة وزاويتان حادتان. والواحد أضلعه متساوية والثاني متفاوتة. فالأول المتساوي الساقين هو دوماً شبيه بذاته. ولا يشتمل من ثمّة إلا على نوع واحد. أما الثاني فهو يشمل أنواعاً لا تحصى. وأفلاطون يختار من هذه

---

(١) بشأن هذه النظرية كلها انظر :

A. Boeckh. Deplatonica corporis mundani

fabrica, dans Gesammelte KL. Schr. Leipzig, 3, 1866, p. 229 sq.

p. Duhem. Le système du monde, I, 1912, p.29-30.

المثلثات نوعاً يحدده بهذه الكلمات (٥٤ d): «وعنه ينشأ ثالثاً المثلث المتساوي الأضلع». وقد برهن بِيْخْ بصورة قاطعة أن عبارة ek tritou أو ek triton لا تعني إلا «ثالثاً». وقد اختلف الشرّاح في فهم معناها.

ينشأ إذن ضرب ثالث من المثلثات هو المثلث المتساوي الأضلع، الناجم عن مثلث فيه الضلع الأصغر مساوٍ لنصف الوتر (٥٤ b). وفي هذا المثلث تربيع الضلع الأكبر هو دوماً ثلاث مرات تربيع الأصغر[١]. ويمكن أن نبرز البناء الذي يشير إليه أفلاطون على الوجه التالي. فلنفرض أن a الوتر وأن b الضلع الأكبر، وأن c الأصغر. فيكون لدينا:

$$3c = b^2, \frac{a}{2} = c$$

والحال طبقاً لنظريّة بِتَغُورَس، أن $c^2 + b^2 = a^2$. ولكن إذا كانت $3\,c = b^2$ فلدينا: $c^2 + 3c = a^2$ أو $\sqrt{3c + c^2} = a$. ونحن نلاحظ أنه لابد من إيجاد مثلّث قائم الزاوية بأعدادٍ صحيحة. إن إقْلِيدِس يدرس مثل هذه المشكلات في الباب الثاني من كتاب العناصر (١:٤٢٨:٧) بيد أن ابْرُوكْلُيسْ في شرحه كتاب إقْلِيْدِس ينسب إلى أفلاطون حلّ إحدى تلك المشكلات. وهي التي تلقى حلّها بالجملة التالية.

$$(1 + n^2)^2 = (1 - n^2)^2 + (2n)^2$$

وأفلاطون يعتبر أن الخاصتّين التاليتين بيّنتين من الوجهة الهندسيّة:

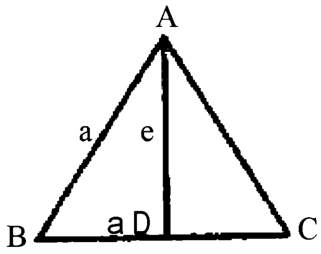
١ - إذا ضمّمنا مثلّثين قائمين متساويين، فيهما الوتر ضعف الضلع الأصغر، إذا ضممناهما من جهة ضلعيهما الأكبرين، فنحن نؤلف عندئذ مثلّثاً متساوي الأضلُع.

---

٢ - (١) في معنى كلمة ذِيْنَمِسْ الرياضي، انظر

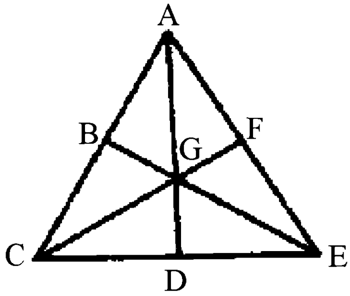
Th. Lheath, Diophantus of Alexandria. Cambridge, 1910, p.38, note l.

وفعلاً إذ إنّ الزاويتين ADB و ADC قائمتان، فالخط BCD مستقيم. و AB = AC و BD = CD . والحـــال أن AD نصف . BC = AC = AB



شكل (٣)

٢ - في المثلث القائم الزاوية الذي وتره ضعف الضلع الأصغر، تربيع الضلع الأكبر هـــو ثلاث مرات تربيـــع الضلع الأصغر.



شكل (٤)

وفعلاً لنفرض أن a هي الوتر، وأن b و c هما الضلعان فإذا كانت $a = 2c$ و $a^2 = 4c^2$. ولكن حسب نظرية بِثَغُورَسْ $a^2 = b^2 + c^2$. إذن $b^2 = 3c^2$.

ويبني أفلاطون بواسطة ستة مثلّثات من هذا النَمَط مثلّثاً جديداً متساوي الأضلع.

فلنفرض أننا نضم مثلثين قائمي الزاوية مختلفي الأضلاع من النمط المذكور. وأننا نضمّهما اثنين سواء من ضلعيهما الأصغرين أو من وتريهما. فإن أعدنا هذه العمليّة ثلاث مرات على ستة مثلثات، نَحصل على مثلث متساوي الأضلع، يؤلفه ستة مثلثات مختلفة الأضلاع أو ثلاثة مثلثات متساوية الأضلع(٢) [هكذا].

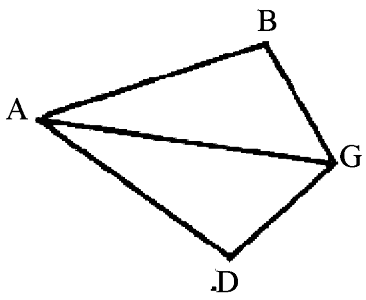
وفعلا فلنضمّ ABC إلى CGB بضلعه الصغير GB، ثم CGB إلى CGD بوتره CG، وهكذا. فالزوايا في G المقابلة للأضلع الكبيرة من المثلثات، هي زوايا

---

(٢) يريد المترجم الفرنسي: وهذا هو الصحيح، ثلاثة مثلثات كل منها متساوي الساقين، لأنه لا سبيل إلى ضم ثلاثة مثلثات متساوية في مثلث واحد. (المعرب)

قائمة لمثلثات متساوية الأضلع (هكذا)[٣]. وبالتالي فهي تؤلّف إذا جمعت ثلاثها معاً زاويتين قائمتين، وإذا جُمعت ثلاثها معاً زاويتين قائمتين، وإذا جمعت ستّها معاً أربع زوايا قائمة. ومن ثَمّ يندمج وتر المثلث الأخير ووتر الأوّل. والزاويتان ABG و GBC هما قائمتان. والخط AC مستقيم. وهكذا نبرهن أن الشكل ACE هو مثلث، وأنّ الجوانب AC و CE هي متساوية.

هذا، ويمكن أن نعرض البرهان نفسه على وجه آخر. إذا جمعنا مثلثين قائمي الزاوية ABC و ADC من جهة وتريهما فالشكل الناشئ هو شكل رباعي متوسطته الوتر المشترك. وجمع ثلاثة أشكال رباعيّة من هذا النمط، تُضمّ من جهة أضلاع المثلثات الصغرى، يعطينا مثلثاً كبيراً متساوي الأضلاع، ناشئ عن ضمّ ثلاثة أشكال متوازية الأضلاع، تلتقي متوسّطاتها في نقطة كأنها وسط الشكل. (رَ شكل ٤).



شكل (٥)

٣ - المجسَّمات الأوّلية:

وسوف يعمد أفلاطون إلى هذه المثلثات لبناء مجسمّاته البدائيّة: ذوات الأوجه الأربعة أو الثمانية أو العشرين والمكعّب.

١ً – الرباعيّ الأوجه: إذا جمعنا ثلاثة من المثلثات المتساوية الأضلاع من ثلاث زوايا مسطّحة، حصلنا على زاوية مجسّمة قيمتها أصغر مباشرةً من قيمة أضيق زاوية مسطّحة. والحال أن أضيق زاوية مسطحة، هي الزاوية

---

(٣) راجع الحاشية السابقة.

التي تختلف قيمتها عن قيمة زاويتين قائمتين، أو الزاوية ذات ١٨٠°، بقدر أصغر من أيّ قدر يُعطى.

ولكن ثلاث زوايا مسطّحة كل واحدة قيمتها ٦٠° تعطي ١٨٠°. فكل زاوية مجسمّة من الشكل الرباعي الأوجه، وهو أول شكل من المجسمّات البدائية، تؤلفّها إذن ثلاث زوايا مسطّحة قيمة كل منها ٦٠°. ويضيف أفلاطون أن من خصائص الرباعيّ الأوجه، أن يَقسم إلى أجزاء متساوية مؤتلفة كل سطح الكرة التي يُرسم فيها (55 a). والسطوح التي تحدّ هذا المجسّم الأوّل، تؤلفّها بجملتها أربعة وعشرون مثلثاً بدائياً.

٢ً - الثمانيّ الأوجه والعشرون وجهاً: والنوع الثاني من المجسّمات، أي الثماني الأوجه (55 a)،له ثمانية أوجه مثلثة وست زوايا مجسمّة. ويتألف من ثمانية وأربعين مثلثاً بدائياً. والنوع الثالث أي العشرون وجهاً، يشمل عشرين وجهاً مثلثاً، ومئة وعشرين مثلثاً بدائياً واثنتي عشرة زاوية مجسمّة. تحدّ كلا منها خمسة سطوح.

٣ً - المكعّب: إنّ المكعب تؤلّفه مثلثات قائمة الزوايا متساوية السوق متقابلة الرؤوس. فالمكعّب يحوي إذن أربعةً وعشرين مثلّثاً متساوي الساقين، وثماني زوايا قائمة مجسّمة تحضن كلا منها ثلاثةُ أوجه متعامدة (54 e).

٤ - صعوبات هذا البناء:

إن النصوص التي بين أيدينا تثير مشاكل عدّة خطيرة.

١ً - لقد رأينا من قبل أن العناصر الأربعة توحّد بينها ضرورةً معادلة من نمط المعادلة التالية: $\frac{f}{a}=\frac{a}{e}=\frac{e}{t}$ ومن ثمَّ لابد أن توجد علاقة من هذا النوع إما بين أعداد السطوح الحاضنة المسربلة، وإما بين أعداد المثلّثات أو

السطوح التي تحدّ الزوايا. والحال أننا إذا لملمنا المعلومات التي يوافينا بها أفلاطون فنحن نحصل على اللوحة التالية:

	السطوح	الزوايا	السطوح حاضنة الزوايا	المثلّثات البائية
الرباعيّ الأوجه :	٤	٤	٣	٢٤
الثماني :	٨	٦	٤	٤٨
«العشرون وجهاً»:	٢٠	١٢	٥	١٢٠
المكعّب :	٦	٨	٣	٢٤

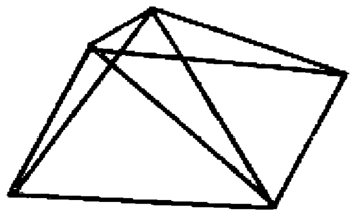
ولا سبيل لأن نعثر في أحد هذه الأعداد، على المعادلات التي أشرنا إليها في جملتنا السابقة. ويقترح جلبرت(١) O. Gilbert أن نراعي أعداد السطوح الحاضنة الزوايا المجسّمة في الأشكال البدائية (العمود الثالث). إذ يمكن فِعلاً بواسطة هذه الأعداد أن يؤلف المرء مطلع اضطراد عددي: ٣ -٤، ٤ -٥، ٤ -٥، ٥ -٦. إلا أن الحدّ الأخير من هذا الاضطراد، لا يُحصل عليه إلا إذا حسبنا ستة سطوح لنحصر زوايا السداسيّ الأوجه أو المكعّب. وهذا فعل اعتباطي إلى حدّ كبير. وعلاوة على ذلك، فقد علمنا أنّ أفلاطون يتكلم عن اضطراد هندسيّ.

٢ ً - ويشرح لنا أفلاطون فيما بعد (b56) أن كل (عشرين وجهاً) من الماء، يولّد إذا تفكّك، رباعي الأوجه من النار واثنين من ثمانيّات الأوجه من الهواء، وأن ثماني الأوجه من الهواء يتحلل إلى اثنين من رباعيّات الأوجه من النار، وأن جزئين ونصفاً من الهواء تنشئ جزءاً (عشرين وجهاً) من الماء. فلنتأمل مثلا ثمانيّ أوجهٍ من الهواء. إن اثنين من رباعيّات الأوجه

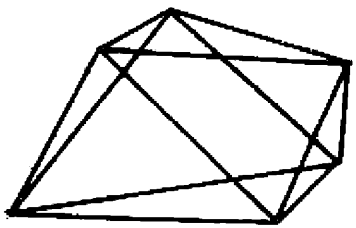
---

٤ - (١) Die meteorologischen Theorien, p. 167-168 .

لا يقابلان حجم ثمانيّ الأوجه. ويستحيل أن يُقسّم ثمانيّ الأوجه إلى اثنين من رباعيّات الأوجه. وثمانيّ الأوجه يُقسم، طبقاً للجملة الرابعة عشرة من الباب الثالث عشر من كتاب افْكِليْدِسْ، إلى هرمين رباعيّي الزوايا، ضُمَّ الواحد إلى الآخر من جهة قاعدته. إلا أن هرمين أو رباعيّي الوجه إذا ضُمَّ الواحد إلى الآخر ينشئان سُداسيَّ الأوجه. وهذا الشكل لا يَمثل في لائحة المجسّمات الأوليَّة.



شكل (٧)



شكل (٦)

«والعشرون وجهاً» لا يمكن أن يُقسَّم هو أيضاً إلى اثنين من ثمانيّات الأوجه وإلى رباعيّ واحدٍ من رباعيّات الأوجه.

فهل نرد غموض نصوصنا إلى جهل أفلاطون في علم المجسّمات؟ صحيح أن أفلاطون يبدو وكأنه يقول في الجمهورية (٧: ٥٢٨a) إن بناء المجسّمات لم يحقّق بعد، وهو يشكو في ذلك لا مبالاة الدول «ولكن سوف نرى أن القوم كانوا قد حصلوا، في عهد تأليف التيمئُس على بناء المجسّمات المنتظمة، كما هي واردة في الباب الثالث عشر من كتاب العناصر[٢]. هذا ولا يحتاج المرء إلى معلومات وافرة في علم المجسّمات كي يلاحظ أنه لا يمكن إنشاء ثمانيّ الأوجه من ضمّ اثنين من رباعيّات الأوجه. إذ يكفي

(٢) راجع الفقرة التالية: اتساع معارف أفلاطون الرياضية.

لذلك، النظرُ إلى أحد النماذج المنحوتة في الحجر أو الخشب، وقد أجاد استعمالها خيرَ إجادة عند اليونان، علماءٌ الهندسة وفنّ البناء.

٣ ً - إن الرباعيّ الأوجه أو الهرم هو صورة النار البدائيّة، والثماني الأوجه هو صورة الهواء، و«العشرون وجهاً» صورة الماء، والمكعّب صورة الأرض. وأفلاطون شأن ذِموكرِتُس، يقول ببعض التجانس بين الأشكال وبين الخصائص الحسيّة في العناصر المقابلة. ولكن هل تنشأ الصفات الحسيّة عن فعل الأشكال لا غير؟.

إن أرسطو ينتقد النظرية الأفلاطونية انتقاداً مستغرباً(٣). ويقول إن كانت الأجسام مركّبة من مساحات، وهذه من خطوط، والخطوط من نقط فلا يكون للأجسام ثقل إلا إذا كانت المساحات والخطوط، ومن ثمّ النقط، ثقيلة. ولكن لا يعقل أن نتصوّر نقطاً ثقيلة. ويبرهن أرسطو على هذا الموضوع معتمداً على نظريّته الخاصة في الثقل(٤). ثم يضيف: «وعلاوة على ذلك، إذا كانت الأجسام تزداد ثقلاً بتزايد مساحاتها (أي وجوهها)، كما يُبسط ذلك في التيمئٍس، فمن الواضح أن الخطّ والنقطة يحرزان هما أيضاً ثقلاً ما(٥). ويشير أرسطو إلى مقطع في التيمِئُس، يعلن فيه أفلاطون أن النار هي أخف العناصر، لأنها مركبة من أصغر الأجزاء (٥٦ a b).

ولكنّا سوف نرى فيما يلي، أن أفلاطون لا يعمد البتة إلى الأشكال الأوليّة في ما يعطي عن الثقل من تفسير، وأن نظريته في الثقل تشابه أكبر تشابه نظريّة أرسطو نفسه. إن حوار التيمِئُس يعرض لنا الثقل والخفة بمثابة خاصتين نسبيتين ترتبطان بطبيعة المكان (ن.م).

---

(٣) ر كتاب السماء ٣: ١: ٢٩٩ a - ١٥ b .

(٤) ن. م ٢٩٩ a : ٣٠ وهذا تعريب نص أرسطو: «ومن الواضح المؤكد أن النقطة لا يمكنها أن تحرز ثقلاً».

(٥) ن.م: ٢٢٩ b: ٣٢.

وفي مثل هذه الحال، نفهم تردد الشرّاح المعاصرين وحيرتهم، فاتُسِلِر(٦) يعتمد على نصوصنا هذه، ليدّعي أن المادّة الأفلاطونيّة تُردّ إلى الامتداد أو إلى معالم أو خصائص هندسيّة محضة. أما توما مَرْتَان(٧) فيحسب أن أفلاطون لا يتوقّف إلى عند السطوح المغشِيّة أو القشرة التي تكتنف الأحجام. ويرى أن هذه السطوح هي «صفحات رقيقة من مادّة جسميّة»(٨).

وإيفا سَاخْسْ Eva Sachs توافق على تفسير مماثل(٩). غير أن أرّشيهٍ هانْد يظن على عكس ذلك، أن المجسّمات الهندسية تغلف جوهراً مادياً يفسر خواصها الطبيعية(١٠). ولكن لم يستطع ولا واحد من أولئك الكتاب أن يمحو تناقضات التعليم الأفلاطوني الظاهرة.

ونحن إذ نطرح على أفلاطون هذه الأسئلة الدقيقة، ربما نتطلب منه دقة كاملة لم يستطع ولم يشأ إحرازها دونما ريب. ونظرية الأشكال البدائية معدّة في النهاية، لتفسر لنا كيف يلج النظام في فوضى الصفات وفي تشويشها المائج. فهذه الأشكال بخصائصها المحدودة غير المتحوّلة تؤتي الصيرورة شيئاً من الاستقرار. ولكن هذه الأشكال لا تكوّن جوهر الصيرورة الذي يلبث ناشئاً عن الصفات المتحوّلة. وبالتالي كل خصائص الأجسام، وكلّ ظروف استحالاتها لا تُفسَّر بالميزات الهندسيَّة التي انطبعت عليها الأشكال الأولية. وبين هذه المعالم الرياضية يتبقّى شيء مستعصٍ لا يتحوّل، ألا وهو الصفات نفسها. ولكن هنالك تجانس بين الأشكال وبين الصفات التي تقرها الأشكال.

---

(٦) ٢: ١ ص ٨٠٠ وما يلي.

(٧) ك. م٢، ص ٢٣٩ وما يلي.

(٨) ص ٢٤٢.

(٩) ك.م، ص ٧١٢.

(١٠) ص ٢٠٢.

فطبيعيّ أن يكون للنار أطراف حادّة، وأن تتألف من أصغر العناصر وأرشقها. وبين هذه الخفّة التي يفسّرها تنسيق الكون جملةً، وبين تلك الرشاقة المرتبطة ببِنية المجسّمات الأوائل، هنالك ارتباط نستشفه، دون تمكننا من متابعة استنتاجاتنا الرياضية بمنتهى الدّقة. فكيف نستغرب عجزنا عن بناء اضطراد مضبوطٍ كامل للعناصر؟ ألا تتدخّل الصيرورة في الأمر لتشوّش حساباتنا وتدّس الخطا في نتائجها؟ فحسبنا وهذا أمر جلل، أن نكون قد استجلينا قليلاً سنّة النظام والقياس، التي لا تفتأ تعمل خلال اختلاط الظواهر المنظورة.

٥ - اتساع معارف أفلاطون الرياضية:

حسب نصّ الباب السابع من كتاب الجمهوريّة، ذاك النصّ الذي ذكرناه من قبل، لم يكن بناء المجسّمات المتعددة الأوجه المنتظمة قد تحقّق بعد في عهد أفلاطون. بيد أن التيمِئُس يفرض أن هذا البناء يعرفه القارئ. ونحن نجد في عناصر إفْكْلِيذس الجمل المتعلّقة بالمجسمات الأربعة الأولية. والجملة الأخيرة من الباب الثالث عشر(١)، والجملة الحادية والعشرون من الباب الحادي عشر تقول: «إن كلّ زاوية مجسمة تحدها زوايا مسطحة، مجموعها أقل من أربع زوايا قائمة». وميزة تقسيم مساحة الكرة المحصورة التي يذكرها أفلاطون في كلامه عن رباعيّ الأوجه، ليست سوى تعريف المجسم المنتظم في الجمل الاثنتي عشرة وما يليها من الباب الثالث عشر من كتاب إفْكْلِيذس. فيبدو إذن إنّ التناقض قائم بين نصّ الجمهورية ونصّ التيمِئُس. هذا، وبناء على تقليد قديم، قَبل به من بعد بيِيرْ تانّري، كلُّ مؤرّخي الهندسة، من المحتمل أن تكون نظريّة المجسّمات الخمسة المنتظمة المتعددة الأوجه من

---

٥ - (١) هيبرج، ٤، ص ٣٣٨. ر ما قبل، الفقرة: ٤ - صعوبات هذا البناء.

استنباط البِثَغُوريّين. وقد نماها إليهم اسبيفسِبس والكصَنَدْرس بلهيستير ويمْفلِكس ومؤلف «الحساب الإلهي» وابْرُكْلس وسمبلتشيُس وجملة مؤلّفين آخرين جمعت إيفا ساخْس شذراتهم. ونصّ لابْركْلسْ على الأخصّ يؤكد أن بِثغورَس قد اكتشف تركيب الأشكال الكونيّة الخمسة(٢). وبما أننا نقبل عموماً، من بعد تانري أن ابْروكلس في مصنفه «فِهرست المهندسين» قد استعان «بتأريخ الرياضيات» لإيْفذِمس عن طريق أحد أصحاب المجاميع، وقد يكون جِمينُس، فإن اكتشاف المجسّمات الخمسة المنتظمة قد يرجع على الأقّل إلى المدرسة البِثغورية إن لم يرجع إلى بِثغورس نفسه. ولكنّ فوغْتْ Vogt قد برهن، وتبعته في ذلك ايفا ساخْس، أن ابْروكلس لم يستعن مباشرة بايفذمس، بل ربما بميفْلكس(٣). وفضلاً عن ذلك من المرجّح جدّاً أن المقطع السادس من مقطوعات فِلولَوسْ الذي يذكر المجسّمات الخمسة المنتظمة هو منحول. ويبدو أن برنِّت قد أثبت ذلك جيّداً(٤).

فإذا راعينا الظواهر، لا بدّ أن يعود بناء الأشكال الخمسة المنتظمة المتعددة الأوجه لا إلى البِثَغوريّين بل إلى ثئيتِتس صديق سقراط وأفلاطون على ما يُعلمنا سُويْدس وعلى ما تشير إليه التعليقات على كتاب افكليْدس(٥): «في الباب الثالث عشر هذا يُبنى ما يدعى بالمجسّمات الأفلاطونية الخمسة.

---

(2) In Euclid. 65,15 Friedlein.

(3) Eva Sachs, Die fünf Platonischen Korper. Zur Gesch. der Mathematik und der Elementenlchre Platons under Pythagoreer. Philologische Untersuchungen, herausg. Von a. kiessling und U.V. Wilamowitz- Moellendrof, Berlin, 1917,8, p. 9 et sq. Cf. Jamblique, Vita Pythagori, 88.

(٤) فلولؤس، مقطوعة ٦: (Vorsokr, 3, 32 B, 12) «وأجسام الكرة أربعة في العدد النار والماء والتراب والهواء. وهذه كلها في الكرة والجسم الخامس ألكاس هو سائق الكرة». راجع .Burnet, Early greek Philosophy 3, p. 248- 303.

(5) Scholia in Euclid. X 111, Haiberg, p. 654, 1-10.

وهي ليست من أفلاطون نفسه. لأن ثلاثة من المجسمات الخمسة التي ذكرناها هي من بِثغورَسْ: المكعَّب والهرم والاثني عشريّ الوجوه. أما «الثماني الأوجه» «والعشرون وجهاً» فهما من ثئيتتس. وقد سُميَّت بالمجسّمات الافلاطونية، لأن افلاطون يأتي على ذكرها في التيمئس. والباب الثالث عشر هذا يحمل اسم افكليذِس لأن افْكليذِس، قد أفسح لها مجالاً في عناصره».

ويُحتمل أن يكون نصْ التعليقات على افْكليذِس هذا مأخوذاً عن بابُس Pappus. وقد كان هو نفسه يستفيد من تاريخ الرياضيات الذي وضعه ايفْذِمس. وما قد يدعو إلى الدهشة أن بناء الاثني عشري الوجوه، وهو أصعب من بناء الثمانيّ الأوجه والعشرين وجهاً، يكون قد عُرف قبل بناء هذين الأخيرين. ولكنّنا نرى حتى أيامنا هذه في متاحف مختلفة اثني عشريات حجريّة منتظمة أصلها اترُوشيّ او سلتْيّ، وتُردُّ إلى عهد سحيق[6]. ولا يستحيل قطعاً أن ينحدر الباب الثالث عشر من كتاب افْكلِيذِس برمّته عن تعليم ثئِتتُس.

وفي النتيجة، كان بناء الأشكال الهندسيّة الخمسة المنتظمة، التي اعتمدها حوار التيمئس، كان ذلك البناء، على الأقل في بعض أقسامه، حدثاً رياضياً. ولا ريب أنه كان قد حُقّق منذ عهد قريب، عندما ألف أفلاطون حواره. وهو يؤكد ذلك بجلاء كامل[7]. وقد وُفق ثئِيْتتُس إلى اكتشافاته بعد أن كان أفلاطون قد أنجز تأليف الباب السابع من جمهوريته. وقد بادر أفلاطون لولعه الخاص بالأحداث العلمية، إلى الاستفادة منها في التيمئس حالما اطلع عليها. ولذا يبدو من حين إلى آخر أنه يتبجّح ببسط علم فارغ. وايفا ساخْس تلومه لأنه يأتي على ذكر تعريف المجسّم المنتظم، في موضعٍ، لا يفيد هذا

---

(6) Burnet, o.o. p. 284, R. Newbold, Archiv. 19, p. 204.

(٧) ٤٨ b وهذا تفسير نص أفلاطون الذي لا يشير لسوء الحظ إلى الأشكال الهندسية بل إلى العناصر: «ولم يدلنا بهد أحد على أصلها ومولدها». (المعرّب)

الذكر فتيلاً. إلا أنها أساءت فهم نوايا الفيلسوف، وهو معنيّ بصدد الرباعيّ الأوجه أن يظهر انتظام الأشكال البدائية المثاليّ، ومسرور أن يُثبت بمثلٍ، يُحفظ للذكرى والتاريخ، أهمية إشغال أصدقائه (العلميّة).

البحث الرابع: الأحداث الجويَّة

إن حوار التيمِئُس ينطوي على مستهلّ علم الأحداث الجوية بمعناها القديم. وعلى إيجاز تلك الخطوط العريضة المفرط، وعلى غموضها الكبير، فالمرء مع ذلك يتبيّن نظريّات عدة، سوف تملأ الباب الثالث من كتاب علم الأحداث الجوية لأرسطو، وهذه النظريّات عينها سوف تكون إلى العهد الحديث أساس علم المعادن وعلم الكيمياء. وتلك المعلومات كانت تقليديّة، تعود في قسط وافر منها إلى الفيزياء الإيونيّة. ويصعب علينا اليوم أن نميّز فيها العناصر المستحدثة من القديمة.

تنوّع العناصر

يبتدئ أفلاطون بملاحظة عامّة وهي أن هناك صنوفاً كثيرة لكلّ من الأجسام البدائية. ويفسِّر تعدّد تلك الصنوف، بوجه عام، باختلافات الشكل الطفيفة وفقدان الانتظام في المجسمات المكونة الأساسية (٥٧ c).

١ - النـــار:

توجد ثلاثة أنواع من النار: اللهيب المحرق والضوء وبقايا اللهيب المتأججة. ويظهر لنا أن كلمة افلوكس لم تحظ بمعناها العلميّ إلا في عهد أفلاطون. وهو لا يستعملها إلا في التيمِئُس للدلالة على اللهب. وسوف يُعرف

ارسطو اللهيب دخاناً أو غازاً مشتعلاً[١]. وآخر نوع من النار هو «ما يتبقى من اللهيب في الأجسام المشتعلة، بعد انطفاء اللهيب». وذلك ليس اللهيب على قول جِلْبِيرٍ O. Gilbert[٢]. وما من داع إلى انتقاد روح التمحيص عند أفلاطون. إنّه النار الكائنة في جسم يحترق، لا ينطلق منه لهيب ما، نظير الحديد المتوهج أو الحجر المتأجّج.

٢ - الهواء:

يميز أفلاطـــون نوعين من الهـــواء : الأثير ، وهو ، على غرار أمبِذُّكْليس[١]، يقارنه بالهواء وليس بالنار. ثم «الضباب» المدلّهم. وهذا الضباب هو في هذا المقام، شأنه عند هُوْمِرُسْ، ضرب من الهواء. وكل مرة يتكلم أفلاطون عن الأثير فهو يماثله بالهواء. إنه على ما نطالع في حوار فِيذُن (١٠٩ b)، من السماء الأرجاءُ الصافية جداً، حيث تركن الكواكب. فالأثير أنقى من الهواء بكثير، وله خواص مماثلة. إنه بالإضافة إلى الكواكب ما الهواء بالإضافة إلينا (١١١ b). وقد عدل تلاميذ أفلاطون عن وجهة النظر هذه، واعتبروا الأثير من جديد صنفاً من النار[٢].

٣ - المـــاء:

إن درس أنواع الماء هو درس أوسع. فأفلاطون يذكر نوعين من الماء، الواحد سائل والآخر «قابل للسيلان»[١].

---

١ - (١) دخان مشتعل، كتاب السماء ٤:٢: ٣٣١ b، ٢٥، وكتاب الأحداث الفلكية ١: ٤: ٣٤١ b، ٢١.

(٢) ك. م. ص. ١٧١.

٢ - (١) رَ امبِذُ كْلِيس (Vorsokr, 3,1,p. 241, 15).

(٢) التعقيب على الشرائع ٨٩١ e.

٣ - (١) كلمة ختون وضع علمي للدلالة على المعادن القابلة للامتداد. والتيمئس ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٦.

ونحن لا نجد هذا التصنيف عند الكتاب الأقدمين. لكن أرسطو قد تبنّاه. إذ إنه هو أيضاً يعدّ المعادن القابلة الذوبان موادّ شبيهة بالماء، لها والماء صفات مشتركة وتختلف عنه بصفات أخرى[٢].

فلنظرية أفلاطون هذه النتيجة المستغربة، وهي أن الماء مبدئياً من الجوامد، وهو لا يسيل إلا بفعل النار نظير المعادن. فالثلج والجليد والبَرَدُ والمعادن هي سوائل متجمدة. ولسوف يحافظ علماء اليونان على هذه النظرة المستهجنة، التي نلقاها هي نفسها عند كيميائيي الأجيال الوسطى. إلا أن المعادن أثبت من السوائل، وهي تحوي كمية أقل من النار، لأن مثلثاتها الأساسية أكبر. وبين أصناف الماء الماويّات لها أهميتها الخاصة، وما ذلك دونما ريب إلا بسبب قيمتها الغذائية. وكلمة خمُوسْ الواردة في التيمِئُس، لا يُعثر عليها في الحوارات الأخرى. ولايثبتها بهذا المعنى قبل أفلاطون سوى غُرْغِيَس[٣] وابْرُذِكُس. فهي عندهم مرادف خِلُوْسْ[٤].

٤ - التراب:

خلافاً للعناصر الأخرى، ليس للتراب من أنواع خاصة. وإنما تنتج أصنافه عن نسبة الماء والنار، وعن وفرة هذين العنصرين أو قلّتهما فيه.

---

(٢) كتاب الأحداث الفلكية ٣: ٣٧، ١٥ - ٣٧٦، ٢٧٠.

(٣) غُرْغِيَّس في مديح هيلانة ١٤ (Vorsokrateker, 3,2, p. 253,14).

(٤) إن كلمة خِلُوس تعني بلغة الطبْ الأخلاط وبلغة النبات الماوية أولاً والعصير، وكلمة خمُوس تعني عصارة اللحم خصوصاً، وأي عصير، والأخلاط أيضاً، ولـذة الطعـام وذوق الأشياء واستذواقها. ثم تمازجت كل هذه المعاني عندهم فـي الكلمتـين علـى السواء. (المعرّب).

وفعل الماء في التراب يحدث بصورة عويصة متشابكة بعض التشابك. فالماء الخارق التراب، لا يلبث أن يُطرد منه في قسطه الأكبر بضغط الذرّات الترابية. فينضج التراب الماء ويندى سطحه ويتبخر الماء ويتحول جزئياً إلى هواء. وهذا الهواء في نوبته يضغط طبقة الهواء الملاصقة التراب، والتراب نفسه كردّ فعل. والضغط يؤتي التراب كثافة وقساوة ونشوفة، بحيث تتكون على سطحه قشرة متراصة يابسة. وهكذا تتولد أصناف الحجر الصلب المختلفة (٦٠ b، ٨٠ a).

وتدخّل النار يشرح تكوّن الآجر (٦٠ c). وتظهر أخيراً الأملاح أو المواد الذائبة، عندما تفارق بعض ذرّات التراب، مفارقة موقتة، كمية من الماء كانت تحفظ تلك الذرات في حالة ذوبان، فتجمد جزئياً لتعود وتذوب بعد ذلك في الماء (٦٠ d). وفعل النار هو الذي يسوِّد حجارة كثيرة. هذا، ولا يسهل أن يعين المرء بدقة الأصناف المعدنية التي يميزها أفلاطون. وبعد هذه الشروحات بقليل، يجد القارئ توسعاً غريباً في موضوع «الماويّات» أو المزائج السائلة كالخمر والزيوت والعسل والصموغ[١].

إن هذا القسم كلّه من حوار التيمئس يُلخص على الأرجح معلومات فنيّة أنسها معاصرو Hفلاطون، واستفاد منها أرسطو نظيرهم في كتاب الأحداث الفلكيّة[٢]. والصبغة الآلية في كثير من تلك الإشارات، يذكّرنا بِذمِر كْرِتُس

---

٤ - (١) إن أفلاطون يخص بالذكر (٦٠ a) زيت الخروع: ككي kiki. وهذه الكلمة لا تدل على الشجرة، بل على الزيت الذي يستخرج منها: هروذتُس ٢: ٤٩، واسترافن ١٧: ٢:٥. راجع لشارل بُوجيه Charles Beaugé، الخروع واستخداماته الطبية في مصر القديمة Archives médico- chirurgicales de provinces. 1924.2. p. 67.

(٢) مثلاً كتاب الأحداث الفلكية ٤: ٦: ٣٨٣ a ٢١، نظريات أرسطو في تكوّن الآجر.

كما يعيد إلى ذهننا أشغال بعض السُفِسْتيّن وعلى كلٍّ، لا يسترسل أفلاطون في هذه الموضوعات. لا بل يهمل تماماً درس الأحداث الفلكية المختلفة التي نالت حظّاً وافراً من دراسات سابقيه. ذاك أن البلوغ إلى التنقيب عن الطبيعة البشريّة يستحثه دونما ريب. وتلك الطبيعة على ما رأينا، هي هدف أبحاثه الرئيسيّ.

الفصل السّابع

روح الإنســان وجســده

البحث الأول: الروح البشرية

الروح في التِيمِئس كما في سائر مؤلفّات أفلاطون، هي أصالةً مبدأُ الحياة، أي مبدأ حركات منظمّة وموجّهة نحو غايةٍ معيّنة. فكلّ ما يحيا، أي كلّ ما يتحرّك في انتظام حركةً ذاتيّة، ما خلا العناصر، يحرز روحاً. وهذا لا يفرض حتماً أن تكون الروح ماثلة في كلّ أجزاء الأجسام الحيّة بالنسبة ذاتها.

بيد أن طبيعة الروح البشرية لا تبحث في حوارنا هذا إلا على صعيد تربويّ وأخلاقيّ خصوصاً. أما الاعتبارات النفسانيّة فلا تشغل في عرض أفلاطون إلا محلا زهيداً. فنظريّة الإحساسات مثلاً تُبسط كلّها دون ذكر الروح، غير مرّةٍ واحدة في معرض الكلام عن السماع (٥٧ b).

١ - أقسام الروح:

إن حوار التِيمِئس يميز ثلاث لا بل أربع أرواح مختلفة. فهناك أولاً «المبدأ الذي لا يموت في الحيوان المائت» (٤٢ e). وقد صوّره الصانع

نفسه، ليودعه بعد ذلك في أيدي الآلهة الثانوية، المكلّفة بصوغ الأجسام الحيّة (٤١ d، ٤٢ e، ٤٣ ade). وهذا المبدأ، على كونه غريباً عن الجسد، يتحكّم مع ذلك في بنيانه، لأن وظيفة الجسد الجوهريّة هي أن يخدم المبدأ الروحيّ بمثابة عجلةٍ له (٦٩ d). والحال العنصر الغير المائت من الروح البشريّة هو مماثلٌ كلّ المماثلة روحَ العالم. فهو كرويّ مثلها، وينطوي نظيرها على دائرة "الشيء ذاته" ودائرة "الآخر". وله على غرارها دوراته، بعض منها يتعلّق بالكيان، والبعض الآخر بالصيرورة (٤٣ a، ٤٧ d، ٩٠ d). ولكن خلافاً لما يحدث لروح العالم، يتمكّن تأثير الأشياء الخارجية من الإخلال بتلك الدورات، وذلك على وجهين (٤٧ bcd، ٩٠ d)، لأن فيض الغذاء وجريان الإحساسات المتواصل يسبّب لدورات الروح البشريِّة ضروباً وألواناً من التشويه والتشويش. بيد أن تركيب الروح البشريّة العليا، إذا ما استثنيا الأمور المشار إليها، هو ذات تركيب روح العالم.

وأفلاطونُ يعيد إلى ذهننا بصراحة أن الروح تنطوي على نفس الأبعاد وعلى ذات الواسطات، ويعنى بالعودة إلى ذكر قيمها (٤٣ d). وفضلاً عن ذلك، فالنموذج السماويُ يحدث فيها ضرباً من الجاذبيّة. وقد انتصب الجسم البشري واستقام بتأثير الجاذبية (٩٠ a). وهذه الروح الأولى متّحدة بالجسد، مغلق عليها في الجمجمة، دُورِّ صنعها عن قصد لتتقبّلها (٧٣ e ، رَ ٦٩ c). وأكثر من ذلك هو أن الروح متحدة موضعياً بذاك القسم من النخاع، الموسوع في الهامة، ألا وهو الدماغ (٧٣ d).

هذا ويصعب علينا القول بأنّ أفلاطون قد اعتقد بحقيقة تلك الدوائر التشريحية، الدائرة ضمن الجمجمة، طبقاً لحركات القبّة السماويّة. لأن الروح البشريّة، شأنَ روح العالم، هي غير منظورة، ولا يستطيع إدراكَها إلاّ العقل. هذا ما سوف يقوله في الشرائع (١٠: ٨٩٨ d) ولكنّ هذا لا يمنع أن تكون

محتواة في الجسد (e ٨٩٨). فلا نتطلب من أفلاطون تعليماً دقيقاً، (في هذا الصدد أو في غيره)، تباعد كل البعد عن إعطائه.

٢ - الأرواح السفلى:

أما الأرواح الأخرى فهي من صنع الآلهة الثانويّة، وقد أولجوها في كل الجسم من الرقبة فما دون. وأفلاطون يطلعنا بدقة على موقع كل منها وعلى وظائفها. غير أنه لا يقول شيئاً عن تركيبها.

فالأولى واقعة في الصدر فوق الغشاء الحاجز. وهي مقر الغضب والحماسة الحربية وما إليها من المشاعر المماثلة (d c ٦٩). وانفصالها عن الروح غير المائتة ليس انفصالاً مطلقاً، إذ يمكنها الاتصال بها عن طريق برزخ العنق (e ٦٩). ومن ثمّ فهي تقبل التأثر بعض التأثر بفعل العقل.

أمّا روح التغذية، فهي على عكس ذلك، مفصولة أتمّ فصلٍ بحاجب الغشاء الحاجز عن الروحين العلويّين. إنها مربوطة بسكنها فوق السرّة؟ كما يُربط البهيم الأعجم إلى معلفه. وليس لها رأي أو تعليل أو فهم. فتلبث من طبعها أبداً هامدة خاملة (b ٧٧). وهي مقرّ شهوة الشرب والأكل والرغبة واللذة والألم (d e ٧٠، d ٧٢). ولكنها تتمكنّ، بفضل الصور المرتسمة على سطح الكبد الأملس، بعض التمكنّ، من الاتصال بالروح العليا. وهي التي تحبونا بالأحلام والمشاعر المسبّقة وأشكال الوجدان الغامضة الأخرى.

ومجال فعل هذه الروح يتوقّف عند السرّة. إذ ليس من تحتها سوى تضاعيف الأحشاء الملتف بعضها على بعض، وحيثُ ليس من قوةٍ نفسيّة عاملة على ما يبدو. ومع ذلك، حتى في تلك البُقعة المحرومة نجد روحاً، لا بل كائناً جديداً حياً مستقلاً، مرتبطاً بالمنى، ومستعصٍ كلّ الاستعصاء على تدخّل العقل (a b ٩١).

وبالتالي، يبدو أن هناك فارقاً في الطبيعة بين الروح غير المائتة وبين الأرواح السفلى. فمن جهة وظائف عضوية تعرّفها حدود رياضيّة، مبدأ كله نظام وكله جمال، ومن جهة وظائف عضوية غامضة بهيمية، كأن الفكر والانسجام قد غربا عنها. بيد أن التواصل لم ينقطع فيما بينها انقطاعاً تاماً. إذ يبقى حتى في أحط الغرائز شبه انعكاس بعيد عن الحياة الأبدية. هذا، ولا ينبغي أفلاطون أن يضحّي حتى بأشكال الحياة الدنيا. فكل روح أو نفس لها مجالها الخاص ووظائفها الضرورية. وهناك سنّة شاملة على الإطلاق، تفرض على كل تلك الأرواح أن تحافظ على كيانها، وأن تنميه بالممارسة والمثابرة على العمل، إذ بدونها يفسد طبع تلك النفوس وينحطّ لا محالة (٨٩ c). والروح الغير المائتة ذاتها تزداد قوة بالتروّض العقلي والتفكير. وهي على عكس ذلك تداني العدم أو تكاد إذا ما استسلمت للأهواء (٩٠ b c). فخلودنا ليس نهائياً، وفي وسعنا أن نفقده بتوانينا. ومن ثَمّةَ علينا أن ننمي كلّ أرواحنا على السواء، وأن نعنى كذلك بمواهب جسدنا على اختلافها (٨٩ d وما يلي).

٣ - الحوارات الأخرى ومصاعب هذا التعليم:

إن المعلومات السابقة تتفّق إجمالاً وما تُوفّر لنا منها حوارات فيذُن وفيْذرُس والجمهورية. بيد أن تلك الحوارات على خلاف التِيمئِس ، لا ترمي إلا إلى القسط الخالد من النفس. ولكن التِيمئَس ، شأنَ الباب العاشر من الشرائع، يقول بتقدّم الروح في الوجود على الجسد. وفي الوقت ذاته يفرض أنها مولودة مثله أما حوارات فيذَن وفيُذْرُسْ والجمهورية فهي تتضمن على عكس ذلك، أزليّة الأرواح كشرطٍ للتذكر، هذا، ويُضيف حوار فيُدْرُس أن تجسّد الأرواح نتيجة لسقطة وعقاب على زلة (٢٤٦ c). فتعليم فيدْرُس ينطوي على اتحاد بالألوهة اتحاداً أصلياً، ثم انفصالها كعاقبة للخطيئة.

وعلى النحو عينه، يبدو إن فِيلفُس يقول إن نفسنا قد استمدت كيانها من «الروح الكليّة»: «من أين جسدنا قد اتخذ روحه، لو لم تنعش الروح جسم العالم بالذات؟» أما في التيمئس فنحن لا نعثر بعد على شي من هذا، كما لا نعثر عليه في كتاب الشرائع(١). فهل تبدّلت اعتقادات أفلاطون؟ وهل عدل الآن عن نظريّة التذكر وعن أزلية الأرواح؟ ألم يكن في ذلك سوى رمزٍ جميل، لا فائدة منه في مصنف علمي؟

من الصعب جداً أن نعرف هذا الأمر. ولكن في النهاية، ما يهيمن على كل تعليم أفلاطون بشأن الروح البشرية، هو شعورنا بأن عقل الإنسان، في قيامه بوظائفه السامية متّحد مباشرة بالله. وبأي عملية أو حيلة يبلغ إلى ذاك الاتحاد؟ إن أفلاطون لا يطمح إلى تفصيل هذا الأمر وإطلاعنا عليه. بل يكتفي بأن يوقظ فينا، باختياره اختياراً واعياً صوراً نبيلة، ذاك الاشتياق الواله والظمأ غير المرتوي إلى مصير أسمى، هو غاية البشرية القصوى.

والسيد روهده E. Rohde يشير إلى صعوبة مماثلة، في تحليل جميل استعرض تعليم أفلاطون في قضية الخلود(٢). ففي التِيمئَس وكتاب الشرائع؟ الروح هي قبل كل شيء مبدأ حركة(٣). ولكن حركة الروح الخاصة تظهر لنا في التِيمئَس على وجهين متباينين جداً. فمن جهة، هي حركة حيّ محرّكه الروح وأداته الجسد. وهذه الحركة منظورة محسوسة تقيّدها مجموعة معينة من الأعضاء والوظائف الجسدية. ومن جهة أخرى، هي حركة الفكر الرامية إلى أمور عقليّة محضة، تخالطها وتتعرّف عليها (التِيمئَس ٣٧ a – c).

---

٣ - (١) رَ فيذرس 246 c، وفيلفس ٣٠ a، ثم الشرائع ١٠: ٨٩٢ c و ٨٩٦ c.

(٢) E. Rohde Psyche 2/2 p.271, note 1.

(٣) الشرائع ١٠: ٢٨٩٤ c ، ٨٩٦ a.

فأي علاقة يمكن أن توجد بين هاتين الحركتين؟ وكيف يستطيع أفلاطون في كتاب الشرائع أن يتكلم عن «دوران» العقل[٤]؟ فهل هذا مجرّد استعارة أو ربما بالأحرى شعور عميق بوحدة الأشياء، وبالانسجام الباطني الرابط بين نظام الجسد ونظام الروح؟ فالعناصر المكوّنة للجسد أليست هي نفسها المكوّنة للعقل؟ الشيء ذاته والآخر، النظام والإخلال به، كل هذه الأمور متصلة في كل مكان، مختلطة، إلا على حدودها القصوى المثاليّة، حيث يستقر الخير الصافي من جهة والصيرورة المتقلبّة أبداً من جهة أخرى.

٤ - التقمّص:

أحد العنصرين اللذين تتركّب منهما الروح البشرية خالد، والآخر هالك فانٍ. والواحد صنُع المبدع، والآخر من إنتاج الآلهة الثانوية. فيكلمّنا التِيمِئَس عن قسم من الروح مائت، وجوده نتيجة اتحاد الروح الخالدة بجسد مائت. واتحاد الروح والجسد ينجم هو ذاته عن مجرى نواميس[١] حتميَّة. والروح أوّلَ مرة خضعت لسنَّة التجسّد، لم تتدّخل قط في اختيار جسدها، الذي حلت فيه. وهذا ما يسميه أفلاطون «المولد الأول» (٤١ e، ٩٠ a).

ولفرط تندّي الروح الخالدة في هبوطها هذا تفقد إلى حين(٤٤ a). إلا أنها تستطيع من بعد، بالتثقف وممارسة الأبحاث العلمية، أن تستعيد هي ذاتها نظام حركاتها المتشوش فترةً من الزمن (٤٤ a c). إن هذه الفكرة مأنوسة لدى أفلاطون[٢]. غير أن التجسد الأول ستعقبه تجسدات متتابعة، لا تتدخل فيها

---

(٤) ١٠: ٨٩٣ b، التيمئس ٨٩ a.

٤ - (١) كلمة نواميس يونانية من نُومُس التي أضحت عندنا ناموس وجمعت على نواميس، مثل مفاعيل. (المعرّب)

(٢) غرغيّس ٢٣ a، فيذُن ١١٣ d، الجمهورية ١٠: ٦١٥ وما يلي.

الآلهة، بل تتعلق بالسيرة الصالحة أو الطالحة التي تنهجها الأرواح البشرية في هذه الدنيا(٣). لأن هناك بعض التجانس والتقارب بين الصورة التي يتّخذها البشر في حياتهم الجديدة، وبين سلوكهم على الأرض (٧٨ a). وفعلاً في ولاداتها الجديدة تستطيع الأرواح البشرية أن تعود وتتجسّد في أجسام بهائم من كل نوع، حتى في أجسام الأسماك والرَخويّات (كالحلزون والمحارات وما إليها)(٩٢ b a). إن أفلاطون لا يتكلّم، شأن أمْبِنْكُلِيس، عن تجسّد جديد في النبات. وإذا استثنينا هذا الأمر، فهو يعرض لتعليم تجدّد الولادة في شكله الأعم. وأجسام كل الحيوانات بلا استثناء، تبدو قابلة لإيواء الأرواح البشرية الساقطة(٤).

إن تأكيـــداً كهذا يبدو مناقضاً لنصوص عدّة في حوار فيذْرُس والجمهورية. فطبقاً لتعليم فيذْرُس، روح حيوانية، بمعنى الكلمة الحصري، لم تشاهد قطّ الحقيقة، لا تستطيع أن تحيا في جسد إنسان (٢٤٩ b c). ومن ثم ألا يجب، مقابل ذلك، القول بأن روحاً بشرية، ولو ساقطة، لا تستطيع هي أيضاً أن توجد وتعيش في جسمِ حيوان؟ لاسيّما وإن ما يميّز الإنسان تمييزاً خاصاً، هو وجود الروح العليا فيه، تلك الروح التي صوّرها المبُدع بذاته، أي الذيْمُن (الملاك أو الجنـيّ) والبْسِخي (النفس) واللُوْغَس (النطق والعقل). والحال أن هذه الموهبة والخلّة، البشرية في جوهرها، مفقودة في الحيوان(٥).

ومع ذلك، إن كان التقمّص في شكل حيوان عقاباً، فهذا العقاب لا ينال إلاّ النُوْسْ (أي الإدراك والفهم والروح العاقلة). فكيف قد يتمكّن العقل، الغريب برّمته عن الطبيعة الحيوانيّة، أن يقطن فيها ولو برهةً واحدة؟

(٣) فيذرس ٢٤٩ b، الجمهورية ١٠: ٦١٧ e، التِيمئس ٤٢ b.

(٤) التِيمئس ٩١ d، ٩٢ b، فيذرس ٢٤٩ b، فيذن ٨١ e الجمهورية ١٠: ٦١٨ a، ٦٢٠ التِيمئس ٤ b c.

(٥) الجمهورية ٤: ٤١١ a b.

إن تلاميذ أفلاطون قد لاحظوا تلك الصعوبة. وابْرُوكْلُس يعلمنا بذلك. غير أنهم لم يتوقفوا إلى إيجاد حل ملائم لها(٦). وقد ادعى بعضهم أن النفس الروحيّة، وهي متماثلة في كل مكان، لا تنشط ولا تعي ذاتها دوماً بالنباهة عينها. ومن ثم فهي تتدنّى أحياناً وتغفو بحيث لا تستطيع أن تنعش وتحيي جسم إنسان(٧). فهذه كانت ربّما فكرة أفلاطون. ولكنّه لا يبديها بدقّة في مقام ما من مؤلفّاته.

وقد اقترح روهدِه E. Rohde افتراضاً آخر. فهو يرتأي أن أفلاطون قد ردّ، في أواخر حياته، كل محتوى الروح إلى موهبتها العقليّة، وزوى في الجسد كل الوظائف النفسيّة الأخرى. غير أنه في تلك الحال كان مضطراً إلى العدول عن نظريّة تجدد الولادة. ولا يكون قد حافظ عليها في التِيمِئس إلا من باب الأمانة العفويّة لآراء الأرْفِيّين وأمْبِذُ كْلِيس، وبسبب فوائدها العمليّة أيضاً، وما قد يجلبه مثل هذا التعليم من تأييد للحقائق الأخلاقيّة.

إلاّ أن التقليل من أهمية الاعتقاد بالتقمّص هو تنكّر لروح الأفلاطونيّة بالذات. فمهما كانت الأسطورة التي تعبّر بالصور عن ذاك الاعتقاد، فالإيمان بتقدّم ممكن تحرزه الأرواح أو تدنٍّ محتمل تنحدر إليه، والثقة بمجهود العقل ليسيطر على الغرائز السفلى، كل هذا عنصر متميّز راسخ فلسفة أفلاطون. وما هو صحيح، على ما أشار إليه رُوْهدِه، هو أن التعليم الأفلاطونيّ في الروح يفُسح المجال لمعطيات كثيرةٍ تختلف في منشأها وطبيعتها. فأفلاطون يمزج ويصهر في بوتقة واحدةٍ الاعتقاد الأُرْفيّ والبِثْغوريّ القديم ونظريةً في الروح أحدث عهداً (ترى فيها أيضاً) مبدأ الوظائف الجسديّة. التِيْمِئُس في هذا المضمار يوفّر لنا أول تصميم، كامل جداً حتى من ذلك الوقت، لكل المذاهب

(٦) ٣٢٩ d e، ديهل ٣ ص ٢٩٤.

(٧) آئيتْسِيُس في كتاب الآراء ٤٣٢ a، ١٥.

المتعلّـقة بروح الإنسان. وسوف تُهيمن تلك المذاهب على الفلسفة، من عهد أرسطو إلى عهد دِيكارْت، ثمّ عهدِ اسْبِنُـوَزا فلايْبِنْتْز.

٥ - اتحاد الروح والجسد

إن أفلاطون هو ربما أول من طرح مشكلة اتحاد الروح والجسد. فكما أنها تظهر في مظهرين متباينين، فهي مزمعة أن تتّحد به أيضاً على وجهين متميّزين. والروح بصورة عامة إن كانت أقدم من الجسد وأكمل، فهي لا تختلف عنه في الجوهر. فتركيب جسم العالم مثلاً هو أقل نقاءً فقط من تركيبها. بيد أنها تتضمّن عين العناصر المكوّنة، إذ يكمن في الروح ذاتها جوهر الأجسام القابل التقسيم. وبالتالي يشبه اتحاد الروح بالجسد ضرباً من الخليط، تُخلط فيه عناصر كيميائيّة متجانسة.

على أن العقل، ومنشؤه إلهيّ، يُعارض الجسد وفي آنٍ واحدٍ الأقسام السفلى من الروح. والجسد حيث يلج، هو له سجن ومنفى ومكان محنة، وأيضاً «عجلة» معدّة لنقله. لكنّه يلبث غريباً عنها.

ولا يتكلم أفلاطون في التِيمِئُس الإ عن الصنف الأول من الاتحاد. فالروح -ويجب أن تفهموا الأرواح الدنيا(١). - هي متحدة موضعياً بالنخاع. والنخاع يشمل الدماغ ومخَّ السلسلة الفقاريّة ومخّ العظام والمِنى. والنخاع جسم نقيّ نقاء خاصّاً، قوامه قسيمات مستمدّة من كل العناصر، نعمت فيها المثلّثات الأصلية إلى حدٍّ بعيد (٧٣ b e). ففي هذا النخاع تأتي الأرواح وتتأصل، وتستقر «وتُرسي». وبه ترتبط «أوصال الحياة» (٧٣ b d)، التي

---

(١) لقد نسي رِفو أنه يتكلم أو بالأحرى أن أفلاطون يتكلّم أيضاً عن الروح العليا. رَ ما تقدم الفقرة الأولى من هذا الفصل. (المترجم)

تشَدّ الروح إلى الجسد وتأسرها به. والنخاع هو أيضاً متّحد بالعظام اتحاداً وثيقاً. فهي تقيه من الصدمات وتقلبّات الطقس. ومتّحد باللحم الذي يغشّي العظم ويحميه. لأن العظم واللحم يتولدّان هذا وذاك من النخاع (٧٣ b). والنخاع يدخل في تركيب العظام (٧٣ e). ويصعب أن يتخيّل المرء اتحاداً أعمق وأوثق، حتى إن انفصام «أوصال الروح» ينطوي على تفكّك العناصر نفسها التي تتألف منها الروح السفلى. فالعقل وحده ينجو على الأقل جزئياً من مصير الجسد. وقلنا جزئياً لأنه خاضع لفعل الأرواح الثانويّة الدنيا. ويمكن أن ينجرف في سقوطها وتدنيّها لفترةٍ من الزمان قد تطول أو تقصر.

البحث الثاني: الأجسام الحية

١ - عناصر الأجسام الحية :

يبدو أفلاطون وكأنه يسرع ليبلغ إلى بنية الكائنات الحية. ووصف تلك البنية سوف يستوعب أو يكاد نهاية الحوار كلّها. لا يرتاب أفلاطون في أن تلك الكائنات تتركّب من العناصر الأربعة. وتأكيد ميْنُنِ في الأبحاث الطبية[١] تؤيده نصوص فِيْلِفُسِ وتيمئس[٢]. فهو يقول: «إن أفلاطون يعلن أن أجسادنا تتكوّن من العناصر الأربعة، لأن الأشياء الموجودة في الكون تتولّد على هذه الطريقة نفسها». والكائنات الحية تشعر بانطباعات الحرّ والبرد. وهذه الانطباعات لا يمكن المرء أن يفهمها إلاّ إذا وجُد في تلك الكائنات عنصر النار والماء (٦١ c). وفضلاً عن ذلك فالنار مبدأ الحركة[٣]، والماء والبرودة

(١) Diels, XIV. 12.

(٢) فيلفس ٢٩ de، تيمئس ٢٨ a.

(٣) ثِيَيْتِتِس ١٥٢ da، تيمئس ٦٧ da .

مبدأ السكون والراحة[٤]. ولكن التراب هو الذي يقوم بالدور الرئيسيّ في تكوين الأحياء. وأفلاطون لا يفتأ أميناً لهذا التعليم وقد عبرّ عنه مراراً عدّة، لا سيما عندما كان يعود إلى أسطورة «أهل الأرض» (المولودون من قلب تربتهم)[٥].

٢ - التشريح عموماً:

يتبسّط أفلاطون في عرض فرضيّته العامة، ويبدي لنا فيه تفاصيل غزيرة جدّاً. بحيث يتضمّن التِيمِئس بحثاً شاملاً حقيقيّا في التشريح وعلم الوظائف العضويّة.

والترتيب المتّبع في عرض مسائل التشريح هو غريب الأطوار لأوّل وهلة. إذ يكلمنا أفلاطون تباعاً عن الغشاء الحاجز وعن القلب والرئة والكبد والطحال والأمعاء. ثم يحدّثنا عن النخاع عموما (نخاع السلسلة الفقارية ونخاع العظام)، وعن الدماغ والعظام والمفاصل، وعن اللحم والعراقيب، وعن الفم والأسنان، وجلد الهامة والشعر والأظافر.

فيمكن أن نميّز، في التشريح الأفلاطوني، سلسلتين مستقلّتين من التوسّعات، والأولى تنظر إلى الأعضاء الرئيسيّة بمراعاة موقعها من الجسم بدءاً من عل. والثانية تبحث خصوصاً عن الأعضاء التي تمُتّ بصلة ممتازة إلى وظائف الروح.

ويبدو، علاوةً على ذلك، أن التشريح هذا كلّه يستوحي فكرتين عامّتين. وهما أولاً أن أفلاطون لا يتبسّط في التشريح لذاته، ولا نظراً إلى التطبيقات الطبّية، مهما بلغت أهميتها في عينيه، ولكن خصوصاً ليوضح بدقّة أوفى موقع أقسام الروح المختلفة، وعلاقات تلك الأقسام بالجسد؟ فيبرز التشريح

---

(٤) ثئيِتِتُس ١٥٧ ade ، تيمئس ٦٢a .

(٥) السَفَسَتي ٢٤٨ c، السياسيّ ٣٦٩ b، ٢٧١ a، وهذا بالضبط معنى كلمة أَفْتُوخثُنْ اليونانية. وهي تعادل الكلمة اللاتينية indigena تماماً، وتعني لا سكان البلاد الأصليين فحسبُ، بل أهل الأرض النامون من قلب تربتها. (المعرّب)

هكذا وكأنه علم لاحق بعلم النفس. وثانياً، وهذا ما كان في وسعنا أن نتوقّعه، تسيطر على العرض برمّته أبداً دائماً اعتبارات غائيّة.

٣ - الغائيّة في بنية الجسم :

في التِيمِئس سلسلتان من التأمّلات مختلفتان تدور حول موضوع الغائية هذه.

١ ً - لمّا كان الجسم قبل كل شيء عجلة الروح (٦٩ c) أُخِما، لزمه أن يشمل تقاسيم تماثل تقاسيم الروح عينها. والحال أن الروح تحوي أولاً قسماً مائتاً وقسماً غير مائت. فيقدم لنا أفلاطون العنق بمثابة «بَرْزخٍ» يفصل قسمي الجسد المقابلين الواحد عن الآخر ويصلهما، في آن واحد، الأوّل بالثاني (٦٩ e).

والروح المائتة تقسم هي أيضاً في دورها إلى قسمين. وبين الجزئين من الجسم المعدّين لإيوائهما، يقوم «حاجب» الغشاء الحاجز (a 70 , e 69). وسوف يلاحظ المرء أن الفصل كامل بين روح التغذية والروحين العلويّتين، المعزولتين عنها بالغشاء الحاجز، في حين أن الاتصال يلبث ممكناً عن طريق العُنق، يبين الروح العاقلة والروح الغضوب، التي لا تبرح قادرة على سماع صوت العقل (٧٠ a).

ومع ذلك يمكن أن ينشأ اتصال مضاعف غير مباشر، حتى بين الروح الدنيا والروح العاقلة. إذ يقع فعل في الواقع خصوصاً على القلب (b 70). ومع أن القلب قد جُعل فوق الغشاء الحاجز، فهو يتّصل بواسطة الشرايين بأبعد أجزاء الجسم، حيث ينطلق الدم ليحمل مشورات العقل. أضف إلى ذلك أن ما يهيج الروح الغضوب من اضطراب يؤتي القلب حماوةً، فتبرده الرئة، وتكون له في الوقت نفسه بمثابة مَسند رفّاس يمكن القلب أن يتكئ عليه ويقفز ليعاود مكانه (٧٠ d).

ويحدث الاتصال الثاني غير المباشر عن طريق الكبد، عضو الروح الشهوانية (٧١ ad). وتبدو روح الرغبة والشهوة، المتبطّحة، بين الغشاء الحاجز والسرّة، غريبة اغترابا تامّاً عن العقل. ولكنّ الكبد، وهو مقرها الرئيسي، له خاصةُ عكسِ الصور الواردة من العقل، على سطحه الأملس، اللمّاع. ولا يشير أفلاطون إلى أسلوب ذلك «العكس»، ولسبب ما أحجم عن تلك الإشارة. إلا أن العكس يفرض أن صوراً تنطلق من المنطقة العُليا وتستطيع أن تخترق سدّ الغشاء الحاجز وأن تلج الجوف نفسه. أما الطحال فمهمّته تنظيف الكبد، بجرف ما قد يلطخه من أدران (٧٢ c).

ويتوقف مجال سيطرة الروح عند السرّة. وتحت السرة لا يبقى سوى تضاعيف الأمعاء الملتفة بعضها حول بعض، والمالئة أسفل الجوف. غير أن الأمعاء نفسها تؤازر نشاط العقل. ألم يُنط بها أن تحتْفظ بالغذاء فترةً من الزمن كافية لتصدّ احتياجات الجسد، في كرّاتها الغير المنقطعة، عن إزعاج العقل إزعاجاً متواتراً جدّاً في ممارسة أعماله؟ فلا يقدر المرء أن يتصور تشريحا وعضوية نشبت فيها الأفكار الغائيّة نشوبا أوفر وأتم.

٢ ً - إن الروح متّحدة بالنخاع وقد تثبتنا من ذلك قبلاً. فالنخاع والدماغ هما الأوصال التي تشدّ بها الروح وتؤسر (٧٣ d). والروح مرتبطة بها كما ترتبط عيناً خطوط الطول بوشيعة العالم المركزيّة، في كتاب الجمهوريّة (١٠: ٦١٦ cd). والنخاع، وهو أصل المنى أيضاً، (٧٣ c و ٧٤ a) يشمل مادة الدماغ ومخّ العظام. وأفلاطون يخلط بين مخّ العظام وبين محور الجهاز العصبي الفقاري. فتركيب النخاع إذن يختلف عن تركيب أي قسم آخر من أقسام الجسم، ويشبه تركيب الكواكب. ويردنا أفلاطون لتفسيره إلى تأمل المثّلثات البدائية (٧٣ bc)، ويبغي أن يلقّننا أن النخاع قد صنُع من مثلّثات في غاية النعومة، كأن جوهر النخاع أوفر كمالاً من جوهر العناصر نفسها.

وقدرُ رُكّب النخاع منذ الأساس، طبقاً لنسب معيّنة، تفسّر فوارق الأنواع اللاحقة (٧٢ c). وهو يؤلف كتلة كرويّة هي الدماغ. وسلسلة من القطع المستديرة المستطيلة هي النخاع الفقاري. ويوجد النخاع أخيراً داخل العظام. وإذ إن النخاع هو أداة الروح الخاصّة، فقد حظي بجهازي وقاية منظّمين جدّاً.

أوّلاً لقد سُلح سلاحاً عظمياً صلباً (٧٣ de)، مستديراً متّصلاً حول الدماغ، متفرعاً إلى أقسام، وهي الفقرات، حول النخاع الفقاري، ومتخذاً في الأعضاء أشكالاً عظميّة متنوّعة. ودور العظام الرئيسي هو أن تحمي النخاع (a 74). ولذا لاق أن تكون مادّتها لا تقبل الفساد. وقد بُلّغ الآلهة إلى هذه النتيجة بصهر العظام على دفعات متتالية في النار والماء (٧٣ e). هذا، وإن مادة العظام نفسها تحوي كمية نسبية من النخاع، لتضمن دونما ريب التصاقاً أكبر بين العظام والنخاع. أخيراً ربطت العظام بمفاصل لتمكّن الجسم من التحرك (٧٤ ad).

ثانياً كلّ تلك الأجزاء غُلّفت باللحم (٧٤ cd). واللحم له ثلاث وظائف رئيسّية. فهو يحفظ حرارة الجسم ثابتة، بفضل ما ينطوي عليه من رطوبة أو أخلاط خصوصاً، يتألف منها العرق. واللحم يحمي المفاصل ويمنع نخر العظام في بالاحتكاك (٧٤ b)، واللحم أخيراً يقوم بدور المنضدة، ويحول دون تهشم العظام في السقطات (٧٤ b). وأفلاطون يلاحظ بصورة عابرة أن حساسية أقسام الجسم هي في نسبة عكسيّة بالنظر إلى العظام وإلى اللحم الذي يغشّيها. وهذه الحساسية تبلغ ذروتها في الرأس الذي تحميه عظام رقيقة لا يكسوها اللحم. وهي ضعيفة في الأعضاء حيث العظام الثخينة يغشّيها لحم كثيف (٧٥ bc). والشعر يوفّر للجمجمة حماية خاصّة. ففي كلّ الحوار يقتصر الوصف التشريحي على أزهد التفاصيل. وكل ما يأتي على ذكره منها يستغلّه أفلاطون لتفسير غائيّة صرفة، أحياناً صبيانية، وغالباً عميقة، وبين الفنية ترافقها أضواء مذهلة كأنها من عالم الغيب.

٤ - تنسيق المسائل المتعلقة بعلم وظائف الأعضاء :

علم العضويّة الأفلاطوني برمتّه مداره وظيفتا الغذاء والتنفّس. وبهما يربط أفلاطون بحث الدورة الدمويّة. فإذا كان المبدأ بسيطاً،لأن الغذاء والتنفّس يسعيان إلى غاية واحدة هي إنتاج الدم (80 e 81 a)، فتفاصيل العمليّات متداخلة جداً. وإنْ حكمنا في الموضوع ونظرنا في حكمنا إلى وفرة الاستعارات التي يلجأ إليها أفلاطون وغموضها، تثبّتنا أن الفيلسوف لا يسيطر ملءَ السيطرة على موضوعه. فهو يتعثر ويرتبك، ولا ريب، بسبب وهن معلوماته التشريحيّة.

٥ - العروق الكبيرة:

فهو لا يميّز فعلاً تمييزاً واضحاً بين المسالك التنفسية والمسالك الدمويّة والمسالك الهضميّة. ويبدو أن وصفها العامّ ينطبق على هذه أو تلك على السواء. وهو وصف مقتضب مبهم. فبين اللحم والبشرة مجريان ظهريّان كبيران، الواحد واقع إلى يمين العمود الفقاري والآخر إلى يساره (de ٧٧). وفروع هذين المجريين تتصالب على مستوى العنق. فهل الكلام عن الأبهر والوتين؟ غير أن هذين العرقين لا يتصالبان في العنق. أو هل يدور حول المريء (أي البلعوم) وحول القصبة الرئوية؟ ولكن أفلاطون لا يجهل أن هذين المجريين واقعان الواحد خلف الآخر، وليس على جانبي السلسلة الفقاريّة. وهل الكلام عن الأوردة والنوابض؟ ولكن عرض نظريّة التنفس وهو يلي العرض السابق، يغدو عندئذ مستحيل الإدراك.

٦ - التنفس والغذاء.

إن التنفس والغذاء في نظرية أفلاطون وظيفتان مرتبطتان الواحدة بالأخرى ارتباطاً وثيقاً. وتُفسّران على الطريقة الآلية الصرفة نفسها. فكيف

تستطيع العناصر الغذائيّة، بعد ولوج الجسم، أن تُحتجز فيه؟ وإن هذه العناصر تنتج حتماً عن التراب والماء (ab 87)، لأن جسيمات الهواء والنار الصغيرة جداً، إذا دخلت الجسم تخرج منه حالاً وتترشّح خلال اللحم حتى العظام(87 d و79 c). بيد أن حركة الهواء والنار المتواصلة، التي يوفّر ويحافظ عليها التنفّس، هي تفسّر لنا التغذّي نفسه.

٧ - مجاري التنفّس الغشائيّة ومجاري التنفّس الغازيّة:

يميّز أفلاطون بين مجاري التنفّس والغذاء الغشائيّة أو الليفية - ولهذه واقع تشريحيّ – وبين المجاري الغازية التي يمكنها أن تنطبق انطباقاً دقيقاً على الأولى، ويمكنها أيضاً أن تفارق تلك المجاري إذا دعت الحاجة وأن تخرج من الجسم إلى حين. إن هذا التمييز يجعل نظريّته كلها في غاية الغموض.

فلنتأملْ «المجوّف الأعلى» بين الرأس والحجاب الحاجز. إننا نستطيع أن نرى فيه مجريين مكوّعين، ينحني أولهما على مستوى تجاوير الأنف، والثاني على مستوى حنيّة الحلق. وهذان المجريان يتركبان من هواء ونار - أي إنهما من غاز - . ولكنهما يقترنان بتعاريج المجريين المنظورين الحلقوم والبلعوم.

ويتشعب الأول متخذاً هيئة مِذرى له فرعان. وقد يميل المرء لأول وهلة إلى الاعتقاد أن ذلك المِذرى يقابل فرعي القصبة الرئوية. غير أن هذا الظنّ بعيد عن فكر أفلاطون. إذ إن الله يحدر في الواقع أحد الفرعين إلى الرئة، فيتبع هذا الفرع شعاب القصبة الرئوية (الشعاب الغليظة)، ويُحدر الأخر إلى «المجوّف الداخلي» بإزاء الشعاب. وبالتالي فرعا مجرانا الأوّل هما من جهةٍ القصبة الرئويّة، ومن جهة أخرى المريء، الذي ينفصل عن القصبة تحت اللهاة.

ثم إن هذين المجريين يتفرّعان إلى أطراف الجسم، في المجوف الداخلي، على غرار دالية من قصب (cd ٧٨). وهما لا يقابلان المجاري التشريحيّة. فهما أولا يتألفان لا من لحم وعظام بل من هواء ونار. وعلاوة على ذلك، ليس من تماثل كاملٍ بين هذين المجريين والمجاري الغشائية، حيث ينسابان. لأن لهما خواص فريدة: فإن حافظ الجهاز الناشئ عنهما جملةً على شكله الذاتي إلى حدّ ما، فهو يبلغ من الليونة مقداراً كافياً ليجتاز المجاري الغشائية دون أن يذوب فيها، وليلج في الجسم عن طريق الفم والمنخرين، وليخرج منه مارّاً بنفس الطريق. لا بل يستطيع بسبب دقة العناصر التي يتركّب منها أن يخرق اللحم والجلد ويتسرب هكذا خلال الجسم (٧٨ c ٧٩ d).

أخيراً يتركّب هذا الجهاز الغازي من جزئيين: غلاف أو حاجز خارجي مصنوع من هواء، نظير الأقسام المكّوعة القائمة فوق اللهاة، ومحتوى مصنوعٌ من نار. والحال أن من خواص النار أن تجتاز كلّ الأجسام حتى الهواء فالنار المحتواة في المجاري الهوائية يمكنها إذن أن تجتاز حواجز تلك المجاري دون أن تجرّها معها. وسوف يفسّر لنا أفلاطون التنفس واستساغة الغذاء بواسطة هذا الجهاز.

٨ - عملّية التنفس:

فعل التنفس ينطوي على أطوار ثلاثة.

١ - الزفير:

يُسفر الطور الأول، وهو الزفير بخواص العناصر العامة، لاسيما النار. فالنار المحتواة في النسمة المستنشقة، والمحتجزة في الجسم، تسعى إلى الخروج منه لتلحق بالنار الخارجية (٧٩ a d e)، فتجرّ معها من الداخل إلى الخارج جهاز التنفّس الغازي برمتّه. وهكذا في كلّ زفير يخرج الجهاز

التنفسيّ (الغازي)، من الفم والمنخرين وينتشر في الجو الخارجيّ. ولا بدّا أن نلاحظ أن أفلاطون يَعدّ الزفير فعلاً أوليّاً. ولا يعبأ بحركات الصدر.

٢ - التنفس الجلدي:

عندما يلج جهاز التنفّس الغازي الجوّ يضغط الهواء الخارجيّ في جوار الرأس. وهذا الهراء يضغط في نوبته الهواء المجاور، إذ ليس من فراغ. والضغط ينتقل دائريًّا إلى كل طبقات الهواء التي تحوّط الجسم. والحال أن الهواء الخارجي عندما يُضغط على هذه الصورة يبحث عن منفذ، فينفذ الجسم، لا عن طريق الفم والمنخرين هذه المرَّة، بل خلال البشرة واللحوم (٧٨ d، ٧٩ e). والهواء الممتصّ على هذا النحو بارد. فيدفأ بملامسة اللحم، وينزع من ثمّة إلى الصعود. فيخرج إذن خلال اللحم، ويحدث في الهواء الخارجيّ ضغطاً ثانياً يخالف باتجاهه الضغط الأول.

٣ - الاستنشاق:

وهذا الضغط الثاني يدفع الجهاز التنفسيّ (الغازي) من جديد، - وكان قد خرج من الفم والمنخرين – فيضطّره إلى الدخول من حيث خرج (٧٩ d e).

فالتنفس الجلدي إذن في نظر أفلاطون هو طور متوسّط ضروري بين زفير يليه استنشاق. ومبدأ التنفّس الرئوي هو واحد بالذات في زعمه. فهو دوماً حركة العنصر الحارّ في اندفاعه إلى مكانه الخاصّ (٧٩ d، ٨١ a b). وما هو أوفر غرابة في كل هذه النظرية إقحام جهاز التنفس الغازي، ذاك الجهاز الذي يقترن بتعاريج المجاري ويُمكنه أن يخرج من الجسم دون أن يفقد شكله الذاتي. وهذه الفرضيّة انفرد بها أفلاطون. وهذا ما يؤكده لنا في إلحاح مؤلف كتاب التنفّس.

فهو يقول إن نظرية أفلاطون تخالف جميع نظريات العلماء الأسبقين، نظير ذِمُوكْرِتُس وأنَكْسَغُوْرسَ وأمْبِذُكْلِيس[١]. وقد ارتكب أفلاطون خطأً لا يُفسر، عندما افترض، خلافاً لكل ما يقارب الحقيقة، أن الزفير يسبق الاستنشاق: «عندما تخرج الحرارة عن طريق الفم، يقول أفلاطون، يلج الهواء الخارجيّ خلال اللحم ذي المسام، ويشغل المكان الذي خرجت منه الحرارة، إذ ليس من فراغ... ثم يخرج هذا الهواء من جديد، بعد أن يسخن هو أيضاً، ليعاود مكانه. ويطرد ثانيةً دائرياً عن طريق الفم، الهواءَ الساخن الذي سبق وخرج... والنتيجة لمن يزعمون هذا الزعم، أن الزفير يسبق الاستنشاق. والحال أن الأمر على عكس ذلك[٢]».

٩ - عمليّة التغذية والدورة الدمويَّة:

إن ظاهرة التنفّس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بظاهرة التغذية (٨٠ d). لأن النار عندما تلج «المجوّف الأسفل»، مع جهاز التنفّس (الغازي)، ما بين الغشاء الحاجز والسرّة تقسّم الأطعمة الموجودة هناك إلى أجزاء صغيرة. فإن النار على ما نذكر، لها الخاصة تقسيم كل الأجسام. ثم تزجّي النار تلك الأجزاء الصغيرة في صعودها، وتدفعها إلى المجاري الدمويّة، وتوزعها على الجسم برمّته، طبقاً لسنّة تقارب الشبيه من الشبيه (٧٨ e، ٧٩ a b، ٨١ a b). والدم، هو مبدأ تغذية الجسم، ينشأ على حساب تلك الأجزاء حيث يسود اللون الأحمر. وتحصل استساغة الغذاء بفعل علل آلية محضة. إذ تقابل كل كائن حيّ مثلّثات بدائيّة متنوّعة متميّزة. ورؤوس تلك المثلّثات أحدّ في الشباب. ثم تهتري مع العمر وتهاجم الأطعمة بعزم متضائل (٨١ b).

---

(١) Empedocle. Fr, 100. Vorsokr, 1/3. p. 258.

(٢) Ps . Aristote .De Respiratione . 5. 472 b. 6 ; 13- 19 et 21. 480 a .16 et sq .

ويؤكد لنا أفلاطون أن الدم لا يبرح في الجسم، وأن المجاري تقوم بدور قنوات ريّ. وقد يتوقّع المرء أن يخضع هذا الجريان لحركات جهاز التنفّس. ومع ذلك يكتفي أفلاطون بأن يؤكد لنا أن الدم يتحرك في الجسم حركة تشبه الحركة التي تدفع القبّة السماوية (٨١ a). غير أنّ هذا كله لا يمنع أن ينطوي التِيمِئس على أوّل محاولة لعرض نظريّة تفسّر الدورة الدموية.

١٠ - مصادر علم الحياة الأفلاطوني :

إِن علم التشريح وعلم العضويَّة هذين يختلفان برمّتهما اختلافاً وافياً عمّا نجده منهما في المجموعة الهِبُكْراتيّة وفي تأليف أرسطو، كما يختلفان أيضاً عمّا نجده منهما عند العلماء السابقين عهد سقراط. فعلى وجهٍ عام تبدو معلومات أفلاطون التشريحيّة ناقصة جداً، وأقل ضبطاً ودقة بكثير من معلومات الأطباء معاصريه أو سابقيه.

ومعلوم أن الهيكل العظميْ والمجاري الدموية الرئيسية والعضلات كانت موضوع وصف صحيحٍ، منذ القرن الخامس (ق.م.)، وأن الأطباء اليونان مارسوا من عهد بعيدٍ التبضيع والتشريح. بيدَ أن من يطالع كتابات أرسطو في علم الحياة، تخفّ وطأة قسوته على أفلاطون. فأرسطو لا يميّز أكثر من معلمّه بين الرئتين[١]، لا بل يؤكد صراحة أن جهاز التنفس ليس عضواً مزدوجاً[٢]. وهو يميّز جيداً بين المريء وبين المجاري التنفسيّة. ولكنه نظير التِيمِئس يقبل أن يدخل إلى الرئة (٧٠ c). لا بل يتبنى عدة فرضيَّات يشير إليها أفلاطون.

---

(١) أرسطو، أعضاء الحيوانات ٣: ٦ و ٧.

(٢) ن. م. ٣: ٧: ٦٦٩ b، ١٣.

فنحن نلقى عنده أيضاً التشبيه بين جهاز المجاري الدمويّة وبين جهاز ري البساتين[٣]. وتوارد التعابير المستعملة يثبت لنا أنه استوحى التِيمِئس مباشرة. وكذلك ينطوي التِيمِئس (٧٥ e) على شرح غريب لنموّ الشعر: إن صانع الجسم البشري قد نقش بشرة الجمجمة بثقوب كثيرة يسري منها الخلط الدافئ. ومن هذا الخلط الخارج في بطء من المسامّ، الجزء الأقلّ ميوعة يصدّه الهواء المجاور فينكفئ عائداً إلى تحت الجلد ويضرب فيه جذوره (٧٦ b c). ونحن نعثر على شرح مماثل مع بعض الفوارق، في مقطع طويلٍ من كتاب مولد الحيوانات[٤] لأرسطو.

فأمور مجهولة كثيرة مشتركة بين أفلاطون وأرسطو. فهما مثلاً لا يميّزان لا هذا ولا ذاك، بين العضلات واللحم والأطناب. لا غرو أن علم التشريح وعلم العضويّة هما أكمل عند أرسطو بكثير، ولا سبيل للمقارنة وبين أستاذه. إلا أن الاتجاهات في التعليمين لا تتباين كثيراً.

وأن يكون أفلاطون صاحب الأبحاث التشريحيّة المعتمد عليها في التِيمِئس، أو أن يكون قد استفاد من أشغال نُفّذت في مدرسته، أو قام بها سَفُسْتيّون معاصرون، فهذا كله فرضيّة لا تنطوي على شيءٍ غير معقول، بعد ما أعلمتنا دراسات دِيلْ عن نشاط الأفلاطونيين العلميّ.

البحث الثالث: نظرية الإحساسات

إن نظريّة الإحساسات تحتلّ في التِيمِئس مكاناً مستغرباً. فهي تلي نظرات عامّة إلى تركيب الأجسام الحيّة، وتسبق، خلافاً لما أنسنا من ترتيب،

(٣) التيمئس ٧٧ c: «نظير الأقنية في البساتين». أعضاء الحيوانات ٣: ٥: ٦٦٨، «تتشعب المجارير في البساتين إلى أقنية كثيرة».

(٤) ٥: ٢: ٧٨٢، ٢٥الخ...

بحث التشريح والعضويّة. وهذا التخطيط تُمليه على أفلاطون مشاغله الغائيّة، إذ إن وظيفة الإحساس ميزة من مميّزات الكائنات الحيّة. وخلافاً لما سوف يفعل أرسطو، لا يعطي أفلاطون شرحاً عامّاً عن الإحساسات، بل يكتفي بأن يدرس تباعاً الحواس الخمسة أي حواس اللمس والذوق والشم والنظر والسمع. وكما لاحظ ثؤفْرَسْتُسَ ذلك، ليس درس أفلاطون مفصّلاً إلاّ بصدد النظر والسمع[1] .

١ - الرؤية :

أن عنصر النار هو الوسيط الضروري للرؤية. وهو يعمل على ثلاثة أوجه مختلفة، كما يلاحظ ذلك أرشْهٍ هانْد وبيئِر[2]. فأفلاطون يميز:

١ً) نار الرؤية المحتواة في جرم العين، والمتدفقة منه، عندما ترتفع الجفون، وكأنها تيار متواصل (٨٢ b).

٢ً) النار الخاصة بكل شيء مرئي، والبادية بهيئة اللون. أنها «محسوس» الرؤية الحقيقي.

٣ً) نور النهار. وبدونه تبقى الأشياء عموماً، ولو مضيئة، غير مرئية (ن.م.).

ولا يذكر ثِئوَفْرَسْتُسَ سوى الصنفين الأولين من النار. ولكننا نجد في نص من الجمهورية (٦: ٥٠٨ c a) تمييزاً هو نفس تمييز التِيمِئس. ولا يأتي في موضع ما على ذكر الصور التي تتكون في العين، ولا ذكر الأشياء المشعة التي تلبث نيّرة مرئية حتى في الظلام.

---

(١) De sensibus . Doxogr. p. 500 . 8 . cf. J. A. Beare . Greek Theories of elementary cognition . p. 141.

(٢) ن م. ص١٤٠ – (٣) كتاب الآراء لثؤفْرَسْتُس، ص ٥٠٠، ٩ -١١.

ونظرية الرؤية في الشكل الذي يضيفه عليها التِيمئس، ليست النظرية عينها التي تبرز في حوارٍ ميْنُن (d ٧٦)، والمردودة إلى غُرغْبِسَّ وربما إلى أمْبذُ كلْيِس، على ما بيّن ديل [٤]. وفي كتاب الحواس (ف ٥ و ٩١) يُعرض لنا تعليم أفلاطون بمثابة حل وسط بين فرضيّتين متعارضتين. فالبعض (ومنهم ربما ألكْميئُن) يشرحون الرؤية بمجرد تيار ينبعث من العينين ويُسلَّط على الأشياء. وغيرهم (أي ربما الذريّون) يقبلون، على عكس ذلك، (بتيّار) ينبثق من الأشياء ويُسلَّط على العينين. وأفلاطون يفرض لقاء تيارين ضوئيين مختلفين، ينبعث الأول من العينين والثاني يصدر عن الأجسام المنظورة وكان قد افترض هذه الفرضية، عندما كتب الجمهورية وحوار ثئيِتْتِسُ .

إن تلك الفرضية تشمل في الحقيقة صعوبات كبرى، لم توفق الشروحات إلى تذليلها. إذ يبدو في الواقع أن فعل الرؤية يتم ليس فينا أي في العين، ولكن خارجاً عنّا في الجسم «جسم الرؤية»، وهو بمثابة اسطوانة أو دفقة من نور، ينطلق من العينين، ويلقى على مسافة منهما، النارَ الصادرة عن الأشياء. «وجسم الرؤية» هذا يماثل بعض المماثلة «جسم التنفس» أو جهازه الغازي، الذي أتينا من قبل على وصفه.

وهذا ولا يفسّر لنا أفلاطون لا الطريقة التي يتبعها النور ليتدفق من العين تدفقاً متواصلاً دون أن ينضب، ولا شروط لقائه النور المنبعث من الأشياء ليندمج فيه. وما هو دور ضياء الشمس من جهة أخرى في الرؤية؟ حسب أسطورة الجمهورية ليس للأشياء نور خاص، بل كل ما هناك أنها تعكس نور الشمس . فهل تعليم التيمئس هو نفس التعليم؟ إن أفلاطون لا يبينّ – لنا هذه القضية. غير أن سكوته هذا لا يعني أنه وقف من هذه القضايا موقف الشك، على ما زعم ابْرانْطل[٥].

---

(٤) Sitzungsber. Der Konigl. Preuss. Akad. Der Wiss .

(٥) Zu Berlin. XIX 1884. p. 343, 349. – Aristoteles Farbenlehre. P. 26- 57.

٢ - المرايـــا :

سوف نلفت النظر إلى ميزات خاصة في نظرية أفلاطون. إن فيلسوفنا يحاول أن يشرح لنا انعكاس الصور في المرايا، والوهم المماثل الذي يحصل عندما ننظر إلى الشيء ورأسنا إلى أسفل. ولا يلتفت في شرحه إلى رؤية العينين، ولكنه يعتبر جسم الرؤية بمثابة قضيب مستقيم، ولا يخلو من بعض الكثافة، فيه قسم أيمن وقسم أيسر. ويفسر أفلاطون انعكاسات الصورة البصرية بتنقلات الشيء النسبية ومصدر جسم الرؤية. إلا أن النص الغريب المتعلق بالمرايا المقعرة، يجعلنا نفترض أن أفلاطون كان قد استشفّ مبادئ علم الضوء والبصر الهندسية. فبها يشرحون اليوم انعكاس الصور بتقاطع الأشعة وتصالبها.

٣ - الألـــوان :

إن أفلاطون يميز مراراً بين الشكل واللون. ولكنه لا يبحث إلا عن رؤية الألوان، دون رؤية الشكل ونتوء الشيء.

وفي رأي أفلاطون أربعة ألوان أساسية: الأسود والأبيض، واللون الوضّاء المتألق اللماع[١]، وأخيراً الأحمر وهو التماع الأشعة ذات الضياء المعتدل في ماء العين[٢]. فيعتقد إذن أن الأسود والأبيض وكذلك «اللماعّ» هي صنوف اللون[٣] . أما الأحمر فيبدو أن ليس له سوى حقيقة نسبية، إذ يتولد لا في «جسم الرؤية»، بل في العين ذاتها. ومن ثم يتهيأ لنا أن أفلاطون قد ضم نظريتين في الرؤية مختلفتين، دون أن يدمج الواحدة في الأخرى.

---

(١) راجع فِيذُن ١١٠ c d.

(٢) التيمئس ٦٨ c.

(٣) ٦٧ c و٦٨ e، ثئيتتس ١٥٣ d، الجمهورية ٧: ٥٢٣ d، فيلفس ١٢ e، ابْرتُغورَس ٣٢١ d، ٣٤٦ d.

والألوان التسعة الرئيسيّة الأخرى تنحدر من هذه الألوان الأساسيّة الأربعة بامتزاجات يصفها لنا أفلاطون. واليك تلك الألوان: الأصفر الذهّبي والأرجواني، والأسمر الفاقع، والأسمر الفاتح، والأغبر، والأصفر الفاهي والأزرق السماوي، والأخضر المشرب زرقةً، وأخيراً الأخضر.

ولا تقابل هذه المزائج المشار إليها مزائجَ الأنوار الملوّنة في علم الضوء الحديث. فيبدو أن أفلاطون – وكذلك صاحب كتاب الألوان المنسوبة نِحلةً إلى أرسطو – يفكّر بمزائج واقعيّة، تشبه ما يستعمله منها الرسامون والصباغون.

أما النظرية التي يعرضها أرسطو، في كتاب الأحداث الفلكيّة، بصدد قوس قزح، فهي تختلف بعض الاختلاف عن النظريّة السابقة. فأرسطو يعرف ثلاثة ألوان أساسيّة: أحمر قانيء، وأخضر زاهٍ، وأرجواني(٤). ولا يذكر أفلاطون إلا هذين الأخيرين. أمّا الأحمر القاني، فلا يأتي على ذكره إلا في حوار تِيْمِئس اللوُكْريّ (١٠١ e). وتختلف كلّ هذه الألوان في نظر أفلاطون، لا لأنّها مشربة، بل لأنها صافية صفاء أوفر أو أقلّ(٥). فأجمل أبيض ليس الأبيض الحاوي أوفى كميّة من البياض، بل الأبيض الأقلّ مزجاً.

أخيراً يعترف أفلاطون أنّ هناك صلةً بين بعض الصفات في الأشياء وبين لونها، وأنّ هناك ألواناً طبيعيّة، خاصة ببعض المواد المرة (٨٣ b). والأحمر هو لون طبيعيّ في الدم (٨٠ e). وقد يتوصّل المرء على هذا المنوال إلى اعتبار الألوان نفسها نظائر موادّ قابلة أن تمثل في المزائج. راجع على هذا السبيل الفقرة (٧٤ d). من هذا الحوار.

فكيف نوفّق بين هذه الإشارات وبين مقطع ثئيتتس (١٥٣ d e) وما يلي)، حيث يبدو أن الألوان توفّر لنا أنصع مثالٍ على نسبية الإحساسات؟ ذاك أنّ

---

(٤) ٣: ٢: ٣٨٢ a، ٣ الخ.

(٥) فِيلفس ٥٢ c و٥٣ a b.

أفلاطون ربّما يعرض لنا، في حوار ثِيِّيْتِتُسْ، لا تعليما شخصياً ونهائياً في موضوع الألوان، بل رأياً من الآراء ابداه غيره من المفكّرين، وأحبّ أن يستغلّه موقتاً ريثما يهيّء نظرياته الخاصّة.

٤ - السمع :

إن الدرس السمع أكثر اقتضاباً عند أفلاطون. وهنا أيضاً نلاحظ أن معلومات التيمئس تتّفق إجمالاً مع معطيات الحوارات الأخرى: حوار خَرْمِيْذِس وثِيِّيْتِتُس والسُفستيّ[١] فكما أنّ اللون هو غرض الرؤية، كذلك الطنين هو غرض السمع. وقد لاحظ أحد النقّاد أن كلمة فُنِيَ الصوت تُستعمل بمعنى عامّ وتدل على كل ضرب من الضجيج أو القرقعة [٢].

والتِيمئس يحدّد الطنين أو الصوت تحديداً يثير الاهتمام: «إن الصوت هو اختلاج ينقله الأثير خلال المسمعين إلى الدماغ فالدم. ومن هناك ينتشر حتى الروح. والحركة الناشئة عن هذا الاختلاج البادئ في الرأس والمنتهي في الكبد هو السماع»(٦٧). ويلخص ثِئُوفْرَسْتُسَ هذا التعريف بهذه العبارة: «صدمة ينقلها الأثير فالدماغ والدم خلال المسمعين إلى النفس» (رأي ٥٠٠: ١٤). وكلمة أبْلِغي التي يعمد إليها أفلاطون ليعيّن تلك الصدمة، يجب أن لا تحملنا على الظنّ أن الفيلسوف توهّم الطنين كارتجاج أثيري[٣]. لا بل يبدو لنا أنه يعتبر الصوت البشري، وهو يثير اهتمامه بوجه خاصّ، يعتبره بمثابة عجلة للفكر وحقيقة تداني الكائنات المجردة[٤]. وسوف يؤكّد النقّاد فيما بعد أن أفلاطون قد عدّ الصوت حقيقة لا جسم لها.

---

(١) خرميذس ١٦٨ d.

(٢) أئيتيس ٤: ١٦: ٤: (الرأي ٤٠٦ a ٢٨)، ٤: ٩: ١٠ (٤٠٧ a٢٢)؛ ٤: ٢٠: ١ (الرأي ٤٠٩ a ٢٥): ثِئوُفْرَ ستُسُ، في الحواس ٦ (الرأي ١٤،٥٠٠).

(٣) بيئر م. م. ص١٨٠ -١١٠.

(٤) رأي ٤٠٧ a ٢٧؛ a ٢٥؛ ٥٢٥، ١٧، رَ أرسطو، في النفس ٤٣٠ b ٢٨.

وعلى كل حال، فالعمليّة التي يصفها الفيلسوف غريبة. إذ لِمَ يتدخل الكبد فيها؟ لأن الطنين الجهوري جداً يهزّ الجسم حتى في أعمق أجزائه؟ أليس الجواب بالأحرى أنّ الكبد، وهو عضو الإنباء بالغيب، مكلّف بقبول كل صور الحقائق العلويّة؟

٥ - الــذوق :

يعرض لنا أفلاطون بشان تذوّق مختلف الموادّ نظريّتين متباينتين بعض التباين.

وتبدو أولاهما آلية صرفة. فأخشن قسيمات الأجسام تؤتينا المذاقات القابضة والتي تقلّ عن تلك خشونة تؤتينا المذاقات الفجّة. والقسيمات تحدث في الفم فعلاً منظّفاً مطهّراً لها طعم مالح. والقسيمات المنظّفة غاية التنظيف حتى إتلاف الأنسجة، تسمّى مُرةً. والتي تتبخّر في حرارة الفم وتّنْشَب في المنخرين تدعى حادّة. والتي تحدث تخمّراً يقال عنها مزّة، ويدعون أخيراً عذبةً القسيمات التي تصقل أرداف اللسان. فهناك إذن سبع مذاقات أساسيّة، يعرضها ثِئُوفْرَسْتُس في جلاء كبير، أخذاً عن التِيمِئس[١].

إلا أن أفلاطون يضيف إلى هذا التفسير الآلي، نظرية كيميائية حفظ منها أرسطو لبْها[٢]. ولا يمكن المذاقات أن تنشأ وتنمو إلاّ في السوائل المائلة إلى التبخّر أو التحلّل. فسيبحث أفلاطون إذن عن المذاقات وعن خواص السوائل معاً. وسوف تتمثّل له الماويّات المختلفة ذات المذاق والطعم بمثابة أصناف من الماء. وسيقف منها تيمِئس اللوكْريّ نفس الموقف[٣].

---

(١) في الحواس ٨٤.

(٢) بيئر م. م. ص١٧٣. -

(٣) التيمئس ٦٥ de، والتيمئس اللوكري ١٠٠ e. -

٦ - الشمّ

تكثر الملاحظات ذات المغزى في الصفحة المقتطعة لحاسّة الشم. بما أن كل رائحة تنطوي على عملية كيميائيّة تماثل عملية التخمّر أو التبخر، فالأجسام الأوليّة لا رائحة لها. ويقول أرسطو هو أيضاً أن العناصر غير روّاحة (التيمئس ٦٦ d، ٦٧ a): ويتكلم أفلاطون عن العطور، كلام رجل يحبّها. ويؤكد في الجمهورية (٥٨٤ b) وفي حوار فِيْلفسْ (٧١ b) أن الشمّ هو الحاسّة التي تؤتينا أنقى الملذات.

٧ - اللمس

كلام أفلاطون في اللمس وجيز جداً. وهو يربط باللمس ما قد ندعوه الحسَّ الباطني والحسّ الحراري. وعضو هذه الإحساسات المشترك هو اللحم. وهذا ما سوف يردّده تيمِئُس اللوكرّي وثئُوفرَسْتُس[(١)].

٨ - الحسّ المشترك

إن رأي أفلاطون في الأرواح أو النفوس الثلاث، الحالّة في أقسامٍ مختلفة من الجسم، تمنعه فيما يبدو من الكلام عن حسّ مشترك.

وقد لاحظ غَلِينُس هذا الأمر من عهد بعيد، ولفت إليه النظر من بعده بيْئر[(١)]. ومع ذلك فأفلاطون يقول إن في الدماغ مركزاً تأتي المشاعر الحسيّة وتتجمع فيه[(٢)]. ويبدو أن بعض الإحساسات العنيفة عنفاً خاصّاً يمكنها أن ترقى إلى الدماغ، وان تؤثر فيه مباشرة، كالروائح الحادّة والمذاقات القابضة[(٣)].

---

٧ - (١) التيمئس ٦١ d، ٦٤ a، ثئوفوس: في الحواس، ف ٥.

٨ - (١) غلينس، الرأي ٥٠٥، ٥٠٩، بيئر م. م ص ٢٧٠ -٢٧٥.

(٢) التيمئس ٦٤ ac، فيلفس، ٣٣ d، ٣٤ a، ٣٩ bd، ثئيتتس، ١٥٦ a، ١٨٤ d، ١٨٥ a.

(٣) التيمئس ٦٥c، ٦٦ d، ٦٧ a.

والحال أن الدماغ هو مقرّ العقل، والعقل وحده قادر أن يعرف الإحساسات وان يميّز بين الأشياء. فالحسّ المشترك إذن والإدراك ذاته واحد إذ إليه تبلغ معطيات الحواس، على الأقل جزئياً. فأفلاطون، على ما رأينا لم يفصِل بين أرواح الإنسان الثلاث بحواجز لا يمكن المرء أن يتخطاها. بل أنه يُعنى على عكس ذلك بأن يوفّر بينها اتصالات متنوّعة، تجري على السواء في كلا الاتجاهين. فكما أن العقل يتأثر بأثر الأرواح السفلى الخاضعة له. فهو أيضاً يملي عليها أوامره، ويسيّر عملياتها. وحتى لدى الكائنات الدنيا، وفي داخل أرواحها، المحرومة فيما يبدو من نور العقل، نجد أثراً ضئيلاً لإشعاع المعقول. ومهما بلغت شقّة التباعد بين العالم العقليّ والعالم المحسوس، فأفلاطون يقول بانّ المرء يمرّ تدريجياً ودون ما انقطاع من الواحد إلى الآخر.

٩ - مصادر هذه النظريات

إلا أنّ أفلاطون قد حفظ لنظريّة الإحساسات صفة العضويّة المحضة. وقد تجنّب على ما يبدو، وربما عن تصميمٍ، أن يطرح بشأنها المسائل الفلسفيّة وقد ناقشها من قبل في حوار ثِيئِتِتُسْ بكثير من القوّة والدقّة.

ونحن نعرف، وبالضبط عن طريق الثِيئِتَتُس، أن تلك المسائل كانت قد أثيرت ونوقشت نقاشاً طويلاً لدى سابقيه ومعاصريه. فقد نظر إليها امْبِذُكلْيس والذرّيون وغُرَغيس وأنْتسْثِينْس وغيرهم، من كلّ وجوهها.

ولكن أفلاطون، وهو يعرف مؤكّداً كل تلك المنازعات. لا يريد أن يأتينا في هذا المقام إلا بأحداث دقيقة. ويبغي أن يتكلّم كلام عالمٍ طبيعيّ وفيزيائيّ. فإلى أي حدّ يستغلّ تآليف سابقيه، لا سيما الْكمْئُن وامْبِذكليس وذِموكرِتُس، وإلى أي حدّ يقوم بعملٍ شخصي؟ إن المعلومات تنقصنا للبتّ في هذا الأمر.

الفصل الثامن

علم الأمَراض وَالمدَاوَاة وَالوقايـة

١ - مبدأ علم الأمراض الأفلاطوني:

كلمّا تراكمت التفاصيل في حوار أفلاطون هذا، يظهر على الفيلسوف أن يستحثّ خطاه ويتضجر ليبلغ نهاية عمله. على أننا في بحث المرضية والمداواة قد أشرفنا على أنفع المعارف وأكثرها ضرورة للبشرية.

إن الجهاز البشري عرضة للأمراض، وهو يخالف في ذلك الحيوان السماوي. فمكافحة الأمراض وشفاؤها مهمة من مهمات العالم الرئيسية. هذا وبصورة عامة جداً هناك أربعة أسباب للأمراض:

١ - الزيادة أو النقصان في نسبة الداخلة في تركيب الجسم البشري.

٢ - تبديل لا قانونيّ في وضع العناصر النسبيّ.

٣ - تبديل لا قانونيّ في خواصّ تلك العناصر.

٤ - أخيراً اضطرابات في استساغة الغذاء وفي نبذه (٨٣ b).

غير أن أسباباً أخصّ تُضاف إلى تلك الأسباب العامة. فلا بد من تحديدها. إذ إنّ العناصر الأربعة في الواقع، لا تدخل في تركيب الأجسام

الحية صرفةً. بل تؤلف فيها مزائج مشتقّة أو «ثانوية»، تنشأ عنها العظام والعضلات واللحم والدم وكل الأنسجة. واهم تلك المزائج الدم إذ منه يتولد اللحم والوشائج.

٢ - اللحم والدم:

والدم يحوي ثلاث موادّ مختلفة: ألياف، وراسب يتخثّر بعد انفصاله عن الليف، وأخيراً سائل ذهني لزج، يتقطر من الألياف واللحم، وظيفته من جهةٍ تغذية العظام، ومن جهة أخرى، إلصاق اللحم بالعظام. فيبدو هكذا أن اللحم ينجم عن تجمد الدم جزئياً وأنه يتركّب من نفس العناصر الأساسيّة.

فالقاعدة والنظام يبغيان أن ينتج عن الدم. ولكّن الخلل يطرأ عندما يعود اللحم، على عكس ذلك، كلُّه أو جزئياً إلى حالة السوائل ويتدفّق في المجاري وقد اتخذ شكل دم فاسد. ومن ثّمَّ تُزجّي المجاري دماً تمازجه الصفراء والخُثارة أو غيرها من النُخام والقَيح على اختلافهما. هذه هي علّة الأمراض الرئيسية.

٣ - تحلّل اللحم :

وبين هذه الأخلاط الخاطئة أهمّها الصفراء والخُثارة. فهناك للصفراء صنوف عدّة، نظراً لعمر اللحم الذي أنتجها. فلحم أسود قد شاخ يُنتج حيناً صفراء ضاربة إلى السواد، مُرّة أو حامضة حسب الحالات، وحيناً صفراء مائلة إلى الاحمرار، وحيناً صفراء خضراوية، عندما يتمازج اللونان السابقان. ولحم حديث العهد عندما يميع ينتج صفراء مُرَّة (٨٣ c).

وعلى النحو عينه، هناك للخُثارة صنوف عدّة. خثارة عذبة تنجم مباشرة عن الدم، وخثارة حامضة تصدر عن الصفراء، وأخيراً خثارة راغية تنجم عن لحم حديث العهد، داخلها الهواء وأرغى (٨٣ d). وهذا الصنف

الأخير يسبّب الدموع والعرق. وهذه الرطوبات كلها لا تسبّب الأمراض حتماً، لا سيّما عندما تتسرّب إلى الخارج كالعرق. بيد أنها مبدئياً ضارّة، إذ تُضخّم كميّة السوائل في الجسم على حساب اللحم.

فبناء على هذه المبادئ، يصنّف أفلاطون الأمراض ويوزّعها إلى أربع فئات:

١ً) الأمراض الناجمة عن ميوعة اللحم.

ولها أربعة أشكال من الخطورة المتفاقمة:

أ - الميوعة ابتدأت ولكنها لم تنشب بعد في قواعد اللحم الأساسية، أي في ما يشدّ اللحم إلى العظم (٨٣ e).

ب - الميوعة تبلغ الغلاف اللزج الواصل العظام باللحم. فيخشوشن ذاك الغلاف، ويكتظّ بالملح، فيذوب تحت اللحم إلى أن تتقلّص الأوصال وتنفك عن العظام، واللحم المنفكّ ينحدر في الدم (٨٤ a b).

ج - وتبدأ هذه الظاهرة، ليس في اللحم، ولكن في العظام. فتَتْخَر هذه وتُنتن وتُفسد اللحم ثم الدم وهذا ما يحدث عندما يتكاثف اللحم حتى يمنع العظامَ عن التنفّس (٨٤ b).

د - أخيراً يمكن أن يُصاب النخاع نفسه (٨٤ c).

٢ً) الأمراض الناجمة عن الهواء

لا تُقصر مهمّة الرئة على تبريد القلب. إنها أيضاً موزّع الهواء الأكبر على الجسم (٨٤ c). فعندما تنسدّ بعض ممرّات الهواء لا يعود قسم من الجسم يتلقّاه. وهكذا يكثر عمل الممرّات الباقية حرّة، فترتخي وتتمدّد. وعلاوة على ذلك، يتراكم الهواء المتزايد في جوار الغشاء الحاجز، ويشوّهه. أو يتكدّس داخل اللحم حول المجاري والأوصال. فينشأ عن ذلك المرض المدعو تيْتَنُسْ وأَبِسْتُوتُنُـــَس (٨٤ e). ولا يتراجع هذا المرض ما لم تفاجئه الحمّى.

٣ً) الأمراض الناجمة عن الخثارة:

إن الخُثارة إذا امتلأت فقاقيع، أي نُخاماً أبيض، تستطيع أن تلطخ الجسم ببقع بيضاء، عندما يتمكّن الهواء أن يغادر الفقاقيع ليلج تحت البشرة (٨٥ a). وحين تختلط الخثارة بالسويداء، تشوّش دوران العقل وتسبّب الداء المقدّس أي الصرَع (٨٥ b). واضطراب مماثل، ولكن أقلّ وطأة، يحدث الأحلام (ن.م.) أخيراً إن الخُثارة الحامضة والمالحة الناجمة عن الصفراء تسبّب الزكام والنزلات الصدرية (ن.م.).

٤ً) الأمراض الناجمة عن الصفراء:

تحدث الصفراء عموماً كل الالتهابات. ولكنّا نميّز بين البثور أو القروح، وهي تنشأ عندما تجد الصفراء مخرجاً، وبين الالتهابات الشاملة. ولفهم تفشّي هذه الالتهابات الأخيرة، لا بدّ أن نتصورّ أن الدم يتألف من نقيع تحضنه ألياف تسبّب التخثر بعد الموت (٨٥ d).

فإن ولجت الصفراء الدم، وكانت كميّتها زهيدة، خثرتها الألياف، وأحدثت بذلك برودة سريعة في الجسم ترافقها قشعريرة (٨٥ e). وإن اقتحمت الصفراء الدم، وكانت كميتها كبيرة، فهي تشوّش الألياف، وإن بلغت النخاع تستطيع أن تفصم العرى الرابطة الروحَ بالجسد (ن.م.). ولكنّ الجسم يحمي نفسه من ذاك الاقتحام ويطرد الصفراء بالإسهال والزُحار.

٤ - الحميات:

قد يظن المرء أن الحميّات ناجمة عن فعل الصفراء. ليس لهذه من دخل في الأمر. لأن أفلاطون يفسّرها بفعل العناصر المباشر، أو بفعل أحد العناصر إذا تزايد. ويقسم الحميات إلى أربعة أنواع (٨٦ a): الحميّات

المتواصلة، واليوميّة والثلاثية والرباعيّة، طبقاً لازدياد أو نقصان سرعة الحركات لدى العنصر الذي يحدثها.

وكأن أفلاطون يعتبر الحميّات بمثابة تعقيد أو أزمة في الأمراض الأخرى. وتأزم الحال فيها قد يسوق الشفاء.

٥ - مصادر علم الأمراض في التيمئس:

إن تشخيص الأمراض (أي المرضيّة) المقتضب هذا هو متشوّش عند أفلاطون إلى حدّ بعيد. ويظهر بِدائيّاً إذا ما قيس بالتشخيص المرضي في الدراسات الهِبّــكْراتيّة. ويصعب تعيين عدّة أمراض يذكرها التِيْمِئُس. والتِيْتَنُيس والأُبِسْتُوتُيُنَسْ يذكرهما كثيراً الأطباء اليونان. وهم يلاحظون شأن أفلاطون، فعل الحميّات المعافي من هذه الأمراض[١]. أما المرض الذي يغشّي الجسم ببقع بيضاء، فيمكن أن يكون مرض الالتهاب الأبيض الذي يصفه كتاب الأدواء[٢] أو أن يكون الحرق فقط لا غير. وعلى كلّ حال فتعداد العلل ناقص زريّ.

فمن أين استمدّ أفلاطون عناصر مثل هذا التشخيص؟ من الثابت الأكيد أنه كان يعرف مصنّفات الطب. وقد كانت على ما يبدو وافرةً جداً في القرن الخامس ق.م. وعندما يشير إلى الأطباء، فذلك عادة كي يسخر منهم دون كيس أو ظرف. وهو يتهكّم مراراً في حواراته[٣] بِهُرُنِكْسْ السِلِمْفْرِيّ وهِبكْراتِس لا يرد اسمه في التِيمِئس، ولكنّه يُذكر في فِيذْرُس بعبارات سخريّة[٤] (٢٧٣ c).

---

(١) لِتْرِيه ٤، ٥٢٣: ٥، ٦٥٩: ٩، ٢٩٥.

(٢) لِتْرِيه ٦، ٢٢٨ في العلل، ١٩.

(٣) الجمهورية ٣، ٤٠٦ a c، ابرتغورس ٣١٦ d، فيذرُسْ d.

(٤) رَ في التيمئس ٨٨ a تلميح الاستخفاف إلى أخطاء الأطباء «الخادعة العدد الأفر ممّن يُقال عنهم أطباء».

فنستطيع إذن أن نفترض أنّ أفلاطون قد عمد إلى بعض أبحاث سبقت عهده، وربّما دون أن يزعج نفسه كثيراً ليعبّر عن نظريّة شخصيّة. وقد كانت التعاليم الطبيّة كثيرة ومتنوّعة، ولم يترتّب عليه سوى حيرة الاختيار. فبعض تلك التعاليم راحت تعلّل الأدواء بفعل المتناقضات، على ما فعل أَلْكْمِيئُنْ. وغيرها، لا سيما تعاليم هِبُكْرِاتِس وأتباعه، عمدت إلى «مزائج العناصر الثانويّة» أي الأخلاط والرطوبات. أمّا أمبِذُ كْلِيس والمحافظون من تلاميذه، فقد كانوا يتمسّكون بفعل العناصر الأربعة المباشر.

ويبدو أنّ أفلاطون قد استمدَّ من هنا وهناك فرضيّات متنوّعة، ولا يحاول حتى التوفيق بينها. فمذهب تحلّل اللحوم المستغرب وتطوّر الأخلاط، الذي عثرنا عليه في التيمِئس، هل هو منه شخصياً يا ترى؟ إن الأمر لا يستحيل، ولكنّ النصوص تنقصنا لإثباته. وعل كل حال، هناك بعض التشابه بين نظريّة التيمِئس والنظرية المعروضة في كتاب الطبيعة البشرية(٥).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد رأينا أن أفلاطون ينسب إلى الهواء الذي تُطبق عليه فقاقيع الخثارة البيضاء، دوراً خطيراً. والحال أن بعض أطباء الإغريق كانوا يعلّلون جملة من الأمراض بفعل الأرياح(٦).

وكتيّب الطب الذي وجده كينين وحلّ رموزه ديلز يُفرد فصلاً كاملاً لتعاليم أفلاطون الطبيّة(٧). إلا أن المؤلِّف قد استمدّ معلوماته لا من نصّ

---

(٥) ف ٤ لِتْريه ٥: ٣٨: «إن جسم الإنسان يحوي في ذاته دماً ونُخاماً وصفراء مائلة إلى الشَقَار أو السواد». L. 6. 40.

(٦) راجع Peri dietis oxéon للِتْريه ٢، ٣٩٤، Ilberg Kuchlewein ، ١، ١٤٦، ثم الدراسة الصغيرة حول الطبائع، وفيها تعليل الرعشة، والزُحار، والتورّم وبصق الدم والاستسقاء وانفجار الدماغ والصرع، كل ذلك بفعل الهواء المحتجز في الجسم لِتْريــه ٦: /١٠٠، ١٠٤، ١٠٦.

(٧) Supplementum aristotelicum. III. 1. Anonymus Londonensis ex Aristotelis iatricis. Menonlis et aliis medicis Eclogae. Berlin. 1893.

التيِمئس بالذات، بل من مجموعة مقتطفات قد شُوِّهت من ذلك الحين تشويهاً وافياً، وأقحم فيها اضافات مختلفة(٨). ولا يعثر المرء فقط في ملخّصه هذا على إشارات لم ترد في التيِمئس، بل يجد أنّ ترتيب الفصول في ذلك الحوار قد تغيّر. وأكبر اهتمام تثيره لدينا هذه المجموعة هو أنّ القوم في زمن ارسطو قد نظروا بجدٍّ كبير إلى علم المرضيّة الأفلاطوني.

٦ - أمراض النفس:

النفس أو الروح لها أيضاً أمراضها. وأمراضها الجهل والجنون (٨٦ b) ولكنّ أصل تلك الأمراض في النهاية جسدي. فالجنون مثلاً سببه افراط في اللذة أو الألم، يظلم العقلُ على أثره. وهذا الافراط ذاته ناجم عن اضطرابات في الوظائف العضوية، فازدياد المِنى المسرف يعكّر دوران العقل، وكذلك تسرّب بعض الاخلاط المزّة أو الفاسدة إلى الدماغ (٨٦ e d).

وإن كانت الشِرّة ضرباً من الجنون، فقول سقراط: ما من أحد يكون شريراً بإرادته، يتّخذ معنى جديداً ويزداد دقّة وجلاء(١).

٧ - المداواة والوقاية:

إن المداواة الأفلاطونيّة بسيطة، ومردّها إلى أقدم التقاليد في الطب اليوناني. وعلى ما يتبيّن لنا من المجموعة الهبكْراتيّة، قد فضّل أطباء جزيرة

---

(٨) ف ١٤: ١٢: تمييز أنواع المزائج الأربعة، ويبدو أن تمييزاً كهذا أصلة رواقيّ (راجع فيه Arius Didymus op. Stobée Ecl. I, 17, 1, p. 154, 8 Wachsmuth ف ١٤: ٤٤: «لأن النفس قد علقت بالنخاع».
إن هذا القول يبالغ في تفهم نصّ أفلاطون. – ف ١٦: ١ المقطع المتعلّق باللسان وتأييده بنصّ، لا يوجدان في حوار التيمئس، كما لا يوجد التشبيه الوارد في: ١٦: ٢٤ -٢٥، ر حوار التيمئس ٧٢ e ، ٧٣ a – ف١٧: ٢ وظيفة الرئة تخفيف سرعة حركات القلب، لا تبريد القلب، على مايقول التيمئس. أخيراً نجد أن الترتيب قد تغيّر عما كان في الحوار.
(١) ابرتغورس ٢٤٥ e، الشرائع ١١: ٩٣٢.

كُوس، كلْهم أو جلّهم المعالجة الطبيعيّة، بوسائل الوقاية أو التمارين الرياضيّة، على العلاجات العويصة والعقاقير. فالحمّامات الدافئة أو الباردة وحماوة المقصورة أو حرارة الشمس، والرياضة البدنيّة المنظّمة، هذه كلّها في نظرهم عوامل شفاء أكثر فعالية من مستحضرات الصيدلة.

وأفلاطون ينحاز كل الانحياز إلى رأيهم، دون أن يعني موقفه هذا أنه يرذل على الإطلاق استعمال الأدوية (٨٩ b). غير أنه يضيف، فيما يبدو، بعض عناصر جديدة إلى نظريّة أطباء كُوْس. فهو يلحّ خصوصاً في ابراز دور التمارين الرياضيّة الخاص. ودورها أن تعيد علاقات التوازن والتناغم المفروض وجودها طبعاً بين مختلف أقسام المركّب الانساني: بين أقسام الجسم، بين الروح والجسد، وبين وظائف الروح المختلفة.

فمعلم الرياضة البدنية يتعاون والطبيب. لا بل ينوب منابه وعلى خير وجه، في أغلب الأحيان[1]. ويظهر لنا أفلاطون، أقله في التِيمِئس، بعيداً عن تلك الصوفيّة النسكيّة المتنكرة للجسد، التي سوف يعتنقها بعض تلاميذه. فهو يروم التوازن والاعتدال في كل شيء. ولا يقل رذله ترويض القوى الروحية بمفردها، عن رذله ترويضَ الوظائف الجسديّة دون غيرها.

(١) السياسي ٢٦٧ e ٢٩٥ e، الشرائع ٣: ٦٨٤ e.

الختــام

لقد استعرضنا هكذا التعاليم الرئيسيّة في التِيمئِس وحاولنا جمع المعلومات الضرورية لفهم معناها. فما هو الانطباع الذي يمكن استخلاصه من سلسلة هذه المباحث الخاصة؟

إن التِيمئِس هو أولاً محاولة رام بها أفلاطون أن يلخّص، في مقال وجيز، مجموعة معارف العلماء الأفلاطونيين حول الطبيعة. فهو يحوي تأليفاً مترابطاً، مقتضباً ولكن شبه كامل، لجميع معلومات أفلاطون عن الطبيعة. وقسم كبير من ذلك التأليف المترابط لايتجلى لنا كعمل شخصي. فلا بدّ أن نرى فيه دونما ريب، لا نتيجة أبحاث وملاحظات شخصية، وإنما تركيز المعارف المكتسبة في البيئة السقراطية الأفلاطونية. وقد استفاد أفلاطون خصوصاً من أشغال تلاميذه وأشغال تلاميذ سقراط، وربما أيضاً بين الحين والحين من مباحث سابقة.

أمّا عمله الخاص فهو إدخال هذه العناصر في مجموعة جيّدة السبك، فُرضت بتماسكها وتوازنها مدة أجيال على العلماء اليونان. فالتِيمئِس من هذا الباب هو شبه صورة مستجدّة ومطلعة لأشغال العلم القديم. وهي تبدو أحياناً وكأنها تجاري إطارات وأساليب ذلك العلم.

وفي الواقع، بين المحاولات السالفة لتفسير الكون تفسيراً شاملاً، هناك محاولة يحملنا التِيمئِس على الالتفات إليها فوراً، ألا وهي محاولة **أمبذُكْليس**.

فمنظومته «حول الطبيعة» لا تزال، مع ازدراء أرسطو لها، أوسع وأعمق مصنّفٍ خصّ الأقدمون به الكون، قبل موسوعة ذِمَوكْرِتُسْ أو أفلاطون. وكثيرة تفاصيل التِيمئِس التي تحملنا على أن أفلاطون قد تذكّر نظريّات الفيلسوف الصِقليّ، تلك النظريات التي سوف ينتقدها انتقاداً لاذعاً جداً في كتاب الشرائع (١٠: ٨٨٩ b).

لا ريب أن التعليم المتعلق بالعناصر هو ثروة مشتركة أسهم فيها جمهرة من العلماء في القرن السادس والخامس. ورغم جهود أفلاطون ليؤتي ذلك التعليم ضبطاً ودقة، فهو يحتفظ في التِيمئِس بصبغة وافرة من القدم. ونظرية المكان الطبيعي التي تكمّله، لا تكاد معالمها تبرز للعيان[١]. وتوازن الأرض في مركز الكون كان أمْبذُكليس قد فسّره بحركة آلية تداني الحركة التي يصفها أفلاطون[٢]. وخصوصاً وصف الطبيعة البشرية يذكّرنا بشروحات أمْبِذكليس أو الأطباء الذي كانوا يستوحونه. فالانسان في نظر أفلاطون كما هو في نظر أمبِذُكْليس، عالم أصغر بنيانه مرتبط ببنيان الكلّ[٣].

والفيلسوفان يشرحان على وجه مماثل تقريباً حركة التنفس[٤] ونشوء أنسجة الجهاز الجسمي[٥]. أخيراً تبدو نظرية الاحساسات في التِيمئِس نقلاً عن نظرية أمْبِذكليس ببعض الحرية والتصرّف[٦]. وإجمالاً يتمثّل لنا التِيمئِس برمّته وكأنه يطبّق على مذهب غائي، ملاحظات وفرضيّات استمدها من

(١) أئيتسيس ٢: ٧: ٦ (الرأي ٣٣٦).

(٢) كتاب السماء ٢: ١٣: ٢٩٥ a ١٣.

(٣) هِبُكْراتِس، الوصفات الطبية ٢٠.

(٤) أئيتسيس ٤٢: ٢٢: ١ (الرأي ٤١١).

(٥) أئيتسيس ٥: ٢٢: ١ (الرأي ٤٣٤).

(٦) ثئوفْرَستُس، في الحسّ، ١ ومايلي (الرأي ٤٩٩).

فلسفة آلية. أفلم يعمد أفلاطون لتحقيق هذا المشروع الجريء إلى إنتاج أمْبِذكليس، المتعثر ربما مع ما هو عليه من عظمة، أو إلى تخريج غُرغِيسَّ لذلك الإنتاج، وقد أسبغ عليه قسطاً أوفى من الدماثة والأناقة؟

وأفلاطون، مع سروره الباطنيّ الوافر من عمله، لا تأخذه الأوهام بشأن قيمة ذاك العمل المطلقة. لا غرو أنه يصعب على المرء أن يجد تفسيراً شاملاً أفضل. ولكن عندما يدور البحث حول عالم الظواهر، الضبط والتدقيق الكامل يمتنعان عن العلم البشري. فظاهرة واحدة قابلت شروحات عدّة، كلها تداني الحقيقة. وبين الصور المتنوعة التي يمكن للمرء أن يصوّر بها الأشياء، يصعب عليه الاختيار، واختياره يلبث في عدد منها اعتباطياً.

ويوم وعى الفكر اليونانيّ ضرورة المطلق، ونبّهه إليها مفكرو إلِيئَا، عرف في آن واحد أنّ ذاك المطلق لا يُدانيه عقل في عالم هذه الدنيا. فلم يسبغ إذن أفلاطون، على عرضه الأمور، شكل رواية، في نزوة فقط من نزوات الفنّانين، لأنّ الله وحده يعرف الحقيقة المطلقة. أما الانسان فقد فُرض عليه أن يكتفي بالفرضيّات أو الصور التقريبيّة. لا بل هناك مشكلات يعجز أن يُقدّم عنها فرضيّات.

بيد أن الفيلسوف مضطّر إلى المجازفة. وعليه أن يحاول فهم الكون، ولا يجزع من خطر خطأ لا مندوحة عنه. ومع هذا كله ففي بناء أفلاطون الناقص، أقسام متينة وربّما مكتسبة للعلم نهائيّاً. وفي مجال الفلك والفيزياء وحتى في مجال الطبّ، ترصف وقائع ثابتة، وإن تباعدت، في البنيان العلميّ، وتحوّل ما كان يمكن أن يبدو نزوة شاعر إلى حقيقة عميقة شبه أكيدة.

ولا بدّ خصوصاً، للتجرؤ على خوض مغامرة كهذه، من ثقة بالغة في قوى العقل. وهذه الثقة يستمدّها أفلاطون من نظريّة المثل، من اعتقاد لا يتزعزع بصور لا تتحوّل، منسجمة التنسيق، تنظّم أحداث الكون بأسرها،

وتخضعها لسنُة الخير، على كره انتفاضات الصيرورة. ولكي يتمكّن التحوّل نفسه، أن يجري هكذا جرياً منتظماً ضمن إطارات معقولة، يتوجّب وجود نظام صور سرمدي، ووجود واقع ثابت لا يستحيل أبداً. فالتِيمئِس يعبّر عن هذه العقيدة في كل صفحة من صفحاته تقريباً. والأفلاطونيّة برمّتها تُلخَّص في هذه العقيدة. ولا يبعد فقط أن يقوم التناقض بين فلسفة أفلاطون السابقة وبين تعالم التِيمئِس، بل إن هذه التعاليم في كل تفاصيلها تثبت وتبرّر المبادئ المستخلصة من الحوارات السابقة.

هذا، ولا بدّ من المعرفة أن الفيزياء وعلم الفلك وعلم الكون إجمالاً لا تشكّل الموضوع الرئيسيّ في حوارنا. ولكن الموضوع الحقيقيّ في الحوارات الثلاثة غير المُنجزة، والتِيمئِس كان بمثابة مقدّمة لها، هو تاريخ البشرية، كما كان يُفرض أن يتسلسل، لولا وقوع ألف سببٍ معكّر، لا يسع ذهننا أن يسبق ويستشفّها. فالتِيمئِس ينطوي بالضبط على فلسفة للتاريخ، تمتّ عن طريق العلوم التي تبحث فيها تلك الفلسفة وتلخُصها، إلى نظرةٍ شاملة لتعليل الطبيعة. فالكون لا يثير اهتمام أفلاطون، إلا بمقدار ما تساعد معرفته على تفهّم ذاتنا ومعالجتها، وتنظيم المجتمع البشري خير تنظيم. ولا يقصد الفيلسوف أي مجتمع، وإنّما دولة أثينا. وما انفكّ متعلقاً بها تعلق الولع والهيام مدى العمر، مع ما أبدى نحوها في فتراتٍ عابرة من نزوات القسوة المتشائمة.

ولذا يستحث أفلاطون نفسه، خلال أوفر اعتباراته تجريداً، وأبعدها ظاهراً عن قصده العام، نحو النتائج العمليّة والاستنتاجات التطبيعيّة. لا غرو أنه يتباطأ أحياناً على الدرب، شأنه في ذلك شأن كلّ الفلاسفة، وقد أغوته على كرهه، اللذّة الخاصّة الناجمة عما يعالج من مسائل. ولكنّه لا ينسى أبداً لحظةً واحدة غاية مسعاه الخطير، ألا وهي سعادة وكمال وطنه.

ولا يبعد التِيمئِس فقط عن أن يكون تخيّلاً ما وراثياً، على ما يُقال أحياناً: بل يروم أن يضع تحت تصرّف سياسة موضوعيّة، كل إمكانيات العلم الأفلاطونيّ والحماسة المنظّمة التي تدفع بسياق الرواية –وكم تسهو أحياناً وتتعقد - نحو الهدف المعيّن بوضوح منذ البداية. إن تلك الحماسة تضفي على الحوار لوناً من الجمال الجليل المؤثّر. وقد اختار أفلاطون إطاراً، نصفه روائيّ، يبسط فيه التِيمئِس، لكي يبرز في آن واحد إبرازاً وافياً صبغة عمله التخمينيّة والعلميّة معاً، ولكي يحبو ذاك العمل الفكري بما للحياة من وثبة دائمة التبدل والتجدّد. فهو نسيج خيالٍ وربما رواية. بيد أن تلك الرواية قريبة جداً من الواقع. رواية ليس فيها ما يتّشح بالاعتباط الكامل، وحيث النورُ المنحدر من المُثُل الأزليّة يبعث لالاءَ من ضياء الحقيقة الصمديّة.

الفصل التاسع

مخطوطات التيمئسِ ونصّه

١ - المخطوطات :

لقد أفضي إلينا نص التيمئس في نحو ثلاثين مخطوطاً، تناثرت بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر ب. م. إلا أنه لا يمثل في موسوعة من أشهر موسوعات المجموعة الأفلاطونية، وهي الموسوعة الكلاركيانة المعتمد عليها غالباً فيما يتعلق بباقي الحوارات.

١ - وأقدم تلك المخطوطات هو الباريزي اليوناني ١٨٠٧ (A. de Bekker, Codex Coislinianus de la Biblothèque nationale) ويبدو أن هذا النص يتقدم بضع سنوات على المخطوط الكلاركياني نفسه. وقد تأنقوا في نسخه حول أواخر القرن التاسع، على عمودين وبأحرف متوسطة الحجم جميلة. ومعروف أن جان لاسكاريس قد اكتشفه حوالي ١٤٩٠ وجاء به من المشرق مع المخطوط من مخطوطات Σ من مخطوطات ذِمُستَيْنِس. فالباريزي ١٨٠٧ قد نسخ، على ما يظهر، عن آخر ذي عمودين، يعود ربما في نظر Schanz(١) إلى القرن السادس عشر ب . م. وقد وصفه السيدان Omont و Alline بدقة وافية تتيح لنا أن نحول المطالع إلى إشغال هذين العالمين(٢). وما يزيد في قيمة

---

(١) Ueber den Platocodex n: 1807 … Rh. Mus. Zur. Phih. 33, 1878 . p. 306

(٢) Platonis codex Parisinus A. Oeuvres Philosophiques de Platon Facsimilé en Phototypie… du Ms gree 1807 de la bibioth. nat.. Paris 1908 (notice de M.H. Omont)

نص التيمئس ونص الحوارات الأخرى، تفاسير وتصحيحات هامشية، أضافها المتعاقبون على إحراز المخطوط. ولكن صاحب النص الأولي (العائد إلى القرن السادس) أعاد هو نفسه النظر في نسخته وصححها بعناية قصوى، كما تشهد لنا بذلك إضافات أو فوارق جمّة خطّها بيده.

فهذا هو المخطوط الذي اعتمدناه أساساً في هذه الطبعة. والسيد بَارْنِت قد أصدر منه مقابلة دقيقة جداً على غيره من المخطوطات. إلا أن نصنّا بجملته قد قويل على الأصل وعلى النسخة الفوتغرافية الممتازة التي نشرها السيد أمُون Omont . وحواشي نصنا اليوناني تورد كل اختلافات المخطوط A وكل ما يشير إليه من فوارق. هذا، وهو يكاد لا يضيف شيئاً يذكر إلى المخطوط الذي أصدره بَارنت، لمِا امتازت به من الدقّة مقابلتُه على المخطوطات الأخرى.

٢ - فئة ثانية من المخطوطات يمثلها السفر ٢١ من المجموعة اليونانية في مكتبة فيينا (de Bekker J, Burner, de Schanz Y). وقد كتب هذا المخطوط بحرف صغير عادي، يقارب بشكله أحرفنا الحديثة، ويرجح أنه يعود إلى القرن الرابع عشر إن بعُد عهده وكتابته يختلف خطّها اختلافاً بينّا في مختلف أجزائها، ولا يُردّ هذا الأمر إلى تعاقب أيادي كثيرة على نسخ المخطوط، بل إلى التقلّب في طبع ناسخ واحد.

ويحتل التِيمِس في هذا المخطوط محلاً غير منتظر، بعد الرباعيتّين الأوليين وقبل بَرْمِنِيْذِس. وقد نسخ هذا المخطوط، في القسم المنطوي على التِيمِس، عن نصّ ممتاز نُقّح بدقة، يطلعنا على إسناد يختلف اختلافاً ظاهراً عن إسناد مخطوط A، وله غالباً، على ما يبدو نفس القدر والقيمة. أما المخطوطات الزِتافياني منها والبندقيّ S، والمركياني ٥٩٠، والمنُاكي ٤٠٨ فما هي إلا نسخاً أكثر أو أقل عن مخطوط فيينا ٢١.

وقد اعتمد شَانز وَبارنت عدداً كبيراً من اختلافات هذا النص. وقد لبثنا نحن أمينين لمخطوط A مبدئياً، كل مرة لم يظهر لنا نصّ A أفضل بصورة أكيدة. وهذا لم يمنعنا من مقابلة نصنّا مقابلةً كاملة بنصّ Y، أخذاً عن صورة شمسية جيدة جداً أجريت لحساب مجموعة بُودِه G. Budé ، وكل الفوراق القيّمة أثبتناها في حواشي نصنا اليوناني. ولم نتردد على غِرار بَارْنِت عن تبّني بعض الاختلافات الواردة في Y . ولو كان لدينا إسنادان متباينان كل التباين الواحد عن الآخر، لبدا اسلوبنا شاذاً اعتباطيّاً. ولكنه هنها مشروع، اللهم فيما يتعلق بالتِيمِس لأنه حصل مؤكداً اتصال وتداخل بين الإسنادين، إسناد A وإسناد Y.

ومخطوط فيينا ٥٤ (وهو الملحق اليوناني V ، W عند بارنت وآلِين) هو ربما سابق لمخطوط Y. وهو يشبهه من أوجه كثيرة، فبصورة شبه دائمة، عندما يبتعد Y عن A يطابق عندئذ W. ومن جهة أخرى، عدد وافر من اختلافات نعثر عليها عند ابْرُوكلُس وعند الشراح الأقدمين. ويتهيأ للمدقّق من حين إلى آخر أنه يعثر في هذا المخطوط على معالم إسناد مستقل في آن واحد عن A وY . ولكن لسوء الوضع، تشّوه النسخةَ أخطاء لا يستهان بها: فهناك إسقاط وتبديل وغلطات كثيرة تُضطّرنا إلى استعمال W بتحفظ. وقد قابلنا نصنّا بهذا المخطوط أيضاً مقابلةً كاملة على صور شمسية له. ولم تحتفظ منه في حواشينا إلاّ بعدد زهيد من الاختلافات.

وبيّن المخطوطين Y ، W والمخطوط ١٨١٢ من مكتبة الدولة (الباريزي اليوناني ١٨١٢) أوجه شبهٍ كبيرة. فنصّ الباريزي ١٨١٢ الذي لا يرجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر متشوّش إلى حدٍّ بعيد. فمن اسقاط إلى تبديل الفاظ أو عبارات من مكان إلى آخر، إلى اقحام الشروح الهامشيّة في النصّ، وهذه أقل

النقائص في النسخة الأوليّة، ولم تُنتبَذ خلال إعادات النظر المتتالية التي أجراها الناسخ الأوّل أو الذين أحرزوا المخطوط من بعده. ومع هذا كله ورغم أخطاء جمة، نعثر أحياناً في الباريزي ١٨١٢ على أصداء إسناد قديم يختلف عن إسناد A أو إسناد Y. أضف إلى ذلك أن هذا المخطوط ذا القراءة السهلة له أهميّته التاريخية الكبرى، إذ يُحتمل أن يكون قد استخدم كأساس لطبعات التِيمِس الأولى، ولا سيما طبعة هنري إيِيِنْ Henri Estienne ولم تثبت منه حواشي نصنا اليونانّي إلا بعض الاختلافات ذات الصبغة الخاصّة المفيدة في تاريخ الإسناد.

وقد نهجنا النهج نفسه بالإضافة إلى مخطوط فِييناّ٥٥ (الملحق اليونانّي ٣٩، وهو F اسْتَايدر وبَارنت). وباقي المخطوطات لم نعمد إليها إلا من خلال تعريف شَانسْ أوبارنت لها.

وأخيراً تفحّصنا بدقّة شروحات ابروكلس وخَلْكِذفِس، واشتهادات تشيشرو وابْلُوتَرْخَس ويَامْفْلِكُس وسِمْبلِتْشِيُس واسْتُفِيُئس بالتِيمِئُس في كتاباتهم.

٢ - النصّ والترجمة :

إن نصّنا الحاضر ولو وُضع بناءً على مقابلات جديدة، لا يخالف في شيء النصّ الذي أثبته بَارنت في كثير من التذوّق العلميّ. وبعد دراسة المخطوطات بدا لنا أن الأفضل مراعاة التقليد في هذا المضمار جهد المستطاع. ولم نعثر إلا على تصحيحات معاصرة زهيدة، معظمها مستمدّ من مذكرة تقدّم بها راواك، أو من مؤلف إيفا سَاخْس الممتاز في تاريخ المجسّمات الخمسة المنتظمة. ولم نقترح تصحيحات جديدة، طفيفة في حدِّ ذاتها، إلا حيث تهيأ لنا أنه لا غنى عنها.

وقد اتخذت ترجمتنا (الفرنسية)، عدداً من المرات لا يستهان به، فظهر توسّعٍ في المعنى، تجنباً لكثرة الحواشي. وضحينا دوماً بالأناقة في سبيل الأمانة

المفروضة في نصّ له ما له من الصبغة العلميّة. وتصفّحنا الترجمات السابقة، لا سيما ترجمة هنري مرتان Henri Martin، وأَرْشِه هَاند، وافْرَ كَرُولي ّ(١) Archer-Hind et Fraccaroli.

ونمحض ههنا السيّد دِيِيسْ A. Diès شكرنا على ملاحظاته الكثيرة واقتراحاته النفيسة.

---

(١) أفلاطون، التميئس، ترجمة ادْجِيُزِبّه افْركَرُولِيّ، تورينو، ١٩٠٦.

الطيماوس أو التيمئس

أشخاص الحوار

- سقراط
- تِيمْئِسَ
- هِرمْكُرْاتِس
- أكْرتِيَّس

١ - التمهيد

١– المطلـــع :

سقراط : واحد فاثنان فثلاثة!.. ولكن يا عزيزي تِيْمِئُس، أين هو رابعنا، رابع الذين أضافونا البارحة وأولموا لنا، والذين نأدب لهم اليوم المأدبـــة ونحتفي بهم؟

تِيمِئُس : لقد ألمّت به وعكة خفيفة، يا سقراط، إذ ما كان ليتخلّف برضاه عن ندوتنا هذه.

سقراط : ألا يُناط بكَ في هذه الحال، وبهؤلاء أيضاً، القيام بمهمة الغائب؟

تِيمِئُس : دونما ريب. وتأكد أننا، جهد المستطاع، لن نتأخر عــن ذلــك فـــي شيء. ثم إننا قد لا نعدل في تصرّفنا، إن قصّرنا نحن الآخرين فـــي مقابلة وليمتك بوليمة فاخرة مثلها، بعد أن أضفتنا البارحة وأكرمـــتِ ضيافتنا.

٢– تلخيص حديث الأمسية البارحة:

سقراط : وهل تذكرون الموضوعات التي نظّمت لكم التحدّث عنها؟

تِيمِئُس : إننا نتذكر بعضها. وما لا نتذكره منها، فأنت حاضر لتذكرنا بـــه. لا بل إن كان الأمر لا يشقّ عليك، فأعدها على مسامعنا منـــذ البدايـــة وأوجزها لنا باختصار، لترسخ في أذهاننا رسوخاً أكمل.

سقراط : سيكون لكم ذلك. إن خلاصة الأقوال، التي نطقت بها البارحة حول الدولة، تُردّ إلى التساؤل عن الدولة المثلى وعن خير الرجال الــذين يؤلّفونها، لتبدو لي أنها الحكومة الفضلى.

تِيمِئُس : وكل ما قلت يا سقراط، كان على فكرنا تماماً، وطاب لنا أجمعين.

سقراط : في تلك الدولة الفضلى إذن، ألم نَفصِل أولاً بين طبقــة الفلاحــين والصناعات الأخرى، وبين طبقة المناضلين عنها[١]؟

تِيمِئُس : أجل.

سقراط : وطبقاً لطبيعة كل فئة، قد كلّفنا كلا منها بمهمة واحدة فقط تلائمهــا، وأسندنا إليها صنعة واحدة. وقلنا عن الذين يجب عليهم أن يحــاربوا في سبيل الجميع، قلنا إنه يُفرض عليهم أن يكونوا حماة الدولة فقط، إن أقدم أحد على الإساءة إليها من الخارج وحتى من الــداخل، وأن يقضوا بالحِلم والوداعة لمرؤوسيهم ومن هم بــالطبع خلاّنهــم، وأن يقسوا في القتال على من يَلقون من أعداء[٢].

تِيمِئُس : هذا صحيح تماماً.

سقراط : وفعلاً كنا نقول إن طبيعة نفس الحماة، على ما أظن، يجب أن تكون معاً حماسية جياشة ومتزنة متعقلة حسب الأحوال، ليستطيع الحماة أن يتجملوا ويصبروا مع البعض، وأن يقسوا ويشتدوا مع البعض الآخر، وأن يتصرفوا هذا التصرف أو ذاك عن حق[٣].

---

(١) الجمهورية ٢: ٣٧٠ ad.

(٢) الجمهورية ٢: ٣٧٥ C: «لا بد أن يكونوا ودعاء حليمين مع المواطنين، وقساة أشداء مع الأعداء».

(٣) الجمهورية ٢: ٣٧٥ e: «وبالإضافة إلى طبعه الحماسي الجياش، يجب على حــارس الدولة الصالح أن يكون أيضاً حكيماً».

تيمِئُس : نعم.

سقراط : وماذا قلنا عن تربيتهم وتهذيبهم؟ ألم نقل إنه لا بد أن يتغذى هؤلاء الحماة (بمبادئ) الرياضة والموسيقى والعلوم الرياضية، وأن ينشئوا عليها كلها، وعلى كل ما يليق بهم(٤).

تيمِئُس : هذا عين الصواب.

سقراط : وقد قيل أيضاً إنه يُفرض على من يتربّون هذه التربية أن لا يحسبوا في وقت من الأوقات الذهب والفضة أو أي مغنم آخرِ ملكاً خاصاً. ولكن عليهم أن ينالوا كأعوان ومنجدين مكافأة حراستهم ممّن يَنجون بفضلهم، وأن تفي تلك المكافأة بحاجات أناس أعفاء قنوعين، حتى يصرفوها بالاشتراك مع إخوانهم، فيقتاتون معاً ويحيون بعضهم مع بعض، صارفين همّهم في كل آن إلى الفضيلة ومنقطعين عن المهام الأخرى.

تيمِئُس : قيلت هذه الأمور وعلى هذا النحو بالذات.

سقراط : وذكرنا أيضاً بشأن النساء أنه لا بد من خلق الانسجام بين طبائعهن وطبائع الرجال، لتغدو قريبة متدانية، وأنه لا بد أن تسند إليهن كل المهام المتعلقة بالحرب ومرافق الحياة الأخرى، لتكون كلها مشتركة(٥).

تيمِئُس : وعلى هذا الوجه قيلت تلك الأمور أيضاً.

سقراط : وماذا قلنا بشأن إنجاب البنين؟ ألا يسهل تذكّر هذا الموضوع بسبب خروجه عن المعتاد؟ فقد جعلنا كل زواج مشتركاً بين الجميع وكل

---

(٤) الجمهورية ٢:٣٧٦e و ٣٧٧a.

(٥) للرجل والمرأة نفس الطبيعة: الجمهورية ٥: ٤٥٤e و ٤٥٥ ade.

البنين أبناء الجميع[٦]، متحايلين كي لا يعرف أحدهم أبداً أن مولوداً من المواليد هو ابنه، بل يعدَّ الجميعُ كل الحماة من أسرة واحدة، فيَحسبون أخواتٍ وإخوة كل الذين هم ضمن العمر المناسب لذلك، والذين قبل ذاك العمر فما فوق يحسبونهم والِدين وأجداداً، والذين دون ذاك العمر أبناءً وأحفاداً[٧].

تيمٍئُس : نعم، وهذه الأشياء يسهل تذكّرها على الوجه الذي تقول.

سقراط : لكي يولد الأولاد، قدر المستطاع، ولهم خير الطبائع، ألا نذكر أننا قلنا إنه يجب على الرؤساء والرئيسات أن يتخفَّوا ويتدبّروا جمع الأزواج بإلقاء بعض القرع، حتى يتجمع الطالح والطالحات، ويتجمع الصلاّح والصالحات، كل فئة تجامع الفئة المماثلة لها، دون أن يدبّ الحقد إلى قلوبهم بسبب ذلك، بل يعتقدون أن الاتفاق هو سبب التجامع؟

تيمٍئُس : نذكر ذلك.

سقراط : وقلنا أيضاً إنه لا بد أن نربّي أبناء الصالحين من الحماة. أما أبناء الأشرار، فيُدفعون سراً إلى مدينة أخرى. ويجب أن يراقَب هؤلاء الأبناء أثناء نموّهم، وأن يعاد المستحقون منهم. أما غير المستحقين من الأبناء اللابثين في الدولة فيُنقلون إلى بلد العائدين بدلاً منهم.

تيمٍئُس : الأمر على ما ذكرت[٨].

---

(٦) شيوع النساء والأولاد، ٥: ٤٥٧ cd.

(٧) تنظيم الزيجات، ٥: ٤٥٩ a و ٤٦٠ – ٤٦١.

(٨) الباب الخامس من الجمهورية يقول فقط: «يجب أن يخفوا الأولاد المشوهين في مكان مقفر لا يدنى منه وناءٍ عن الأبصار» ٤٦٠ C.

سقراط : ألم تستعرض الآن الأمور مثل البارحة، عائدين إليها عودتنا إلى رؤوسها أو عناوينها، أم نتوخّى بعد شيئاً من أقوالنا السابقة لإهمالنا ذكره، يا عزيزي تِيْمِئُسْ[٩]؟

تيمِئُس : البتة، يا سقراط. فهذه هي الموضوعات التي تحدّثنا بها.

٣– يودّ سقراط تأريخ دولة حقيقيَّة يقابل وصفه النظريّ:

سقراط : اسمعوا الآن ما يلي حديثنا عن الدولة التي استعرضناها، وما أشعر به نحوها. فشعوري هذا يشبه شعور إنسان يرى حيوانات جميلة في رسم على الرسوم وحتّى في الواقع، ولكن مخلدةً إلى السكينة، فيودّ أن يشاهدها وهي تتحرّك وتقوم في مقاومتها وجهادها ببعض ما يبدو ملائماً أجسادها. وأنا قد شعرت، بالنظر إلى الدولة التي استعرضناها، شعوراً مماثلاً بالذات.

وقد أصغي بلذّة إلى من يفصّل لنا المعارك التي تخوضها دولة، فيروي لنا أن دولتنا تعاني مشاقّها في نزاعها مع دول أخرى، وأنها قد بلغت مرحلة الحرب على خير أهبة، وأنها، في خوض غمارها، تبدي من المآثر في الأفعال ومن المحامد في الأقوال والمفاوضات مع كلّ دولة، ما يليق بتهذيبها وتربيتها.

(يصرِّح سقراط في هذا المقام أنه عاجز عن رواية تاريخٍ من هذا النوع).

وفي هذا المضمار. يا اكْرتِيّس وهِرْمكْراتِس، قد حكمت أنا ذاتي على ذاتي أنني لن أوفّق أبداً إلى إطراء تلك الدولة وأولئك الرجال الإطراء الوافي. وتقصيري هذا ليس فيه ما يدعو إلى العَجّب.

---

(٩) راجع المقدمة، فصل ٧.

(الشعراء والسُفِسّتيّون عاجزون هم أيضاً عن هذا القصد).

وقد اتخذت عن الشعراء، الأقدمين منهم والمحدثين، الفكرة عينها. لا لأنني ازدري صنف الشعراء، ولكنّه واضح كلّ الوضوح أن «طائفة الاقتداء والمحاكاة»[1] تحاكي وتجاري خير محاكاة وعن أسهل سبيل، كلَّ ما ألفته ونشأت فيه. وأمّا ما خرج عن إطار البيئة والنشأة، فيصعب على كل إنسان محاكاته في الأعمال، ويصعب عليها صعوبة أشدَّ أن تجاريه حسناً في الأقوال.

وإذا انتقلنا إلى صنف السُفِسّتيّين، فأنا أعتقد أنه واسع الخبرة في مقالات كثيرة وجميلة شتّى. ولكني أخشى أن يخطئ في حكمه على الفلاسفة وعلى رجال السياسة على السواء، لتجواله الدائم من مدينة إلى مدينة، وإعراضه عن سكنى منزل خاصّ في بقعة من بقاع الأرض. ومن ثمّ، أن لا يفقه ما قد يبديه هؤلاء في الحرب وما يأتونه من مآثر في معارك، وأن يفوته ما قد يحققونه قولاً وعملاً في تعاطيهم مع كل فردٍ بمفرده.

(محاوروه وحدهم لهم الصفة اللازمة ليُقدموا على رواية تأريخ كهذا).

بقيت إذن لدينا الطائفة المنتمية إلى حالتكم والمتّسمة بصفاتكم، والمشاركة في آن واحد الفلاسفة ورجال السياسة بطبيعتها وتربيتها. فتيْمِئُس هذا هو من أشهر مدينة، مدينة لُكْرِيْس في إيطاليا. وهو لا يقل ثروة ومحتداً عن أحد من أهل ذاك البلد. وقد شغل أعظم المناصب والرتب في مدينته وبلغ في ظنّي ذروة الفلسفة كلّها. ونعرف جميعنا، نحن الحاضرون هاهنا، أن

---

(١) رأي أفلاطون في الشعراء: الجمهورية b٢:٣٧٧ وما يلي.

نظريته في المحاكاة والاقتداء: الجمهورية ٣: b٣٩٢، ٣٩٤ e، a٣٩٥.

اكْرتيَّس لا ينتمي إلى السوقة في أيّ من الموضوعات التي نعالجها. وأما ما يتعلق بسجيّة هرمْكْراتِس وتربيته، فلا بد من الاعتقاد بناءً على شهادة كثيرين أنهما تصلحان لكلّ هذه الأمور.

ولذا نشطت البارحة، بعد التفكير، إلى تلبية رغبتكم، عندما سألتموني التحدث عن السياسة، لعلمي أنكم إن أردتم ذلك، تصلحون لمتابعة الحديث وإتمامه، ولا أحد يصلح لذلك أكثر منكم. لأننا بعد إعداد الدولة لخوض حرب لائقة بها، أنتم وحدكم بين المعاصرين تستطيعون أن تمنحوها ما يناسبها لتلك الحرب. فبعد أن تكلمت عمّا فُرض علي، رتَبت لكم، لقاء ذلك، الكلام عن الموضوع الذي أشير إليه الآن. هذا، وقد وافقتم معاً، بعد التباحث فيما بينكم، على مقابلة هديّة ضيافتي بهديّة أقوالكم وخطبكم. فقد مثلتُ إذن أمامكم وازدنت لسماعها، وأنا أوفر الجميع تأهّباً لقبولها.

هرمْكراتِس: إننا، واليم الحق يا سقراط، لن نقصّر في شيء، على ما قال صاحبنا تيْمِئُسَ، عن القيام بهذا الواجب. وليس لدينا عذر للتخلّف عن أدائه. ولذا حال خروجنا البارحة من هنا، وبلوغنا المضافة التي ينزلنا فيها اكْرتيّس، لا بل قبل ذلك أثناء المسير، كنّا نتداول هذا الأمر بالذات. وقد ساق إلينا اكْرتيّسْ هذا حديثاً سمع من عهد بعيد. فأعده الآن يا اكْرتيّس على مسمع سُكراتِس، ليحكم معنا هل يوافق هذا الحديث مقصَدنا أو لا يوافقه.

اكْرتيَّس : لا بدّ لي أن أفعل، إن استحسن الاقتراح شريكنا الثالث تيْمِئُس.

تيْمِئُس : أنا على رأيكم صراحةً.

ب - التطرّق إلى الموضوع

١– حديث اكرتيّسْ:

هرْمُكراتِس : استمع الآن يا سقراط، إلى حديث غريب جداً، مع إنه صحيح من كلّ الوجوه، كما رواه يوماً صُولن أحكم الحكماء السبعة.

(قرابة صُوْلن واكْرتيّس وعلاقة الواحد بالآخر).

فقد كان إذن صوْلن من أنسباء اذربِيْذِسْ والد جدّنا، ومن أحب الناس إليه، كما يقول هو نفسه، في مواضع كثيرة من شعره. وقد قال لاكْرتيّس جدّنا[١] على ما كان يذكر لنا هذا الأخير في شيخوخته، إنّ لهذه المدينة مآثر عظيمة وعجيبة، ودرست وعفت مع تراخي الزمن وهلاك البشر. ولكن إحدى تلك المآثر وأعظمها كلها، إن ذُكرت الآن، فقد تليق بأداء الشكر لك، وفي الوقت نفسه بمديح الإلهة المديح العادل الصحيح، كأننا نسبحها حقاً في عيدها الحافل الحاضر.

سقراط : لقد أحسنت. ولكن ما هي المأثرة السحيقة في القِدَم التي رواها اكْرتِيَّس نقلاً عن صُوْلُن، لا كحديث من الأحاديث، وإنما كعمل واقعيّ أنجزته هذه الدولة؟

(كيف استدرج أمِينَنْذْرُسْ اكْرتِيَّس إلى المنادمة)

اكْرِيتِّسْ : سأقصّ عليكم هذه الرواية القديمة، وقد سمعتها من رجلٍ لم يكن في شرخ الشباب. وقد ناهز اكْرتِيَّسُ آنذاك، على ما كان يردّد، التسعين من عمره تقريباً، وأنا لم أبلف على الأكثر إلاّ العاشرة. واتّفق لنا أن

---

١ - (١) الشخص الذي يذكره الحوار هو أكرتيس الكبير، جداً أكرتيس الطاغية أحد الطغاة الثلاثين. كان ابن اذربيذس نسيب أو خليل صولن (أفلاطون، خرميذس ١٥٧ e، ١٥٨a؛ ذيجينس اللائرتي، ٣:١ ثم فلوسترس، حياة السفستيين ١٦:١) اقترن والد أفلاطون ببركتيوني حفيدة اكرتيس الكبير وأخت الطاغية. راجع: Diels, Vorsokr. 3, 2, p. 309, 26, C. Ritter, Platon, I 1910, p, 12-15.

وقع يوم كُرِئُوتِسْ أثناء أعياد الأَ باتُورِيا[٢]. وما أَلِف الناس في العيد كلّ مرة جرى للأطفال في ذلك اليوم أيضاً. إذ قد أقام لنا آباؤنا مباراةً في الشعر الغنائيّ. فأُنشدتْ جملةٌ من القصائد لشعراء كثيرين. ولكننا نحن الأطفال الكثيرين تغنّينا بمنظوماتٍ صُوْلُنْ الشعريّة، لأنها كانت طريفةً حديثة في ذلك العهد.

فقال عندئذ أحد إخوتي، - إما لأنّ الأمر بدا له هكذا إذ ذاك، وإمّا ليؤتي اكْرِتِيّسَ بعض السرور -، قال إذن إن صُوْلُن هو في رأيه من الوجوه الأخرى أحكم الحكماء، وإنه حتى في الشعر أيضاً أجود الشعراء طرّاً وأوفرهم نبلاً وتحرّراً. فطرب الشيخ وسرّ جدّاً - واذكرُ الأمر تماماً -، ثم هشّ له وقال: «يا أَمِينَنْذْرُس، لو لم يمل إلى الشعر من باب التلهّي فقط، بل جدّ فيه نظير الآخرين ونشط له، وأنجز الرواية التي جاءنا بها من مصر، ولولا إنه اضطُرّ إلى إعمال قرض الشعر بسبب الاضطرابات والثورات، وبسبب المساوئ الأخرى التي لقيها ها هنا لدى عودته، لما فاقه شهرة في ظنّي أحد من الشعراء في يومٍ من الأيام، لاهِسِيُّدُسْ ولاهُوْمِرُسْ ولا شاعر آخر سواهما».

فسأله الفتى: «وما كانت تلك الرواية، يا اكْرِتِيّسْ؟»

فأجاب: «كان صُوْلُنُ يتكلّم فيها عن أجلّ مأثرة وربما عن أشهر كلّ المآثر طُرّاً التي اجترحتها هذه الدولة. ولكن بسبب تراخي الزمن وهلاك أبطالها، لم يبلغنا نبأها.

فأردف الغلام: «وما هي تلك المأثرة، وكيف رواها صُوْلُنْ، ومّن سمعها فنقلها كرواية صحيحة صادقة؟».

---

(٢) في هذا العيد، راجع لنا كتاب السياسيّات، ١٩٥٧، ٥:٥ :٩ ح٣.
Cf. Wilamowitz: Aristoteles und Athen. 2, 1893, P. 271, 16.

٢ – رواية صُوْلُنْ:

فقال الشيخ: «في مصر عند الذِلْتا[١]، حيث يتشعّب مجرى النيل بقرب رأسه، مقاطعة تدعى السائِتِيْكِيّة، لأنّ المدينة الكبرى في تلك المقاطعة هي مدينة سَائِسَ. ومنها خرج الملك آمزِسْ[٢]. وفي نظر أهل تلك المدينة إلهة أسّست حاضرتهم، اسمها بلغة مصر نِئِيْثْ، وباليونانية حسب قولهم أثِنا. ويدّعي القوم أنهم أصدقاء الأثينيين، ومن بعض الوجوه أنسباء لهم. فيقول صُوْلُنْ إنه صار إلى هناك، لقي لديهم حفاوةً كبرى. ولما راح ذات يومي يستجلي الأحداث العريقة في القِدم، ويسأل عنها أوفر الكهنة خبرةً فيها، ألفى أنه – إن صحّ القول – لا يعرف منها الخُمْسَ من الطمس، لا هو ولا أيّ رجل من الهِلّين. وابتغى مرّة أن يدفعهم إلى الحديث عن تلك الحوادث الغابرة، فشرع يتكلّم عن أقدم أمور دولتنا، عن فُرُنِفْس[٣] الذي يُعدّ أول إنسان، وعن نِيُوفِي، وراح يروي أسطورة ذِفْكَلِيُّن وبِيْرَّة، كيف نجوا من الطوفان وعاشا من بعده، ويسلسل الذين انحدروا منهما، ويحاول ممّا يقول أن يتذكّر عدد السنين وأن يحسب مدى الأزمان.

١ - ليس لليونان ذكريات عن الماضي السحيق:

فقاطعه أحد الكهنة و وهو متقدّم جدّاً في الأيام قائلاً: «صُوْلُنْ، يا صُولن، أنتم الهِلّيْنْ تلبثون دوماً أطفالاً، وليس من شيخ هِلِّيْنْ».

---

(١) الذِلْتا حرف يوناني يقابل الذال عندنا «ذ»، بشكله ولفظه. وقد سُمّي هكذا رأس النيل لأنه يشبه هذا الحرف. (المعرّب)

(٢) أمزَسْ أو آمُزِسْ الثاني هو أحْمِس أحد ملوك مصر من السلالة السادسة والعشرين. عاش نحو ٥٦٩ق.م. راجع هِرودُتس ٢:١٦٢ وما يلي. نِئِيْث هي إلهة سائِس الكبرى. وسائس هي ربمّا مدينة السويس القديمة.

(٣) فرنفس الأرْغي هو الإنسان الأول وأبو إحدى النِيَوفَات. راجع فيه Akousilaos, Fr. 20 Diels. Utilisé par platon. D'après Clément, Strom. I.102. Vors. 3. 2 p. 209. 14.

فلما سمعه صوّلُن قال: «كيف... وماذا تقول؟»

فأجابه الكاهن الشيخ: «أنتمك جميعكم فتيان بأرواحكم، إذ لا تحفظون فيها زعماً قديماً مستمداً من نقلٍ أو تقليدٍ عتيق، ولا علماً مُغْبَرّاً مع تراخي الزمان. وسبب ذلك هو ما يلي: لقد دهمت البشر كوارث كثيرة وعلى أوجه متعددة. وسوف تدهمهم أيضاً. وأخطرها بالنار والماء. وقد حلّت بهم نوائب أخرى أقلّ خطورة، واتخذت عشرة آلاف شكلٍ غيرِ شكل النار والماء.

فالقصّة التي تردّدت عندكم وعندنا أيضاً، وهي أن فَئيثُنْ بنَ هيِلْيُس (الشمس) شدّ الخيولَ يوماً إلى مركبة أبيه[١]. وإذ عجز عن دفع المركبة في طريق والده، احرق ما على وجه الأرض، وضُرب هو بالصاعقة وهلك. فهذه القصة اتّسمت بزيّ الأسطورة وشاعت. أما الحقيقة فهي أن انحرافاً يقع للإجرام الدائرة في الفلك[٢] حول الأرض. وهذا الانحراف يتمّ خلال حقب بعيدة الأمد. فتهلك الكائنات على وجه الأرض بنار مستعرة. وعندئذ يلحق الدمار أهل الجبال والمناطق العالية والجافة أكثر مما يلحق القاطنين على ضفاف الأنهار وسواحل البحار.

٢ - امتياز مصر بموقعها

والنيل الذي هو مخلّصنا في الحالات الأخرى، في تلك الحالة بالذات ينقذنا
من تلك التهلكة بفيضانه. وعندما يبغي الآلهة من جديد تطهير الأرض فيغرقونها e

---

(١) يذكر أسطورة فَئيثن خصوصاً هِسِيذّس (المقطوعة ١٩٩، أرزَخ٢) وإيسْخِلسَ ولإفْرِبيْذِس.

Cf. G. Knaack. Questiones Phaetonteae. In Phil. Untersuchungen h. von A. Kiessling u. U. von Wilamowitz – Moellendorf. 8. 1886. p. 8.

ويتبين المرء من نصّ أفلاطون أن العلماء حاولوا، منذ القرن الخامس ق.م.، أن يفسّروا الأسطورة تفسيراً عقليّاً يتفق ومعطيات الفلك.

(٢) إن كلمة parallaxis انحراف، لا توجد عند المتقدمين على عهد سقراط ولا عند أرسطو. وأفلاطون يستعملها في السياسي ٢٦٩ e ، ليدلّ على الانحراف الصغير الذي تبتعد به الحركة الدائرية عن حركة الدائرة بذاته.

بالمياه، ينجو من الغرق رعاة البقر والغنم المقيمون في الجبال. وسكان المدن عندكم تزجّيهم الأنهار إلى البحر. وأما في هذا القطر فلا تنحدر المياه لا في هذه الحالة ولا في غيرها من الحالات. ولا تنهمر كالسيل من أعالي الهضاب إلى السهل. ولكن على عكس ذلك تتفجّر كلها بالطبع من أسفل. ومن ثمَّ تحفظ الأشياء عندنا لهذه الأسباب وتعدّ عريقة سحيقة في القدم.

٢٣ بيد أن الحقيقة هي أنّ جنس البشر لا ينقطع يكثر تارةً ويقلّ أخرى، في
a كل الأمصار التي لا يضايقه فيها برد قارس أو حر لافح. وممّا يجري عندكم أو في هذه البلاد أو في أيّ مكان آخر، فنسمع به ونعرفه، إن كان في ذلك أمر جميل أو جليل أو يمتاز بناحية من النواحي، فمن قديم الزمان يسجّل هذا كلّه عندنا ويحفظ في الهياكل. وأما عندكم فكلّ مرة تكاد تنتظم فيها شؤون الأدب والشؤون الأخرى كلها التي تحتاج إليها الدول، إذا بفيض السماء يدهمها ويذهب
b بها كأنه وباء يتفشّى في سنين معهودة[١]، فيترك منكم الأميّين والجهلة، بحيث تصبحون بمثابة أحداث ابتدؤوا عهداً جديداً، لا تعرفون شيئاً من كلّ ما كان في غابر الأزمان لدينا أو لديكم.

وفعلاً ما كنت تسلسله الآن من أنساب، يا صوّلين، في استعراضك أحداث بلادكم لا تختلف إلا قليلاً عن خرافات الصبية. فأنتم أوّلاً تذكرون طوفاناً واحداً
c غطى وجه الأرض، مع أن فيضانات كثيرة قد حدثت قبله. ثم لا تعلمون أن أبهى وخير أمة أخرجت للناس ظهرت عندكم وفي بلادكم. ومنها انحدرت أنت وجميع رعايا دولتكم الحاضرة، إذ قد بقي فيكم قسط زهيد من زرع تلك الأمة خلال أجيال وأجيال قد تلفوا وهم لا ينطقون بلغة الكتابة.

لأن دولة الأثينيين الحاضرة كانت مزدهرة، يأصُوْلُن، في العصور الغابرة، قبل أعظم بوارٍ انتاب البشر بالمياه، وامتازت وتفوقت في الحرب

---

(١) إن نظريّة طوفان دوري تختلف عن النظرية الواردة في السياسي ٢٦٩ce. أمّا الأمراض التي تنتابنا في فتراتٍ منتظمة فهي الحميات (التِيمئس ٨٩ a).

d واشتهرت في كلّ الأمور شهرةً واسعة. ويُقال إن مآثرها كانت أجلّ المآثر وأجملها، وأن نظمها السياسيّة كانت أبهى نظمٍ تحت السماء سمعنا بها.» ويقول صُوْلُن إنه لمّا سمع هذه الأقوال تعجّب، وأبدى كلّ اهتمام وسأل الكهنة أن يبسطوا له بدقّة وبالتسلسل كل ما يتعلق بمواطنيه القدامى.

٣ - عراقة أثينا في القدم:

فأردف الكاهن : «لا أرفض استجابة سؤلك يا صُوْلُن، ولكنّي أتكلم إكراماً e
e لك ولدولتكم، وخصوصاً استعطافاً للإلهة التي نالت بالقرعة دولتكم ودولتنا، وربّتهما وهذّبتهما. بيد أن بلادكم سبقت بلادنا بألف سنة، إذ استمدت زرعكم من الأرض ومن هِيفِسْتُس[1]. وبلادنا أتت بعدها في الزمن. وقد سُجّل بالكتابة في هياكلنا حساب السنين التي مّرت على حضارة وطننا هذا.

(الشرائع المصرية هي صورة لقوانين أثينا قبل ذاك العهد بتسعة آلاف سنة)

٢٤ أما مواطنوك الذين عاشوا منذ تسعة آلاف سنة، فسأبيّن لك قوانينهم
a بإيجاز، وسأروي لك أبهى مأثرة أتوها. وفيما بعد إبان أوقات فراغنا، سوف نأخذ السجلات نفسها ونستعرض تفاصيل الأمور كلّها بالتتالي.

والآن تأمّل شرائعهم ونظمهم بمقابلتها مع نظم هذه البلاد وشرائعها. إذ إنك تجد اليوم ههنا أمثلة كثيرة عن القوانين المرعيّة عندكم في ذلك الحين. أولاً طبقة الكهّان المفروزة عن الطبقات الأخرى. وبعدها طبقة أهل الصناعات وكل

---

(١) هذا تلميح إلى أسطورة مولد إرِخثُونِيسُ، كما يوردها إفْرِبيذِس، في روايته إيّن، ش ٢٦٧، راجح أَنْتِغُونُسْ الكَرِسْتي، مقطوعة ١٢. وقد وُلد إرِخْثُونِيُس من الأرض بعد أن أفسد عليها هِيفِسْتُسُ وهو يطارد أثِنا. (المعرّب)

فئة منهم تتعاطى صناعتها على حدة دون أن تختلط بغيرها من الفئات. ثم طبقة
b الرعاة. فطبقة الصيادين والقناص، وطبقة الفلاحين. ولقد لاحظت ربمّا أن طبقة المحاربين مفصولة في هذا البلد عن جميع الطبقات. وقد فَرض الشرع على أفرادها أن لا يهتمّوا بشيء من الأشياء ما خلا شؤون الحرب. أضف إلى ذلك نوع تسليحهم بالمجانّ والرماح، ونحن أول من تسلّح بها في أرجاء آسيا لأنّ الإلهة علمتنا إياه، كما علّمتكم إياه أولاً في أصقاعكم النائية تلك.

e ثم ترى ربمّا بشأن ما يتعلق بالفكر والعقل، أي اهتمام أعاره الشرع عندنا، وحالاً منذ البداية، وبشأن الحضارة والثقافة، كيف وجد كل شيء، حتى العرافةَ والطبّ بغيةَ المحافظة على الصحّة، وتطبيقات هذه الأمور الإلهية على الأغراض البشريّة، وكيف حصّل لنا جميع المعارف الأخرى الناجمة عن هذه. فالإلهة إذن حلتكم، أنتم أولاً إذ ذاك، بكلّ هذه الزينة الروحيّة وكل ذلك التنظيم، وأقامت بين ظَهْرانَيكم، بعد أن اختارت مقاماً لها المكان الذي خلقتم فيه، آخذة
d بعين الاعتبار اعتدال الفصول فيه، إذ يجعله صالحاً ليقلّ أكثر الناس فهماً وتعقّلاً. ولمّا كانت الإلهة مغرمة بالحرب ومولعة بالحكمة، اختارت مكاناً مزمعاً أن يجعل أوفر الناس شبهاً بها، وسكنته قبل أي قبل أي مكان آخر. فأنتم إذن فيه، واتبّعتم سنناً مثل هذه السنن، لا بل أفضل منها أيضاً، وتفوقتم على الناس طراً بكل ضرب من المناقب، على ما يليق بأولاد الآلهة وأربّتهم.

فمآثر دولتكم وافرة وعظيمة. وقد دونّاها عندنا لإعجابنا بها. ولكن إحدى تفوق كل المآثر عظمة وبطولة(٢).

(نضال أثينا وشعوب سواحل المتوسّط ضدّ الاطلنتيس)

---

(١) راجع المقدمة الفصل الثاني، واكرنيس ١٠٨ e .

لأن سجلاّتنا تنكر أيّة قوة ضخمة أخمدتها دولتكم ذات يوم، وقد مشت بصلف على أوربا كلها وعلى **آسيا** معاً، من خارج حدود **أوربا**. من **المحيط الأطلسي**[٣].

٤ ً - الأَطْلَنْتِيْسْ :

٢٥ لأنّ الخضمّ الواقع هناك كان يمكن عبوره في ذلك العهد. وقد حوّط

a جزيرة عند فوهته وهي التي تدعونها، على ما تقولون، أعمدة هِرَكْلِيس. وكانت الجزيرة أكبر من لِفيّا وآسيا معاً. ومن هذه الجزيرة كان يمكن للمسافرين في تلك العصور أن يجتازوا إلى الجزر الأخرى، ومن هاتيك الجزر إلى القارّة بأسرها، الواقعة على الساحل المقابل حول البحر الحقيقي. لأن ما يقع داخل الفوهة التي نتكلم عنها، يبدو مرفأ ذا معبر ضيق. وأما ذاك الخضمّ فهو بحر حقيقيّ، والأرض المحدقة به يمكن بحق ومن كل الوجوه أن تدعى قارّة بمعناها الصحيح.

b ففي جزيرة الأطْلَنَتِيسْ تلك، قد نشأت سلطنة ملوك عظيمة وعجيبة. وبسطت سيادتها على الجزيرة كلها، وعلى جزر أخرى كثيرة ومساحات شاسعة من القارة. وبالإضافة إلى تلك البلاد، كانوا يسودون من جهتنا على لِفيّا حتى حدود مصر، وعلى أوربا حتى حدود تِرّنيا[١]. وقد تجمعت هذه السلطنة برمّتها ووحّدت شملها، وحاولت ذات مرة في اجتياح واحد أن تستعبد كل البقعة الواقعة

---

(٣) في رأي كتبة معاصرين مختلفين، لاسيما ابرلر Preller Robert ، الأسطورة اليونانية ط.٤، ١٨٩٤، ١ ص٥٦٥، صولن هو أول من قص رواية الأطلنتيس الأسطورية، ولم يعمد أفلاطون إلا إلى استغلال روايته. غير أن نصوص التيمئس نفسها تشير صراحة إلى أن صولن لم ينشر شيئاً من كتاباته (٢١ cd).

(١) لفيا أو ليبيا هو الاسم المشترك المطلق على أقسام إفريقيا الواقعة إلى غربي مصر. وترنيا (وقد غدت فيما بعد اتروريا) هي القسم الغربي من ايطاليا.

c في أرجائكم وأرجائنا وداخل مضيق هِرَكْلِيس. فبدت عندئذ عزة دولكم، يا صُوَلُن، وأظهرها فضلها وبأسها للبشر أجمعين. إذ تزعّمت الجميع برباطة جأشها وضروب فنونها في الحرب، وقادت اليونان، ثم انفردت في الواقع بحكم الضرورة، لانسحاب الجيوش الحليفة الأخرى، وبلغت ذروة المخاطر، وقهرت المجتاحين وتغلبت عليهم ونصبت أقواس النصر، وصانت الذين لم يقعوا قط في العبودية من أن يمسوا أرقّاء، وحررتنا نحن الآخرين جميعاً المقيمين ضمن حدود أعمدة هِرَكْلِيس دون حقدٍ أو حسد[٢].

(تواري الأطْلَنَتْيِس)

d وتعاقب الزمن. وحدثت هزات أرضية هائلة وطوفانات. وفي يوم واحد وليلة شديدة دهماء، خُسفت رقعة من بلادكم وتوارى معها كل جيشكم جملةً، وكذلك توارت جزيرة الأطْلَنَتْيس في لجّة البحار وانمحى أثرها[٣]. ولذا أضحى اليوم ذلك البحر غير سالك، لا يسبر غوره إذ يحول دون ذلك وحل قريب جداً إلى وجه المياه، تركته الجزيرة عندما غارت».

٥ - كيف استرجع اكْرِتِيَّس ذكرياته:

e لقد سمعت، يا سقراط، في صيغة مقتضبة، ما قاله اكْرِتِيَّس القديم الأيام نقلاً عن صُوْلُن. وفيما كنت تتكلم البارحة عن السياسة وعن رجالها الذين

---

(٢) إن رواية أفلاطون الجميلة تذكرنا بمسرحية الفرس لايسخلس (رواية المبعوث، ش٣٥٣ وما يلي). ويمكن للمرء أن يرى في هذه الرواية تلميحاً واضحاً بعض الوضوح إلى الحرب الفارسية الثانية.

(٣) شرّاح معاصرون مختلفون يجدون في هذا الوصف تلميحاً إلى بحر سَرَجَاس. وابركلس، في تعليقه على التميئس (٥٨ ب١، ص١٨٨، ديهل١٥) يورد نصاً لأرسطو يذكر فيه أعماقاً موحلة واقعة بعد أعمدة هِرَكليس: «لقد أعلمنا أرسطو أن في البحر الخارجي عند مدخله أوحالاً، وأن ذاك الموضع ذو مياه منخفضة وموحلة... ويدعون حتى يومنا هذا أفراخي Vráchi، الصخور المختبئة والمغطاة بالمياه».

وصفت، كنت أتعجب إذ تذكرت الأمور التي بسطتها لكم الآن، وأناجي ذاتي
متسائلاً كيف لاءمت أقوالك في معظم الأشياء التفاصيل التي رواها صُوْلن. ولم
٢٦ أشأ أن أصرّح بذلك حالاَ، لأنني لم أكن أذكر الرواية ذكرى وافية بسبب تمادي
a الزمن. ففكرت إذن في نفسي أنه لابدّ لي أولاً من أن أستعيدها كافية في ذهني،
وبعد ذلك أسردها لكم. ولذا وافقت سريعاً على المهمّة التي أنطتَها بي البارحة،
لاعتقادي أننا قد نوفّق إلى مأربنا بهذا الخطاب توفيقاً جيداً مقبولاً، لأنّ أجلّ عمل
نقوم به في كل بحث يشبه أبحاثنا، هو تقديم مقال يلائم مقاصدنا.

b فهكذا إذن، على ما قال صاحبنا (هِرْمَكُرْاتِس) هذا، حالما خرجت من هنا
البارحة، تذكّرت أقوال (صُوْلُن) ونقلتها إلى مسمع الإخوان. وبعد أن غادرتهم
عدت أتفحّصها كلها تقريباً آناء الليل حتى استعدتها بحذافيرها. وحقاً كم يصح
القول السائر، إن معلومات الطفولة ترسخ في الذاكرة بصورة عجيبة. إذ لست
أدري هل استطيع أن أعيد إلى ذاكرتي ما سمعته البارحة فقط. وقد أعجب كل
العجب إن فاتني أمر زهيد من تلك التفاصيل التي سمعتها منذ عهدٍ بعيد جدّاً. فقد
c كنت أنصت إليها بلذّة كبيرة وانشراح عميق، والشيخ يعلّمني برغبة واندفاع،
لأنني كنت ألحّ عليه في السؤال وأعود إليه مراراً وتكراراً، بحيث رسخت فيّ
أقواله كأنها خُطت في ذهني بكتابةٍ لا تمحي نظير الرسم الذي داخل الشمع
ألوانه(١). وما كاد الصبح ينبلج حتى أسمعت أصحابنا هؤلاء كل تلك التفاصيل،
كي يستفيضوا في الأحاديث معي.

---

(١) 26 c بشأن تلك الرسوم التي داخل الشمع ألوانها، راجع لابلينيس، التاريخ الطبيعي، ٢٥، ١٤٩: «ذلك الرسم الذي لا يفسده لا ضياء الشمس ولا الملح ولا الهواء:
«Quae pictura nec sole nec sale ventisque corrumpitur».

حوار التيمئس بالذات

ج - الأسلوب المفروض اتباعه في باقي الحوار

فالآن إذن، أنا مستعد يا سُقراط، أن أبسط لكم لا الخطوط العريضة
d فحسب، بل التفاصيل برمتّها مثلما سمعتها. وهذا هو الهدف في أقوالنا السالفة كلّها. والمواطنون الذين وصفت، والدولة التي استعرضتها أمامنا البارحة، استعراضاً كأنه أسطوري، سوف ننقلها الآن إلى حقيقة الواقع ونضعها ههنا نصبَ أعيننا. والمواطنون الذين صوّرتَهم في ذهنك، سنقول عنهم إنهم أجدادنا في الحقيقة، وهم الذين كان يتكلم عنه الكاهن المصري. فسوف ينسجمون تمام الانسجام وعلى كل وجه مع اولئك، ولن نشذّ إذا قلنا عنهم إنهم أولئك الذين عاشوا في الزمن الغابر(٢).

e وسنتضافر جميعنا ونضم جهودنا المشتركة ونحاول جهد طاقتنا أن نفي وفاء لائقاً بما كلّفتَنا. ولا بدّ يا سقراط، أن نتفحّص هل هذا القول يوافق قصدنا، أو يترتّب علينا أن نبحث عن قول آخر يكون لد بديلاً.

سقراط: وبأيّ قول أفضل نستبدل هذا، يا اكْرتِيَّس، لا سيما وأنه يلائم الذبيحة الحاضرة، المقدّمة إلى الآلهة، أعظم ملائمة لاتصاله الوثيق بها ومجانسته لها، ولأنه قول عظيم كلّ العظمة يعبّر عن واقع، لا أسطورة شاردة وتائهة مع الخيال. فإن عدلنا عن هذه الأقوال، فكيف
٢٦ وأين نجد غيرها؟ لا يمكن ذلك. ومن حسن حظّي، عليكم أن
a تتكلموا، وعليّ أن أركن وأخلد إلى السكينة وأستمع لكم لقاء ما قلته البارحة.

---

(٢) راجع كتاب الشرائع ٣: ٦٨٣ e و ٦٨٤ a.

د - توزيع الأدوار

اكْرِتِيّس: تأمل إذن، يا سقراط، تنظيم المأدبة التي أدبناها لك، كيف وزّعنا ألوانها. لقد بدا لنا أن يبتدئ تِيْمِئُسَ ويكلمنا أولاً عن مولد العالم وأن ينتهي بكلامه عن الطبيعة البشرية، لأنه أغزرنا اطلاعاً على علم الفلك، وأوفرنا انصباباً على معرفة طبيعة الكون. واتفقنا على أن أتكلم أنا بعده، كأنني قبلت البشر منه وقد ولدهم بنطقه، وكأنما
b قبلتهم منك، وقد هذبت فئة منهم تهذيباً فائقاً، ثم أدخلهم ليمثلوا أمامنا مثولهم أمام قضاة، فأجعلُ منهم، طبقاً لفكر صُوْلُن وشرعه، مواطنين في هذه الدولة وكأنهم أثينيّو العهود السالفة، الذين نقلت عنهم الأسفار المصرية المقدسة أنهم دالوا وبادوا. وفي ما عدا ذلك، أتكلّم عنهم كلامي عن مواطنين حاليّين في دولة أثينا(٣).

سقراط: أتخيّل أنني سأحظى، مقابل وليمتي، بمأدبة خطابيّة كاملة فاخرة وقد
c حان لك، يا تِيمِئس، بعد هذا أن تدعو الآلهة حسب المألوف وتتكلم.

تيمئس: أجل يا سقراط، لا بدّ أن أفعل هذا، لأن جميع الناس، وإن كان لهم حظّ زهيد من الفهم والتعقّل، يدعون الله دوماً ويستنجدونه عندما يقدمون على أي عمل صغير أو كبير. ونحن العازمون على الكلام عن بعض نواحي الكل، هل صار أو لم يصر، يلزمنا ضرورةً، إن

---

(٣) راجع المقدمة، الفصل الأول، الفقرة الثالثة، هذا في الواقع الموضوع الذي يعالجه حوار اكرتيس.

لم نفقد الصواب تماماً، أن ندعو الآلهة والإلاهات، وأن نسألهم أن توافق أقوالنا كلها فكرهم أتمّ الموافقة، ومن جهتنا أن تتسلسل هذه الأقوال في ترابط وانسجام. هذا هو ابتهالنا المتعلّق بالآلهة. أمّا ما d نسأله لذواتنا، فهو أن تفقهوا أنتم كلامي على أهون وجهٍ، وأن أبيّنه أنا خير تبيان على النحو الذي أفكّر به وطبقاً للأهداف التي عينّا.

الفصل الأول

المثالان الممكنان والمبدع

التساؤل الأول:

٢٨ في نظري إذن، لا بد أن نميز أولاً الأمور التالية: ما هو الكائن الدائم
a لوجود ولا حدوث له، وما هو المحدث دوماً وغير الموجود أبداً؟ إن الواحد يُدرَك بالفكر بواسطة البرهان، إذ يوجد دوماً على حال واحد، والآخر يخمّنه الظن بواسطة الحس الخالي من البرهان. إنه محدث بالٍ وفي الحقيقة لا يوجد أبداً(١).

السببيّة والمُبدِع والمثالان

هذا، وإن كل مُحدَث يحدث ضرورة عن سببٍ من الأسباب. إذ يستحيل
b قطعاً أن يحدث حدوثٌ دونما سبب(٢). وأي شيء قد يحقِّق المُبدِعُ فكرته وخواصه، وهو ينظر دوماً إلى الكائن على حالٍ واحدة، ويستعمل في صنعه

---

(١) ٧٢ a: نجد التمييز عينه، وبعبارات مماثلة تقريباً في الجمهورية ٦: ٥٠٧ b. و ٥٠٩ d راجع السياسي ٢٦٩ d..

(٢) يورد أفلاطون مراراً مبدأ السَبَبِيَّة: فيذن ٩٨ c و٩٩ b، فيلفس ٧٢ b. الشرائع ١٠: ٨٩١ e والتيمـــــئس ٢٩ d، ٤٦ e: ٧٥ c، ٦٨e، ٦٩ a: ٨٧c، ٣٨ d، ٤٤ c، ٤٦ d، ٦٤d الخ.

مثالاً كهذا، فذاك كله يكون حتماً جميلاً، إذ يتمّ على هذا النحو. وأما ما يصنعه المبدع وهو ينظر إلى المحدَث، مستعملاً مثالاً مُولَّداً، فذاك ليس بجميل[٣].

تطبيق هذا التمييز على العالم

التساؤل الثاني:

فالفلك برمتَّة أو العالم أو ذاك الشيء الآخر، - ولنْسمِّه بأي اسم قد
c يُسمّى به ويتقبّله أفضل قبول – لا بدّ أن نبحث أولاً بشأنه ما يُفرض أن يبحث في البدء بشأن كل شيء: هل كان دائماً، فليس له أي مبدأ حدوث، أو هل ابتدأ من مبدأ ما؟[٤].

إنه قد حدث لأنه منظور وملموس وله جسم. وأمثال هذه الأمور كلها محسوسة. والمحسوسات يدركها الظن بواسطة الحس، وتظهر بجلاء محدثة مولَّدة. ثم إننا نقول عن المحدث إن من الضرورة أن يحدثه سبب ما. فاكتشاف صانع هذا العالم وأبيه إذن عمل شاقّ. ويستحيل على مكتشفه أن يُفضي باكتشافه إلى الجميع.

التساؤل الثالث :

٢٩ ومن جديد، لا بدّ أن يبحث أيضاً بشأن العالم هذا الأمر التالي: مهندس
a العالم قد صنع العالم يا ترى بالنظر إلى أي من المثالين، أبالنظر إلى المثال الثابت غير المتحول، أم بالنظر إلى المحدث؟ فإن كان هذا العالم جميلاً

---

(٣) إن ابروكلس، ٨٤ d (Diehl. I, 265. 18) يشبه المبدع بفذيس الذي لم يشأ أن يتخذ نموذجاً حسياً لينحت تمثال زِفْس.

(٤) راجع فيذن: ٧٩ a، ٨٣ b.

ومبدعه صالحاً، فجلي أنه كان ينظر في صنعه إلى المثال الأزلي. وان كان أمر لا يحلّ لأحد حتى النطق به فقد كان ينظر إلى المثال المحدث. ولكنه واضح لكل عاقل أنه كان ينظر إلى المثال الأزلي. لأن العالم هو أبهى الصائرات، ومبدعه خيرُ العلل وإذا أحدث على هذا النحو، فهو يُدرك بالعقل والفهم، وقد أبدع طبقاً للمثال الثابت.

(للعالم إذن مثال ثابت لا يتحول):

b ولما كانت هذه الأمور على هذا النحو فالضرورة الحتمية تقضي إذن بأن يكون هذا العالم صورةَ عالم ما(٥). وأعظم كل شيء أن يبتدئ المرء بدءاً طبيعياً فلا بدَّ إذن من أن نميز بشأن الصورة ومثالها التمييز التالي: وهو أن المقالات والبراهين تمت بصلة القرابة إلى الأمور التي تفسرها وتبرهن هي عنها.

(النتيجة ضربان من المعرفة، أولاً العلم):

c فالثابت إذن والراسخ والواضح بعد (إدراك) العقل له، تلزمه براهين ثابتة لا تتحوّل. ويليق قدر الإمكان أن تقوم هذه البراهين على أقوال لا تُدحض ولا تُقهر أو تتزعزع، وأن لا ينقصها شيء من القوة والمتانة.

(ثانياً الظن الذي يشبه الحقيقة)

أما براهين ما يماثل ذلك الثابت، فتكون محتملة ومجارية البراهين الأولى من باب المماثلة، لأن المماثلَ صورةُ الموجود(٦). والحقيقة هي بالنظر

---

(٥) لا يفتأ أفلاطون متشاغلاً بالبحث عن نموذج صنعت الأشياء على مثاله (التيمئس ٩٢ b، السياسي ٢٧٧ d، فيذرس ٢٦٢ c، الجمهورية ٥: ٤٧٢ c، ٦: ٥٠٠ e، ٨: ٥٦١ c).

(٦) راجع ابروكلس، ١٠٥ a، ديهل ١، ٣٤٤، ٢٨.

إلى الاعتقاد والظن، ما هو الكيان بالنظر إلى الحدوث والصيرورة(٧). فلا تعجب إذن يا سقراط، ان لم نتمكن جيداً من أن نتفق بعضنا مع بعض في أقوالنا تمام الاتفاق ومن كل وجه، ومن أن نضبط كل الضبط براهيننا في
d أمور كثيرة تتعلق بالآلهة وبحدوث الكل. ولكن إن قدّمنا من تلك البراهين ما لا يقل عن غيره في مداناة الحقيقة، فعلينا أن نرضى به، ذاكرين أن لنا طبيعة بشرية، أنا المتكلم فيكم وأنتم المحكّمين. ومن ثمَّ يجدر بنا، ان قدمنا بشأن الآلهة وحدوث الكلّ حديثاً محتملاً، ان لا نلتمس من بعده حديثاً غيره يبذّه ثباتاً.

سقراط: لقد أحسنت جداً، يا تِيمِئُس، ولا بدَّ لنا أن نتقبَّل حديثك على النحو الذي تشاء. وقد أنصتنا إلى مطلعك بإعجاب. فأنجز لنا حالاً بسط موضوعك الشائق.

---

(٧) إن كلمة يينس Genesis يستعملها أفلاطون بتواتر للدلالة على الحدوث أو الصيرورة. (راجع السياسي ٢٦١ a، ٢٨٢ d، السفستي e٢٣٥، فيلفس ٢٦ d و ٢٧ a، الشرائع ١٠: ٨٨٩ وفي مواضع كثيرة أخرى).

الفصل الثاني

لماذا وُجد العالم: الصلاح الإلهي

تيمئس : فلنقل لأيّة علة أنشأ المنشئ الصيرورة وهذا الكلَّ برمته. لقد كان
e صالحاً. والصالح لا يداخله حسد ما بشأن أيّ شيء. ولمّا خلا من الحسد، أراد أن تحدث جميع الأشياء، وهي تدانيه أعظم مداناة[١]. وقد يقبل المرء أتمّ القبول من أناس حكماء، أنّ هذا مبدأ الصيرورة ومبدأ العالم الأسمى. ويصيب كلّ الاصابة في قبوله.

٣٠ (عمل الله المُنَظَّم)

a لأن الله لمّا أراد أن تكون جميع الأشياء جيّدة، وأن لايكون شيء منها خبيثاً، تناول بعد هذا التصميم كل ما كان مرئياً غير هادئ، لا بل مضطرباً ومصطخباً متشوشاً، ونقله من الفوضى إلى النظام، معتقداً أن حالة النظام أفضل على كلّ وجه من حالة الفوضى. ولم يكن حلالاً، ولا يحل الآن، لأفضل الكائنات أن يصنع شيئاً ما لم يكن ابهى الأشياء.

b (هذا الكون حي)

---

(١) راجع ذِيُجِينس اللائِرتيّ ١: ٣٠، فهو يورد قولاً من هذا النوع نسب إلى ثالس الحكيم، فيلسوف مِيْلِتُسْ.

ففكّر إذن، وبعد التفكير وجد أنه لا يمكن أن يصدر عن الأشياء المرئية بالطبعِ كون متكامل بلا فهم يفضل كوناً متكاملاً ذا عقل وفهم، وأنه يستحيل أن يُؤتي أحد العقلَ دون نفس. وبناءً على هذا التفكير، جعل العقل في النفس، والنفسَ في الجسد، وهندس الكلّ بالطبع أبهى الأشياء، وينجز هو خيرَ
c الأعمال. فعلى هذا النحو إذن، يجب القول، طبقاً لبرهان محتمل، بأن العالم في الحقيقة كائن حيّ ذو نفس وعقلٍ، وأنه حدث وصار بعناية الله.

الفصل الثالث

طبعية مثال العالم: الحي «بذاته»

وإذ ثبت لنا هذا، علينا أن نقول ما يعقب مباشرة هذه الأمور. على شبه
أيّ من الأحياء انشأ العالمَ منشؤه؟ لن نحطّ من قدر العالم ونشبّهه بأحد
الأشياء التي جعلت طبعاً من نوع الجزئيّات. لأنّ لا شيء يشبه الناقص
ويمكن أن يكون جميلاً. بل فلنفرض أنه يشبه غاية الشبه، ذاك الكائن الذي
تتكوّن أجزاؤه من سائر الأحياء الآخرين، كأفراد وأجناس، لأن ذاك الكائن d
يشمل في ذاته جميع الكائنات العقليّة، كما ينطوي هذا العالم علينا وعلى كل
الحيوانات الأخرى المنظورة. لأن الله إذ شاء أن يُشْبِه هذا العالم أعظم الشبه
أبهى الكائنات العقليّة وأكملها في كل شيء، جعله حيّاً واحداً منظوراً، حاوياً
في ذاته كل الأحياء المجانسين له بطبيعتهم.

فهل كنّا إذن على حقّ في قولنا بسماءٍ واحدة، أو كان أصحّ أن نقول ٣٠
بسماوات كثيرة لا تحصى؟ لقد كنّا على حق في قولنا بسماء واحدة، اللهمّ إن a
كان من شأنها أن تبدع على صورة المثال. لأن الكائن المنطوي على الكائنات
الحيّة العقليّة لا يمكن أن يكون ثانياً بعد آخر، إذ ينبغي من جديد أن يكون

هناك حي آخر يشمل ذينك الاثنين الأوّلين. لأنهما يكونان بمثابة جزأين له. ولن يقال بحق عندئذ إن هذا الحيّ قد صُنع على شبْههما، بل على شبه الذي يحويهما. فلكي يكون إذن هذا الحيّ شبيهاً في وحدانيّته بالحيّ الشامل، لهذه
b الاعتبارات، لم يصنع المُبدِع عالمين ولا عوالم لا تُحصى. وإنما حدثت ووُلدت هذه السماء وحيدةً، وسوف تبقى أبداً وحيدة.

الفصل الرابع

لما كان العالم جسماً
فهو يفرض وجود النار والتراب

ولا بدّ أن يكون المحدث ذا جسمٍ، مرئياً وملموساً. ولاشيء يمكن أن يصير مرئياً بدون نار، ولا ملموساً بدون مادّة كثيفة، ولا كثيفاً بدون تراب. ومن ثمّ طفق الله يركّب جسم «الكلّ» من نار وتراب. ولكن لا يمكن اثنين أن يتركّبا وحدهما حسناً دون ثالث.

c **(ضرورة ثلاثة حدود لإنشاء اضطراد)**

لأنه لا بدّ أن يكون بينهما رباط يضمّ الواحد إلى الآخر. وخير الربط هو الذي يمكنه أن يؤلف من ذاته ومن الأشياء المربوطة شيئاً «واحداً»، في غاية الوحدة. والاضطراد يحقّق هذا الأمر أفضل تحقيق. لأنه عندما يكون
٣٢ متوسِّط ثلاثة أعداد ما مكعّبة أم مربعة، في نسبة واحدةٍ من الأوّل إليه، ومنه
a هو المتوسّط إلى الأخير، ثم في نسبةٍ واحدة من الأخير إليه، ومنه هو المتوسّط إلى الأول؛ فعندئذ، إذا غدا الوسط أولاً وأخيراً، وإذا غدا كلّ من الأول والأخير أيضاً وسطاً، فيتّفق هكذا حتماً أن تكون كلّ هذه الحدود على ذات النِسب. وعندما تغدو على ذات النسب فيما بينها، تكون هي كلها واحدة.

فإن لزم أن يكون جسم الكلّ مسطّحاً لا عمق له، فواسطة واحدة قد تكفي لتربط ذاتها وتربط الطرفين اللذين معها.

(ولكن لما كان جسم العالم أحد المجسمات لزمه واسطتان وأربعة حدود)

b والحال أنه كان ينبغي أن يكون مجسَّماً من المجسّمات. والمجسّمات لا تنسّقها أبداً ولا تضمّ أجزاءها واسطة واحدة، بل تضمّها دوماً واسطتان. فعلى هذا النحو وضع الله الماء والهواء في وسط النار والتراب. ووفّق بين هذه العناصر، مراعياً قدر المستطاع، معادلةً واحدة، وجاعلاً عين النسبة بين النار والهواء وبين الهواء والماء، وعين النسبة بين الهواء والماء وبين الماء والتراب فربطها بعضها ببعض، وأنشأ سماءً واحدة مرئية وملموسة. وبناءً

c على هذه النسب، ومن مثل هذه العناصر الأربعة في العدد، ولد جسم العالم، منسجماً بالتناسب. وحصل بفضل هذه العناصر على الصداقة. ومن ثَمَّ، لما التأمت أجزاؤه في واحدٍ، أصبح مرصوصاً لا يفصم عراه آخر ما خلا الذي ربط بينها.

الفصل الخامس

العالم كروي وهو يكفي ذاته
ويشمل الأجسام كلها

إن تنسيق العالم وإنشاءه قد استوعب كلاًّ من العناصر الأربعة بجملته
لأنّ منشِئه قد أنشأه من النار باسرها، ومن الماء برمَّته، وكذلك الهواء
d والتراب. ولم يدع خارج العالم ولا ذرة واحدة ولا أية طاقةٍ من أحد تلك
العناصر[١]. وهذه كانت نواياه.

أولاً لكي يكون العالم حيّاً شاملاً متكاملاً في غاية التكامل، مؤلَّفاً من
٣٣ كامل الأجزاء. وعلاوة على ذلك لكي يكون واحداً فريداً، إذ لم يتبقَّ ما يمكن
أن ينشأ عنه عالم آخر مماثل. أخيراً كي لا يشيخ ولا يعتلّ[٢]، معتبراً أن
a عوامل الحرارة والبرودة وكلّ العوامل الأخرى ذاتَ المفاعيل العنيفة، إذا

---

(١) راجع المقدمة، الفصل الثالث، الله ومثالا العالم.

(٢) إن هذا المقطع يلمّح إلى مناقشات قديمة بشأن وحدة العالم. وأفلاطون يورد ههنا براهين استمدّها من فلاسفة إلِيَا (راجع لبَرْمِنِيذِسْ المقطوعة ٨، ولِميْلِس المقطوعة ٧ و ٨). واستدلال أفلاطون هذا سيعمد إليه أرسطو وتلاميذه (راجع له كتاب السماء ٢ :٤ : ٢٨٦ b ١٠ وما يلي). وهذا ما أشار إليه ابركلس (١٥٧ – ١٦١، ديهل ٢ ص ٥٨ – ٦٧).

أحدقت من الخارج بجسمٍ مركّب، ودهمته في آناء غير مؤاتية، فهي تفكّكه وتجلب له الأمراض والهرم، وتؤدي به إلى البوار والدمار. ولهذه العلّة وبسبب هذا التفكير، هندس الله العالم، وجعله فريداً شاملاً، متكاملاً من جميع أجزاء العناصر طرّا، لا يهرم ولا ينتابه داء.

(العالم كروي)

b وقد أعطاه الشكل الملائم المجانس. فقد يليق بالحيّ المزمع أن يضمّ في ذته جملة الأحياء، شكل ينطوي في ذاته على كافّة الأشكال بلا استثناء. ولذا آتاه شكلاً كرويّاً، يبعد مركز قطره إلى سطحه بعداً متساوياً من كلّ الجهات. وأداره تدويراً، وجعله أكمل جميع الأشكال، وأشبه شيء بذاته (هو الشكل الكروي)، معتقداً أنّ الشبيه أفضل بعشرة آلاف مرة من المغاير.

(العام يكفي ذاته، ولا حاجة له إلى أعضاء)

c وقد مهّد الله سطح الكرة كلّه، وجعله أملس ناعماً من ظاهره. وذلك لأسباب عدّة. ولم يكن العالم بحاجة قطّ إلى عيون، إذ لم يُترك خارجاً عنه شيء منظور. ولا إلى سمع، إذ لم يترك خارجاً عنه شيء يُسمع. ولم يحدق به هواء لطيف يستدعي التنفّس. ولم يحتج إلى عضو ما به يزدرد الطعام، أو آخر به يدفع نفاية الأكل الذي قد سبق واستساغه. لأنّ لا شيء يخرج منه، ولا شيء يلجه من أيّ مصدر كان. إذ لم يلبث ولا شيء (خارجاً عنه). فهو
d بذبوله يوفر لذاته الغذاء. وقد وُلد عن قصدٍ ليتأثّر بذاته في ذاته، ويصنع كل شيء بذاته في ذاته. لأنّ الذي ركّب عناصره اعتقد أنه خير له أن يكتفي بذاته من أن يحتاج إلى الأشياء الأخرى.

وقد حسب الله أن هلا ضرورة أن يركِّب له أيادي، إذ لا حاجة له أن يأخذ، ولا أن يصدّ عنه مناوئاً. ولا أن يركب له أرجلاً ولا ما يُستخدَم للتنقّل على الإطلاق.

(إن العالم يتحرّك حركة دائريّة)

٣٤ وقد حباه الله حركة تلائم الجسم، وهي التي، بين الحركات السبع[٣]،
a تنسجم أعظم انسجام مع العقل والفكر. ولذا برمه على نفسه، وفي نفس المحل برمة وئيدة، وجعله يتحرك حركة دائريّة ويدور على نفسه دوراناً. وانتزع منه الحركات الستَّ كلّها. وحرمه من الشرود بها. وإذ لم يكن بحاجة في ذلك الدوران إلى أرجل، ولّده بلا سيقان ولا أقدام.

(تلخيص البحث السابق)

وإذ فكّر الله – الدائم الكيان – هذا التفكير، بشأن الإله المزمع أن يصير
b ذات يوم إلى الوجود، صنعه جسماً أملس مسطّحاً ومتساوياً من كل صوب في بعده عن مركز قطره، وكلاًّ واحداً متكاملاً من أجسام متكاملة.

---

(١) الحديث في المقام عن تقسيم الحركات إلى سبعة أصناف: الحركة الدورانية، والحركة من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين، ومن أمام إلى خلق، ومن خلف إلى الأمام، ومن فوق إلى أسفل، ومن أسفل إلى فوق. وهناك تقسيم آخر إلى عشرة أنواع، نجده في كتاب الشرائع ١٠ : ٨٩٣ c . راجع التيمِئس ٤٣ b.

الفصل السادس

روح العـالـم

(إنها تحدق، «بالكلّ» وهي فلك السماء).

وقد جعل الله النفس في وسط الجسم، ونشرها خلاله كلّه، وغلّفه بها حتى من ظاهره. وجعلها تدور حوله سماءً واحدة فريدةً منعزلة، قادرة بمزيّتها الخاصة
c أن تلبث مستقلّة في ذاتها لا تحتاج إلى كائن آخر، تعرف ذاتها وتحبّها محبّةً كافية. وبفضل هذه المناقب كلّها، ولدها الله إلهاً سعيداً.

(روح العالم سبقت جسمه).

ولم يستحدث الله الروحَ بعد الجسم، كما باشرنا الآن الحديث عنها بعد تحدّثنا عن الجسم. لأنه لو صنع الجسم قبلها لم يسمح أن يحمل الحديث العهد قديمه. غير أننا إذ نشارك الاتفاق والأقدار، فنحن نتكلّم أيضاً اتفاقاً وعرضاً. لكن الله أنشأ النفس وجعلها بمولدها ومناقبها متقدّمة على الجسد، وأقدم منه عهداً وسيّدة وآمرة، وهو خاضع لها، وركّبها من العناصر الآتي ذكرها وعلى النحو التالي.

٣٥ **(تركيب روح العالم)**

a وأخذ الله من الجوهر «الدائم الثبات على حالٍ واحدة» وغيرِ القابل الانقسام، ثم من الجوهر المنقسم المحدَث في الأجسام، ومزجهما وصنع منهما صنفاً ثالثاً من

الجوهر متوسّطاً بين الاثنين، له طبيعة ما هو عين ذاته وطبيعة الآخر[١]. وأقام الثبات في الوسط بين غير المنقسم من الجوهرين وبين المنقسم المتعلق بالأجسام[٢]. ثم عاد وأخذ هذه الجواهر، وهي ثلاثة، ومزجها وعمل منها كلها
b صورة واحدة. ولمّا كانت طبيعة الآخر عسرة الخلط، حشرها ونظمها بالعنف، وضمّها إلى طبيعة ما هو عين ذاته، ومزجها مع هذا الجوهر. وإذ جعل من الثلاثة واحداً، عاد وقسّم هذا الكلّ إلى الأقسام التي ينبغي ويليق أن تقسّم. وكل قسم مستمدٌّ أصلاً مما هو عين ذاته ومن الآخر ومن الجوهر الممزوج الناتج عنهما. وشرع يقسّم على النمط التالي:

---

(١) راجع لترجمة النصّ العويص مرتان وولراب: Quld Plato de animae mundanae elementis docuerit,Progr. Dresde, 1872, ص١٠. وعنوان الكتاب الموضوع باللاتنية يعني: ماذا علّم أفلاطون يا ترى بشأن عناصر روح العالم.

(٢) إن كل المخطوطات تحمل الضمير afton «هما» (حتى ابركلس، ١٧٨ d، ديهل٢: ١٥٥، ٢. وهذا خلافاً لما يؤكد اشتهارت، وقد اقتفى اتسلرٍ وفُوْلْراب إثره). وهذا الضمير أفْتُون، الذي لا يمكن أن يتعلق لا «بالوسط» ën méço ولا «بغير المنقسم» amérous ظهر مستعصي التفسير. وإذا قرأنا «أفتو» الضمير المفرد بدل الجمع، وأرجعناه إلى «النوع الثالث من
d الجوهر» triton oucias eidos... ترتّب علينا أن نترجم نظير فُوْلُراب (ص١٠) Deinde natura ejusdem et alterius si respicitur, etiam hac ratione medium inter individuum ejus et per corpora dividuum composuit. «ثمّ إذا نظرنا إلى طبيعة الشيء ذاته والآخر، فقد جعل حتى على هذا النحو وسطاً بين غير المنقسم منها وبين المنقسم بواسطة الأجسام». ويمكن أن تفهم «افتون» كضميرٍ تجزيئيّ. هذا رأي رفو. ونحن لا نرى إشكالاً كبيراً في الأمر. والضمير الجمع المضاف إليه يعود حتماً حسب القرائن إلى الجوهرين المنقسم وغير المنقسم اللذين يتكلّم عنهما الفيلسوف في العبارة السابقة. ويقول أفلاطون في صراحةٍ إنه أخذ ميزة الديمومة والثبات وعدم التحوّل وجعلها بين الجوهرين المنقسم منهما وغير المنقسم، ليمزج بين كل هذه العناصر والصفات ويركب منها مزيجاً واحداً، وصورةً واحدة. (المعرّب).

(تقاسيم المزيج الأولية)

c انتزع أوّلاً من جملة المزيج جزءاً واحداً. وبعده انتشل جزءاً هو ضعف
الأول. ثم جزءاً ثالثاً هو مرة ونصف أكبر من الثاني وثلاث أضعاف الأوّل. ثم
جزءاً رابعاً هو ضعف الثاني. وأخذ جزءاً خامساً هو ثلاث مرات الثالث. وجزءاً
سادساً هو ثماني مرّات الأول. وجزءاً سابعاً هو سبع وعشرون مرة الأول.

(كيف ملأ الله مجالات السلسلة الناشئة في هذا التقسم)

٣٦ وبعد تلك التقاسيم، ملأ المجالات المضاعفة والأكبر بثلاث مرات، واقتطع
a من المزيج أجزاء ووضعها في تلك المجالات. بحيث حصل في كل مجال
واسطتان، إحداهما تفوق الطرفين أو يفوقانها بكسرٍ واحد. والثانية تفوقهما أو
يفوقانها بكميّة متساوية في العدد. ومن هذه العلائق حصل، في المجالات السابقة،
مجالات واحد ونصف وواحد وثلث وواحد وثمن. فملأ الله كل مجالات واحدٍ
وثلث بمجال واحدٍ وثمن. وترك جزءاً من كلّ مجال. والمجال المتروك في هذا
b الجزء هو في حدود عدد ٢٥٦ إلى حدود عدد ٢٤٣. وهكذا استنفد المزيج الذي
اقتطع منه التقاسيم والمجالات.

(الفلك وخطّ الاستواء وخطّ الانحناء)

وشقّ عندئذ هذا الجهاز كله إلى اثنين من عرضه. وطبّق إحدى الشقّتين
c على الأخرى بشكل X خي، (وهو حرف الخاء اليونانيّ)، وثنى كلاًّ من الشقّتين
على نفسها بصورة دائرة. وضمّ طرفي كل شقّة مقابل نقطة التقائهما.

(حركات الفلك)

وشملهما بالحركة الثابتة الدائرة في عين المكان. وجعل إحدى الدائرتين خارجيّة والأخرى داخليّة. وأعلن أن الحركة الخارجيّة هي حركة تنجم عن طبيعة

«ما هو عين ذاته»، وأن الحركة الداخلية هي حركة تنجم عن طبيعة «الآخر».
ووجّه حركة ما هو عين ذاته جانبيّاً إلى اليمين، وحركة الآخر قطريًّا نحو الشمال.
d وأعطى السطوة لدوران ما هو عين ذاته والمماثل. لأنّه تركها وحدها دون انشقاق.

(حركة الكواكب السيارة)

أما الحركة الداخليّة، فبعد أن شقّها على ستّ دفعات إلى سبع دوائر متفاوتة، وفقاً لكلٍّ من المجالات المضاعفة والمجالات التي هي أكبر بثلاث مرات، - وهذه ثلاثة مجالات وتلك ثلاثة مجالات -، رتّب أن تجري الدوائر جرياً يعاكس بعضه بعضاً، وأن تدور ثلاث منها بسرعة مماثلة، وأربع بسرعات متباينة تختلف من دائرة إلى دائرة، وتختلف عن سرعات الدوائر الثلاث الأخرى، ولكن طبقاً لنسب معيّنة[٣].

(موقع جسم العالم داخل روحه)

e ولمّا أُنجز كلّ تركيب الروح طبقاً لفكر مركّبها، نظّم هذا المركِّب بعد ذلك توزيع الجسم كله ضمنها، وردّ منتصف الجسم إلى منتصف الروح ووفّر لهما الانسجام. وهي بعد أن نُسِجت من وسط الفلك إلى أقصاه، واشتملته في ظاهره من كلّ جانب، وأخذت تدور على ذاتها، انطلقت انطلاقها الإلهي وباشرت حياةً عقليّة لا تنقطع تَستغرق الزمن برمّته[٤]. وغدا جسم السماء منظوراً، ولبثت الروح
٣٧ لا ترى، ولها نصيب في العقل وانسجامه، وصارت بين الكائنات المولَّدة
a المستحدثة أفضلَها، وقد أحدثها أفضلُ الكائنات العقليّة الدائمة الوجود.

---

(٣) راجع المقدّمة، الفصل الخامس.

(٤) راجع لأرسطو كتاب السماء ٢: ٢: ٢٨٥ d ١٦ وما يلي.

الفصل السابع

وظائف روح العالم

لأن الروح إذن قد مُزجت من طبيعة «ما هو عين ذاته» ومن طبيعة «الآخر» ومن جوهر ناتج عنهما، فتألفت من هذه العناصر الثلاثة، ونُسِّقت أقسامها طبقاً لعلاقات رياضيّة معيّنة وربطت هذه الأقسام بانسجام، فهي تقول في دورانها على ذاتها، عندما تلامس شيئاً له جوهر لا ينقسم، وتعلن بحركتها وبذاتها كلّها أي كائن يماثله ذلك الشيء وأي كائن يغايره.

(المعرفة: الظنّ أو التخمين والعلم)

b وتعلن خصوصاً، بشأن الكائنات المستحدثة، بالنسبة لأي شيء وفي أيّة حال وكيف ومتى يتفق لها أن يوجد كل منها، وأن يشعر ويتكبد الملمات من قبل الزائلات ومن قبل الأزليّات.

والعقل الصادق في ذاته، إذ يجول في المتحرّك بذاته، عندما يتناول المحسوس، وتكون دائرة الآخر قويمة فتؤذن بذلك روحه كلها، تَحدثُ المزاعمُ والاعتقادات الراسخة الصادقة. ولكن عندما يتناول الأمور المنطقيّة العقليّة وتكون دائرة «الشيء ذاته» حسنة الجري فتتبئ بذلك، يتمّ حينئذٍ حتماً الفهم والعلم.

وإن قال أحد عن الكائن الذي تنشأ فيه هاتان المعرفتان إنه شيء آخر غير الروح، فهو يقول كلَّ شيء سوى الحقيقة.

الفصل الثامن

أصل الديمومة والزمان

ولما رأى أبو العالم ووالده، أنّه وُلِدَ صورةً للآلهة الأزليين، وأنه كائن حيّ
d متحرّك، جذل وابتهج وفكّر أيضاً أن يجعله أكثر شبِهاً بمثاله. فكما أن ذاك المثال
حيّ سرمديّ، حاول أن يجعل «هذا الكلّ» أيضاً قدر الإمكان شيئاً مماثلاً.

والحال أن طبيعة الحيّ كانت أزليّة. ولم يكن من سبيل أن يربط الله هذه
الأزليّة في المستحدث، وأن يدمجها به دمجاً تامّاً. ففكّر أن يضع صورةً متحرّكة
e للأزل. وفيما كان يزين السماء صنع للأزل الباقي في وحدته، صورةً أزليّة تجري
على سنّة العدد، وهي ما سمّناه زماناً. لأن النهار والليل والشهور والسنين لم تكن
قبل حدوث السماء، ولكنّ الله استنبط حدوثها عندما كان يركب الفلك.

فكل أقسام الزمن هذه، و«الكان» وألْ «سيكون» غدت أصنافاً له. ونحن
نسهو وننسبها للجوهر الأزليّ، غير أننا لا نصيب في ذلك. فنحن نقول عنه
٣٨ وندّعي أنه كان وكائن وسيكون. ولكن لا يليق بهذا الجوهر سوى القول «إنه
a كائن» حسب النطق والتفكير الصحيح. أما «الكان» وألْ «سيكون» فيجدر أن يقالا
عن الحدوث الجاري في الزمن، لأنهما حركتان وتحوّلان. لكنّ القائم دوماً على
حالٍ واحدة دون تحوّل، لا يليق به أن يصير أكبَر سنّاً أو أحدثه خلال الزمن، ولا
أن يكون قد صار ذلك في فترةٍ ما، ولا أن يصير الآن أو يصير في ما بعد، ولا

أن يَلْحقه قطعاً شيء مما تُلحِقه الصيرورة بالأشياء الحسيّة. لكنّ تلك الأمور قد غدت أعراضاً من الزمن، وهو يضارع ويماثل الأزَل، ويجري في دورانه على سنّة العدد[1].

d ولا بدّ أن نضيف إلى ما سبق العبارات التالية: ما حدَث فهو قد حدَث وما يحدث فهو يحدث، ثم ما سوف يحدث فهو سيحدث، واللاموجود هو اللاموجود هذه العبارات لا نقولها بضبط ودقّة. وعل كلٍّ، لعلّ الوقت غير مؤات الآن للتدقيق في هذه الأبحاث.

فالزمن إذن حدث مع الفلك، ليولدا معاً وينحلاّ معاً. إن جرى انحلالهما يوماً ما. وحدث على مثال طبيعية الأزل، لكي يشبه ذلك المِثال قدر الاستطاعة غاية

c الشِبه. لأنّ المثال هو كائن مدى الأزليّة كلّها. والفلك هو أيضاً كان وهو كائن وسوف يكون بلا انقطاع ما دام الزمن.

---

(١) إن أفلاطون يبسط في هذا الفصل نظريّة عن الزمن تتّسم غاية الاتسام بطابع العصر، مع أنها ترجع ربّما إلى عهد البثغوريين. (راجع لأرسطو كتاب الطبيعة ٤: ١٠: ٢١٨ a: ٣٣ وما يلي). يرتبط الزمن بالتحوّل، وهو معدوم بالنظر إلى الحقائق أو الكائنات الأزليّة. فكلّ شيء يدوم له زمنه الخاصّ. ويبدو أن هذا الزمن يقابل فترة تحوّله وإيقاعه. وكلّ كوكبٍ له زمنه وهو ينفرد بذاك الزمن (٣٩ d). ولكن أزمنة السيارات تقيسها وحدات الزمن الناجمة عن حركات الشمس والقمر. وعلاوة على ذلك، هناك زمن مشترك، وهو «السنة الكبرى» إذ تعود في نهايتها مظاهر الفلك كلّها إلى أوضاعها الأولى. وهذا الزمن يسيطر على الأزمنة الأخرى بجملتها، كما يهيمن فلك الثوابت على حركات النجوم بأسرها.

الفصل التاسع

وضع الكواكب السيارة في الفلك ودورها

فمن تفكير الله هذا إذن ومن مثل هذه النية لديه بشأن إحداث الزمن،
لكي يُولَد هذا الزمن، نشأت الشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى، الملقّبة
بالسيارة، لتحديده وضبطه وصيانة إعداده. وبعد أن صنع جسم كل منها،
وضع تلك الأجسام في المدارات التي يخطها دوران الآخر في جريه. وهذه d
المدارات سبعة وتلك الأجسام سبعة. وجعل القمر في المدار الأول حول
الأرض والشمس في المدار الثاني فوق الأرض. ثم كوكب الصبح والكوكب
المدعوّ كوكب هِرمْيس المقدّس جعلهما يعدوان في مدارهما بسرعة تتعادل
وسرعة الشمس، ولكن اتجاههما يعاكس اتجاهها. ولذا نرى أن الشمس وكوكب
هرميس وكوكب الصبح، هذه الكواكب الثلاثة تتلاحق، فيلحق بعضها بعضاً
طبقاً لسنّة ثابتة[١]. أما الكواكب (السيّارة) الأخرى، إن رام أحد أن يفصّل أين
ركّزها الله، وأن يستقصي كلّ أسباب ذاك التركيز، فذاك المقال الخارج عن e
الموضوع قد يولي من المشقة ما يفوق الأهداف التي يُقال لأجلها. ولعلّ هذه
المسائل ستحظى هي أيضاً فيما بعد حين يتسع لنا الوقت، بالشرح اللائق[٢].

---

(١) راجع المقدّمة، الفصل الرابع، في تقارن السيّارات والكواكب الأخرى وتقابلهم.

(٢) إن بسط المسائل الفلكيّة التي يشير إليها ويعدنا بها، لا توجد في أي مكان من التيِنئس. ولا يهتم أفلاطون إلا بكواكب أربعة هي القمر والشمس والزُهَرة وعُطارد.

(تقارن الكواكب السيارة وتقابلها)

٣٩ عندما بلغ إذن كل من الكواكب اللازمة لإنشاء الزمن، الحركة
a الموافقة، ووُلدت تلك الكواكب كائنات حيّة مرتبطةً أجسادها بربط روحيّة، وعندما تعلّمت ما فُرض عليها، وكانت حركتها منحرفة بانحراف حركة الآخر، تسير خلال حركة ما هو عين ذاته وهي منقادة لها، جرى بعض هذه الكواكب في مدار أوسع، وجرى بعضها في مدار أنيق. وسارت ذات المدار الأضيق بسرعة أشدّ، وذات المدار الأوسع بسرعة أبطأ. وبالنظر إلى حركة ما هو عين ذاته، بدت الكواكب الدائرة بأقصى سرعة واللاحقة ذات السرعة الأبطأ وكأن هذه الأخيرة تلحقها(٣). لأن حركة ما هو عين ذاته في تدويرها دورات الكواكب تدويراً لولبياً، جعلت أبطأ الكواكب سرعة يبدو، بسبب ازدواج دوراتها وبسبب تعاكس تلك الدورات في آن واحد، وكأنه أقرب الجميع إلى تلك الحركة، وهي أسرع الحركات طرّاً.

(أصل الليل والنهار)

فلكي يكون هناك مقياس جلّي لبطء الكواكب فيما بينها وسرعتها، ولكي يُبدي ما يتعلّق بحركاتها الثماني، أناط الله منارةً بالحلقة الثانية المحدقة بالأرض. وهي ما نسميّه الآن شمساً. كي تنير أعظم إنارة أرجاء السماء برمّتها، ويشترك بالعدد جميع الأحياء الذين يليق بهم ذلك، ويتعلّموه من
c دوران (ما هو عين ذاته) القائم على حالٍ واحدة ومن مثيله.

فقد حدث الليل والنهار إذن على هذا النحو وبسبب هذه الغايات. وهما دوران مدار فريد هو أعقل المدارات. ويحدث الشهر عندما ينجز القمر

---

(٣) إن مدار ما هو عين ذاته تنعشه حركة النهار. وهذه الحركة تسيطر على كل الحركات الأخرى، وتجرّها في سيرها، مع أن تلك الحركات تتجّه اتجاهاً معاكساً . ومن ثم نتبيّن لما تظهر الكواكب وكأنها تدور دوراناً لولبياً. راجع من المقدمة الفصل الرابع.

دورته ويلحق الشمس. ويحدث العام عندما تنجز الشمس دورتها. أما دورات الكواكب الأخرى، فلا يفهمها سوى النزر القليل من الناس، ولا يدعونها بأسماء، ولا يرصدونها ولا يقابلونها بعضها ببعض حسابيّاً، وبالتالي، إن صحّ قولنا، لا يعرفون أن شحطات تلك الكواكب هي زمن، وأنّ تلك الشحطات
تستغرق زمناً لا يحصى، وأنها متنوّعة إلى حدّ عجيب. d

(السنة الكبرى)

ومع ذلك لا يمنع هذا من أن ندرك أنّ اكتمال عدد الزمن يستوعب السنة الكاملة، ويحدث هذا الأمر عندما تنجز المدارات الثمانية جميعها سعيها، وتبلغ إلى نقطة انطلاقها، وتعود كل منها وتقيس سرعتها على دورة الثابت في ذاته على حالٍ واحدة، والسائرِ سيراً منتظماً.

(الختام)

فعلى هذه السبل ولهذه الغايات إذن، نشأت الكواكب ذات الأدوار، e
والمنطلقة في كبد السماء، كي يكون هذا العالم على أعظم شبِه مع الكائن العقليّ الكامل، ويجاري أتمّ مجاراة طبيعة الأزل.

الفصل العاشر

لا بدّ أن يحوي العالم أربعة أصناف الأحياء

وكانت الكائنات الأخرى إلى مولد الزمن قد صُنعت على شبه المثال الذي صُوِّرت عليه. وهذا العالم لم يكن قد ضمّ في داخله كلّ الكائنات الحيّة المزمعة أن تحدث . ومن هذه الناحية مابرح يباين مثاله.

فشرع الله يصنع هذه الكائنات الباقية، مصوّراً إياها على طبيعة مثال العالم. ومن ثم على الوجه الذي يعاني عقلُه المُثُلَ في «من هو الحيّ»، ما هي تلك المُثُل وكم هي فيه، ارتأى الله أنه يجب على هذا العالم أن يحوي هو
٤٠ أيضاً كائنات مماثلة لها في الماهيّة والكم. وهي أربعة مُثُلٍ. المثال الأوّل هو
a جنس الآلهة السماوي. والمثال الثاني هو الجنس الجاري في الهواء. والمثال الثالث هو الصنف المائي. والمثال الرابع هو الجنس الذي يمشي على الأقدام والبري.

(الآلهة الفلكيّة)

وطفق إذن يصنع من نار القسط الأعظم من صورة الجنس الإلهيّ، كي يتألق أعظم تألق ويكون بهيّاً جدّاً في النظر. وإذ صوّره على صورة «الكل» جعله حسن الاستدارة، ووضعه في ذهن الأقوى لينقاد له: ووزّع إفراده على

b سطح الكرة السماوية كلّها، ليكونوا لها بجملتها زينةً حقيقيّة. وحبا كلاً من أولئك الأفراد حركتين: الواحدة ثابتة في ذات الإله وتدور حول عين الأمور يفكر بها دوماً في ذاته، والثانية َ حركةَ الاندفاع إلى الأمام، يخضع فيها لدورة الثابت والمائل. ولا يتحرك هذا الجنس من الآلهة بالحركات الخَمْس الأخرى وهو منصرف عنها كي يكون كلّ من أفراده قدر المستطاع في غاية الصلاح.

ولهذه السبب بالذات نشأت جميع الكواكب التي لا تسير ولا تتيه، وهي كائنات حيّة إلهية أزلية تدور في ذات المكان بصورة ثابتة، وتلبث دوماً على تلك الحال. أمّا الكواكب الدوّارة ذات المسيرة والتيه الذي وصفناه فيما قبل، فقد حدثت ونشأت بعد تلك الكواكب الثابتة.

(الأَرض)

وقد استنبط الله الأرض حاضنةً لنا ومربيّة، ولفّها حول المحور الممتدّ خلال العالم كله(١)، وخوّلها إيداع الليل والنهار؟ وأقامها حارسةً عليهما، وجعلها أولى الآلهة الذين نشؤوا داخل الفلك وأقدمهم عهداً(٢).

---

(١) راجع المقدمة، الفصل الخامس والسادس.

(٢) طبقاً لمعطيات المقطع e٣٧ وُلد الليل والنهار مع الفلك، ومن ثم قبل مولد الأرض. وليست هذه سوى أقدم الآلهة المحشورة في بطن الفلك (e ٤٠). ومن جهة أخرى يحتمل أن تكون الأرض ثابتة بلا حراك، (راجع الفصل الخامس من المقدمة). فكيف يمكنها أن تكون «حارسة الليل والنهار؟» لا شكّ أن أفلاطون يلمح إلى التعليم الذي ينسبه سِمْبْلِتْشِيُس إلى البِثغُوريِيّن: «لقد قالوا إن الأرض كوكب، لأنها هي أيضاً آلة للزمن، إذ هي سبب النهار والليل. وفي الواقع عنها يصدر النهار عندما يعكس الأشعة بوجهها المتجه نحو الشمس. وهي سبب الليل عندما تدير وجهها نحو مخروط الظل الناتج عن وضعها مقابل الشمس (Diels, Wors. 3 .1. 356. 25).

(لن يخوض في التحدث عن أمور الفلك)

ومن العبث أن نتحدث عن جوقات هذه الكواكب التائهة السيَارة ورقصها، وعن تدانيها بعضها من بعض، وعن دورانها بعضها حول بعض، d وتسابقها، وفي قِرانها والتحامها، أيّ من تلك الآلهة يحاذي الآخر، ومن منها يغدو على الطرف المقابل، ومتى يقف بالنظر إلينا بعضها أمام بعض، وبعد أيّ حِقَبٍ كلٌّ منها يحتجب (فينخسف أو ينكسف): ثم يعود ويبرز للعيان، فيبعث المخاوف في قلوب من لا يستطيعون التفكير، وينبئ عن الأحداث الواقعة عقب تلك الظاهرات الفلكيّة. فالكلام على هذه الظاهرات دون النظر إلى ما يمثّلها في الواقع عبث وعناء باطل. وحسبنا هذا المقدار من التوسّع في هذه الأمور، ولنختم مقالنا في طبيعة الآلهة المنظورة والمولودة.

الفصل الحادي عشر

سلالة الآلهة الآخرين

هذا، وإنه لفوق طاقتنا أن نقول شيئاً عن الآلهة الآخرين وأن نعرف
مولدهم. وفي هذا الموضوع علينا أن نصدّق الذين تكلمّوا عنهم فيما قبل،
لأنهم على ما يقولون، من سلالة الآلهة ويعرفون دون ريب معرفة جليّة e
واضحة أجدادهم. فيستحيل إذن أن لا نصدق أبناء الآلهة، ولو تكلموا عن
أولئك الآلهة دون بيّنات مقبولة وبراهين قاطعة. ولكن بما أنهم يردّدون أنهم
ينقلون تباشير تتعلق بأسرتهم وذويهم، فلا بدّ من أن نتبّع العادة المألوفة
ونصدّقهم.

فليكن إذن مولد هؤلاء كما تخيّله أولئك الشعراء، وهاكم ذلك المولد:
ولدت الأرض من فلك السماء ولدين هما أكِئَنُوس ونِثِيْس. ووُلد لهذين فُرْكِيس
واكْرُوْنُس رِيئَا وكلٌّ من بعدهم. ومن واكْرُوْنُس رِيئَا وُلد زِفُسُ وهِيْرا وجميع ٤١
الذين نعرف أنهم يُدعون إخوة لهذين، وهؤلاء أيضاً أنجبوا أبناءً وأحفاداً[١].

---

(١) يشير أفلاطون في هذا النصّ إلى مولد من مواليد الكون عند الأرْفِيّين ويذكر فيه أربع سلالات إلهيّة. واكْرَاتِلُس ٤٠٢ bc وفِيْلُفسْ ٦٦ c، يُلمّحان دون ريب إلى هذا المولد نفسه، الذي شمل ستّ سلالات إلهيّة (طبقاً لما ورد في الشعرين اللذين يذكرهما =

فلمّا وُلد إذن جميع الآلهة يدورون علناً في فلك السماء، والذين يَظهرون قدر ما يشاؤون، قال لهم والد هذا العالم بأسره هذه الأقوال:

= اكْرَانِلُسْ. والمقطع كله هنا هجائيّ ساخر، ويظهر ذلك بوضوح وهذا ما يلاحظه وِيْبِيرْ: F. Weber. Platonische Notizen uber Orpheus, Munchen, 1899, p. 12 et suiv ويعود أفلاطون في حوار اكْرِتِيْس ١٠٧، ويقول إننا في جهل كامل بشأن الآلهة، راجع الجمهورية ٢: ٣٦٤ e «وهم كما يدّعون سلالة مُوسِئُسْ وأُرِففْس وسِلِيني والأهات الطرب والفنّ والموسيقى».

الفصل الثاني عشر

تركيب أجساد الأحياء الآخرين

b «يا آلهة من آلهة أنا مبدعها وأبوها، إذ هي مصنوعات أحدثتها محبوكة لا تنفصم عراها إن لم أشأ ذلك. هذا، وأكيد أنّ كل ما رُبط ورُكّب يحلَ. ولكن ابتغاء حلٍّ ما نُظِّم وانسجم انسجاماً بهياً فطابت حاله، هو مبتغى الشرير.

ومن ثمّ بما أنكم محدثون لستم خالدين ولا صامدين كلَّ الصمود، لا تفك عراكم. ومع ذلك لن تنحلوا، وهذا أكيد، ولن تلقوا مصير الموت، لأن إرادتي هي لكم رباط أعظم وأقوى من الرُبُط التي شُددتم بها عند مولدكم، فتعلّموا الآن إذن ما أقول وأبيّن لكم.

c لقد بقي ثلاثة أجناس مائتةٍ لم تولد بعد. وما لم تبرز هذه الأجناس إلى الوجود فالسماء تلبث ناقصة. إذ لم تحرز في ذاتها كلّ أجناس الأحياء. مع أن ذلك يُفرض عليها، إذا ما لزمها أن تكون كاملة كمالاً وافياً. وإن أنا أحدثت وصيرت هذه الأجناس، ونالت الحياة من لدني، عادلت ربما الآلهة. فلكي تكون إذن مائتة، ويكون هذا الكلّ كلاً شاملاً في الواقع، التفتوا إذن حسب طبيعتكم إلى صنع الكائنات الحيّة، مقتدين باقتداري في مولدكم وإبرازكم إلى

الوجود. أما القسم من هذه الكائنات الذي يليق به أن يُسمّى باسم الخالدين، d المدعو إلهيّاً، والمرشد فيهم جميع الذين يبتغون اتباع الحق والعدل على الدوام واقتفاء آثاركم، فأنا أبذر بذاره وأبدأ بصنعه وأدفعه إليكم. وعلى أثر ذلك، تُسدون بسدى الغير المائت لحمة المائت، وتصنعون كائنات حية وتولِّدونها وتؤتوها طعامها وتربّونها. وإذا هلكت تعودون وتتقبّلونها».

الفصل الثالث عشر

الصانع يصوّر الأرواح ويركّبها

قال الله هذه الأقوال، ثم عاد إلى الجام الأولى، التي خلط فيها روح
«الكلّ» ومزجها وسكب فيها البقايا من الجواهر التي عمد إليها من قبل.
ومزجها على الطريقة ذاتها. غير أنه لم يبق شيء من الجوهر الصافي الثابت
على حال واحدة بل من الجوهر الثاني والثالث فقط. فلما ركّب كلَّ ما بقي من
هذين الجوهرين قسَّمه أرواحاً تساوي الكواكب عدّاً، ووزعها على الكواكب e
واحدة لكلّ كوكب. وأصعد الأرواح إليها إصعاده لها على مراكب. وأبدى لها
طبيعة «الكلّ» وأطلعها على النواميس المحتومة، نواميس مصائرها:

(سنن مصير الأرواح العامة)

أنّ مولدا أوّلاً واحداً سيُرتّب لها جميعها، كي لا ينتقص هو حقَّ أحد.
وبعد أن يلقي بذارها في أدوات الزمن، كلَّ واحدة منها في الأداة الموافقة لها،
يُفرض عليها أن تَنبتَ أوفر الكائنات الحيّة خوفاً واتقاءً لله. وأنّ الطبيعة ٤٢
البشريّة تكون مزدوجة. وأن الجنس الأقوى منها سوف يتّسم بسمة خاصة، a
ويدعى فيما بعد رجلاً.

وعندما تُغرس الأرواح بحكم الضرورة في أجسادها، وينمو قسمٌ من جسدها ويتقلّص قسم، يتحتّم إذاك أن ينشأ معه: أوّلاً شعور واحد في الجميع

ينجم عن الأهواء العنيفة، وثانياً ينشأ الحبّ تمازجه اللذّة والحزن. يضاف إلى ذلك، الخوف والغضب، وكل الأهواء الناجمة عنها، وكل التي تناقضها طبعاً. فمن تغلّب على هذه الأهواء عاش في البرّ، ومن غُلب لها عاش في الاثم.

b ومن يحيَ حسنا زمانه الملائم، يعود فينطلق إلى سكني نجمه المأنوس، فيحظى بحياة سعيدة في ألفة الكوكب. وإن زلّ عن هذه المبادئ، تحوّل في ولادته الثانية إلى طبيعة امرأة. وإن لم يرعوِ في هذه الحالة أيضاً عن شرّه، فعلى النحو الذي يحطُّ به من كرامته ويسيء التصرف، على شبه ذلك النحو

c تكون الولادة التالية فيتحوّل دوماً من طبيعة وحش إلى طبيعة وحش آخر تماثل شرّه. وهكذا دواليك، فلا يستبدل حاله السيّئة ولا ينجو من متاعبه ومشقّاته، قبل أن ينقاد لدورة «ما هو عين ذاته وما هو مماثل» المطبوعة فيه، ويسحب معه في إذعانه تلك الكتلة الضخمة من النار والماء والهواء

d والتراب التي نمت فيه من بعد، وهي ثورية غير عاقلة، وقبل أن يخضعها للعقل، ويبلغ بها من جديد إلى صورة حالته الأولى الفاضلة جداً.

وبعد أن سنّ الله للأرواح كل هذه القوانين، كي لا يكون فيما بعد مسؤولاً عن شر كلٍ منها، بذر بعضها في الأرض، وبعضها في القمر، وبعضها في كل ما هناك من أدوات أخرى للزمن[١]. وبعد زرع الأرواح، كلّف الآلهة الجدد أن يصوّروا الأجساد المائتة، وأن يضمّوا إليها كلّ ما ينقصها من أرواح بشريّة. وفوّض إليهم بعد أن ينجزوا هذا العمل وكل المهمات الأخرى التابعة له، أن يتسلّطوا عليها وأن يسوسوا جنس المائتين خير سياسة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وأن يرعوهُ أجمل رعاية، كي لايغدو هذا الجنس لنفسه علّة الشرور والمساوئ.

---

(١) راجع المقدمة، الفصل السابع، المطلب الخامس. لا يتكلم أفلاطون فيما بعد، كما يفعل هنا، عن كثرة الكواكب الآهلة. ونحن نجد في الشرائع ١٠: ٩٠٣ dو ٩٠٤ b اشارة إلى هذا المعتقد عينه.

الفصل الرابع عشر

الآلهة الأحداث يصورون الأجسام

اتحاد الروح والجسد

٤٣ وبعد أن رتّب الله هذه الأمور كلّها، ما انفكّ على حاله المألوف يتوقع
a مجرى الأمور. وفيما هو ينتظر ويتوقّع، فكّر أبناؤه بأمر أبيهم وأطاعوه. فأخذوا المبدأ الخالد في الكائن المائت، واقتدوا بمبدعهم واستعاروا من العالم عناصر نار وتراب وماء وهواء، على أن تُعاد فيما بعد، ولحموا العناصر المستمدة وربطوها بعضها ببعضٍ، لا بالرُبط غير المنفصمة التي رُبطوا هم بها، ولكنهم صهروها بواسطة مفصّلات دقيقة جداً لا ترى لدقتها، واصطنعوا من تلك العناصر جميعها كلّ جسم بمفرده.

(اتحاد الروح والجسد)

وغمسوا دورات الروح الخالدة في جسد زاخرٍ بما يرد إليه وما يصدر عنه من تيّارات. وهذه الدورات لدى انغماسها في نهر هدّار لم تُخضعه ولم
b تخضع له. بل ما مافتئت تارةً تتجرف في تياره بالعنف، وتارة تجرفه في مجراها. بحيث شرع هذا الكائن الحيّ يتحرّك برمّته، وإنما بلا نظام ولا تعقّل، متوجّهاً إلى حيث يتّفق له أن يسير، وقد أحرز الحركات الستّ جملة. فجعلت

تلك الكائنات الحية تتقدم إلى الأمام، ثم تقفل راجعة إلى الوراء، ثم تسير نحو اليمين ونحو الشمال، وتتحدر وتصعد، وتسير في كلّ اتجاهٍ للأماكن الستّة.

(ما يحدثه الحسّ من اضطرابات)

لأنه ولو كان الموج الذي يغمر الجسد، ثم يتدفق منه، عارماً - وهو
التيار الذي يؤتيه إيّاه الغذاء ويوفّره به - فشعور كل جسد بما ينتابه من أرزاء c
يسبّب له اضطراباً أشد وأعنف من اضطراب ذلك التيار. فعندما يصطدم
جسم إنسان عرضاً بنار خارجية غريبة عنه، أو بصخر، أو بما يُزلقه من
مياه متجمدة أو عندما تلفّه عاصفة رياح هوجاء، تثور الاضطرابات في
الجسد بفعل تلك العوامل كلها وتندفع بقوة إلى الروح. وهذه الاضطرابات
برمتها هي التي دعيت فيما بعد، ولهذه الأسباب، مشاعر. وتدعى الآن أيضاً
مشاعر أو إحساسات. وفضلاً عن ذلك، بما تُحدث تلك الانفعالات عندئذ
وعلى الفور من اضطراب واسع وعنيف جداً، يُضاف إلى اضطراب قناة
الجسد الجارية بلا انقطاع، وبالهزة الشديدة التي تُهز بها دورات الروح، d
تُعطَّل منها تماماً دورة ما هو عين ذاته، لأن دورات الروح تعاكسها، وتمنعها
عن السيادة وحتى عن السير. ثم إنها تهزّ هزّاً دورة الآخر، ومن ثمَّ تُحوّر
تحويراً كل أبعاد الضعف والأبعاد التي هي ثلاث مرات أكبر، وهذه ثلاثة
وتلك ثلاثة: كما تُحوِّر واسطات واحد ونصف وواحدٍ وثلث وواحدٍ وثمن،
والأوصال الناشئة عنها، وتحدث في حلقات تلك الدورة كلَّ خلل ممكن. وإذ
هي غير قابلة للتفكك تماماً إلا بإرادة واضع لُحمتها وسداها، فإنها تشوّشها e
ذاك التشويش، بحيث لا تحفظ تماسكها إلا بالجهد. وهي تجري وتدور ولكن
دونما تعقل. وتدور تارة دورات معاكسة، وتارة منحرفة، وطوراً منقلبة.
ومَثَلُها مثلُ رجل انقلب رأساً على عقب، وأسند رأسه إلى الأرض ورفع
قدميه إلى فوق قبالة آخر. فعندئذ في وضع الذي يعاني من هذا الموقف

ووضع الذين يشاهدونه، تتمثل الأشياء وكأن ذات اليمين هي ذات الشمال، وكأن ذات الشمال هي ذات اليمين. ويبدو الأمر على هذا النحو، لكلٍّ من الطرفين المتقابلين.

٤٤ **(أسباب الخطأ العامّة والجنون)**

a ودورات الروح تعاني هي أيضاً عين المصاب ومكاره أخرى مماثلة، وتعاني منها بشدّة فعندما تعثر على شيء من الأشياء الخارجية يجانس ما هو عين ذاته أو الآخر، عندئذ تسمّي المماثل لشيء والمغاير لآخر بأسماء تناقض الحقيقة وتغدو كاذبة غاشمة. ولا يكون فيها ولا دورة واحدة آمرة أو مرشدة. وإن حملت من الخارج بعض الانفعالات، ووقعت على دورات الروح وجذبتها في تيّارها، هي وكل غلاف الروح، فعندئذ تبدو تلك الدورات وكأنها غالبة، في حين أنها مغلوبة على أمرها.

b فبسبب هذه الانفعالات كلّها، عندما تربط الروح بجسد مائتٍ تصير حالاً ومنذ البدء بلا فهمٍ ولا عقل[١].

(كيف يعاد الترتيب والنظام)

ولكن عندما يتقلّص ويتناقص تيّار النموّ والازدهار الجسدي، تعود دورات الروح وتأخذ طريقها، طريق الهدوء والسكينة، وتسير فيه راسخة أكثر فأكثر، مع تراخي الزمن. وعندئذ ترجع إلى هيئتها الطبيعية، فتستقيم دوراتها وتعلن بصواب عن الآخر وعما هو عين ذاته، وتصيّر الذي يحويها

c عاقلاً. وفضلاً عن ذلك، إذا اتُّبع منهج تربوي قويم، أمسى متّبعه سليماً معافىً

(١) مفعول تجسد الروح الأول هذا يشار إليه أيضاً في حوار فيذن ٨١ c و٨٣ d. ويعود إليه أفلاطون في المقطع ٨٦ e من حوار التيميئس هذا.

بجملته وأفلت ناجياً من أشد داء. أمّا إذا تهامل وقضى عمره في عيشة عرجاء، فهو يصل آذس (الجحيم) ناقصاً معتوهاً.

(ضرورة الإفاضة في الشرح والتفصيل)

ولعلنا نتناول هذه الأمور فيما بعد. أمّا مواضيعنا الحاضرة، فعلينا أن نبسطها بدقّة أوفى. ولكن قبل الخوض فيها، لابدّ أن نفصّل ما يتعلق بنشوء
d أقسام الجسد، وما يتعلق بنشوء الروح، لأيّة أسباب كُوِّنت وبأي عناية من قبل الآلهة، وأن نتمسّك بالمعقول في هذا كله، وأن ننهج هذا المنهج ونسير على هذه المبادئ.

الفصل الخامس عشر

شرح الأمور بالعلّة الغائية

جسـم الإنسـان

١ - (الرأس وأدوات التنقّل)

وإذا كانت الدورات الإلهية اثنتين بالعدد، ورام الآلهة أن يقتدوا بشكل «الكلّ»، وهو شكل مستدير، أولجوا هاتين الدورتين في جسم كروي، نسمّيه الآن رأساً، وهو أوفر أقسام الجسم أُلوهة والسائد على كلّ ما فينا. وقد قيّد
الآلهة الجسدَ برمته، وأخضعوه لخدمته، إذ فكروا في أنفسهم أنه سوف يشترك e
في جميع الحركات الممكن حصولها. فلكي لا يتحيّر وهو يتدحرج على أرض ذات مرتفعات ووهادٍ متنوّعة، كيف يرتقي تلك المرتفعات، ويصعد من هذه الوهاد، أعطوه باقي الجسم مركبةً وهوّنوا عليه المسير. ولذا حصل الجسد على الطول، ونمت فيه أربعة أعضاء ممتدّة تنطوي، هيأ له الله بها التنقل فهو يتمسّك بها ويتوكأ عليها، وأصبح قادراً أن يتردد إلى جميع الأمكنة، حاملاً فوقه أقدس قسم من ذاتنا وأكثرها ألوهة، فعلى هذا النحو إذن ولهذه الغايات، نمت فينا أجمعين سيقان وأيادٍ.

(وُجهتا الجسم)

a وإذ حسب الآلهة الأمام أكرم من الوراء وأحقَّ بالرئاسة، جعلوا القسط الأكبر من سيرنا في هذا الاتجاه. فترتّب أن يحرز الإنسان الجهة الأمامية من جسمه مميّزةً عن جهته الخلفيّة وغيرَ شبيهة بها.

(الوجه)

b ولذا جعلوا الوجه من هذه الجهة، من تجوّف الرأس. وأنزلوا فيه أجهزة استبصار النفس واستدراكها كله. ورتّبوا أن يكون هذا القسم من الجسم شريكاً في القيادة، وهو القسم الأماميّ بالطبع.

٢ - (العينان والبصر)

ومن هذه الأجهزة هندسوا قبل كل شيء الناظِرَين، حاملي النور، ونزلوهما (في الوجه) لهذا السبب التالي. فقد استمدّوا من النار كل قسم لا
c يحرق، بل يوفِّر نوراً لطيفاً، واحتالوا ليصبح جسماً يألف كل نهار. لأنهم جعلوا النار الصافية التي فينا، تسيل بجملتها ناعمةً غزيرة. وكثفوا خصوصاً قسم العينين الأوسط، بحيث يمنع عن التسرب كلَّ قسم آخر غليظ من النار، ولا يدع ينساب منها إلاَّ مثل هذا القسم النقيّ وحده.

فعندما يلقى إذن نورُ النهار تيّار البصر، ويقع إذاك الشبيه على الشبيه، فيتكاثف ذلك النور، ينشأ ويتركب على خطّ الناظرين المستقيم جسم واحد مؤتلف. وحيثما يستقر النور المنحدر من داخل العينين، يقع على النور
d المنعكس عن الأشياء الخارجية ويلتقي به. فيغدو كلّه ذا انطباع مماثل لانطباع النور الخارجي بسبب التشابه بينهما. وإن مسّ شيئاً من الأشياء في حالة من الحالات، أو مسَّه شيء من الأشياء، فهو يبعث حركات الأشياء التي

يمسها أو تمسه إلى الجسم بجملته حتى تبلغ الروح، ويثير ذاك الشعور الذي نقول عنه إننا نرى بناء عليه.

(الرقاد والأحلام)

وحين ينكفئ النور الخارجيّ المجانس عائداً إلى الليل، ينقطع عنه النور الداخلي. فإذا خرج هذا النور الأخير ولقي نوراً لا يشبهه، تتغيّر حاله
e وينطفئ. لأنه لا يلبث بعد من طبيعة الهواء المجاور، إذ لا يحوي ذاك الهواء ناراً. فيكفّ إذن عن الرؤية، ويجلب النوم، لأن الجفون، تلك الوقاية التي استنبطتها الآلهة لحماية البصر، عندما تُغلَق من طبعها، تَحشر في الداخل قوة النار. وهذه القوة تذيب وتمّهد الحركات الداخلية. وإذ تخمد تلك الحركات يسود الهدوء. وعندما يمسي الهدوء عميقاً، يهبط على المرء رقاد ذو أحلام وجيزة زهيدة. أما إذا انتابت المرء هزّات أعنف، فحسب نوعها ونوع الأمكنة التي ترسب فيها، تُحدِث في الداخل هزات مماثلة وبالمقدار عينه، وتُحدث تخيّلاتٍ يحفظ الناس ذكرها عند نهوضهم، عندما تنبّههم الأمور الخارجيّة.

٤٦ **(المرايا)**

هذا، ولا يصعب بعد الآن أن نفهم ما يتعلّق بعكس الصور، التي
a تعكسها المرايا أو أي سطح لامع أملس. إذ من تداخل كلٍّ من النار الداخليّة والنار الخارجيّة الواحدةِ في الأخرى، ثم من تحوّل هذه وتلك كل مرة إلى نارٍ واحدة، في جوار السطح الأملس، وتبدُّلِها مراراً وعلى أنواع مختلفة، تظهر
b ضرورة مثل تلك الصور جميعها، لأنّ النار المحدقة بالوجه تتكاثف مع النار المحدقة بالبصر، حول الشيء الناعم اللامع.

(انقلاب الصور)

وما على اليمين يُتوهَّم على الشمال، لأن الأجزاء المقابلة من (نار) البصر تلامس الأجزاء المقابلة (من النار المنبعثة من الأشياء). وهذا خلافاً للعادة القائمة في التلاحم.

(المرايا المقعّرة)

c وعلى عكس ذلك، ما على اليمين، وما على الشمال يظهر على الشمال عندما يقع النور الذي يتكاثف معه. ويحصل عندما يعلو سطح المرايا من جانبيه، (فيقعّر) فيدفع ما على اليمين إلى الشطر الشمالي من العين، والآخر إلى الآخر، (أي وما على الشمال إلى الشمال إلى الشطر اليميني من العين).

بيد أن هذه المرآة نفسها، إذا أديرت على خطّ عرض الوجه، فهي تظهر كل شيء وكأنه مقلوب، لأنها تعكس الضياء الوارد من أسفل إلى فوق، ثم الضياءَ الوارد من عل إلى أسفل.

الفصل السادس عشر

الأسباب اللاحقة والآلية وصلتها بالبصر

d فكل هذه الأمور إذن هي من الأسباب اللاحقة والمرادفة التي يستعملها الله كخَدَمٍ لتحقيق فكرة الأفضل. ولكنّ المفكرين في أغلبيتهم يظنون أنها ليست أسباباً مرادفة، بل أسباب الأشياء برمّتها، إذ هي التي تحدث البرد والحرّ والجَمْد والذوبان وما إلى ذلك جميعاً.

إلاّ أنها غير قادرة قطعاً أن تحرز العقل والفكر، إذ لا بدّ من الاعتراف بأن الروح وحدها، بين الكائنات، خليقة بأن تحصل على الفكر. والروح غير منظورة، في حين أن النار والماء والتراب والهواء نشأت جميعها أجساماً منظورة.

e هذا، ويتحتّم عل عاشق الفكر والعلم أن يتعقّب العلل الأولى ذات الطبيعة العاقلة، والعللَ الثانية التي تَحدث بفعل عللٍ أخرى متحرّكة، تحرك غيرها حتماً. فعلينا نحن أن نتصرف هذا التصرّف، ونطبق عملنا على هذه القواعد. ولا بدّ من الكلام عن كلا الصنفين من الأسباب، وأن نتكلم على حدة، عن الأسباب المبدعة الأشياءَ البهية الصالحة بفهمٍ وحصافة، وعلى حدة عن الأسباب المعزولة عن الإدراك، التي تأتي أفعالها كل مرة اتفاقاً ودونما نظام.

(سبب حصولنا على البصر)

٤٧ حسبنا إذن ما قيل عن الأسباب المرادفة المؤازرة العيون، لتحصل على
a القدرة التي حظيت بها الآن. وبعد كلامنا السابق، علينا أن نتحدّث عن أعظم
عمل نقوم به العيون لمنفعتنا. وهذا العمل هو الذي لأجله حبانا بها الله.

فقد كان لنا البصر، حسب تفكيري وتحليلي للأمور، علة أكبر فائدة
لأننا لو لم نكن نرى النجوم والشمس والفلك، لما قلنا مقالاً واحداً من المقالات
التي تدور الآن حول (كون) العالم. والحال أن النهار والليل إذ شوهدا، وكذلك
الشهور ودورات السنين واعتدال الربيع والخريف، وتساوي النهار بالليل
فيهما، وانقلابات الصيف والشتاء، كل هذه الأمور أنشأت الحساب وتفهّمَ
الزمن، وأدت بذلك إلى البحث عن طبيعة «الكل» أو الكون. ومن هذه
b الأبحاث استحصلنا صنف الفلسفة. ولم يصب ولن يصيب جنس المائتين خيراً
أعظم من هذا حبته به الآلهة.

وأقول بتأكيد إن خير العيون هذا هو أكبر خير. ولم نَمدح ما دون هذا
من الخيرات الأخرى؟ فهذه قد يرثيها عبثاً وينوح عليها ويتنهّد من ليس
بفيلسوف، إذا أصيب بالعمى. وبالإضافة إلى تلك الاعتبارات، فلنقل إن سبب
ذاك الخير الأكبر هو السبب التالي. إن الله قد استنبط لنا البصر وحبانا إياه،
لكي نرى دورات العقل في السماء وندركها ونستفيد منها لنطبقها على دورات
c الإدراك الذي فينا. فدورات فكرنا وفهمنا مجانسة لتلك، وإن كانت هي
مضطربةً قلقة، وتلك رتيبة بلا اضطراب ولا تشوش. وإذا ما علمنا ذلك
وشاركنا العقول (السماويّة) في استقامتها الطبيعيّة، واقتفينا إثر دورات الله
غير التائهة على الإطلاق، ركزّنا ورسّخنا الدورات التائهة الدائرة في
أرواحنا.

الفصل السابع عشر

السمع

وعلى الصوت والسمع ينطبق أيضاً نفس الكلام. فقد وهبتهما الآلهة
بناء على الاعتبارات عينها ولأجل الغايات ذاتها. لأن النطق قد رُتِّب ابتغاء
d الأمور عينها. ويسهم الإسهام الأكبر في البلوغ إليها. ثم إن كل ما هو نافع
في الموسيقى لجلاء الصوت وسماعه، فقد أعطي لنا من أجل الانسجام
والتناغم. والتناغم أو الانسجام (I Harmoia) له حركات تجانس دورات النفس
فينا. وقد أعطته ربات الفن والموسيقى لمن يصادقهن بفهم، لا لأجل الطرب
الفارغ والبسط فقط، على ما يعتقد بعضهم الآن ظانّين أن عشرتهم نافعة لهذا
الغرض فحسب، بل لأجل دورة الروح التي نشأت فينا بلا تناسق وانسجام.
e وقد منحتنا تلك الإلهات الانسجام لتزيين وتجميل أرواحنا، وحليفاً لها على
التآلف والتوافق. ووهبتنا أيضاً الوزن والإيقاع عوناً لأرواحنا لبلوغ الأهداف
عينها، إذ نشأت في أكثر الناس سجيّةٌ تخلو من الاتزان إلى اللطف والنعومة
والظرف.

الفصل الثامن عشر

شرح الأمور بنظام الضرورة

لقد بيّنت أحاديثنا السالفة، ما عدا قسطاً زهيداً منها، الأشياء التي أبدعها
٤٨ العقل. ولكن لا بدّ أن يتناول مقالنا الأشياءَ التي أحدثتها الضرورة. لأن مولد
a العالم قد حدث من تمازج وتضافر فعل الضرورة والعقل. ولكن العقل سيطر
على الضرورة بإقناعها أن تسوق إلى الأفضل أغلب الأشياء المحدثة. فعلى
هذا الوجه إذن، وطبقاً لهذه الأصول بالذات، تركّب هذا «الكل»، وتركب هكذا
منذ مبادئه بفعل الضرورة المنغلبة للإقناع الحصيف المدرك.

الفصل التاسع عشر

السـبب الشـارد

b فإن رام إذن أحد أن يقوم في الواقع كيف حدث الكل طبقاً لهذه الأصول بالذات، فلا بدّ أن يدمج العلةَ الشاردة، وأن يفصّل كيف تحرْكُ وتعمل من طبعها.

(عود على بدء)

وهنا إذن، علينا من جديد أن نعود إلى الوراء، ونتخذ أيضاً لهذه الأمور بالذات مبدأ آخر ملائماً. وكما فعلنا في حديثنا عن المواضيع التي تناولتها آنئذ بالبحث، علينا الآن أيضاً أن نبدأ من جديد منذ البدء، في تحدثنا عن هذه المواضيع الحاضرة.

(أصل العناصر المحتمل)

فلا بدَّ من التأمل بطبيعة النار والماء والهواء والتراب، قبل مولد الفلك وأن نتأملها في ذاتها وما مرّت به من صروف قبل وجود العالم. لأنه إلى
c الآن لم يدلّنا بعد أحد على أصلها ومولدها. إلا أننا نقول عن النار وعن كل من الثلاثة الأخرى، وكأننا نعرف ما هي إنها مبادئ، جاعلين إياها عناصر

«للكل»، في حال أنه يليق بها أن لا يتصوّرها ولا يتمثلها أحد ولا على وجه الترجيح فقط، وإن كان قاصر التفكير، أنها من نوع مقاطع الكلمة.

وعلى كلّ، إليكم الآن ما نعقده في هذا الموضوع: لن نقول ما هو مبدأ أو ما هي مبادئ الأشياء كلها، أو ما يظنه الآن أيّ كان بهذا الصدد وعلى أيّ وجه يظنه. ولا نمتنع عن ذلك إلا لأنه من الصعب في منهج بحثنا الحاضر
b أن نوضح آراءنا بهذا الشأن. فلا تظنوا إذن أنه يجب عليّ الكلام فيه، كما أني لا أقنع نفسي أن في استطاعتي أن أقدِم على مهمّة في هذه الضخامة، وأن أباشرها وأنا محق في ذلك.

وحفاظاً على ما قيل في مستهلّ كلامنا السابق عن قوة البراهين المعقولة المحتملة، (المدانية الحقيقة)، سأحاول أن ابدي، فوراً ومنذ البداية، حول كل شيء بمفرده وحول الأشياء كلها جملة آراء معقولة محتملة. ولن أقصّر في هذا الأمر عن غيري من المفكرين. لا بل سأجتهد بأن أبذهم في
e ذلك. وبعد الدعاء إلى اللّه أيضاً مجدداً، في استهلال كلامنا، وهو المنقذ من الشروحات اللامعقولة المردودة غير المأنوسة، كي يحفظنا ويسدد خطانا إلى اعتقاد واعتماد الآراء المعقولة المحتملة، فلنبدأ في الكلام.

الفصل العشرون

المحل

فليكن إذن مطلع كلامنا عن «الكلّ» من جديد مفضلاً تفصيلاً أوفى من مطلع كلامنا السابق. فقد ميزنا آنذاك صنفين[1] من الوجود. وأما الآن فلا بدّ لنا من أن نوضح جنساً آخر ثالثاً. إذ إن الضربين الأولين كانا كافيين لأبحاثنا
٤٩ المتقدمة. وقد افترضنا الواحد منهما كنوع مثال عقلي دائم الوجود على حال
a واحدة ثابتة. وافترضنا الثاني كاقتداء واقتفاء للمثال، ذي حدوثٍ ومنظور.

وآنذاك لم نميّز ضرباً ثالثاً، لاعتقادنا أن الإثنين الأوَّلين يفيان بالمطلوب. فيبدو أن البحث يضطرّنا إلى السعي كي نبرز في أقوالنا نوعاً عسراً غامضاً. فأية ميزة أو خاصّية طبيعيّة نفترض له؟ هذه الميزة على الأخص: أن يكون قابلاً أي وعاءٍ لكلّ حدوث وصيرورة، وبمثابة حاضنة ومرْضِع.

---

(١) إن أفلاطون لا يميز في المعنى بين النوع أو الصنف وبين الجنس، وهو مستعمل لفظتي «يِيْنُس وإيْذُس» كلفظتين أو كلمتين مترادفتين. وفي جملة واحدة، وفي كلامه عن نفس الجوهر أو الشيء، نراه يعمد على السواء إلى كلمة صنف أو كلمة جنس وهذا ما يعمله في مقامنا الحاضر، وفي مواضع أخرى كثيرة من حوار التيمئس وحوار اكرتيس. راجع خصوصاً التيمئس ٦٦b. (المعرّب)

إن هذا القول لصحيح. ولكن يجب أن نورد بشأن ذلك النوع الثالث
b كلاماً انصع وأوضح. غير أن الأمر شاقٌ لاسيّما وإنه يتحتم علينا لذلك أن نسبق ونحلّ المشاكل المعلقة بشأن النار وما يصحب النار. إذ يصعب أن نؤكد عن كل من هذه الأشياء أيها يجب أن ندعوه حقاً ماء أو بالأخرى ناراً، وأي منها يجب أن ندعوه باسم معيّن دون جميع الأسماء، إذا أطلقت عليه واحداً فواحداً، بحيث نستعمل له كلمةً ثابتة يُوثَق بها. فإذا أثرنا هذه المشكلة، فكيف نحلها؟ وعلى أيّ وجهٍ؟ وأي قولٍ معقول محتمل نقوله في هذه الأشياء؟

c فقبل كلّ شيء، ما نسميّه الآن ماءً، إذا تجمّد نلاحظ، على ما يظهر، انه قد غدا حجارة وتراباً. وإذا ذاب وانحلّ يمسي هو نفسه ريحاً وهواء. والهواء إذا اشتعل يصبح ناراً. ومن جديد إذا تضاءلت النار وانطفأت تعود إلى صورة الهواء. ثمّ إنّ الهواء إذا تجمّع وتكاثف يصير غيماً وضباباً. ومن هذين إذا تراصّا وتكدّسا أكثر فأكثر ينهمر الماء. ومن الماء ينشأ من جديد التراب والحجر. ومن ثمّ على ما يتضّح لنا، نرى أن هذه الأشياء دائرةٌ مغلقة، يُحدث بعضها البعض الآخر ويولّده.

فهكذا، إذ لا تظهر هذه الأشياء أبداً أنها الأشياء عينها، فمن يتصلب
d بسماجة، ولا يستحي من نفسه عندما يؤكد عن أيٍّ منها أنه شيء ما، وهذا الشيءُ، وليس آخر؟ هذا الأمر غير ممكن، وإنما علينا أن نفرض بشأن هذه الأشياء آمن الافتراضات بكثير، ونقول. إنّ ما نلاحظ أنه يستمرّ في التحوّل من حالٍ إلى حال، إذ يحصل له التحوّل غير مرة، كالنار مثلاً، علينا كل مرة أن نسميه لا هذه النار، بل ما يماثل النار، ولا هذا الماء، بل ما يماثل الماء، وأن لا نسمّي أبداً أيَّ شيء آخر، وكأنّ له رسوخاً واستقراراً، من تلك الأشياء
e التي إذ نعيّنها ونستعمل للدلالة عليها لفظة «ذا وهذا»، ونظنّ أننا نوضح شيئاً ما. إذ إنّ ما نظنّ أننا نوضحه يتهرّب مُجْلَوِزا، ولا يتحمل طبيعة أيّة لفظةٍ

أخرى، وإجمالاً كلَّ ما يدل به النطق على أنّ تلك الأشياء مستقرة راسخة باقية. فلا نقُلْ عن تلك الأشياء «هذه». ولكنّ كلاًّ منها بمفرده فلنسمِّه «ما يماثل» وما يذاع عنه أنه دائماً شبيه (بما يُعزى إليه). وكذا القول عن جميعها. فنسمّي النار «ما يماثل» النار في كل الأحوال. وكذلك كل ما له
حدوث ومولد أو صيرورة. أمّا ما يُتخيّل لنا أنّ كلاّ من تلك الأشياء يَحدُثُ ٥٠
فيه، فيُولْد فيه ثم يعود ويهلك فيتوارى نائياً عنه، فيجب أن نستعمل له وحده a
اسم «هذا وذا»، وندعوه به. أمّا أي شيء سوى ذلك، الحار والأبيض وأي من الأضداد، وكل ما ينشأ عن هذه، فيجب مرة أخرى أن لا ندعوه باسم «هذا وذا».

ولا بد من جديد أن نجتهد ونقول في هذا الموضوع قولاً أوضح وأجلى. إن أذاب فنّان ذهباً، وسكبه وآتاه كل الأشكال، وما انفكّ هكذا يكسبه ويمرّه بها كلها واحداً فواحداً، فإن دلّ أحد على شكل من تلك الأشكال، وسأل:
ما هو يا ترى؟ فآمن بكثير وأقرب إلى الحقيقة ان يَرُدّ عليه الفنّان قائلاً: إنه b
ذهب. أمّا المثلث وكل الأشكال الأخرى التي حدثت وتولدت في الذهب، فلا بدّ من الامتناع دوماً عن القول بشأنها: إن هذه كائنة، بما أنها تتحوّل وتتهاوى في حين إبداعها. فإن رام أحد أن يقبل كلمة «ما يماثل»، ويأمَن بها الزلل فليكتفِ بها.

الفصل الحادي والعشرون

«القابـل» أو الوعـاء

ونفس القول ينطبق بتأكيدٍ على الطبيعة القابلة جميع الأجسام. فيجب
دوماً أن نقول عنها إنها الشيء بالذات وشيء لا يتحول. لأنها لا تفارق أو
تغادر قدرتها وخاصيّتها على الإطلاق. فهي لا تفتأ تتقبّل الأشياء كلها الدوام. c
ولم تتخذ قطّ طبيعة ما، على وجه من الوجوه، أو في حال من الأحوال، تشبه
(طبيعة) أحد الأشياء الحالّةِ والوالجة فيها. فكأني بها مادة رخوة لزجة لكل
طبيعة، تحركها الأشياء الوالجة فيها، وتكيّفها بأشكالها وهيئاتها. وهي بسبب
تلك الأشياء تبرز تارة بشكل وطوراً بآخر. أمّا الأشياء الوالجة فيها والخارجة
منها، فهي تماثل الموجودات الدائمة الوجود. وهذه الكائنات تطبعها بطابعها
وتسمها بسمته، على نحوٍ عجيب يصعب التعبير عنه. ونحن نرجئ هذا
الموضوع إلى ما بعد.

أما في هذه الفترة الحاضرة، فيترتب علينا أن نفقه الأجناس الثلاثة:
الجنس المُحدَث والجِنس «الحادثة فيه» الأشياء، والجنس الذي يستمدّ المحدَث
شبهه منه، فينشأ ويحدُث. وقد يجدر بنا أن نصوّر القابل ونشبهه بالأمّ،
والجنس «المستمَدَّ منه» بالأب، والطبيعة الواقعة بينهما بالابن. كما أنه يترتب d

علينا أن نفكّر في أن «القابل» مزمع أن يكون انطباعاً وختماً مذوَّقاً، يتخذ في
نظر الناظر إليه كل الأشكال والأزياء. ومن ثمَّ، هذا القابل بالذات الذي يقيم
فيه المُحدَث المتّسم بسمة (المثال الدائم)، لا يُعَدّ إعداداً جيداً ولاُ يهيّأ تهييئاً
حسناً لذلك، ما لم يكن بلا شكل، خالياً من هيئة كلّ تلك الصور المزمع أن
e يتقبلها من مصدر ما. لأنه إذا شابه شيئاً من الأشياء الوالجة فيه، فعندما يقدم
على قبول سمات طبيعة مضادة أو مخالفة له كل المخالفة، لا يمكنه عندئذ إلا
أن يتشبه بها تشبهاً سيئاً، وإلا أن يبرز هو أيضاً بمظهره الخاص. ولذا وجب
أن يظل الجنس القابل في ذاته كل الأجناس، بمعزل عن كل الصور
والهيئات.

(تشابيه مختلفة)

كما أن هذا عينه يجري أولاً للدُهون التي يُتقنون صنعها ويتفننون فيه
لتصبح شذية عطرة. فهم يجهدون غاية الجهد ليعزموا عن كل رائحة الموادَّ
اللزجة القابلة للعطور. والذين يحاولون أن يصوّروا أشكالا معينة في بعض
٥١ المعاجين اللينة، لا يسمحون ببقاء أي شكل ظاهر فيها على الإطلاق. بل
a يسبقون ويسوونها تسوية تامة في غاية النعومة، ثم يُنجزون طبع الشكل
والخاتَم المبتغى.

فعلى النحو ذاته إذن، يليق بالكائن المزمع أن يقبل، في كل جنباته وعلى دفعات متواترة قبولا جيداً، مماثلات جميع الموجودات الدائمة الوجود، يليق بذاك الكائن أن يكون بالطبع في معزل عن الصور.

ولذا، لا نقل عن أمّ وقابلة الكائن المُحدث المنظور والمحسوس إجمالا إنها تراب أو هواء أو نار أو ماء، أو الأشياء الناجمة عن هذه أو التي تنجم هي عنها. ولكننا لا نخطئ ولا نغلط إذا قلنا عنها: إنها نوع من الكائنات لا

b

يُرى ولا صورة له، يشارك العالم العقلي بصورة تحيِّر الألباب، ويصعب على الفكر أن يحيط به ويدركه. وبقدر ما يمكن، مما تقدم، أن يقتفي المرء إثر طبيعة ذاك الكائن، فأصح وأقوم ما قد يقول فيها هو القول التالي: إنه يبدو ناراً كلما ظهر قسط منه متقداً، وماء كلما ظهر قسط منه رطباً، وتراباً وهواء بمقدار ما يتقبل مماثلات للتراب والهواء.

الفصل الثاني والعشرون

الصــور أو المُثُــل

ولكن يجب أن نُفصّل قولنا تفصيلا أوفى، ونبحث في هذه الأشياء على
c نحو يداني النحو التالي: هل هناك هي النار بالذات، نار قائمة في ذاتها؟ ونفس السؤال نطرحه بصدد جميع الأشياء التي نقول عنها دائماً إنها الأشياء بالذات، ونقول عن كل منها إنه قائم في ذاته. أو تلك الأشياء هي التي نعاينها، والتي نشعر بها بحواسّ جسدنا، وهي وحدها الحاصلة على مثل تلك الحقيقة الواقعية، بحيث لا توجد سوى هذه أشياء أخرى على الإطلاق وعلى حال من الأحوال، فنقول عبثاً كل مرة إن هناك صورة عقلية لكل شيء، ولا تكون هذه الصورة أو المثال سوى قول أو فكر؟

إنه يجدر بنا أن لا ندع هذه القضيّة الحاضرة بلا مناقشة ودون بتّ فيها
d لنكابر ونؤكد أن الأشياء أو المُثُل موجودة. كما يجدر بنا أن لا نلقي فوق طول مقالنا طولا آخر على هامش مهمتنا الحاضرة. ولكن إن تبين لنا حدّ خطير واضح يفصل لنا القضية في كلام وجيز، فذاك الحدّ يكون مؤاتياً وموفقاً خير توفيق في ظرفنا الحاضر. فمن جهتي إذن أنا ألقي حصاتي وأبدي بها حكمي على النحو الآتي: إن كان العقل والظن الصحيح جنسين اثنين، فتلك الأشياء الثابتة موجودة أتمّ وجود. وهي صور أو مُثُل لا نشعر

بها، بل نعقلها فقط. ولكن، على ما يبدو لبعضهم، إن كان الظن الصحيح لا
يختلف عن العقل والإدراك في شيء، فكل الأشياء التي نشعر بها بواسطة
e جسدنا يجب أن نعدّها أثبت الأمور وأرسخها. غير أنه لا بد من القول إن
ذينك الأمرين هما جنسان اثنان لأنهما ينشأان الواحد بمعزل عن الآخر، ولا
يشبه الواحد منهما الأخر في أحواله. فاحدهما يتوّلد فينا عن طريق التعليم،
والثاني عن طريق الإقناع والإذعان والواحد يصحبه دوماً برهان صادق،
والآخر لا يلازمه برهان أو منطق. وأحدهما ا يزعزعه الإقناع، وأما الثاني
فيمكن أن يضعضعه ليتبدل ويتحول من رأي إلى رأي. ولا بد من الاعتراف
أن كل امرئ يشترك في الظن، وأن الآلهة يشتركون في العقل. وأما البشر
فطائفة ضئيلة منهم تشترك فيه.

الفصل الثالث والعشرون

٥٢ الوجـود والصيـرورة والمحل

a ولما كانت هذه الأمور على هذه الحال، وجب أن نعترف أنه يوجد نوع فرْدٌ هو نوع ثابت لا يستحيل، لم يولد ولا يبلى، ولا يقبل في ذاته آخر من أيّة جهةٍ صدر، ولا يُداخل هو كائناً آخر على أي وجه وفي أي قسم منه، وهو غير منظور، وعلى كلّ حال لا يناله حسّ. وهذا النوع قد حظي الفكرُ بالتنقيب عنه.

وإنّ هناك نوعاً ثانياً يسمى باسم الأول ويشبهه. وهو محسوس مولود في حركة دائمة وتحوّل، يحدث في محلّ ما، ثم يعود فيهلك وينقطع عنه. وينال الظن بواسطة الحسّ.

b أخيراً يوجد جنس أو نوع ثالث، هو نوع المحل الدائم إنه لا يقبل الفساد ويوفِّر مقَّراً ومقاماً لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث. وهو لا يلمس بالحواس، بل بضرب من البرهان الهجين المختلط. إنه لا يكاد يصدِّق، إذ نحلم طامحين إلى رؤيته، ونؤكد أنه لا بدّ لكل موجود أن يكون في مكان ما، وأن يشتمل متّسعاً ما، وأن يشتمل متّسعاً ما، وأنَّ ما ليس على الأرض ولا في جهة ما من السماء ليس بشيء.

فبسبب هذه الهواجس كلّها، وهواجس أخرى شقيقات لها، تدور حول **الطبيعة الواقعيّة التي لا تغفو ولا يأخذها سبات**، وبفعل الحالة الحُلمية هذه، نصبح

c عاجزين إذا استيقظنا، أن نميز بين الأمور ونقول كلام الحقّ بشأنها. وهذا الكلام هو أنه يليق بالصورة - بما أنها لا تملك حتى الشيء الذي حدثت لأجله، بل تحمل دوماً طيف شيء آخر -، إنه يليق بها من جهة أن تحدُث وتنشأ في كائن آخر سواها، وأن تلازم الوجود وتَلصق به هكذا على وجهٍ من الوجوه. وإلاّ لا تكون شيئاً على الإطلاق. أما الموجود الواقع حقاً، فالبرهان الصحيح الدقيق والمنطق الصادق ناصرُه ومنجده. وهذا هو البرهان المدقّق فيه: مادام شيء يغاير آخر، وهذا الآخر يغاير ذاك الشيء، بحيث لا يحدُث واحد في الآخر ولا ينشأ فيه أبداً، فلن يصير شيئاً واحداً بالذات في آن واحد، وهما اثنان.

d فهذا إذن هو برهاني وقولي في القضية، عرضته بإيجاز لأبرّر حكمي فيها: وهو أنه يوجد موجود ومجال وصيرورة. وأن هذه ثلاثةٌ على ثلاث أحوال، وأنها كانت قبل حدوث السماء (أو العالم).

الفصل الرابع والعشرون

الحركة المحلية والتشوّش الأوّل

أمّا حاضنة الصيرورة والحدوث، فتندى وتتّقد وتتقّبل أيضاً أشكال التراب
والهواء، وتتحمّل كلَّ الانفعالات الأخرى الناجمة عن هذه. فتبدو من جهة للناظر e
في غاية التنوع. ومن جهة ثانية، بسبب اكتظاظها بقوىً وفعاليات ليست متشابهة
ولا متوازنة، لا تتزن هي أيضاً في جانبٍ من جوانبها. ولكن إذ تُثقلها الوزنات
من كل حدبٍ وصوب على غير توازٍ، فهي ترتجّ وتهتزّ بفعل تلك الفعاليّات
والقوى، وفي تقلقلها وحركتها ترُجّ وتهزّ هي أيضاً تلك القوى التي تحركها.

وهذه القوى إذ تتحركّ، بعضُها في اتجاهٍ وبعضها الآخر في اتجاه غير
الأوّل، لا تنفكّ تفترق بعضها عن بعض، نظير الحبوب التي يهزّها الغربال أو
الأدوات الأخرى المستعملة لتنقية الحنطة. فهذه الحبوب إذ تهتزّ وتُغربَل، يستقرّ ٥٣
الكثيف والثقيل منها في مقرٍّ، والدقيق منها في مقر آخر. a

وعندئذ، إذ تَهزّ الحاضنة القابلة الأجناس الأربعة على هذا النحو، لأنّها تتحرّك هي نظير آلة تُولّد الاهتزاز، تتفصل العناصر المتباينة أشدّ التباين بعضها عن بعض. وتتجمّع العناصر المتشابهة أعظم تشابه في موضع واحد. ولذا أحرز بعض هذه العناصر مجالاً، وبعضها الآخر مجالاً غيرَ المجال الأول، وذلك قبل أن يَنشأ «الكلُّ» ويزدان بها.

b فمن جهةٍ إذن، كانت جميع تلك العناصر، قبل ذلك العهد، على حالٍ خلت فيها من التعقّل والاتزان تماماً. ولكن عندما شرع الله يزيّن «الكل» (أي العالم بأسره)، كانت النار أوّلاً ثم الماء فالتراب والهواء، كانت كل هذه محتفظة ببعض آثار جوهرها. إلاّ أنها برزت في حالة فوضى مطلقة، **على ما يكون عليه كل شيء عندما يبتعد الله عنه أو يغيب**. وإذا كانت عندئذ بالطبع على ذلك الوضع آتاها الله أشكالها لأول مرة مستعيناً لذلك بالمُثُل والأعداد.

ومن جهة ثانية، ركّبها الله قدر المستطاع أبهى وأفضل تركيب، وهي لم تكن على شيء من ذلك. فليْظلَّ قولنا هذا راسخاً على الدوام، بغض النظر عن
c أي قول أو اعتبار آخر.

الفصل الخامس والعشرون

العناصر الأولى وتركيبها الداخلي ومولدها

والآن إذن، لابدّ أن أباشر وأبيّن لكم ترتيب كلٍّ من العناصر ومولدّها، معتمداً في ذلك على برهان غير مألوف. بيد أنكم سوف تتبعون وتدركون هذا البرهان، لأنكم مطّلعون على مناهج العلم التي يتحتّم على المرء إتباعها لتبيان أقواله.

(المثلثات)

إنّه واضحٌ بعض الوضوح، ولكلّ عاقلٍ، أن النار أوّلاً والتراب والماء والهواء هي أجسام. وأن كلّ نوعٍ من الأجسام له سمك وعمق. ثمّ أن الضرورة تقضي على كلّ حالٍ بأن يشتمل العمق على طبيعةٍ مسطحة. وأنّ القاعدة المسطّحة المستقيمة تتركّب من مثلثات. وأنّ جميع المثلثات تصدر عن مثلثين اثنين فقط، لكلٍّ منهما زاوية واحدة قائمة وزاويتان حادّتان. وأنّ أحد المثلثين تنقسم زاويته القائمة من هنا وهناك على قسمين متباينين، قوامهما ضلعان لا يتساويان.

فنحن باقتفائنا منطقَ الحتميّة والترجيح معاً، نفرض أنّ هذا هو مبدأ وأصل النار والأجسام الأخرى (الأوّليّة). أمّا المبادئ التي تفوق هذه المبادئ أيضاً، **فالله وحده يعلمها، ويعرفها من الناس من كان صديق الله.**

e فيجب علينا أن نعرض ما يمكن الأجسام الأربعة أن تكون، وأنّها على تباينها فيما بينها قادرة أن تتوالد بعضُها من بعض، إذا ما تفكَّكت وانحلّت، لأنّنا إذا وُفِّقنا وبلغنا هذا الهدف، وقفنا على حقيقة الصيرورة، فيما يتعلّق بالتراب والنّار وما بينهما طبقاً لعلاقة معيّنة، إذ إننا لا نسمح لأحد بأن يدّعي أنّ هناك أجساماً منظورة ابهى من هذه، يكون كل منها جنساً فريداً قائماً بنفسه. فلنجتهد إذن أن نوفِّق بين أجناس الأجسام الأربعة المتفاوتة بجمالها،
٥٤ وأنّ نُلقي الوئام والانسجام بينها، لنصرح أننا أحطنا بطبيعتها الإحاطة الوافية.

a هذا، وقد حظي أحد المثلّثين الإثنين، وهو المثلث المتساوي الساقين بطبيعة واحدة. ونال المثلث المستطيل الذي له ساق أطول من الأخرى طبائع لا تحصى، إذا رمنا أن نباشر بحثنا الحاضر ونتّبع فيه أسلوباً منتظماً. وإن ملك أحد وجهة نظرٍ أفضل، يكون قد اصطفاها لنفسه، ليشرح تركيب كلٍّ من هذه العناصر بمفرده، فلْيحرزِ النصر في هذا المضمار، ونحن نعدّه صديقاً لا مناوئاً.

b إذن نحن نحسب أبهى المثلثات كلها على وفرة عددها، واحداً منها فقط، غير مكترثين بالأخرى. وهذا المثلث هو الذي يتركّب منه مثلّث ثالث، هو المثلّث المتساوي الأضلاع. وفي تعليل سبب ذلك قد يطول الكلام. ولكن الجوائز الممنوحة عن رضى، تنتظر من يعلّله ويجد أن الأمر على ما قدّمنا.

فلنسرع إذن ونختر مثلثين صُنع منهما في حذقٍ ودهاء جسمُ النار وأجسام العناصر الأخرى، أحدهما متساوي الساقين، والآخر يساوي فيه دوماً الضلعُ الأكبر ثلاثَ مرات الضلعَ الأصغر إذا رُبِّعا. والآن لابدّ لنا أن نفصّل تفصيلاً أوفى ما عرضناه من قبلُ في غير وضوح. لأن الأجناس الأربعة (أي العناصر) ظهرت لنا وكأنها تتوالد كلُّها بعضُها من بعض. ولكنّها في
c ظهورها لنا هذا المظهر، لا تبدي لنا واقعها القويم. فالأجناس الأربعة تصدر

عن المثلثين اللذين اخترنا، ثلاثة منها تصدر عن المثلث ذي الضلعين غير المتساوين والجنس الرابع يَصدر منسجماً عن المثلث المتساوي الساقين. فلا يمكن إذن أن تتفكك الأجناس الأربعة وتتحلّ، فينحدر بعضها من بعض، وينشأ هكذا من صغائر كثيرة، أحجام كبيرة قلائل، أو العكس فيتولّد من أحجام كبيرة قلائل، جزئياتٍ كثيرة صغائر. إلا أن ذلك ممكن في الأجناس الثلاثة الأولى. لأنها إذ تنتج عن مثلث واحد، فعندما تنحلّ أحجامها الكبرى يقوم منها جزئيات كثيرة، تتّخذ لذاتها الأشكال الموافقة. والجزئيات الصغيرة
d عندما تتبعثر من جديد إلى مثلثات كثيرة، إذا غدا عددها واحداً قد تؤلف نوعاً آخر واحداً ضخماً بحجمه الواحد.

(التنوع الأول من المجسّمات أو الرباعي الأوجه)

فلنجتزء بهذه الأقوال في ما يتعلّق بتوالد العناصر بعضها مع بعض. ولعل ما يلي حديثنا السابق الكلامُ عن صورة كلّ منها، وعن ماهيّة هذه الصورة ونشوئها، وعن توارد الأعداد التي تنشأ عنها.

فنبدأ بالنوع الأول والأصغر في تركيبه، فعنصر هذا النوع، أو إستّقِصُّه،
e هو المثلث الذي يبلغ وتره ضعفَ الأضلع الأصغر، فإذا ضُمّ اثنان من مثل هذا المثلث من جهة قطر (الشكل الرباعي الناشئ عنهما)، وأعيدت هذه العمليّة ثلاثَ مرات، وركّزنا الأقطار والأضلع القصيرة في نقطة واحدة، هي بمثابة نقطةٍ وسيطة، حصل مثلث متساوي الأضلع من المثلثات الأصلية الستة في العدد.

٥٥ وإذا اجتمعت أربعة مثلثات متساوية الأضلع، من ثلاث زوايا مسطحة،
a تؤلف زاوية مجسمة واحدة، وقيمتها أصغر مباشرة من قيمة أضيق زاوية مجسمة. وعندما تأتلف مثلثات أربعة من هذا الطراز، يتركب أول نوع من المجسّمات. ومن خواص هذا النوع أن يُقسِّم إلى أجزاء متساوية متماثلة كلّ سطح الكرة.

(النوع الثاني من المجسّمات أو الثمانيّ الأَوجه)

والنوع الثاني يصدر عن المثلثات عينها. فتأتلف ثمانية مثلثات متساوية الأضلع وتؤلف زاوية مجسّمة واحدة، قوامها أربع زوايا مسطحة. وعندما تنشأ ستّ زوايا من هذا النمط يُنجَز أيضاً المجسّم الثاني على نحو ما ذكر.

(النوع الثالث من المجسّمات أو العشرون وجهاً)

b والنوع الثالث نشأ من ستين، مضاعفة، الإستِقصّات المتكاثفة (أي من
المثلثات البدائية الأساسية التي وترها ضعف الضلع الأصغر)، ومن اثنتي
عشرة زاوية مجسمة، يحدق بكل منها خمسة مثلثات متساوية الأضلع، وله
عشرون قاعدة (أي وجهاً) قوامها عشرون مثلثاً متساوي الأضلع. وبعد أن
ولَّد هذه المجسمات الثلاثة الأولى أزيح الصنف الأول من العناصر أو
الإستقصّات.

(النوع الرابع من المجسّمات أو المكعّب)

أما المثلث المتساوي الساقين، فقد أنجب طبيعة النوع الرابع، وأقامه
c على أربعة مثلثات ضاماً زواياها القائمة في نقطة متوسطة، ومؤلفاً هكذا
مربعاً متساوي الأضلع. وستة من هذه المربعات بتلاحمها تنتج ثماني زوايا
مجسمة، تنتظم كل منها بتلاقي ثلاثة سطوح قويمة. وغدا شكل المجسم
المركب على هذا النحو مكعباً، وله قواعد ست مسطحة قوامها ستة مربعات
متساوية الجوانب.

(النوع الخامس من المجسمات أو الشكل الكروي)

وبقي تركيب واحد خامس، فاستعمله الله عندما رسم للعالم برمته صورته الحية.

فإن تأمل المرء بروية في كل هذه الأمور، قد يتساءل في حيرةٍ هل يجب القول بوجود عوالم لا تحصى، أو القول بأن لها حدوداً. ويُمكن الظن أن d الاعتقاد بوجود عدد لا يحصى من العوالم هو اعتقاد رجل ليس له خبرة حقاً في أمور يُفرض عليه أن يكون خبيراً فيها. أما التساؤل الآخر، هل يليق القول بأن العالم قد نشأ فريداً أم نشأت في الواقع خمسة عوالم، فإن توقف المرء عند هذا التساؤل، فحيرته قد تكون طبيعية ومقبولة أكثر منها في السؤال الأول. أما نحن، فالله ينبئنا دون ما ريب أن العالم برز واحداً فريداً بالطبع، وهذا ما يثبته لنا البرهان المعقول. أما غيرنا فقد يعتقد فيه اعتقادات أخرى نظراً لاعتبارات غير هذه. ولكن فلندع هذا النقاش.

الفصل السادس والعشرون

أشكال العناصر الأولى الأربعة

e أما الأجناس التي أنتجها لنا البرهان الآن فلنردّها إلى النار والتراب والماء والهواء ولنوزعها عليها. ولنعط التراب الصورة المكعبة لأن التراب هو أبعد الأجناس الأربعة عن الحركة والتحوّل وأكثر الأجسام مرونة وألينها عريكة. وقد قضت الضرورة وحتّمت أن ينشأ الجنس الذي أحرز أرسخ وأمتن القواعد، متّسماً بهذه الصفات، وقاعدة المثلثات متساوية الأضلع لا متفاوتها، والسطح المربع المتساوي الجوانب المركب من مثلثين متساويي الأضلع يأتي حتماً أكثر استقراراً ومتانة في أجزائه ومجموعه.

٥٦ ولذا عندما نخص التراب بهذا الجنس من المجسمات تراعي المنطق
a المعقول المحتمل، ونراعيه أيضاً عندما نمنح الماء أعسر الأنواع الباقية حركة، وكذلك عندما نهب النار أيسر الأنواع حركة، وندع للهواء النوع المتوسط (بين الأنواع الثلاثة الباقية). وبناء على هذا الأساس نعطي النار أدقّ الأجسام والماء أضخمها والهواء الجسم الوسط. ثم نخصص أكثر الأجسام حدّة للنار، والثاني رتبة من هذا القبيل للهواء، والثالث للماء.

هذه إذن هي الأشكال جميعها. وما أحرز منها أقل القواعد، نشأ ضرورة أيسرها حركة وتحولاً، ثم أمضاها وأحدها من كل وجه. أضف إلى

b ذلك أنه الشكل الأخف، إذ تركب من أقل الجوئيّات عينها. والشكل الثاني (بين الثلاثة الأخيرة)، أحرز الخواصّ ذاتها ولكن في منزلة ثانية. والشكل الثالث أحرزها نفسها، وإنما في الدرجة الثالثة.

فلنفرض إذن طبقاً للمنطق القويم وطبقاً للمحتمل والمعقول، أن شكل الهرَم المجسّم، (الرباعي الأوجه)، هو استقصُ النار أو عنصره وزرعه. ولنقل إنّ الشكل أو النوع الثاني من المجسمات حسب نشوئها، (أي الثماني الأوجه) هو زرع الهواء وعنصره، وإنّ الشكل أو النوع الثالث منها استقصُ الماء.

(أحجام المجسّمات الأولى الأساسية)

وعلينا أن نفقه جيّداً أنّ هذه الأشكال جميعها تبلغ من الدقّة قدراً، لا c يمكننا معه أن نرى في كل جنس كلاًّ منها على حدة، بسبب صغر حجمها. ولكن عندما يتجمع عدد كبير منها يمكننا أن نرى كتلتها وأكداسها. هذا، وإن نسب كميات تلك العناصر الأولية وحركاتها أو تحولاتها وخصائصها الأخرى على اختلافها، قد أنجزها الله من كل ناحية في غاية الاتقان، ووفّق بينهما اعتماداً على علاقة انسجام، بمقدار ما أذعنت له طبيعة الضرورة وانقادت لمشيئته عن رضى.

الفصل السابع والعشرون

تحـوّلات العناصـر

فمن جميع الاعتبارات إذن والملاحظات التي قدّمنا، نستنتج أن هذه هي
d حال الأجناس الأربعة على الأغلب المحتمل والمعقول.

(التراب لا يتحوّل إلى نوع آخر من العناصر الأربعة)

إن التراب إذا لاقى النار ينحلّ بفعل حدّتها ومضائها. وقد يتبدّد بعد تفككه، ويتبعثر إمّا في النار وإما في الهواء وإما في دفقات الماء، إلى أن تتلاقى أجزاؤه في مكان ما، فيعود بعضها وينسجم مع بعضها الآخر ويصير تراباً. لأن التراب لا يمكنه أن يتحوّل إلى نوع آخر.

(تحوّل الماء والهواء والنار)

أمّا الماء فإن قسّمته النار، أو قسّمه الهواء ذاته، فيمكنه أن يتركب
e ويغدو جسماً واحداً من نار، وجسمين اثنين من هواء. في حين أن الأجزاء الناجمة عن قسم واحد من الهواء المتفكك، قد تمسي جسمين اثنين من نار. ومن جديد، عندما يحدق الهواء أو الماء أو قسط من التراب بالنار، وتكون هذه زهيدة وتلك غزيرة، تتحرك النار في العناصر التي تجرفها وتقاوم ثم تتغلب على أمرها وتتحطم. وعندئذ يؤلف جسمان اثنان من النار جسماً واحداً

من نوع الهواء. وحين يقهر الهواء ويتمزق، يتكون من جسمين كاملين ونصف من الهواء جسم واحد كثيف من نوع الماء.

(عرض الأمور على نحوٍ آخر)

٥٧ ولكن فلنفكر في هذه الأشياء على الوجه الجديد التالي. عندما تستولي
a النار على جنس من الأجناس الأخرى، وتقطّعه حدّة زواياها ورؤوسها، يكفّ هذا الجنس عن التقطع والانقسام إذا تركبت (أجزاؤه من جديد واستحالت) إلى طبيعة النار: لأن كل جنس متشابه ومحافظ على ذاتيّته، لا يمكنه أن يُحدِث في ذاته تحوّلاً ما، ولا أن يتأثر أو ينفعل بما يماثله في أحواله وصفاته. ولكنّ ذاك الجنس لا يفتأ يتقطع عندما يستحيل إلى جنس آخر أضعف من المستولي عليه الذي يفوقه قدرة ويغلبه. وكذلك العناصر الصغرى إذا كانت قِلّة، وأحدقت بها عناصر أكبر منها كثيرة، فهي تتهشم وتضمحل. ولكن إن ابتغت
b أن تتركب وتستحيل إلى صورة قاهرها، تكفّ عن الاضمحلال، ويتولد من النار هواء، ومن الهواء ماء. وإذا مضت تلك العناصر الصغرى لتتلاقى وتتجمّع بعضها مع بعض، واعترضها عارض من الأجناس الأخرى وحاربها وغلبها، فلا تبرح تنحلّ وتتفكك، إلى أن تُطرد تماماً وتنحلَّ انحلالاً كاملاً وتلجأ إلى ما يجانسها، أو تُغلب على أمرها، وتضحي بعد كثرةٍ وحدةً شبيهة بقاهرها، وتُساكنه وتقيم معه.

(تقلب العناصر من محل إلى محل)

هذا، وإن العناصر كلها تستبدل مواقعها طبقاً للانفعالات والتأثرات التي أشرنا إليها. لأن جماعات كل جنس بمفرده تتفرق إلى مكانها الخاص، بسبب حركة قابلتها. فإن العناصر التي تتباين كل مرة فيما بينها، لتشبه غيرها، تندفع بفعل اهتزاز القابلة إلى مكان تلك العناصر التي تصير مماثلةً لها.

(تنوّع كل عنصر تنوّعاً لا حدّ له)

لقد حدثت إذن كل الأجسام الصافية الأولى لأسباب من النوع الذي ذكرنا. أما نشوء أجناسٍ أخرى ضمن أنواع الأجسام الأولى، فيجب تعليله بتركيب كل من العناصر الأولية. لأن كل تركيب لم يغرس في الأصل مثلثاً له كبر واحد، بل مثلثاتٍ أصغر وأكبر، يضاهي عددها عدد الأجناس الناشئة في الأنواع.

d

ولذا بامتزاج المثلثات بعضها ببعض (ضمن الجنس الواحد) وبتمازج مثلثات الأجناس فيما بينها، أمست ذات تنوّع لا يحصى له عدّ. وينبغي لمن يرومون التأمل في طبيعة هذه العناصر، والاطلاع عليها، أن يعمدوا إلى براهين محتملة معقولة.

الفصل الثامن والعشرون

حركات العناصر وسكناتها

إن لم يتفق المرء إذن حول حركة العناصر وسكونها، وعلى أيّ وجه
e تحدث تلك ويتمّ هذا، وفي أية ظروف، فقد تعترض بحثنا المقبل عقبات كثيرة
ومصاعب جمة. ولقد سبقنا وقلنا في هذا الموضوع بعض القول. ولكن
فلنصف إلى ذلك الاعتبارات التالية.

لا تشاء الحركة أبداً أن توجد في التوازي والتوازن. لأنه يصعب، لا بل يستحيل أن يكون هناك متحرّك دون محرِّك، أو محرِّك دون محرَّك. ولا توجد حركة إن غاب هذان ويستحيل أن يكون المحرِّك والمحرَّك مستقرّين متوازنَيْن في وقتٍ من الأوقات.

٥٨ وهكذا إذن، نجعل السكون دوماً في التوازي والتوازن، ونجعل الحركة
a دوماً في التفاوت والتأرجح. وسبب ذلك انعدام التساوي في طبيعة المتفاوت
المتأرجح. وقد استعرضنا حدوث انعدام التساوي. ولكننا لم نقل كيف لا تكفّ
العناصر عن الحركة والتجوال بعضها خلال بعض، حتى بعد أن وُزِّعت
فئاتها كلٌّ فئة بمفردها على جنس من الأجناس الأربعة. فنعود الآن إذن
ونعرض ذلك على الوجه التالي.

(مفعول دوران العالم)

إنّ دوران «الكلّ» أو العالم برمته، وهو حركة دائريّة تريد من طبعها
أن تعود على ذاتها، إنّ ذاك الدوران لمّا شمل الأجناس الأربعة وجرفها في
b حركته، شدَّ الخناق على الجميع ولم يدع أيّ مجال فارغاً. ولذا اخترقت النار
خصوصاً كل الأشياء، وعقبها الهواء، لأنه ثان بالطبع من حيث الدقة
والنعومة، وتبعهما العنصران الآخران كلٌّ منهما في منزلته، وطبقاً لدرجة
دقته ونعومته. لأن ما تولد من أعظم الأجزاء ترك في تركيبه أكبر الفراغات.
وما تولّد من أدق الأجزاء ترك في تركيبه الفراغات. وتلاقي الضغط
والازدحام يدفع الأجسام الصغيرة إلى المجالات الفارغة الواقعة خلال
الأجسام الكبيرة. وفي هذه الحال، عندما تُوضع الصغائر بجوار الكبائر،
وتُفرِّق الأجسامُ الصغرى الأجسام الكبرى بعضها عن بعض، وتقرن الكبرى
الأجسام الصغرى بعضها ببعض، تترامى الأشياء جميعها إلى علُ وإلى
أسفل، وإلى كلّ صوب، ويتجّه كلٌّ منها نحو مكانه الخاصّ. وهكذا كل شيء
c يستبدل كبره، ويستبدل أيضاً استقرار مكانه. وعلى هذا النمط، وبسبب هذه
التفاعلات، المحافظةُ الدائمة على حدوث انعدام التوازي والتوازن، تُوفِّر بلا
انقطاع وبصورة متواترة، حركة هذه العناصر الدائمة الحاضرة والمستقبلة.

الفصل التاسع والعشرون

أصناف العناصر الأربعة وتعدّدها

(النـــار)

وبعد هذه الملاحظات، يجب أن نفقه أنّ أصنافاً كثيرة من النار قد
برزت إلى الوجود، كاللهيب مثلاً، وما يصدر عن اللهيب وهو لا يحرق، بل
يؤتي الناظرين نوراً، وما يبقى في الموادّ المتقدة بعد انطفاء اللهيب. d

(الهـــواء)

وكذلك القول عن الهواء. فهناك أصفى وانقى صنف من الهواء، المدعو باسم أثير وهناك أكثره عكراً وتلوثاً، المدعو ضباباً وديجوراً. وهناك أيضاً أصناف أخرى لا اسم لها، وقد نجمت عن تفاوت المثلثات.

(المـــاء)

أمّا الماء فله أولاً صنفان. الصنف الرطب والصنف القابل السيلان أو
الذوبان. فالواحد إذن رطب بسبب اشتراكه في عناصر الماء الصغيرة.
ولانعدام التساوي بين هذه العناصر، فقد نشأ هذا الصنف قابل الحركة من e
تلقاء نفسه ومن قبل غيره، بسبب عدم التوازي والتوازن فيه، وبسبب طبيعة
شكله.

أمّا الصنف الناشئ عن عناصر كبيرة ومتوازية، فهو أكثر استقراراً من
ذاك الصنف، وهو ثقيل وكثيف بسبب توازيه وتوازنه. ولكنه بفعل النار التي
تلجه وتحلله، ينبذ توازيه، وعندما يفقد التوازي الداخلي، ينال حظاً أوفر من
الحركة. وإذ يغدو سهل الحركة، يدفعه الهواء المجاور فينتشر على الأرض،
وقد اتخذ اسماً لكل من الانفعاليين، فدعي تدمير كتله وأكداسه ذوباناً، وانتشاره
٥٩ على الأرض انسياباً وجرياناً. ثم إنّ النار تتساقط وتقع منه، من حيث كانت
a فيه. وإذ لا تخرج إلى موضع فارغ، تدفع الهواء المجاور، وهو يدفع معه
كتلة الماء الرطب، وهي لا تزال بعد سهلة الحركة، إلى مواقع النار، فيتمازج
الماء بالماء. وهذا الماء المضغوط والمدفوع يعود ويسترجع توازيه وتوازنه،
لأنّ النار، عامل التفاوت والتأرجح، قد ولت ومضت، فيستقرّ هذا الصنف من
الماء في ذاته. وتخلصه من النار سُمي بَرْدا، وتلاقي عناصره بذهاب النار
دعي صنفَ الصقيع والجليد.

(المعادن ضروب من الماء: الذهب)

b وبين هذه الفروع، التي أطلقنا عليها اسم مياه سائلة أو قابلة الذوبان،
أكثفها كلها ضرب فريد من الماء، تألف من أدق العناصر المائية وأسلسها،
وشارك لمعانه اللون الأشقر. وهو يتصفى خلال الصخور ويتجمّد. إنه
الذهب أنفس المقتنيات. وفرع من الذهب، وهو أصلبه بسبب كثافته، ولونه
مائل إلى السواد أو البنفسجي، دعي أذَامَسْ. أي المعدن (الذي لا يُضبط
ولا يُقمع)[١].

---

(١) راجع السياسي ٣٠٣ e ثم التاريخ الطبيعي ، ٣٧: ٤ للعالم اللاتيني أبلينيس: معدن في غاية الصلابة، لونه أغمق من لون الذهب، ظنوا أنهم يستخلصونه بالصهر (ولعله المعدن الحديدي الدبسي اللون، أو البلاتين). وعند الاقدمين سموا أذامس الماس أو نوعاً من الصلب والفولاذ.

(النحاس وصدأه)

وهناك صنف قريب إلى الذهب بتركيب عناصره، له أنواع كثيرة، ومن
c جهة الكثافة أكثف من الذهب، وقد داخله قسط زهيد ودقيق من التراب، بحيث
غدا أصلب من الذهب. لكنه أخف من العسجد لأنه حوى في داخله فوارق
كبيرة، ونشأ صنف النحاس مركَباً من مياه وضّاءة كثيفة. وقسط التراب الذي
خالطه، عندما يعْتُق النحاس، يعود ويفارقه فينشق الواحد عن الآخر، فينعزل
التراب ويظهر ويسمّى صدأ النحاس.

أما الأصناف المعدنية الأخرى المماثلة، فليس من الظرف ولا من
الطرافة في شيء أن يناقش فيها المرء عندما يتبع فكرة الأقوال المحتملة
المعقولة. وهذه الفكرة قد يجعلها المرء في حياته تسلية متئدة حكيمة، حين
يدع جانباً، سعياً وراء الراحة والاستجمام، الأبحاثَ عن الكائنات الدائمة
d الأزليّة، ليتأمّل في الموضوعات المحتملة المعقولة، الدائرة حول الحدوث
والنشوء، ويقتني لذاته مسرة ولذة لا ندم عليها ولا يعقلها أسف. ونحن في
هذه الساعة، نستسلم إلى هذه السلوى بالذات، ونتابع أيضاً بعد الآن استعراض
الأقوال المعقولة المحتملة، حول الموضوعات عينها، على النحو التالي.

(المطر والبرد والجليد)

الماء المختلط بالنار، لاسيّما السلسُ منه والرطب، بسبب حركته
والمسيرة التي يسيرها وهو يتدحرج على الأرض، يسمى طَلاًّ. وهو لين
e ورخو لأن قواعده تَهِن وتهي، إذ إنها أقل رسوخاً وثباتاً من قواعد التراب.
وهذا الضرب من الماء حينما تفارقه النار وينعزل عن الهواء، يصبح أكثر
اتزاناً وتوازناً، ويتراص على ذاته بفعل العناصر الخارجة منه. وإذ يتجمّد
هكذا، فالذي ينفعل هذه الانفعالات فوق الأرض خصوصاً يسمّى بَرَدْا، والذي
تصيبه على الأرض يسمى جليداً.

(الثلج والصر أو الصقيع)

والذي ينفعل هذه الانفعالات انفعالاً أخف وطأة، فيلبث بين اللين والتجمد، ففي هذه الحالة أيضاً، إن طرأ عليه التجمد الجزئي فوق الأرض دعي ثلجاً، وإن انقبض وتجمد، صادراً عن الندى، دعيِ صراً أو صقيعاً.

٦٠ **(الموائع الصادرة عن الماء: رحيق النبات: الخمر والزيت والعسل والنسغ)**

a وأكثر أصناف المياه المتمازجة بعضها في بعض، والمصفّاة بواسطة النبات البارز من التربة، تؤلف جنساً شاملاً يُقال له ماويّة النبات ورحيقه. وبسبب تماذج الماويّات، غدا كلٌّ منها يختلف عن الآخر، وأصبحت أجناسها إجمالاً، على كثرتها، بلا مسمّى ما خلا أربعة أنواع منها داخلتها النار، وبدت أكثر الأنواع صفاءً، فاتخذت لها أسماء. وهي الخمرة التي تدفئ الروح بعد ادفائها الجسد، والنوع الناعم الذي يفصل تيّار البصر بعضه عن بعض، فيبدو للناظر بسبب ذلك وضّاءً متألقاً دسماً، إنه نوع الزيوت: كالقطران أو الصمغ على اختلافه، وزيت الخروع، والزيت بالذات، وكل ما هناك من الزيوت ذات الخواص نفسها.

b أمّا النوع الذي يُسيل مسالك الفم، بمقدار ما تحتمل ذلك طبيعتها، فيوفّر لها العذوبة بخاصتّه هذه، فقد أحرز لقب عسل في كل الأنحاء(٢). والنوع الذي يفكّك اللحم ويَحله بإحراقه، وهو جنس رغوي، مميّز عن جميع الماويّات أو الموهات، فقد سُمّي نُسْغاً(٣).

---

(٢) راجع هذا النص الصعب، افركرولي Fraccaroli م.م. ص ٢٨٦.

(٣) إن كل مؤلف أو شارحٍ يفسر (opos) على هواه، فمنهم من قال إنها الأفيون، ومنهم من ادّعى أنها مُخمِرّ، ومنهم من خمّن أنها نُسغ التينة وهي اسم جنس عام وتعني إجمالاً كل ضرب من النُسوغ أو الصُموغ. وهنا يحقّ لنا أن نقول: والله أعلم. راجع أرسطو: الأحداث الفلكية ٤ : ٣٨٤ a، ثم توالد الحيوانات ٤:٤: ٧٧١ b و ٧٧٢ a. (المعرّب)

الفصل الثلاثون

الجمادات الصادرة عن الماء والتراب: الحجارة

وهذه أنواع التراب. ومنها النوع الذي تصفّى خلال الماء، فصار على
c النحو التالي جسماً حجرياً. إن الماء الممتزج بالتراب، عندما يتقطع بالمزج، يستحيل إلى شكل الهواء. وحين يغدو هواء، يعدو صُعُداً إلى المكان الملائم طبعه. وإذ لم يتبَّق فراغ ما بينه وبين الهواء الخارجي، فهو يدفع إذن الهواء المجاور. وهذا لثقله، إذ يُدفع ويفيض منتشراً على كسة التراب، يُضيّق عليها ويحشرها إلى المواقع التي صعد منها الهواء الجديد. والتراب إذ يضغطه الهواء ويحشره مع الماء بصورة لا تحل، يتركب مع الماء ويؤلف الحجر أو الصخر.

وأبهى الصخور الصخر الشفاف، المركب من عناصر متساوية متوازية وأشنعها الصخر المركب من عناصر تناقض هذه.

(الآجر والحجارة البركانية والبورق أو ملح البارود والملح).

d وهناك نوع تخطف فيه سرعة النار كلّ المادّة الندية، فيغدو جنساً تركيبه أكثر نشوفة من الأوّل. وهذا النوع هو الذي نطلق عليه اسم فَخّار أو آجرّ[1]. ويمكن أحياناً أن تبقى فيه الرطوبة مخفية، فيموع التراب بفعل النار

---

(١) تدل لفظة Kéramos على التراب الذي يستعمله الفاخوري، قبل الطبخ أو بعده (optoménos Kéramos). راجع أرسطو، الأحداث الفلكية ٤: ٣ . ٣٨ b وما يلي.

وحين يبرد يصبح حجراً ذا لون أسود. وهناك صنفان يفقدان، طبقاً للأنظمة عينها التي أشرنا إليها، كثيراً من مائها بسبب التمازج، وهما يتألفان من عناصر ترابية أدق وأكثر ملوحةً من الأصناف الصخريّة الأخرى، وتجمّدهما جزئيّ ولذا يعودان وينحلان في الماء. وأحدهما هو نوع النطرون أو ملح
البارود والبورق وهو نوع ينفي من (لطخات) الزيت والتراب[٢]. والنوع e
الثاني هو نوع الأملاح الذي ينسجم خير انسجام في تطبيق الموادّ التي تطيب لحاسّة الفم. وحسب قول الشرع إنه مادّة تلذّ الآلهة.

(الأجسام غير الذائبة في الماء: الزجاج وبعض الصموغ)

والأنواع المشتركة المركبة من عنصرين، عنصر التراب وعنصر الماء التي لا تنحلّ في الماء بل في النار، تتكاثف لسببٍ كالسبب الذي سنأتي على ذكره وعلى النحو التالي. لا النار ولا الهواء يذيبان أكداس التراب، لأن طبيعتهما تتركب من عناصر أدق وأصغر من الفراغات الناشئة بين عناصر التراب. فهما يتجوّلان (بين تلك العناصر) على الرحب والسعة، غير متضايقين، ولا يحلّان التراب ولا يذيبانه أما أجزاء الماء فهي من طبعها أكبر من الفراغات الناشئة بين عناصر التراب. وبما أنها أكبر، فهي تشق لها سبيلاً
بالعنف وتحل تلك العناصر وتذيب التراب. لأن الماء وحده يحلّ بالعنف على ٦١
الوجه المشار إليه التراب غير المتماسك ولا المرصوص. ولكن إذا تماسك e
التراب وتراصّ، فالنار وحدها تفككه وتحلّه. لأنه لا يبقى عندئذ منفذٌ إلى داخله إلا للنار. وكذلك إذا تلاقت (عناصر) الماء وتكاثفت أشدّ تكاثف، فالنار وحدها تذيبها. ولكن إذا تكاثفت عناصر الماء تكاثفاً أضعف، فالنار والهواء

---

(٢) كلمة (nitron) أو (litron) تدل على السودا أو ملح البارود. وعند أرسطو يبدو أن لفظة (als, alès) تشير إلى املاح السودا، ولفظة (nitron) إلى أملاح البورق والبارود.

كلاهما يذيبانها: فالهواء يذيبها بعبوره خلال فراغاتها، والنار خلال مثلثاتها بالذات.

وإذا تماسك الهواء في عنف فلا شيء يحلّه، ما لم ينل من عناصره. وإذا انقبض وتماسك دون عنف، فالنار وحدها تذيبه.

هذا، وإن الأجسام الممزوجة من تراب وماء، إذا دهمتها عناصر ماء
b أخرى وانقضّت عليها من الخارج، فهذه العناصر لا تجد لها منفذاً إلى داخل
تلك الأجسام فتدعها بجملتها دون أن تذيبها، وذلك ما دام ماء تلك الأجسام
مستولياً على فراغات التراب ودائساً إيّاها بالعنف. أما عناصر النار، فهي تلج
إلى فراغات المياه. وما يجريه الماء بالتراب، تجريه (عناصر) النار بالهواء،
ويتأتّى لها هكذا أن تكون السببَ الوحيد في سيلان هذا الجسم المشترك عند
ذوبانه. ويتّفق لهذه الأجسام أن تحصل على كميّة من الماء أقلّ من كمية
التراب، فيدعى كل هذا النوع من الأجسام نوعَ الزجاج. ومنه كل الأصناف
c السائلة من الحجارة. أما الأجسام التي تزيد فيها كمية الماء على كمية التراب،
فهي بتكاثفها تؤلف أصنافَ الشمع برمّتها، وأصناف اللُبان والبخور.

الفصل الحادي والثلاثون

أصل الانطباعات الحسيّة

لقد بيّنا تقريباً أنواع الأجسام المزدانة بأشكالها وباشتراكاتها (بمختلف العناصر) وباستحالاتها بعضها إلى بعض. ولا بدّ لنا أن نحاول ونبيّن العلل التي تَحدُث انفعالاتها (فينا).

أوّلاً، يجب إذن أن يوجد الإحساس دوماً بالأجسام التي نتكلم عنها. إلاّ أننا
d لم نستعرض بعد نشأة الجسد وما يمتّ إلى الجسد، ولا ماهو مائت من الروح. ومع ذلك، ما يتفق لنا هو أننا لا نستطيع أن نفصّل مسائل الجسد والروح تفصيلاً وافياً، دون الكلام عن انفعالات الحواسّ، ولا أن نفصّل هذه الانفعالات دون الكلام عن الجسد والروح. وتفصيل هذه الأمور وتلك في آنٍ واحد يكاد أن يستحيل علينا.

فعلينا إذن أن نفرض الفروغ من أحد البحثين على أن نعود فيما بعد إلى البحث الذي فُرض الفروغ منه. وفي هذه الحال، لكي نتكلم عن الانفعالات الحسيّة، حالاً بعد نشأة ما يولّدها، فلنفرض أنّ أمور الجسد والروح هي أُولى في نظرنا.

(الحارّ والبارد)

e فلْنرَ أوّلاً لماذا نقول عن النار حارّة، ولنبحث الموضوع على النحو الآتي، معتبرين في ذواتنا ما تُحدِث في جسمنا من فصل وتقطيع. فنحن

كلنا تقريباً نشعر أنّ انفعالنا بها شديد الوطأة. ولكن علينا أن نفكر بدقة أضلاعها، ومضاء زواياها، ونعومة عناصرها، وسرعة حركتها. فهي بهذه كلّها رشيقة عنيفة وقاطعة بحدّة، فتقطع دوماً ما تَعثر عليه. وعلينا أن نتذكر نشأة شكلها، وأن هذه الصورة خصوصاً، وليس طبيعة أخرى، هي التي تفصل وتقسّم أجسامنا إلى أقسام صغيرة وتقطّعها إرباً إرباً. وهذا الذي نقول عنه الآن إنه حارّ، هو من باب المحتمل المعقول، ما يُحدِث الانفعال الحسيّ ويوفّر له اسمه.

وعكس هذه الأمور واضح. ومع ذلك لا يَفُتْه شيء من الشرح. إن
العناصر الكبرى من المواد الرطبة المحدقة بالجسم، تلجه وتدفع العناصر التي
هي أصغر منها. وإذ لا تستطيع أن تغوص إلى مواقع هذه العناصر
الصغرى، تضغط المادة الرطبة فينا. وتُحيل غيرَ المتوازي والمتحرّك إلى
غير متحرك بسبب التوازي والضغط وتُجمده. وما يساق على خلاف b
الطبيعة، يقاوم حسب طبعه ذاته بذاته، ويدافع ذاته في اتجاه معاكس. ولهذا
العراك وهذا الزلزال الداخلي أُعطي اسم الرجفة والاصطكاك، وكلّ هذا
الانفعال ومجريه فينا سُمَّي برداً وقَرّا.

(القاسي والناعم)

والقاسي هو ما ينقاد ويذعن له لحمنا. واللّيّن هو ما ينقاد ويذعن للحمنا. فهذه هي حال تلك الأشياء في علاقتها بنا.

ويخضع كل ما جلس على قاعدة صغيرة. لكن ما له قواعد رباعية
الأضلاع، ينشئ النوع المقاوم أقوى مقاومة، لاستقراره على قواعد متينة. c
لأنه بتهافته وترامیه على أعظم قدر من التكاثف الذاتي، من شأنه أن يتصلب
غاية التصلب.

(الثقيل والخفيف)

إن الثقيل والخفيف قد يتّضحان لنا وضوحاً تاماً ويظهران في غاية الجلاء، إذا بحثنا عنهما في بحثنا عن الطبيعة التي يقال لها، طبيعة الأسفل والأعلى.

إذ لا يصيب من أيّ وجه رأي من يظن أن هناك بالطبع محلين اثنين متقابلين متضادين، يشملان العالم بأسره، وبشطران «الكل» شطرين: الأسفل
d من جهة، فيندفع إليه هاوياً كل ماله حجم جسماني، والأعلى وإليه ينطلق مكرهاً كلّ شيء. لأنه لما كان الفلك برمته ذا شكل كرويّ، إذا وقعت الأشياء على أبعاد متساوية عن مركزه، وكانت متطرفة، فهي كلها بالضرورة متماثلة طبعاً في تطرفها هذا. والمركز بوقوعه على نفس الأبعاد (أو الأمتار) عن أطرافه، لا بد أن يُحسب على الطرف المحاذي لها جميعها. وإن كان العالم بالطبع على هذا الوضع، فمن لا يُتَّهم بحقّ أنه لا يسمّي الأشياء بأسمائها
e الملائمة، إذا حسِب شيئاً من هذه الأشياء التي نتحدث عنها، عالياً أو منخفضاً. لأن المحل الوسّط في العالم خليق بأن لا يقال عنه إنه منخفض أو عال بالطبع. بل يحقّ أن يقال عنه إنه في المركز. وما يُحدق بذاك المحل الوسط، ليس وسطاً أو مركزاً؛ وليس له أيّة بقعة تختلف عن أخرى أقلَّ اختلاف، بالنظر إلى المركز أو أحد الأطراف المحاذية له. وما كان متماثلاً بالطبع متشابها من كلّ الوجوه، إن أطلق عليه أحد أسماء متناقضة أيّة كانت، كيف يُظنّ به أنّه ينطق نطقاً جميلاً صائباً؟

(مناهضة نظرية المحلات الطبيعية)

٦٣ لأننا إذا فرضنا وجود شيء، وشيء مجسم، على حالة توازن في
a مركز «الكلّ»، فهذا المجسم لن يُدفع أبداً إلى أحد أطراف الكلّ، بسبب تماثلها من كل ناحية. لا بل إذا سار أحد حول المجسّم في خط دائرة.

وتوقّف مراراً في قطبية، بحيث تكون قدما المتجوّل في قُطبٍ محاذيتين لقدميه في القطب الآخر، فعين القطب من ذاك المجسّم يستطيع جائلنا أن يدعوه أعلى وأسفل. لأن العاقل الواعي لا يستطيع، إذا كان «الشامل»، على ما قدّمناه الآن، ذا شكل كروي، أجل، لا يستطيع العاقل أن يقول عن مكانٍ إنه فوق وعن آخر إنه تحت. فمن أين إذن جاءت هذه الأسماء؟ وفي أي ظروف كانت الأشياء حتى اعتدنا أن نقسّمها على هذا النحو وأن نقسّم الفلك برمتّه، وندعوه وندعو الأشياء بتلك الأسماء؟ هذه مسائل لا بدّ أن نتفق عليها، بافتراض الفرضيّات التالية:

إن صعد أحد إلى ذلك المكان من العالم، إلى المكان الذي حظيت به
خصوصاً طبيعة النار كنصيبٍ لها، حيث تتكاثر وتتجمّع وتسعى إلى مقرها
بدافع قويّ، إن صعد إذن أحد إلى ذاك المكان، وكانت له قدرة على أن يأتي
عملاً خطيراً مثل العمل التالي، وهو أن ينتزع من النار بعض أجزائها، وأن
يتناول تلك الأجزاء ويضعها في كفتي ميزان، وأن يرفع نير الميزان، ويجرّ
النار عنوة إلى هواء لا شبه لها به، يتضح عندئذ أن الكمية الصغرى من النار c
تُقهر بسهولة أعظم من الكميّة الكبرى. لأنه إذا رُفع وِقران في الهواء بقوة
واحدة فالوقر الأقلّ ينقاد للعنف انقياداً أعظم، والوقر الأعظم يقاوم العنف
وينساق له ضرورة انسياقاً أقلّ، والكثير يدعى ثقيلاً ومدفوعاً إلى أسفل،
والصغير يدعى خفيفاً ومرفوعاً إلى فوق.

ولا بد لنا أن نفاجئ أنفسنا ونقبض على ذواتنا ونحن نأتي العمل نفسه،
في مكاننا هذا كما يفاجأ اللص ويقبض عليه. لأننا في تجوّلنا على الأرض
نقتلع منها أصنافاً أرضية، وننتزع أحياناً التراب بالذات، ونجره عنوة إلى
هواء لا شبه له به وخلافاً لطبيعته. وإن كان هناك كميّتان تلازمان ما d

يجانسهما، فالصغرى مهما تنقاد في سهولة أوفر وقبل الكبرى، لمن يحملونها عنوة إلى عنصر يخالف طبيعتها. وتلك الكمية الصغرى نسميها خفيفة، والمكان الذي نحملها إليه قسراً نسميه الأعلى، وما ينفعل انفعالات معاكسة لهذه نسميه ثقيلاً، والمكان الذي يميل إليه بالطبع نسميه الأسفل.

فمن الضروري إذن، أن تختلف حال هذه الأشياء بالنظر إلى عين الأوضاع، بسبب كثرة الأجناس التي يشغل كل منها مكاناً يخالف مكان الآخر. لأنه إذا قوبل الخفيف في مكان بالخفيف في مكان مقابل آخر، وقوبل
e التقيل في مكان بالتقيل في آخر. والمنخفض بالمنخفض والعالي بالعالي، وجدت هذه الأشياء جميعها مناقضة بعضها بعضاً، ومنحرفة ومختلفة تمام الاختلاف في نشأتها وكيانها الحاضر بيد أنه لا بد من تفهم هذا الأمر الواحد بشأنها جملة، وهو أن الطريق لكل من تلك الأجناس أو الأجسام الأولية، المبلّغ إياها إلى ما يجانسها يجعل المحمول ثقيلاً، والمكان الذي يُحمل إليه في أسفل، ويعطي الأشياء الأخرى التي على حال تختلف عن هذه الحال، الأسماء الأخرى. ولنعتبر أن هذه هي أسباب الانفعالات التي أشرنا إليها.

(الناعم والخشن)

٦٤ أما سبب الناعم والخشن، فكل قد يستطيع أن يراه ويفسره لغيره إذ
a القساوة الممزوجة بالوعورة وفقدان التوازن تُنتج الخشونة والتوازن والسهولة الممزوجة بالكثافة تُنتج النعومة.

الفصل الثاني والثلاثون

اللــذة والألــم

وفيما تحدثنا عنه واستعرضناه، أعظم وأهمّ ما بقي من المشاعر
المشتركة العائدة إلى الجسم برمته، هو سبب انفعالات اللذة والألم، ثم ما
أحرز الشعور من أعضاء الجسد، وما تشعر به تلك الأعضاء من غموم أو
b متاعب ومن ملذات تسحب الغموم.

فلنستمد إذن على النحو التالي أسباب كل انفعال نشعر أو لا نشعر به، متذكريّن ما يتعلّق بطبيعة السهل الحركة أو عسرها، على ما فصلنا من ذي قبل. إذ يُفرض علينا أن نستقصي من هذا القبيل الأمور جميعها التي نبغي الإحاطة بها في هذا البحث.

لأن ما هو سهل الحركة بالطبع، عندما يقع عليه انفعال ولو كان زهيداً
تحدث أجزاؤه عين الانفعال، وتوزعّه دائرياً بعضها على بعض، إلى أن يبلغ
الانفعال القوة المدركة ويخبرها عن صفة فاعلة. أما الشيء المناقض (أي
c البطيء الحركة)، فلثباته ورسوخه على قواعده لا ينطلق بانفعاله إلى أي
دائرة حوله، بل يحتمل الانفعال وحده، ولا يحرك قسماً آخر من أقسام الجسم
المجاورة له. ومن ثمَّ، إذ لا تتوازع الأقسام بعضها على بعض الانفعال
الأول، الذي لبث فيها بلا حركة، تجعل ذلك الانفعال غير محسوس، إذ لم

ينفذ إلى الجسم الحيّ برمتّه. هذا ما يحصل للعظام والشعر، وإجمالاً لكلّ ما
نحوي من أقسام في جسمنا جلُّها من التراب. أما الحالة التي تكلمنا عنها قبل
هذه الأخيرة، فهي تتعلّق بالنظر والسمع خصوصاً لأن فاعلية النار والهواء
فيهما تبلغ أقصى مدى.

أما مسألة اللذّة والألم، فيجب أن نتفهمها على النحو التالي. ما هو
مخالف للطبيعة وعنيف إذا تواتر يُحدث فينا انفعالاً أليماً. وكذلك ما يجاري d
الطبيعة، إذا تواتر يُحدث فينا تأثيراً لذيذاً. وما يجري لنا من ذلك، بتوءدة وفي
قدّر زهيد، لا نشعر به، والعكس بالعكس في هذه الأمور.

أمّا كلّ ما يحدث بهِينة وتيسير، فنحن نشعر به أعظم شعور ولكنّه لا
ينطوي على ألمٍ أو لذّة. ومَثَل ذلك انفعالات (جهاز) النظر ذاته الذي قلنا عنها
في ما سبق إنه، غضون النهار، يصير معنا جسماً بالطبع مجانساً. إذ لا البتر
والقطع ولا الحروق ولا التأثيرات الأخرى التي يعانيها، تحدث فيه أوجاعاً. e
كما لا يشعر بمشاعر اللذة إذا عاد إلى ذاته أو نوعيّته الخاصة. وإنما ينتج
عنه أعظم الاحساسات وأصفاها طبقاً لما يتأثر به وطبقاً لكل من الأشياء التي
يقع عليها بوجه من الوجوه ويلامسها.

غير أن أعضاء جسمنا، المركبة من أجزاء تكبر أجزاء (العين والاذن)
لا تنقاد للمؤثر إلا بالجهد. وهي مع ذلك توزّع الحركات وتسوقها إلى كافة
الجسم. وتحظى بمشاعر اللذّة والألم. فتشعر بالألم إن بُدّلت أحوالها، وباللذة
إن عادت واستقرّت في ذاتها وطبيعتها. ٦٥

والأعضاء التي تضمر تدريجيّاً، وتفرز ما فيها شيئاً فشيئاً، في حين a
أنها تتملّى بتوتّر ووفرة، لا تشعر بافرازها وتفريغ ما فيها، لكنّها تشعر
بتملّيها. وهي لا تؤتي القسم المائت من الروح غماً وألماً، بل توفّر له أعظم
الملذّات وهذه الأمور واضحة بشأن الروائح العطرة. أما التي تتبدّل حالها

بتوتر، وتعود تدريجيّاً وفي عناء إلى ذاتها لتستقر على حالتها الطبيعيّة، فهي توفّر مشاعر تخالف المشاعر السابقة أتمّ مخالفة. وهذه الأمور واضحة كلَّ الوضوح أيضاً في حروق الجسم وما يلحقه من بترٍ وقطع.

b لقد تكلمنا عمّا يحدث بالجسم كله من انفعالات مشتركة، وعن كلّ الأسماء تقريباً التي أطلقت على عوامل تلك الانفعالات. أمّا الانفعالات التي تحدث في أعضائنا المختصّة (بعملٍ معيّن أو وظيفة)، وآثارها وأسباب عواملها، فعلينا أن نحاول تفصيل ذلك، أن استطعنا إليه سبيلاً.

الفصل الثالث والثلاثون

المذاقــات المختلفــة

c علينا إذن أولاً أن نبين قدر استطاعتنا كلّ ما تركناه جانباً، في كلامنا السابق على العصارات لأنّ انفعالات اللسان خاصة. ويظهر أن هذه الانفعالات أيضاً تحصل بسبب بعض التمازج أو التفارق، شأنها في ذلك إذن شأن أكثر الانفعالات. وعلاوة على ذلك، لا بدّ أن يعمد المرء، في (تفسير) هذه الانفعالات، أكثر من غيرها، إلى الخشونات والنعومات.

(القابض والفج)

d فالعناصر الوالجة إلى الوشائج، الممتدّة إلى القلب بمثابة خبيرات اللسان إذا وقعت على الأجزاء الرطبة من اللحم والغضّة، وأذابت منها القسيمات الترابيّة تقبض الوشائج أو العروق وتنشّفها. فإن كانت شديدة الخشونة، ظهرت قابضة وإن قلّت خشونتها بدت فجّة.

(المرّ والمالح والحادّ)

أما المسهلة من هذه العناصر، والتي تغسل اللسان وما يحدق به، فإن فعلت فعلها هذا وتجاوزت فيه الحدّ، ثم لجّت فيه وبالغت حتى إذابة جوهر
e اللسان، كما تفعل خاصّة أملاح البارود والبورق والكحول والسودا، فهي

تدعى كلّها مرّة من هذا القبيل. والعناصر التي تنقص فاعليّتها عن فاعليّة النطرون (أو الأملاح المذكورة)، وتجري الإسهال أوالسيلان باعتدال، تظهر مالحةً دون مرارة مفرطة، لا بل محبّبة إلينا. والتي تشارك الفم في حرارته،
٦٦ فينعِّمها ويجعلها دقيقةً، تلتهب هي أيضاً، ثم تحرق الجهاز الذي أدفأها، وتندفع
a بسبب خفّتها على عل، نحو حواسّ الرأس، وتمزّق كلّ ما تعثر عليه في دربها. ولهذه الخواصّ الهايجة الصاخبة، دُعيت مثل هذه العناصر حادة[١].

(الحامض أو المزّ، الرغوة والزَبَد)

ثم إن ما لحقه الفساد من العناصر، فغدا دقيقاً ناعماً، يتخلّل العروق الضيّقة، ويقع على ما يجد هناك من قسيمات ترابيّة وقسيمات تعادل بكميّة هوائها كميّة هوائه، فيُحركها ويجعلها تفور بعضها حول بعض فوراناً. وإذا
b فارت تنقضّ بعضُها على بعض، وتغوص في غيرها وتقعّره، وتنتشر وتتصلب حول العناصر الوالجة والنافذة إليها. وإذا انتشرت الرطوبة حول الهواء وتصلّبت وتقعّرت، حيناً يمازجها التراب، وآخر نقيّة صافية، تحوِّل تلك العناصر إلى أوعية هواء رطبة، وقطرات مستديرة مقعّرة. وما صدر من هذه الأوعية أو القطرات عن الرطوبة النقيّة المتصلّبة، تؤتيه هذه الرطوبة إستقراراً ويكون شفافاً، ويدعى باسم الرغوة[٢]. وما صدر عن الرطوبة المشربة تراباً الهائجة والمائجة معاً لقّب زبداً وخميرة. ودعي سبب هذه الانفعالات حامضاً أو مزاً[٣].

---

(١) ان طعم هذه المواد يشبه طعم الخردل مثلاً.

(٢) إن لفظة Pompholyx ذات صبغة علمية. وربما استعملها انكسغورس (cf. Diels, Vors. 1 386,41) وحددها أرسطو، توالد الحيوانات، ٣: ١١: ٧٦٢ a ١٤. وفعل Kicann يعني ضرب المزيج وجعله يُرغي..

(٣) لفظة Oksi تناقض دوماً لفظة Ghlyki وتقارب لفظة Picron وتعني طعماً حامضاً أو مزاً، يشبه طعم ما توحيه من ذلك رائحة الخمير.

(المذاقات العذبة)

c ويحصل بتأثير علّة معاكسة، انفعالٌ معاكس لكل ما بسطناه بشأن
الانفعالات السابقة. فعندما يكون تركيب العناصر النافذة إلى الأجزاء الرطبة
من الفم، ملائماً بالطبع حالة اللسان، فهي تدهن جوانب هذا العضو الناشفة
المخشوشنة، وتليّنها من جهة، ومن جهة أخرى، ما كان من هذا العضو في
وضع يخالف طبيعته أو مسترخياً، فهي تشدّد ما استرخى منه، وترخي ما
انقبض. وتركّز كلّ شيء خير تركيز، وتعيده إلى وضعه الطبيعي. وإذ غدا
كلّ ما ماثل هذا العنصر لذيذاً ومحبّباً إلى الجميع، وشفاء للانفعالات، فقد
d دعي عذباً. وهذه الأمور هي على النحو المفصّل أعلاه.

الفصل الرابع والثلاثون

الـروائـح

أما اقتدار المنخرين أو اختصاصهما فلا يعثر له على أنواع. لأنّ جنس
الروائح بجملته هو نصف جنس. ولم يتفق لنوع (أي جنس) من الأنواع
(الأساسيّة)، أن يكون له من القياس ما يمكنه من أن يحرز الرائحة. فعروقنا
المتعلقة بالروائح الشاعرة بها قد رُكبت تركيباً يضيق كثيراً على جنسي
التراب والماء، ويتّسع جداً لجنسي النار والهواء. ولذا لم يشعر أحد قطّ بأية
e رائحة لهذه العناصر المذكورة، ما لم تُبلّل أو تُعفن أو تتبخّر، فتحدث لها
روائح. لأن هذه الروائح تحدث عندما يتحوّل الماء إلى هواء، والهواء إلى
ماء. ففي خلال هذا التحوّل تنتشر الروائح. والروائح بجملتها هي دخان أو
ضباب وينشأ الضباب أثناء تحوّل هذين العنصرين، إذ يصدر الماء عن
الهواء. وينشأ الدخان إذ يصدر الهواء عن الماء. ومن ثم جميع الروائح أدقّ
وأنعم من الماء، وجميع الروائح أثخن وأكثف من الهواء. ويتّضح لنا هذا
الأمر وذاك حين يُصاب المرء بالزكام وينسدّ مجرى التنفّس عنده ويستنشق
٦٧ الهواء بشدة. فعندئذٍ لا تساق إليه أية رائحة. وإنما تعقب الاستنشاق النسمة
وحدها خالية من الروائح.

a فهناك إذن هذان الصنفان من الروائح، وهما مغفلان لا اسم لهما، إذ يصدران عن أنواع غير كثيرة ولا بسيطة. ولكن فلنقل إنهما وحدهما واضحان[١] ومنقسمان إلى شطرين، الصنف الطيب اللذيذ والصنف الكريه المؤلم. فالواحد يهيّج ويؤذي الجذع كله الواقع بين هامتنا والسرّة، ويضايقه بعنف والثاني يهدّئه ويردّه على نحو مستحبّ إلى وضعه الطبيعي.

٢٤ - (١) راجع تيمئس اللوكري، ١٠١ a. وأرسطو، كتاب النفس ٢: ٩: ٤٢١ a ٢٧ . ثم كتاب الحس والمحسوس ٥ : ٤٤٣ b ٩. إن هذا الفيلسوف يصنف الروائح كالمذاقات ونعثر عند أمبذكليس وذموكرتس على شروحات مماثلة. راجع كتاب الحس لثئوفرستس ٩ c و ٧١ . Wors. 3,1,217,30 et, 2,45,21.

الفصل الخامس والثلاثون

السـمع والصـوت

b والقسم الثالث من المشاعر التي نبحث عنها في ذواتنا، هو القسم المتعلق بالسمع. فعلينا أن نفسّر لأيٍّ من العلل تحصل الانفعالات المسبّبة له.

فلنفرض بوجه عام إذن، أن الصوت صدمة يبلّغها الهواء والدماغ والدم عن طريق الإذنين، إلى الروح. والحركة التي تحدثها الروح، تبدأ في الرأس وتنتهي حول مقر الكبد. وهذه الحركة هي السمع[(١)]. فإن كانت الحركة سريعة كان الصوت عالياً، وإن كانت على شيء من البطء كان الصوت عميقاً. وإن كانت الحركة متماثلة متشابهة كان الصوت رتيباً متساوياً وناعماً.

وإن كانت الحركة على عكس ذلك، كان الصوت أجشّ خشناً. وإن
c كانت الحركة عظيمة، كان الصوت ضخماً جهوراً؛ وإن كانت الحركة على عكس ذلك، كان الصوت ضئيلاً خافتاً. أمّا ما يخصّ تساوق الأصوات وتناغمها، فسيُعرض حتماً فيما يلي من أبحاثنا المقبلة (٨٠ b).

---

(١) في تآلف الأصوات، راجع ٨٠ a b. يبدو أن النظرية المستغربة التي تدخل الكبد في جهاز السمع، نظرية انفرد بها أفلاطون. راجع كتاب الحس لثئوفرستس، رأي ٥٠٠ : ١٤ وأئيتيس ٤: ١٩: ١، رأي ٤٠٧ a ٢٢. وأرسطو إذ يعطي الصوت تحديداً يداني تحديد أفلاطون، لا يتكلم عن الكبد. وأفلاطون يسم الأصوات بطابعها الخاص بناء على صفات الحركة المسببة لها، نظير السرعة أو البطء، والاتئاد أو التشوش، والعنف إن زاد أو نقص. ونجد عند أرسطو عين الفوارق، رَ كتاب النفس ٢: ٢: ٤٢٢ b ٣١.

الفصل السادس والثلاثون

الألــوان

بقي علينا نوع رابع من المحسوسات. فيجب أن نميّز بين ما أحرز من
أصناف غزيرة دعوناها بجملتها ألواناً. وهي لهيب يجري من الأجسام كلّ بمفرده
له عناصر تتّفق في قياسها (مع عناصر تيّار) البصر لتولّد الشعور أو الإحساس[1]. d

لقد تكلمنا، فيما سبق من أبحاث، عن النظر بالذات وعن أسباب حدوثه. فههنا إذن قد يجدر بنا أن نستعرض خصوصاً مشكلة الألوان. وهذا أمر طبيعي.

إن القسيمات الصغرى عندما تندفع منطلقة من الأشياء الأخرى وتقع
على (تيار) البصر، تكون عناصرها أصغر وأكبر أو معادلة لعناصر البصر
أو تصغرها، فالأولى منها تضمّ شمل تيّار البصر، والثانية تبعثره. وهي
نقيقات العناصر التي دعوناها حارّة أو باردة في علاقتها باللحم، والمحرقة e
منها التي دعوناها حادّة في علاقتها باللسان.

(الأبيض والأسود)

والعناصر البيضاء أو السوداء هي أيضاً نفس العناصر. وهي من نوع آخر من الأجسام، تولّد تلك الانفعالات التي جئنا على ذكرها، ولكنها تبدو غير الأولى لهذه الأسباب الآتية.

---

(١) إن نظرية النور هذه تذكرنا بنظرية الذريين.

فعلينا إذن أن ندعوها كما يلي. ما يبعثر تيّار البصر هو الأبيض. وما يضم شمله على عكس ذلك هو الأسود. أمّا عناصر الحركة النشيطة الصاخبة جدّاً الصادرة عن نوع آخر من النار، فهي إذا اصطدمت (بتيّار) البصر،
٦٨ تشتّته وتبعثره حتى الحدقتين. وتضغط بعنف على مسالك ومجاري العيون
a وتذيبها، وتُسيل منها النار والماء غزيراً. وهذا ما ندعوه دمعاً. وإذ هي نار جارفة تلقى الأخرى في اتجاه معاكس. وهذه النار إذ تقفز من العين، تصدر منها وكأنها صادرة عن برق. والنار الوالجة في العين تنطفئ على جوانبها النديّة. وفي هذا التأجج والاصطخاب، تنشأ ألوان من كل ضرب ولون. ونحن نسمّي الانفعال انبهاراً، وما ينتج عنه اللامع المتألّق.

(الألوان التسعة الأساسيّة)[٢]

b أمّا جنس النار الواقع ما بين النيران السابقة تلك، فهو يبلغ إلى القسم النديّ من العينين ويمتزج به. ولكنّه لا يتألق. وعلى لألاء النار، خلال الرطوبة وبعد امتزاجها بها، على ذاك اللألاء الذي يعطي لوناً دامياً نطلق اسم

---

(٢) من الألوان التسعة التي يميزها أفلاطون، يبدو أن ثلاثة فقط تقابل ألواناً في الطيف. to xanthon أو الأصفر الذهبي. وهو لون واقع في موشور قوس قزح بين الأخضر to pracion والبرتقالي أو الأرجواني to phinikon (؟) (راجع لأرسطو، الأحداث الفلكية ٣: ٤: ٣٧٥ a ١١). To érithron أو الأحمر القاني to pracion أو الأخضر الفاتح. ولكن أفلاطون لا يذكر البرتقالي. والمزائج التي يذكرها لا تعطي ألواناً واضحة صريحة. وهي التالية: الأرجواني ينجم عن الأحمر والأسود والأبيض، وعن نفس المزيج يضاف إليه فائض من الأسمر القاتم. وعن الأصفر والرمادي ينجم الأسمر الفاتح أو الأشقر المائل إلى الحمرة. وعن الأسود والأبيض واللامع يصدر الأزرق اللازوردي أو الأزرق اللامع. وعن الأزرق اللازوردي والأبيض يصدر الأزرق الفاهي. وعن الأسمر الفاتح والأسود ينجم الأخضر الزيتوني. راجع لأرسطو كتاب الألوان المنحول ٢: ٧٩٢ a ٤ وما يلي، ثم من المقدمة، فصل ٧: ٣: ٣.

أحمر. وأصبح اللامع، المخلوط بالأحمر والأبيض، اللون الأشقر. أمّا نسبة العناصر الممتزجة، كم من هذا وكم من تلك، وإن عرفها أحد، فلا يعقل أن
يقولها. لأنه لا يستطيع أن يعبّر، في شيء من الصحة، عن حتميّتها أو سببها c
المحتمل المعقول.

وإذا امتزج الأحمر بالأسود والأبيض أحدث اللون الأرجوانيّ. وينجم اللون الأرجواني القاتم عن هذه الألوان عينها، إذا اختلطت وأحرقت ومُزجت بها كميّة أوفر من السواد. ويحصل اللون الأصهب الناري عن مزج الأشقر بالرمادي. ويتولّد اللون الرمادي عن مزج الأبيض بالأسود. ويصدر اللون الأصفر عن الأبيض إذا خلط بالأشقر. والأبيض إذا لاقى اللمع ووقع على الأسود المشرب سواداً، انتج اللون الأزرق اللازوردي. والأزرق اللازوردي عندما يمزج بالأبيض يعطي اللون الأزرق الفاهي، المائلَ إلى الخضرة أو إلى الصفار. وإن مازج الأصهب الناري اللون الأسود أصدر اللون الأخضر الفاتح.

والألوان الأخرى الناجمة عن هذه واضح أمرها بعض الوضوح. إذ يتبيّن d
لنا تقريباً، بأية مزائج قد تماثل ما شاكلها، وتحافظ على قولٍ معقول بشأنها.

(وجه التخمين في كلّ ما تقدَّم)

ولكن إن تناول المرء المحكّ لتمحيص هذه الأمور والتثبّت منها عمليّاً فقد يتجاهل الفارق بين الطبيعة البشرية والطبيعة الالهيّة، ويغفل عن أنّ الله يعرف ويقدر في آن واحد أن يمزج عناصر كثيرة ويحيلها إلى واحد، كما يعرف معرفة كافية ويقدر القدرة الوافية أن يحلّ الشيء الواحد ويعيده من جديد إلى عناصره الكثيرة. أما البشر فلا أحد منهم أهل لإحدى هاتين العمليّتين، لا الآن ولا يوماً ما في الزمن المقبل.

الفصل السابع والثلاثون

العلّة الضرورية والعلة الإلهيّة

إذن، كل هذه العناصر (الأوليّة الأربعة ثم الأساسيّة) لمّا كانت بالطبع آنذاك على الوضع الذي أشرنا إليه، شرع يستمدّها من الضرورة مبدع أبهى كائن وأسمى وأفضل كائن بين الكائنات المحدثة، عندما كان يلد الإله المكتفي بذاته والأكمل، مستعملاً في إبداعه العلل الخادمة المساعدة. أمّا الانتظام والصلاح، فهو مهندسه وبانيه في كلّ الكائنات المحدّثة.

ولذا وجب أن نميز نوعين من العلل، النوع الضروري والنوع الإلهيّ.
كما وجب أن نستقصي النوع الإلهي في الأمور كافّة، لافتناء حياةٍ سعيدة، ٦٩
بمقدار ما تستطيع طبيعتنا إلى ذلك سبيلاً. a

أمّا النوع الضروري فيُفرض البحث بسبب الغاية المذكورة مفكّرين إنّنا يدون هذه العلل الضرورية والإلهيّة، لا نقدر أن نفقه حتى ولا المطالب وحدها التي نجدّ في السعي إليها، ولا أن ننال منها شيئاً، ولا أن نحظى بها على طريقة أخرى، ولو قليلاً وعلى وجه من الوجوه.

الفصل الثامن والثلاثون

تلخيص ما سبق

وإذ مثلت الآن إذن بين أيدينا نحن المهندسين، وكأنها مادة بناء،
أصنافُ العلل المنتقاة المصفّاة، التي يجب أن ننسج منها ما تبقى من خطابنا،
b فلنعد مجدَّداً إلى البدء بإيجاز، ولْنَصِلْ بسرعة إلى ذات النقطة التي انطلقنا
منها وبلغنا إلى ها هنا، ولنجتهد أن نضع ختاماً لمقالنا، ونتوّجه بهامة تلائم
جسمه السابق وتنسجم معه.

فعلى ما قيل إذن في مطلع الحوار ومبادئه، كانت العناصر السابق
ذكرها في أوضاع مبلبَلة متشوّشة، فخلق الله فيها التناسق والتعادل، في كلٍّ
منها بالنظر إلى ذاته، وفيها جملة بالنظر إلى صلاتها بعضها ببعض، بقدر ما
أمكن أن تكون متعادلة متناسقة، وعلى الوجه الذي أمكن. إذ لم يحظ أحد
العناصر آنذاك بشيء من هذه الصفات إلا اتفاقاً، ولم يكن يجدر على الإطلاق
أن يُسمّى احد العناصر باسم من الأسماء التي نطلقها عليها الآن، كالنار مثلاً
c أو الماء وما إليهما من العناصر الأخرى. إلا أنّ الله نمّقها ونظّمها أولاً
جميعها. وبعد ذلك ركّب منها هذا العالم بأسره، وجعله كائناً فريداً، حاوياً في
ذاته كل الكائنات الحية، المائتة منها والخالدة. وصار هو ذاته مبدِعَ الآلهة.
أما المائتون فقد أمر أبناءه أن يبدهوا حدوثهم.

الفصل التاسع والثلاثون

جنس المائتين

فاقتدى هؤلاء الآلهة، أبناءُ المبدِع بأبيهم، وتناولوا منه مبدأ الروح غيرَ
d المائت، وسكبوا له في قالبٍ الجسم المائت، وأعطوه الجسم كله مركبة[١].
وبنوا في الجسم ضرباً آخر من الروح، هو الصنف المائت منها، المنطوي في ذاته على أهواء رهيبة ومحتومة. وأول تلك اللذة، وهي أكبر غِواية وأعظم طُعمٍ للشرّ. ثن الأتراح والأوجاع، طاردة الخيرات. أضف إليها الجسارة والخوف، وهما مشيران أحمقان. ثم الغضبُ الذي لا يقبل عزاء أو نصحاً إلا بمشقة. وأخيراً الأمل الخدّاع الذي ينساق في سهولة. ومزجوا هذه الأهواءَ بالشعور غيرِ العاقل والحبّ الغراميّ المقدم على كل هوس. وركّبوا هكذا جنس المائتين خاضعاً لحكم الضرورة.

(إنزال الروح الشهوانيّة في الصدر)

وخشية منهم أن يدنّسوا العنصر الإلهيّ في البشر، بتلك الأهواء، أنزلوا العنصر المائت من الروح في مسكن آخر من الجسم، بمعزل عن العنصر

(١) يبدو أن ذيجبنس الأبولنيّ قد استعمل كلمة أوْخِما أي مركبة. وقد وردت في المقطع ٤٤e من هذا الحوار. راجع هِبّكرانس، مقاله في الأرياح، طبعة لِتره ٣، ٦، ٩٤. ثم إفربيذِس، نساء طروادة، ش ٨٨٤.

e الإلهي، إذ لم يكن إنزالهما معاً ضربة لازب. فبنوا برزخاً وحدّاً بين الرأس والصدر، ووضعوا الرقبة في الوسط، ليُفصلا الواحد عن الآخر. وربطوا الجنس المائت من الروح بالصدر أو ما يدعى لأمةً ودِرعاً وقفصَ الصدر.

(الحجاب الحاجز)

٧٠ ولما كانت تلك الروح المائتة ذاتَ قسمين، قسم منها أوفر جودة بالطبع وقسم أوفر سوءاً، فصلوا في بناء الجسم فجوةَ قفصِ الصدر إلى شقتين، كما تُفصل (في بيتٍ واحد) شقة سكن عن شقة سكن الرجال، وجعلوا الغشاء الحاجز حاجباً في وسطهما[٢]. وأسكنوا قسم الروح النائلَ نصيباً من الشجاعة والغضب، لحبّه المشاحنة والمزاحمة، في الشقة الأدنى إلى الرأس، بين الحجاب الحاجز والعنق. كي يكون مصغياً للعقل، ويشترك معه في قمع جنس الرغبات بالعنف، عندما لا يريد طائعاً أن ينقاد للعقل المُصدر إليه أمرَه من قلعة الجسم.

(القلب ووظائفه)

b أما القلب، حزامُ العروق وينبوع الدم الساري في كل أعضاء الجسم غزيراً متدفقاً، فقد وضعوه في ثكنة الحراسة وأقاموه عليها. وذلك، كي يشعر كلّ ما له الإحساس في الجسد شعوراً مرهفاً، عن طريق جميع المسالك الدقيقة، بتوجيهات العقل وتهديداته، عندما يغلي ويفور سخط روح الغضب وهيجانها، لدى إنذار العقل بأنّ عملاً جائراً يُرتكب بحقّ الأعضاء من

---

(٢) إن لفظة ذِيافْرَغما، الغشاء الحاجز، لا ترد عند الفلاسفة المتقدمين على عهد سقراط. وأرسطو لا يستعملها إلا مرة واحدة في تاريخ الحيوان، ١: ٤١١: ٤٩٢ ١٦a. فربما استعارها أفلاطون من معجم الأطباء في عصره. ما لم يكن استخدامها في نصنا هذا أول استعمال مهنيّ فنيّ لها.

الخارج، أو من قبل إحدى الشهوات في الداخل. فيكون الشعور هكذا مصغياً للعقل ويتبعه في كل الظروف والأحوال، ويدع القسم الأفضل بين جميع الأعضاء يقودها ويسوسها.

(الرئة ووظائفها)

c وإذ سبق الآلهة وعرفوا أن نبضات القلب وقفزاته تُثار لدى توقعه المكاره واستيقاظ الروح الغضبية، وانّ مثل ذلك التضخم يحدث كله في الأعضاء بفعل النار، دّبروا له إسعافاً وغرسوا في دواره صنف الرئة، وهي أوّلاً لينة وخالية من الدم. ثم إنها تحوي في داخلها نخاريب متقوبة كأنها نخاريب الإسفنج(٣)، كي تتقبل النسيم العليل والشراب، فتَبْرُد وتوفر للقلب في اضطرام غضبه، شيئاً من الانشراح والرخاء.

d ولذا وزّع الآلهة قنوات القصبة الرئوية على الرئة، واكتنفوا بها القلب، وجعلوها له بمثابة منضدة، حتى إذا ما اهتاج فيه الغضب وبلغ ذروته، وقفز القلب على عضو يلين له ويخضع ويؤتيه شيئاً من البرودة، يقلّ تعبه وعناؤه ويستطيع مع روح الغضب أن يخدم العقل خدمة أعظم(٤).

---

(٣) كلمة الإسفِنج تعريب لمرادفتها اليونانية أسْبُونْغُسْ spongos . (المعرّب)

(٤) في وظيفة التنفّس راجع فيما بعد المقطع ٧٨ e. إن الهواء الذي يلج الجسم لا سيّما الرئة، يبرّد الدم، وهذه النظريّة عينها نلقاها منذ عهد بعيد عند أمْبِذُكْلِيس المقطوعة ١٠٠ (Vors. 3. 1. 258)، وعند الطباء الصقليّين (فِلِستِيَّنْ، مقطوعة ٦، في غالِينُس ٤: ٤٧١، مقطوعة ١٥ ن م.) وأفلاطون في المقطع ٧٠ b، يتبنّى مذهب المدرسة الصِقليّة في ما سيتعلق بوظائف القلب (Wellmann: Die Fragmente der gr. Aertze. I. 1901, p. 16).

الفصل الأربعون

روح تغذية الجسم

أمّا قسم الروح المائتة الشهوانيّ، الراغب في المآكل والمشارب وما
e يحتاج إليه إجمالاً بسبب طبيعة الجسد، فقد أنزلوه في البقعة الواقعة بين
الغشاء الحاجز وحدود السرّة. وقد هندسوا هذا المكان كله، وجعلوه بمثابة
معلفٍ أو مِزود لغذاء الجسد. وربطوا فيه ذاك القسم من الروح، وكأنه دابّة أو
بهيمةً من البهائم الآبدة، التي يجب أن تُغذى وهي مقيدة، اللهم إن رام جنس
٧١ المائتين أن يدوم ويبقى. فلكي تتعلف إذن دوماً بجوار مزودها، وتلبث أبعد ما
a يكون من مقر العقل المشير، وتحدث أقلّ اضطراب وصخبٍ ممكن، واخفت
ضجيج، وتدعَ أشرف وأحسن قسم من الروح يتداول في هدوء ما يصلح
لمجموعة الأعضاء ولكّلٍ منها بمفرده، لهذه الأغراض كلها أعطى الآلهة
القسم الشهواني مرتبته في تلكَ البقعة من الجسم.

وعرفوا أنه لم يكن مزمعاً أن يفهم أمور العقل، وانّه وإن أدرك بحسه على نحوٍ ما بعضاً منها غيرُ مطبوع على الاهتمام لها، وانه في الليل والنهار يَغتّر بالرؤى والخيالات وينقاد لها.

الفصل الحادي والأربعون

بنية الكبد ووظيفته:

التبصير والعرافة

b وإذ فكّر الله[1] في أمر الروح الشهوانيّة، ركّب لها صورة الكبد، ووضعها في مسكن تلك الروح[2]، وجعل الكبد كثيفاً أملس لامعاً، يحوي العذب والمرّ، كي تنحدر إلى الكبد من الروح العاقلة قدرة الأفكار، وتقع عليه وقوعَها على مرآة تقبل انطباعات لتحوّلها وتعرضها للرؤية صوراً ورسوماً[3]، فترعب الروحَ الشهوانية تارة، وذلك عندما تستعمل تلك القدرة

---

(١) يمكن أن يعيّن أفلاطون هنا الله بالذات أو المبدع، لأنّ الله يعمل على تكوين جسم الإنسان بواسطة أبنائه الآلهة الثانويّين الذين يقتدون به ويعملون بإشارته (٧١ d). ويمكن أن يعني الفيلسوف إلهاً من أولئك الآلهة. وهذه الملاحظة تصلح لكلّ المقاطع التالية المماثلة. (المعرّب)

(٢) راجع تحديد الصوت (٦٧ d)؛ ثمّ ثئوُفرتسُ، كتاب الحواسّ، ٥، الرأي ٥٩٠، ١٤.

(٣) يقول أفلاطون: «مادة المرارة المجانسة، ولا يعيّن لمن أو لما هي مجانسة. ويمكن أن تكون المادّة مجانسة للروح الشهوانية. ويمكن أن تكون مجانسة للكبد الذي تؤخذ منه، وهذا معنى مقبول أخذنا نحن به وهو الأرجح، ولا شيء يمنع من ردّ هذه الصفة إلى الروح الشهوانية، لأن الأرواح حتى العقلانية منها قد رُكّبت، حسب تعليم أفلاطون، من العناصر التي رُكّبت منها الأجسام. غير أن القرائن تشير إلى أن المرارة والعذوبة هي مرارة الكبد وعذوبته. راجع ههنا الفصل السابع ثم السادس فالرابع عشر. (المعرّب)

قسطاً من المادة المرة[٤] المجانسة للكبد. فتنقضّ قوّة الأفكار عليها رهيبة وتهدّدها، إذ تخلط بالكبد كله المرارة المستمدة منه خلطاً عنيفاً مزعجاً، وتبدي لتلك البهيمة ألواناً مريرة (من السخط والاستياء). وتقبض الكبد وتجعله كله
c مخشوشناً، وتثني لُغْد الكبد وتلويه بدل أن يكون منبسطاً قويماً، وتغلف مداخله[٥]، وتسبّب الأوجاع والتقيؤ. وتارة أخرى، تهبّ من أرجاء الفهم والعقل نسمة دعةٍ وحلم، فترسم على الكبد صوراً تناقض الأولى، فتركد اضطراب المادّة المرة، بامتناعها هي النسمة عن التهييج وإعراضها عن ملازمة وملامسة طبيعة تناقض طبيعتها العقلية، وتعمد إلى العذوبة المغروسة في الكبد أصلاً، وتستخدمها في معاملة هذا العضو المختبط، وتُصلح ما التوى
d واعوجّ فيه وتقوّمه وتعيده أملس على ما كان. وتحرر مداخله وحياضه، وتجعل قسم الروح الساكنَ بجوار الكبد ودوداً وادعاً ذا تصرّف معتدل، يَعمد إلى العرافة آناء الليل، بما أنه لا يحظى بالعقل والتفكير والفطنة.

(العرافة وكيف يمكن أن نفهمها)

وإذ تذكّر الآلهة، الذين ركّبوا أجسادنا، وصية أبيهم عندما كان يوصيهم أن يصنعوا الجسم المائت أفضل صنعة قدر طاقتهم، قوّموا القسم الحقير المنحط منا على ذلك النحو المبيّن أعلاه، كي يلزم هو أيضاً الحقيقة على وجه
e من الوجوه، ووضعوا فيه العرافة لذلك. والدليل الكافي على هذا الأمر، هو

---

(٤) خلافاً لرأي أرسطو الذي ينظر إلى العرافة نظرة شكّ (الاخلاقيّات النكوماخيْة ٤: ١٣: ١١٢٧ d٣٠)/ يتكلّم أفلاطون عن العرّافين باحترام، اللهمّ عن الذين يزورهم الوحي الإلهي. (راجع له كتاب الشرائع، ١: ٧٧٢ b، ثم ٩٠١١: ١٤ a).

(٥) يميّز أفلاطون في الكبد ثلاثة أجزاء. وهي عين الأجزاء التي كان العرّافون يتفحّصونها. (أرسطو، تاريخ الحيوان ١: ١٧: ٤٩٦ b، ٣٢). وهذه تلك الأجزاء: اللُغدْ، وغدّة المرارة (ذُخيه)، وعرق المدخل (pilai) وهي نفسها يعدّدها إفرِبيدِس في مأساة إلكترا، ش ٨٢٨.

أن الله أعطى العرافة للقسم الفاقد الفهم والفطنة في الإنسان، إذ ما من أحد
يتعاطى العرافة الإلهية الصحيحة، ويلازمها وهو في حالة الوعي، بل في
حالة النوم، حين تُقيَّد قدرة إدراكه، أو يتخلى عنها لوهن المرض أو ثورة
الروح واهتياجها. وعلى العاقل الصاحي والواعي أن يتذكر الحلم أو انفعال
الكبد، ويفكر بما قالت طبيعة العرافة أو طبيعة هيجان الروح، وأن يستعيد
الخيالات التي تراءت له، وأن يعرض كل هذا على منطقة، ليحلل ما تشير
إليه أحلامه، وعلى أي وجه تشير إليه، ولمن تشير بشرّ أو خيرٍ مقبل أو
a ماض أو حاضر. وهذا كله ليس عمل الفاقد الوعي المهتاج والمستقرّ بعد في
تلك الحال. فمثل هذا لا يحكم بذاته على ما تراءى له وما طرق مسامعه. ولقد
قيل قديماً وبحقّ، إن السليم العقل وحده جدير بأن يتدبّر أموره ويعرف ذاته
ومصلحته.

ومن هذا القبيل أقام الشرع طائفة الأنبياء ليقضوا ويُبدوا حكمهم في
شؤون العرافة الإلهية، وهؤلاء يسميهم البعض عرّافين. إلا أن الذين يسمّونهم
بهذا الاسم يجهلون كلّ الجهل أن تلك الطائفة من الأنبياء تفسر أقوالاً غامضة
b ورؤى مُغْلَقة، ولا يصلح قطعاً أن يُدعى أصحابها عرّافين، بل أن يسمّوا
أنبياء ما توحيه العِرَافة (الإلهية).

فلهذه الأسباب إذن تكوّنت طبيعة الكبد على الغرار الذي وصفناه وفي
المكان الذي عيّناه، وذلك لأجل العِرافة. وعلاوة على ما قدّمنا، إن مثل هذا
العضو له إشاراته الأوفر جلاء في حياة كل فرد. ولكن إن حُرِم الحياة غدا
c أعمى، وأحرز نبوءات على قدر من الظلام، لا تُشير معه إلى أمر واضح.

الفصل الثاني والأربعون

الطحــال

وهذا تركيب الحشى المجاور للكبد. وقد وقع مقرّه على اليسار لأجلها ليحفظها دوماً لامعة نقيّة، وقد وُضع بقرب الكبد بمثابة إسفنجة أو ممسحة مهيأة ومعدّة بصورة دائمة لمسح مرآة. ولذلك كلّما تراكمت حول الكبد بعض الأوساخ والأقذار، بسبب أمراض الجسد، تستوعبها جميعها نخاريب الطحال
d وتنظف الكبد، لأن الطحال قد حيك أجوف خالياً من الدم. ومن ثمة، عندما يتملى من تلك الأقذار، يتضخم وينمو بفعل تلك المواد الملوّثة. ثم عندما يَطْهُر الجسم، يعود الطحال ويطمئن ويستقر في وضعه الطبيعي.

(الختام: ما سبق محتمل)

فلنتساءل الآن إذن بشأن قضايا الروح، ما أحرزت من قسم مائت ومن قسم إلهي، وأين وُضع كل قسم منهما، ومع أيَ أعضاء ولأية علة انزل كل واحد على حدة. فبشأن هذه القضايا كلها، هل قلنا الصحيح؟ قد نجرؤ على تأكيد ذلك بحزم إن أيّدنا الله ووافق على أقوالنا. في تلك الحالة فقط نستطيع التأكيد. ومع ذلك هل قلنا شيئاً محتملاً ومعقولاً في القضايا المذكورة؟ لا بد
e أن نجازف ونقرّ بذلك الآن، وحتى بعد بحث وتمحيص أدق. لا بل فلنقل إننا قدمنا شيئاً معقولاً.

أما الموضوع الذي يلي أبحاثنا السابقة، فعلينا أن نتابعه بناء على المبادئ عينها التي اتبعناها. وهذا هو الموضوع: كيف نشأ باقي الجسم. لقد كان يليق به أكثر من الجميع بكثير، إن يتركب بناء على الاعتبار التالي.

الفصل الثالث والأربعون

الجـوف والأمعـاء

لقد عرف مركبو جنسنا ما سنُطبع عليه من إفراط وبطر في المأكل
والمشرب، وأننا سنعمد إلى هذا وذاك، بسبب الشره والنهم أكثر بكثير مما
٧٣ يفرض الاضطرار والاعتدال. فلكي لا يتفشى الهلاك إذن ويفتك بنا فتكاً
a ذريعاً، ولكي لا يفنى الجنس المائت سريعاً قبل أن يكتمل، سبق الآلهة ورأوا
كل هذه المحاذير، ووضعوا ما يسمّونه الحشا في أسفل البطن، وجعلوه
مستودعاً لحفظ فائض المشرب والمأكل[١]. ولفوا فيه الأمعاء، كي لا يضطرَّ
الغذاءُ، بمروره في الحشا سريعاً، الجسمَ بأن يلتمس غذاء آخر جديداً، وكي لا
يؤتيه النهمَ والجشعَ بسبب شره بطنه، فيخلق هكذا جنساً لا يُولع جميعه بحبّ
الحكمة والفنون، ولا ينقاد ويخضع لأوفر ما فينا من الجواهر ألوهة.

---

(١) إن علماء التشريح القدامى يميزون في الجذع ثلاثة أقسام: الرأس ومقاطعة القلب أو قفص الصدر والجوف الأسفل تحت الحجاب الحاجز. راجع التيمئس ٧٣ a و٧٨ c و٨٥ d. ثم أرسطو، تاريخ الحيوان ١: ٧: ٤٩١ a ٢٨، ١٧، ٤٩٧ b ٢٩ .

الفصل الرابع والأربعون

العظام واللحم والنخاع

b أمّا طبيعة العظام واللحوم وما شاكلها من طبائع، فقد جرت الأمور بشأنها جميعاً على النحو التالي. إن مبدأ هذه الطبائع طرّاً هو مولد النخاع. إذ إن رُبُط الحياة قد نيطت به، لأنّ الروح مقيّدة ومرتبطة بالجسد. ورُبُط الحياة أصّلت في النخاع جنس المائتين. وتَولّد النخاعُ ذاته من عناصر أخرى. لأنّ أولى المثلثات، لانتظامها ونعومتها، كانت قديرةً غاية القدرة، بسبب دقتها تلك، أن توفّر النار والماء والهواء والتراب. ففصل الله كلَّ جنس من هذه
c الأجناس الواحدَ عن الآخر، ومزجها بعضها ببعضٍ في تعادل وتوازن، وبتفننه لإبداع زرع شامل لكل الجنس المائت، صنع النخاع من تلك الأجناس الأربعة.

وبعد ذلك، غرس فيه أجناس الأرواح وقيّدها به. وبحسب الأشكال التي كانت هذه الأجناس مزمعة أن تتخذها، والمزايا المرتبطة بأصناف الأرواح، بحسب هذه المزايا وتلك الأشكال، قسم الله النخاع حالاً إلى أشكال مماثلة، وحباه مزايا موازية، في ذاك التوزيع الحاصل منذ البداية[١].

---

٤٤ - (١) يظهر هذا النصّ أن معضلة الوراثة لم تفت أفلاطون. ويبدو أنه يميل إلى نظريّة تكيّف البذار تكيفاً سابقاً أصليّاً. راجع ٧٦ e.

(الدماغ)

وذلك القسم من النخاع، المزمع أن يقبل فيه الزرع الإلهي، قبول
d الأخدود للبذار، بعد أن صاغه كرويّاً من كلّ صوب، سمّاه دماغاً. إذ الوعاء
المعدّ لقبول هذا القسم، بعد اكتمال كل كائنٍ حي بمفرده، سوف يكون الرأس.

(النخاع الفقاري والنخاع العظمي)

أمّا القسم المزمع أن يتقبّل الفرع الباقي المائت من الروح، فقد قسّمه الله إلى أشكال مستديرة مستطيلة، وأطلق على كل تلك الأشكال اسم نخاع. وكأن الدماغ والنخاع مَراسٍ أناط بها رُبُط كلّ روح الحي. وحول النخاع برمته صنع عندئذ جسمنا، وقبل ذلك جعل للنخاع بجملته لوقايته غطاء كثيفاً عظمياً.

(العظام عموماً)

e والعظم قد ركّبه على الوجه التالي. غربل تراباً صافياً ناعماً، ثم بلّله
بالنخاع وجبله.

وبعد ذلك وضعه في النار، ثم غطسه في الماء. وأعاده إلى النار، وثانية إلى الماء. وما انفك ينقّله هكذا من النار إلى الماء ومن الماء إلى النار مراراً، حتى جعله لا يذوب في كليهما.

(الهامة والفقرات)

٧٤ واستعمل هذا العظم، وصنع منه كرةً في قالب، وجعلها حول الدماغ
a من النخاع، وترك فيها مخرجاً ضيقاً. وحول نخاع الرقبة والظهر، صاغ من
ذاك العظم فقرات، وكأن كلاً منها نجران باب، وذلك بدءاً من الرأس وخلال
الجذع كله. ولكي يحفظ هكذا زرع (الكائن الحيّ) كله، حصّنه بسياج حجري،
وجعل في السياج مفاصل.

(المفاصل)

واستعان في صنع المفاصل بقدرة «الآخر»، على أنها قائمة في وسطها، لأجل الحركة والانحناء.

(الأوصال واللحم)

وإذ فكّر الله أن الطبيعة العظمية، في وضعها القائم، أوفر جفافاً وتفتتاً وصلابة مما يلزم، ثم إنها بتعرضها لحماوة النار وبردها من بعد ذلك، قد يصيبها النخر والتهرّؤ، فتُفسد سريعاً ما حوت في داخلها من زرع. فبسبب المحاذير افتنَّ وأبدع هكذا جنس الأعصاب أو الأوصال وجنس اللحم، كي يربط الأعضاء كلها بالأول، ويجعل الجسم كله قابلاً للانحناء والتمدد، يشدِّ الأوصال وارتخائها حول كل نجران. أما اللحم، فقد جعله حماية من الإحراق، ورقابة من الشتاء وقرَّه، وحرزاً من الكبوات والسقطات، فيكون بمثابة ثوب من لبّاد، ينقاد للأجسام بلين ووداعة. b

(العرق) c

واللحم يحوي في داخله مادة رطبة حارّة، ترَشح في الصيف وترطب الجسم برمتّه، وتكفل له شيئاً من البرودة. ثم تعود في غضون الشتاء وتقيه بما تحوي من نار وقاية كافية من هجمات الجليد المتراكم حوله في الخارج(٢).

(تركيب اللحم والأوصال)

لما فكر المبدع الذي جبل جسدنا، وكأنه صانع شمعٍ، بهذه الأمور أخذ ماءً وناراً وتراباً، وخلق انسجاماً بين هذه العناصر، ومزجها بعضها ببعض، وخلط بها خميرة من حامض وملح وضعها فيها، وركّب لحماً ماوياً وطرياً. d

---

(٢) يذكر أئيتيس رأياً لأمبذكليس يدعي فيه أن العرق ينجم عن فساد الدم. ألا أن أفلاطون هو أول من أظهر في جلاء دور العرق في تعديل حرارة الجسم.

أما طبيعة الأوصال فقد صاغها من مزج عظم ولحم لم يداخله الخمير، وصنع منها طبيعة واحدة متوسطة المزايا والقدرة بينهما، واستعمل لصبغها اللون الأشقر. ومن ثمّة نالت الأوصال سجيّة أوفر تماسكاً وقساوة من اللحم وأكثر لزاجة، وشِنْشِنة أغزر مرونة ورطوبة من العظم. فاتخذ الله هاتين المادتين، وشد النخاع إلى العظام وأوثق ربطها بعضها إلى بعض بواسطة الأعصاب، وبعد ذلك غشّاها وظللها باللحوم من فوق إلى أسفل.

e والعظام المنطوية على أوفر قسط من الروح إذن، غلفها بأزهد كمية من اللحم. والتي خلت في داخلها أكثر ما يكون من الروح، غلفها بأفر كمية من اللحم وأغلظها. وحيث أظهر العقل أن الضرورة لا تفرض البتة وجود اللحم، أنمى الله هناك قليلاً منه. كي لا يكون اللحم عائقاً من جهة لمثاني الجسم ومنعطفاته، فيجعله صعب التنقل، لأنه غدا عسر الحركة. ولا يكون اللحم من جهة أخرى متوافراً كثيفاً، فيتكدس بعضه فوق بعض، وبسبب
٧٥ قساوته ومتانته يصدّ الجسم عن الإحساس، ويجعل الذهن طائشاً والفكرَ زهيد
a الحفظ. ولذا فقد اكتظّ باللحم عظم الفخذ والساق والورك والساعد والذارع، وما فينا من عظام بلا مفاصل، والعظام الداخلية الخالية من العقل والفهم لضآلة الروح في النخاع. هذه جميعها تكاثر اللحم حولها وأحدق بها[٣].

أما العظام الفهيمة فقد شح لحمها. ما لم يركب الله بعض أقسام اللحم تركيباً متنوعاً في حد ذاته بغية الشعور، نظير صنف لحم اللسان. لكن معظم

---

(٣) إن مينن، في الكتاب المغفل اللندني، ف ١٩، يلخص هذا المقطع وينسب ما يعرض من تعليم إلى أفلاطون. غير أن قسطاً من الأحداث المستشهد بها ههنا، لاحظها ربما أمبذكلِيس من قبل (راجع المقطوعة ٩٦)، أو ذِموكرتس في كتابه «في الجسد Peri Sarkos. ونجد توسعات مماثلة عند أرسطو، أعضاء الحيوان ٢: ١٠: ٦٥٦ a ١٩، ٦٥٤ b ٢٧، ٦٥٣ a ٣٠ ثم مولد الحيوان ٢: ٦: ٧٤٤ b ٢٣. وفي وظائف اللسان، راجع كتاب النفس ٢: ٢: ٤٢٣ a ١٧.

الأصناف من اللحم، قد ركّب على ذلك النحو، لأن الطبيعة التي تنشأ وتتغذى
b بفعل الضرورة لا تقبل على أي وجه أو حال عظماً كثيفاً ولحماً وافراً، ومع هذين، شعوراً مرهفاً.

(طول العمر ونسبة اللحم على عظام الجمجمة)

ولو شاءت هذه الأمور أن تتفق وتتلاقى في آن واحد معاً، لأحرزها قبل أي تركيب آخر تركيب الرأس، ولنال جنس البشر، بامتلاكه فوق جذعه هامة قوية مكتظة باللحم والعصب، حياة أطول من حياته الحاضرة مرتين أو عدة مرات، وأوفر عافية وأقل أوجاعاً وأتراحاً. أما الآن، فإذ راح مبدعونا
c يتساءلون بشأن حدوثنا ووجودنا، هل يصنعون جنساً أطول عمراً وأحطّ خُلقاً وفضلاً، أو جنساً أقصر عمراً وأوفر فهماً وفضلاً، بدا لهم أن يختاروا لنا، ويفضّلوا لكل إنسان على وجه الإطلاق، عمراً أوجز وأحسن، على عمر أطول وأسوأ(٤).

ومن ثمة غطوا الهامة بعظم دقيق، ولم يغلفوها باللحوم والأوصال، إذ ليس لها انحناء ولا انعطاف. ولهذه الاعتبارات كلها، أضيف إلى جسم كل إنسان رأس أرهف شعوراً وأكثر فطنة وفهماً، ولكن أضعف بكثير من باقي الأعضاء.

(الأوصال وأوضاعها)

d أمّا الأوصال فقد وضعها الله هكذا لما قدّمنا من علل، في أسفل الرأس، وأدارها حول العنق، ولصقها موزعاً إياها بالتساوي، وربط بها أطراف

---

(٤) هذا الموضوع قد عولج مراراً بعد أرسطو. ويُحتمل أن يكون ذموكرتس قد سبق وعالجه. واستفيئس ٤: ٤٤: ٨١ w، يحوي مجاراة لذموكرتس يستعرض فيها الأسباب التي من شأنها أن تطيل الحياة أو تقصرها (Vars. 3, 2. 138).

الأفكاك عند أسفل الوجه. أما الأوصال الأخرى فقد وزّعها على سائر الأعضاء، ووصل بها بين مفصلٍ ومفصل.

(الفم والأسنان)

هذا، وان الذين أبدعوا ونمّقوا جبلتنا، قد زينوا الفم ونظموا اقتداره بواسطة الأسنان واللسان والشفاه، لأجل ضروريات الحياة وأسمى الخيرات،
e ورتبوه على ترتيبه الحالي. وقد تفننوا في صنع مدخله لأجل الضروريات المعاشية، وصنع مخرجه لأجل أفضل الغايات. إذ الضروري أوّلاً هو كلّ ما يلج الجسم ليؤتيه الغذاء. أمّا غدير الأقوال المنسابُ إلى الخارج ليخدم الفهم والفكر، فهو ثانياً أبهى الغدران وأنجعها. هذا من ناحية.

(جلد الهامة، تضاعيف عظامها والتحامها، الشعر)

بيد أنه لم يكن في الوسع من ناحية أخرى، أن يُترك الرأس جمجمة عظمية مجردة، بسبب تقلب الطقس في الفصول، واشتداد القيظ أو القرّ فيها.
٧٦ ولا أن يظلل باللحم والأوصال فيُزدرى، لأنه غدا، بسبب كظته باللحوم، غبياً
a بلا إدراك ولا شعور. وبما أن الطبيعة اللحمية لا تنشف، فقد نشأت فيها قشرة غليظة وانفصلت عنها، وهي ما يُقال له الآن الجلدة. وهذه الجلدة، بسبب الرطوبة المحدقة بالدماغ، تَسرّب بعضها إلى بعض، فتفرّغت ثم تلاحمت واستدارت حول الرأس وغطّته. ورشحت الرطوبة خلال تجاعيد العظام، وسقت الجلدة وندّتها وأغلقتها على الهامة، رادّةً إياها على الرأس كأنها عمامة.

أمّا جنس تجاعيد العظام وتضاعيفها المتنوّع جدّاً، فقد حدث ونجم عن قدرة دورات الروح وعن قدرة الغذاء. فإن احتدم القتال واشتدّ العراك بين
b هاتين القدرتين، تكاثرت التجاعيد، وإن فتر الاشتباك قلت التضاعيف.

وقد ثقبت الألوهة هذه الجلدة كلها على دوائرها بالنار. وإذ ثُقِبت واندفعت منها الرطوبة إلى الخارج، ما صفا من المادة النديّة والمادّة الحارة ذهب أدراج الريح، أمّا ما امتزج منهما فكان هو الجلد. وحمله الاندفاع إلى الخارج. فامتدَ بعيداً وانتشر. وبسبب ثقوبه حافظ على رقّة متساوية. إلا أنّ الهواء الخارجي المحدق به، (الحركة الدافعة)، كان يصدّه ويعيده إلى الداخل
c تحت الجلد، حيث يُحشر ويتأصّل.

وبناء على هذه الانفعالات، نشأ جنس الشعر في الجلد. وإذ هو من نوع السيور فهو مجانس للجلد، لكنه أقسى وأكثف منه، لأنّه يتراص عندما يبرد إذ كلّ شعرة عندما تفارق الجلد تبرد وتتراصّ عناصرها[٥]. وعلى هذا النحو أبدع صانعنا هامتنا كثيفة الشعر، معتمداً على الأسباب المذكورة سابقاً،
d ومفكراً أنه يجب أن يحلّ الشعر محلّ اللحم حول الدماغ لأمانه، فيكون له غطاء خفيفاً، ويوفر له آناء الصيف والشتاء ظلاً كافياً وحمى وافياً، دون أن يشكل أي مانع أو عائق يحول دون الشعور المرهف.

(الأَظافر)

ومن تشابك العصب والجلد والعظم حول الأصابع، نشأ مزيج مشترك من هذه المواد الثلاث، وجف فصار جلداً واحداً قاسياً، أبدعته هذه العلل المتضافرة. ولكن الفهمَ، العلة العظمى والقصوى، صنعه لأجل الغايات الواقعة
e عقب ذلك في المستقبل. إذ عرف الآلهة الذين ركبوا أجسادنا، أن النساء

---

(٥) إن مسألة تكوّن الشعر كان أمبذكليس قد عالجها. راجع ثئوفرستس، كتاب الحس، ٢٣، (Van. 3, 1, 220. 28). ولعل أمبذكليس سبق وأشار إلى تماثل الشعر والأظافر وريش الطيور (التيمئس ٦٤ c، ٧٦ e، ٩١ d). وأرسطو في كتابه مولد الحيوان، يخالف أفلاطون في شرح أصل الشعر. ولا ندري هل تعليم أفلاطون بهذا الشأن هو نظرية أبدعها وانفرد بها، أو استعار عناصرها من الغير.

والبهائم الأخرى سوف تنحدر يوماً من الرجال. كما أنهم علموا أنّ جماعةً كبيرة من الدواب ستحتاج إلى استعمال أظافرها في كثير من الأغراض. ولذا طبعوا فوراً في تكوين البشر أصلَ الأظلاف والمخالب.

ولهذا السبب وهذه الغايات، أنموا الجلدَ والشعر والأظافر على أطراف الأعضاء.

الفصل الخامس والأربعون

أصل النباتات

٧٧ لما نشأت كل أجزاء الحيوان المائت وجميع أعضائه، واتفق له بحكم
a الضرورة أن يعيش في النار والهواء.

وبسبب ذلك كان معرضاً لأن يهلك بفعل هذين العنصرين العاملين على إذابته وملاشاته، دبّر له الآلهة عوناً وغوثاً. فزرعوا طبيعة تجانس الطبيعة الإنسانية، ومزجوا عناصرها من صور تغاير صوره ومن مشاعر تختلف عن مشاعره بحيث أمست كائناً حياً آخر(١). وهي الآن الأشجار والنباتات والبذار الأليفة، التي تتصرف معنا باللين واللياقة، بعد أن هذّبتها الفلاحة. أما في الزمن الغابر، فقد انتشرت أصناف النباتات الحرجية الوحشية وحدها،
b لأنها أقدم من النبتات الأليفة (الجنائنية وما إليها).

(أرواح النباتات)

لأن كل ما يشترك في الحياة، قد يحق أن يقال عنه وعلى أصح الوجوه إنه حيوان أو حيّ. ويشترك هذا الكائن الحي الذي كلامنا فيه، بالصنف الثالث

---

(١) حسب ابلوترخس، في كتابه «المسائل الطبيعية» ١: ٩١١ d أعطى انكسغورس وذموكرتس وأفلاطون النبات تحديداً واحداً، وهو الحيوان المغروس في تربة Zoon Enguion وعد هؤلاء النباتات حيوانات أُمسكت عن حركة التنقل.

من الروح، القائم طبقاً لما قيل بين الحجاب الحاجز والسرّة. وهو لم يحظ قط لا بالظن ولا بالبرهان ولا بالعقل ولا بالإدراك، ولكن بشعور اللذة والألم ترافقه الرغبات. لأنه لا ينفك يتحمل كل شيء وينفعل بجميع الانفعالات. ولم يُفطر في حدوثه ومولده على أن يلتفت في ذاته إلى ذاته، ولا أن يدور على نفسه، أو يدفع الحركة الخارجية، أو يستعمل حركته الخاصة، أو ينظر إلى ذاته ويفكر بشيء مما يتعلق بأموره.

ولذا فهو يحيا، وليس شيئاً آخر سوى الكائن الحي، وقد غُرس ثابتاً متأصلاً لأنه حُرم من حركته الذاتية.

الفصل السادس والأربعون

وظائف العروق وتوزيعها

وبعد أن انبت جابلونا القديرون هذه الأجناس جميعها، غذاء لنا نحن الضعفاء حفروا تُرعاً في جسمنا نفسه واقتطعوا فيه قنوات، كما تُقتطع في
d البساتين، كي يسقى من معين فياض. وقبل كل شيء مددوا قناتين خفيّتين وجروهما تحت البشرة حيث يلتحم الجلد باللحم. وهاتان القناتان هما العرقان الظهريّان، لأن الجسم مزدوج، ذو يمين ويسار. وقد جعلوهما على جانبي العمود الفقاري، واضعين بينهما النخاع التوالدي، كي يزدهر هذا النخاع ويترعرع إلى أقصى حد. وينساب مجراهما من هناك رائقاً غزيراً لأنه يسيل في منحدر، فيسقي الأعضاء الأخرى سقياً متعادلاً سوياً[(١)].

---

(١) إن أفلاطون يخلط بين النوابض والأوردة، وشأنه في ذلك شأن ذموكرتس وأرسطو نفسه، (راجع ذموكرتس، مقطوعة ١٢٠، Vors, 3. 2. 84, 1 1) ويبدو أن ذموكرتس قد استعمل كلمة phevia العروق الصغيرة. وكلمة phlèps العرق، لا توجد عنه أفلاطون إلا في التيمئس (٦٦ a-d، ٢٧ d، ٢٨ b، ٧٩ a ٨٥ d e). والمجريان اللذان يشير إليهما في هذا النص وهما الأبهر والوتين الأسفل والأعلى يفصلّهما أيضاً أرسطو ويسميهما العرقين الرئيسيين archighous flévas (أجزاء الحيوان ٣؛ ٤: ٦٦٦ b ٢٥ – ٥: ٦٦٧ b ١٥ – ٦٦٨ a ١). وتشبيه العروق بجهاز لسقاية البساتين يوجد في ن. م، ٦٦٨ a ١٠.

وبعد ذلك، فصلوا بين العروق حول الرأس، وصالبوا بينها. وما كان
e منها على اليمين، أجروه على يسار الجسم، وما كان من جهة اليسار، حنوه نحو اليمين وأجروه من هذه الجهة، لكي تربط العروق هي أيضاً في آن واحد بين الرأس والجسم، وتكون مع الجلد رباطاً لهما، لأن الرأس لم تُحوَّط في جمجمتها بأوصال. لكي يبلغ انفعال الحواس، الصادر عن أي من الشقتين، واضحاً جلياً إلى الجسم برمته.

ورتّبوا سقاية الجسم من ثَمّة على وجه هو تقريباً الوجه التالي. ونحيط
٧٨ به في سهولة، إذا سبقنا واتفقنا على هذا المبدأ الذي سأعرضه حالاً.

(آلية الجريان الطبيعية في العروق. صلة هذا الجريان بالتنفس)

a وهذا المبدأ هو أن جميع الأشياء المركبة من عناصر صغرى، تصد الأشياء المركبة من عناصر أكبر من عناصرها. أما الأشياء المركبة من عناصر كبرى، فلا تستطيع أن تصد وتمنع عنها الأشياء المركبة من عناصر أصغر من عناصرها. والحال أن النار لها قسيمات أصغر من قسيمات جميع الأجناس وبالتالي تمر وتتجول خلال الماء والتراب والهواء، وخلال كل ما تركب من هذه العناصر. ولا شيء يستطيع أن يصدها أو يمنعها عنه.

وهذا الأمر عينه لا بد أن نفقهه بشأن جوفنا، وهو أن المآكل والمشارب
b عندما تهوي إليه، يصدها عن اختراقه. أما الهواء والنار فلا يستطيع صدهما، لأن القسيمات فيهما أصغر من القسيمات التي تَركّب هو منها. فقد استعمل الله إذن هذين العنصرين للسقاية أخذاً من الجوف إلى العروق.

فحاك نسيجاً من هواء ونار، يحاكي شباك الصيد. ولهذه الشبكة عند فوهتها كوعان مزدوجان، ثنى الله أحدهما، وجعله من جديد مشعبا. وبدءاً من الكوعين مدّ حول النسيج من فوق إلى أسفل رقائق وكأنها من خيزران.

c وحواشي نسيج الشبكة من داخلها جعلها كلها من نار، أما الأكواع وغلاف أوعية الشبكة فقد جعلها من نوع الهواء. وأخذ هذا النسيج وحوّط به الكائن الحي المجبول على نحو يماثل النحو التالي.

دلّى أحد الكوعين إلى الفم. ولما كان مضاعفاً ذا شعبتين أنزل الواحدة (بوعائها) إلى الرئة من القصبة الرئوية وانزل الأخرى (بوعائها) على جانب القصبة الرئوية، إلى الجوف. ثم أخذ الكوع الثاني وشقه إلى اثنين، وأنزل فرعيه من مسلكي الأنف. وهكذا عندما لا يمر تيار الكوع الأول المشعّب من

d الفم تزدحم التيارات، كلها، حتى تيار ذلك الكوع (الأول المعطّل)، وتمر بالكوع الثاني (المنحدر من مسلكي الأنف).

وغلاف الشبكة الآخر (الخارجي الذي من نوع الهواء)، غرسه الله حول ما تجوّف من جسدنا.

(التنفس)

وجعل الله كل هذا الغلاف ينساب مرة في لين إلى أوعية (النسيج النارية)

e لأنه هواء، وجعل أكواع الأوعية تصعد مرة أخرى منسابة في نعومة. ثم إنه جعل النسيج لشفافة الجسم، ينغمس خلاله إلى الداخل، ويعود ينقذف خلاله إلى الخارج. وجعل الأشعة المقيّدة داخل النار تتبع الهواء في انسيابه من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل. ونظم الأمر حتى لا ينقطع هذا (المد والجزر) من الحدوث، ما لبث الحيوان المائت في قيد الحياة. ونحن نؤكد أن واضع الأسماء على هذا الجنس (من الحركة)، اسم استنشاق وتصعيد.

(التغذّي)

وكل هذا الفعل والانفعال جرى على جسمنا ليرتوي ويستبرد، فيتغذى ويعيش. لأن النار المقيدة في داخل (أوعية النسيج)، تتبع النسمة في حركة

٧٩ ولوجها وخروجها، والنار في ارتقائها الدائم، تجوز خلال الخوف وتأخذ في
a اجتيازها المآكل والمشارب وتذيبها وتقسّمها إلى قسيمات صغيرة، وتسوقها
معها خلال المخارج التي تجتازها، وكأني بها قد استقتها من نبع لتصبّها في
الأقنية، وتفيضها في العروق، وتدفع مجاري العروق لتتدفق خلال الجسم
تدفق القنوات.

الفصل السابع والأربعون

شرح التنفس وتعليله تعليلاً آلياً

ولكن فلننظر مجدَّداً إلى انفعال جهاز التنفّس، لنرى كيف صار إلى ما
هو عليه الآن، وأية علل يستخدم لذلك. إليكم إذن هذا البحث. b

بما أنه ليس من فراغ يستطيع المُندفِع بحركته ولوجه، وبما أن النسمة
فينا تندفع إلى الخارج، ما ينتج عن ذلك واضح لكلّ مفكّر، وهو أن المندفع
بحركته لا ينفذ إلى فراغ، بل يَطردُ المجاورَ له من مقرّه. والمطرود هو
أيضاً يدفع المجاورَ له. وطبقاً لهذه الضرورة الحتمية، كل ما تطرده النسمة
في خروجها، يندفع إلى المقرّ الذي خرجت منه. وعندما يدخل إلى هناك c
ويملؤه يعود ويتبع النسمة (في انطلاقها إلى الخارج). وهذا الأمر يحدث كله
معاً وكأنه دولاب انساق في دورانه، بسبب انعدام الفراغ.

ولذا عندما ينساب الصدر والرئة إلى الخارج، يعود ويتخزّن بسبب الهواء المحدق بالجسم، إذ يغوص هذا الهواء إلى الداخل، خلال مسامّ اللحوم، وقد طرده النسيم الخارج. ومن جديد يُعاد هذا الهواء على أعقابه، فيخرج خلال الجسم، ويدفع النسمة المستنشقة إلى الداخل عن طريق الفم ومسالك المنخرين.

d وهذه التفاعلات لا بدّ أن نضع علّةً لبدايتها وانطلاقها السبب التالي. كل كائن حي ينطوي على أحشاء، تحدق بالدم والعروق، حارّةٍ جداً. وكأنها معين نار تأججت في داخله. وهذا المعين هو الذي مثلناه وشبهناه بنسيج شبكة، وقد حيك كلّه من نار، ومُدّد في وسط الكائن الحي. أما أقسام النسيج الخارجية (والبعيدة عن الخوف) فقد حيكت من هواء.

والحال أن الحارّ ينطلق بطبيعته إلى بقعته في الخارج وإلى ما يجانسه. وهذا المبدأ لا بدّ من الاعتراف به. وإذ كان له مخرجان اثنان، منفذ إلى الخارج خلال الجسم، ثم منفذ آخر خلال الفم والمِنخرين، فعندما ينقضّ على فئة (من أقسام النسيج الهوائية)، يضغط الفئة الأخرى من حواليها. والفئة
e المضغوطة تقع في النار (الداخلية) وتسخن. أما الهواء الخارج فيبرُد. وبتغيّر الحرارة، وتحوّل الأقسام (الهوائيّة) إلى حرارة أعظم، يميل الهواء الأوفر حرارة من جديد إلى المخرج والمنفذ الآخر، ويندفع اندفاعاً أقوى إلى ما يجانس طبيعته الذاتية، ويضغط الهواء في (الأقسام النسيجية الخارجية) الأخرى. وهذا الهواء في انفعاله الدائم بعين الانفعالات، وإحداثه انفعالات دائمة مماثلة يردها لقاء تلك ومَخضِه بصورة دورية، وتفاعله من هنا وهنا بعاملي الحرارة والبرودة، يمكّن الاستنشاقَ والتصعيد من الحدوث.

الفصل الثامن والأربعون

نتائج أخرى مماثلة

٨٠ وعلل الانفعالات الناشئة عن المحاجم الطبية[١] (كاسات الهواء)، وعلل
a لبَلْع، وعلل القذائف ما انطلق منها في الجو، وما انقضّ منها على الأرض[٢]، كل هذه العلل لا بدّ أن نتعقبها من هذه الناحية (التي أشرنا إليها في الشروح السابقة). وكذلك الأصوات، ما بدا لنا منها سريعاً أو بطيئاً عالياً أو منخفضاً، وما حُمل منها إلى أسماعنا تارة ناشزاً لا انسجام فيه، بسبب انعدام التشابه بينه وبين الحركة التي تثيرها تلك الأصوات فينا، وتارة متناسقاً منسجماً بسبب التشابه بينه وبين الحركة المثارة فينا.

(أسباب الانسجام والنشوز في الأصوات)

لأنّ ما هو أبطأ من تلك الأصوات، يلحق ما كان منها سابقاً وأسرع،
b عندما تكاد حركة هذا الأخير أن تنقطع وتبلغ إلى حركة تشبه حركة البطيء.

---

(١) كلمة سِكيّا تعني القَرْع، وهو ضرب من الكوسى، ثم استعملت من باب التوسعّ للدلالة على كاسات الهواء. واستعمال هذه الكاسات عريق في القدم. في التنفّس، راجع من المقدمة الفصل السابع، البحث الثاني، الفقرة ٦و٧. -

(٢) لفظة Riptouména استعملها أرسطو هو أيضاً للدلالة على القذائف (راجع له كتاب الطبيعة ٧: ١٠: ٢٦٦ ٣٠b).

والأصوات البطيئة في اندفاعها عقب الأصوات السريعة (الموشكة على الانقطاع عن الحركة)، تحرّك بحركتها الحركة الموشكة على التوقف. وعندما تلحق الأصوات البطيئة بالسريعة (لتباطؤ هذه الأخيرة)، لا تشوّش الحركة الأخرى بانقضاضها عليها، ولكنّها تخلق تشابهاً وتماثلاً بين الحركات البطيئة في الأساس، وبين الحركة الأوفر سرعةً التي كفّت عن اندفاعها السريع. وتمزُج هكذا من الحركة الحادة (أي الصوت الرفيع العالي) ومن الحركة المنخفضة (أي الصوت الغليظ الثقيل) شعوراً واحداً (منسجماً)(٣).

ومن ثمّة توفر اللذة لفاقدي اللّب أو الغائبين عن وعيهم، وتوفّر الانشراح الروحي للنجباء اللبيبين، بسبب محاكاة الانسجام الإلهي، الحاصلة في حركات مائتة.

c (ظاهرات أخرى مماثلة)

ومن هذا القبيل أيضاً كل تيارات المياه، وكل تساقط الصواعق وانقضاضها وخوارق جاذبيّة العنبر أو الكهرباء والحجارة الهرقليّة المعدنيّة المغنطيسيّة. فليس لأيٍ من هذه المواد جاذبيّة ما. وإنما انعدام الفراغ وضغط هذه الأشياء لبعضها الآخر، وانطلاق جميعها في تشتّتها وتجمّعها، كل عنصر منها إلى المقرّ الملائم طبيعته، بعد استبداله المقرّ الذي كان فيه، كل هذه الظاهرات العجيبة المستغربة، بسبب هذه التفاعلات المتشابكة بعضها ببعض، تتّضح لمن يبحث عنها حسب طريقتنا.

---

(٣) لقد أشار إلى هذا الشرح في المقطع ٦٧ c.

الفصل التاسع والأربعون

تغـذّي الجســـم

d فأمر التنفّس إذن، ومنه انطلق مقالنا هذا، قد حدث طبقاً لهذه القواعد وبسب هذه العلل، على ما أشرنا إليه في توسّعاتنا السابقة.

هذا وحين تقطّع النار الأغذية، وترتفع داخل الجسم على أعقاب نسيم التنفّس، تملأ العروق في ارتفاعها بالأغذية المهشّمة، إذ تستمدّها من الجوف وتفيضها في الأوردة والنوابض. وهكذا، بسبب هذه العمليّات، تجري في كل أرجاء الجسم، وعند جميع الأحياء «روافد الغذاء».

وهذه الأغذية المُقتطعة، إذ هي حديثة العهد، وصادرة عن أشياء
e مجانسة لها، وقد صدر بعضها عن الأثمار، وبعضها عن الأعشاب والبقول، التي أنبتها الله لهذه الغاية بالذات، وهي أن تكون غذاء، تأخذ، بسبب تمازجها، ألواناً مختلفة الأنواع جداً ويغلب عليها خصوصاً اللون الأحمر، وهي طبيعة تبدعها النار بتقطيعها الجواهر وانطباعها في المادة الرطبة.

(الدم)

ولذا أخذ لون الســائل في الجسم المظهــر الذي وصفناه . وهذا السائل

٨١ ندعوه دماً. وهو غذاء اللحوم، وإجمالاً غذاء الجسد برّمته[1]. ومن ثم، يرتوي
a كل قسم في الجسم وكل عضو، ويملأ ما فرغ منه منذ الأساس.

أما طريقة الامتلاء من الدم، وطريقة استنزافه أو الافتقار إليه، فتحدث مثلما تحدث حركة كل شيء في العالم بأسره، تلك الحركة التي يندفع بها كل مجانس إلى ما يجانس ذاته، لأن ما يُحدق بنا من الخارج، لا يفتأ يذيبنا، ويوزّع ما أذاب منا على الصنف المماثل، باعثاً بكل فئة إلى فئتها.

(حركة الدم)

وكذلك الأجزاء الدموية فينا، المشتّتة في داخلنا، والدائرة في كل كائن
b حي كأنما في فلك لها. إنها مضطرة أن تحاكي حركة «الكلّ» (أي العالم بأسره). فكل من الأجزاء الدموية إذن المقسّمة في داخلنا، يندفع إلى ما يجانسه ويملأ عندئذ من جديد ما فرغ في الجسم.

(الشباب والشيخوخة)

فعندما تزيد كمية الدم المستنزّف على الكمية المنصبّة في الأعضاء، يذوي الحي برّمته ويذبل. وعندما تنقص كمية الدم المستنزّف عن الكمية
c المنصبة في العروق، ينمو الحي بجملته. فإن كان بنيان كل حي إذن حديثاً، وكانت مثلثات عناصره جديدة بعد، كأنها واردة من مصادرها، أحرز ذلك البنيان تماسكاً وترابطاً متيناً بين مثلثاته، وكذلك إن كانت كتلتة المتكاثفة جملةً غضةً رخصة، لأنها ناشئة حديثاً عن النخاع، ومغذاة في الحليب. أما المثلثات

(١) كان أنكسغورس قد شرح تركيب الدم على طريقة مماثلة (راجع أئيتيس ١: ٥٣ الرأي ٢٧٩). ثم إن اعتبار الدم غذاء للجسم لهو تقليد قديم (راجع تاريخ الحيوان لأرسطو ٣: ١٩: ٥٢ b ١٩. وله أيضاً أجزاء الحيوان ٢: ٣: ٦٥٠ a ٣٤). وفي الفرضيات المتعلقة بطبيعة الدم، راجع لمينن النظرات الطبية ف ١٩ فق ١.

الواردة من الخارج والمنطوي عليها ذاك البنيان في ذاته. – وقد تتألف منها المآكل والمشارب – فهو يقطّعها بمثلثاته الجديدة، ويقهرها ويضبطها لأنها أقدم من مثلثاته وأهش منها وهكذا إذ يُغذّي هذا التركيب الحي بمثلثات كثيرة متشابهة وحديثة، يُنميه ويجعله يترعرع.

ولكن عندما تختل[٢] أصول المثلثات وتهي، لأن كثيراً منها قد جاهد جهاداً طويلاً وقاوم عناصر شديدة، لا يستطيع البنيان عندئذ أن يقصم مثلثات
d الغذاء الوالجة، إلى مثلثات أخرى تشبه مثلثاته لا بل تنفصم مثلثاته ذاتها في سهولة، بفعل المثلثات الواردة من الخارج. والحيّ عندما يُقمع ويَوْهَن في هذا الأمر يذوي ويذبل بجملته. وانفعاله هذا يسمّى هرماً.

(الموت الطبيعي)

أخيراً، عندما لا تستطيع المثلثات التي تَخلق الانسجام بين النخاع والعظم، وتربط بينهما، الصمودَ والمقاومة، وتنفصم عراها لتعبها وعنائها، تُحلّ قيود الروح. وإذ تُطلق هذه من أغلالها، تجاري طبيعتها بلذّة وتطير.
e لأن كلّ ما خالف الطبيعة أليم. وما جاراها لذيذ. والموت أيضاً يراعي هذه الأصول نفسها. فإن حدث بسبب الأمراض والجروح كان عنيفاً أليماً. وإن جاء مع الشيخوخة في نهاية العمر بصورة طبيعيّة، كان أقلّ الآجال شدّة وعناء. لا بل صحبه شيء من المتُعة، لا شيء من الألم والغمّ.

(٢) راجع السفِستيِّ ٢٦٥ c، والتيمئس ٦٦ c و ٨٤ b و ٩٠ b. يُمكن أن تكون لفظتنا ريزا وخلان قد استمدّنا من المعجم البِثَغُوري. وقد استعمل يَرْمِنيْدِس كلمة خلان وهي تشبه ألفاظنا العربيّة خَلا وخلّ واختلّ بلفظها ومعانيها. (المعرّب).

الفصل الخمسون

شرح عام للأمراض

أمّا مسألة الأمراض من أين تنشأ، فقد غدت واضحةً بعض الوضوح
٨٣ لكل فكر نبيه. لأنّ الأجناس (أي العناصر) التي تكاثف منها الجسد أربعة.
a وهي التراب والنار والماء والهواء. وتزايد هذه العناصر ازدياداً مفرطاً أو
تناقصها تناقصاً يخالف الطبيعة، وانتقالها من موقعها الخاصّ إلى موقع
غريب، ثم إن تعدّد الأنواع في عنصر النار والعناصر الأخرى، واستيلاء كلّ
منها على ما يلائمه من تلك الأنواع، هذه العلل جميعها وكلّ ما شاكلها ينشئ
اضطرابات وأمراضاً. إذ إنّ كل عنصر أو ضربٍ من العناصر يخالف
الطبيعة ويخرج عن موقعه الخاصّ، يجعل العناصر الأخرى تسخن بعد
b برودة، وتتندّى بعد جفاف، وما كان منها خفيفاً يمسي ثقيلاً، والثقيل يضحي
خفيفاً، فتقبل العناصر كهذا كلّ التقلبات وعلى كل وجه.

فنؤكد إذن أنّ الحيّ يلبث صحيحاً معافى في حالة واحدة فقط، وذلك عندما يضاف الشيء فيه إلى مثيله أو يطرح منه، طبقاً لنظام واحدٍ وعلى طريقة واحدة وفي نسبة واحدة، فيتيح الحي هكذا للشيء أن يثبت في ذاته، مماثلاً لذاته وما يحدث خللاً لهذه العناصر أو القوانين في وروده أو صدوره، ويجري تغيرات من كل نوع وأمراضاً وتهلكات لا حصر لها.

(اعتبار آخر أدقّ بشأن الأمراض)

c وإذا تألفت تراكيب ثانويّة طبيعية، كان لا بد من النظر إلى الأمراض
نظرةً ثانية، والتأمّلِ فيها مجدَّداً لمن يريد أن يفهمها.

فالنخاع والعظم واللحم والأوصال تتكاثف وتنشأ من هذه التراكيب الثانويّة. والدم أيضاً يتولد منها عينها، ولكن على وجه مختلف. وأغلب الأمراض ينشأ على النحو الذي بُيِّن سابقاً. غير أن أخطرها تشتد وطأته على الصورة الآتية.

عندما يجري تحوّل هذه الموادّ (الحيّة) على عكس ما انطبعت عليه، حينئذٍ
d تفسد وتتلف، لأنّ اللحوم والأوصال تتولد بحسب الطبيعة من الدم، فتصدر
الأوصال من المادّة الخيطيّة في الدم، بسبب التجانس بينهما، واللحوم من المادة
المتخثّرة في الدم، حين تَخثُر وتتفصل عن المادة الخيطية. وما يتعصّر من
الأوصال واللحوم، وهو دَسِم ولزج في آن واحد، يُلصِق اللحم بجوهر العظم،
ويغذي العظم ذاته، المحدق بالنخاع وينميه[1]. وأما المادة النازفة خلال كثافة
العظام، فهي أنقى جنس من المثلثات، وأدق جنس وأدسمه، ترشح من العظام
e وتتصبّ في النخاع فتسقيه. وإن جرت الأمور على هذه الأصول، كان معظمها
سليماً صحيحاً. وتدبّ الأمراض حين تجري على عكس ذلك.

(أصل الأخلاط الخاطئة وما تسببه من الأمراض)

فعندما يميع اللحم، ويزجي مائعه إلى العروق، حينئذ يختلط الدم الغزير المتنوع بالهواء، ويتشح في الأوردة والشرايين بضروب من

---

٥٠ - (١) تدل لفظة nevra على الأوصال أو الأطناب، وهي الربط سينِنسمي عند أرسطو، تاريخ الحيوان ٣: ٥. وحسب القرائن يبدو أن كلمة is. inos تدل تارة على العضلات عموماً، وطوراً على القسم الليفي أو الخيطي في الدم. والعنصر اللزج في الدم هو ربما العنصر الناجم عن الليف الدموي أي غلاف العضل، أو هو المادة اللزجة التي تسقي المفاصل.

الألوان والمرارة: أضف إليها الحموضة والملوحة بما لهما من فعاليّات،
ويحتوي صنوفاً من الصفراء والخثارة والنخام أو القيح[٢]. لأن كل هذه
المواد قد صارت إلى حالة تداع وفساد. ومن ثمّةَ، فهي أولاً تقضي على
الدم وتهلكه. وإذ غدت لا توفر للجسم أي غذاء، فهي تتدفع إلى كل أرجائه ٨٣
خلال العروق، غير محافظة قط على نظام دوراتها الطبيعية متعادية فيما
بينها، إذ لا يوفر بعضها لبعض متعة ما، تحارب ما بقي متماسكاً من a
الجسد وعلى حالة جيدة، قائماً في مكانه، فتذيبه وتهلكه. فأعتق قسم من
الجسم إذن يميع. وإذا أمسى صعب التطبيخ أو الاستواء، فهو يسودُّ بفعل
الحماوة المستولية عليه من عهد بعيد. وبسبب تهُّرئه من كل جانب يصبح
مرّاً، وينقضُّ بقسوة على كل جزء من الجسم لم يفسد بعد. وإذ ذاك يتخذ
(اللحم) ذو اللون الأسود الحموضة تارةً بديلة عن المرارة، إذ تكون
عناصر المرّ قد دقت دقة أعظم، وطوراً تعود المرارة وتغوص في الدم، b
وتستمد منه لوناً أكثر احمراراً. وإذا مازجه اللون الأسود، يميل إلى
الاخضرار. وعلاوة على ذلك، قد يختلط اللون الأشقر بالمرارة، عندما
تذيب النار الناجمة عن الالتهاب، لحماً جديداً حديث العهد.

(الصفراء)

وقد سمّيت هذه الأخلاط كلها باسم مشترك هو الصفراء[٣]، أطلقه عليها c
إما بعض الأطباء، وإما حكيم قادر أن يشمل في نظرة أشياء كثيرة متباينة،
وأن يرى فيها كلها جنساً واحداً يستحق هذه التسمية.

---

(٢) تعني كلمة افليغما البلغم أو النخام أو القيح. وهي من الأخلاط الباردة، المضادة للصفراء. راجع الجمهورية ٨: ٥٦٤ B. ونحن نعثر عند تلاميذ هيبكرانس وعند أرسطو علي التعليم عينه.

(٣) إن لفظة خُلي تدل على صنف الصفراء، ما كان منها صفراوياً وما مال الى السواد (٨٢ c و٨٣ c) وأرسطو لا يستعمل الكلمة أبداً في صيغة الجمع.

(أخلاط أخرى العَرَق والبلغم والنُخام وما إليها)

والأخلاط الأخرى التي تدعى ضروباً من الصفراء، كل ضرب منها له حدّ خاص به حسب لونه. أما الخُثارة، فإن صدرت عن مصل الدم(٤)، كانت حلوة المذاق. وإن صدرت عن الصفراء المائلة إلى السود الحامضة، كانت
d خبيثة شرسة، ولاسيما عندما تمازجها بسبب الحرارة قوة الملوحة. ومثل هذا الخليط يدعى البلغم الحامض.

أما الخِلط الناجم عن ميعان لحم حديث طريء داخله الهواء، فهذا الجنس من الأخلاط تمازجه الريح وتلفّه الرطوبة وتخترقه. فتنشأ فقاقيع عن هذا الانفعال، لا تشاهد واحدة فواحدة لضآلتها. ولكن مجموعها يؤلف جرماً منظوراً. وبسبب حدوث الرغوة والزبد، تأخذ هذه الفقاقيع لوناً أبيض في العين. وميوعة اللحم الغضّ هذه كلها، عندما يمازجها الهواء في لُحمتها وسداها، نسميها النخامة البيضاء(٥). ومصل النخام المتركب حديثاً هو العرق والدمع، وما ماثلها من الرطوبات الأخرى جملة، الفائضة يومياً من الأجسام لتطهرها(٦).

الأخلاط مسببة الأمراض:

والحال أن هذه الأخلاط هي وسائل للأمراض، عندما لا يُغذّى الدم، كما تريد الطبيعة ذلك، بالأطعمة والمشروبات، ولكن عندما تزداد كميته حسب

---

(٤) لفظة إخوْر تعني القسم الأبيض المائع من الدم، وتعني، من باب التوسع، الجزء السائل من كل خلط أو الخثارة، وعند أرسطو هي قسم من الدم له شكل الماء، راجع تأريخ الحيوان ٢: ٤: ٦٥١ a ١٧.

(٥) إن عبارة لفكون افليفما، النخامة البيضاء تعني رغوة مادة بلغمية مازجها الهواء وكون فيها حباباً وفقاقيع. والعبارة مأنوسة لدى الأطباء المنتمين إلى المدرسة الهِبكراتيّة.

(٦) لفظة opos أو بالأحرى oppos تعني مصل النخام أو أي خلط آخر عندما تنفصل عنه المادة اللزجة الدهنية. كذلك يميزون في الحليب المصل opos والمادة الجينية pylia (راجع لأرسطو تاريخ الحيوان) ٣: ٢: ٥٢١ b ٧٢.

القواعد التي تتعارض مع قواعد الطبيعة. ولكن عندما تضرب الأمراض اللحم برمته، دون المساس بقواعده الأصلية، لا تغدو قوة الأعراض المرضية إلا نصف هائجة. ذلك أن كل شيء يمكنه حينئذٍ أن يصلح.

٨٤ (المرضان الأوليان الخطيران):

ولكن عندما يعتل الرابط بين كتلة اللحم والعظام[٣]، وعندما يكف الفاصل بين الألياف والأوتار عن تغذية العظام وعن ربط العظام باللحم، إذا انكشط الدسِم والأملس والدهني وإذا امتلأ بالملح بسبب التغذية السيئة، عندئذٍ تبدأ مادة هذا
b التحول كلّها بالتفسّد تحت اللحم والأوتار، وتتفصل عن العظام. وهكذا ينفصل اللحم عن جذوره، فيترك الأوتار عارية ومليئة بنقيع الملح[٤]، فيسقط اللحم في مجرى الدم ويغدو يضاعف عدد الأمراض المنكورة آنفاً. وهذه هي علل جسدية شديدة الخطورة. ولكن العلل التي سبقتها هي أشد خطورة منها. فعندما يكون اللحم كثيفاً، إذا لم يستطع المرء أن يتنفس تنفساً كافياً، فإنه يسخن أثناء تعفنه، وإذا تفتّت وتفسخ وصب مادته في هذه العصارة، بدل أن يستقبل عصارة الدم المغذية وأن يصبّ مادته فيها، عندئذٍ تذهب هذه العصارة في اللحم، وعندما هذا اللحم ينصبّ في الدم، عندئذٍ يسبب جميع الأمراض الأكثر خطورة من الأمراض المنكورة آنفاً[١]. وفي المقام الأخير، عندما تعتل مادة النخاع بالذات، من جراء بعض النقص أو الزيادة، فإنها تسبب أخطر الأمراض التي تؤدي أساساً إلى الموت. عندئذٍ تتلاشى مادة الجسد كلها بالضرورة.

---

(٣) ظن أفلاطون أن اللحم يلتصق بالعظام بواسطة مادة لزجة تشبه فضلات الدم المتخثرة.

(٤) حول آلية هذه الأمراض المختلفة راجع الحاشية المدرجة في ص ١١٠ وما يليها.

(١) لا بد أنه يقصد بعض الأمراض كتسوّس العظام أو السرطان، ولم يذكر آنفاً تنفس العظام هذا.

(الفئة الثالثة للأمراض):

ثمة فئة ثالثة من الأمراض، ويجب تصورها كما لو نجمت عن أسباب
d ثلاثة: السبب الأول هو الهواء، والثاني هو النُخامة، والثالث هو الصفراء.

(الأمراض التي يسببها الهواء):

في المقام الأول عندما تنسدّ مجاري الرئة التي توزع الهواء في الجسم، بفعل الرشوحات، فلا يعود نسيم التنفس يسري من هنا وينساب من هناك أكثر مما يلزم، عندئذ يفسد ما لا يحظى من أجزاء الجسم بالانشراح والبرودة، ويضغط على بعض العروق ويخترقها ويلويها، ويذيب الجسم ويبلغ إلى
e وسطه، ويستولي على الغشاء الحاجز(٤) وينحشر فيه.

وبسبب من جَرَّاء هذه الأخطاء كلها، طائفة عظمى من الأمراض الأليمة يصحبها غالباً عرق غزير جداً، ويحدث مراراً أن يتحلل اللحم في الجسم ويتفكك. وحين يلج إليه الهواء، ولا يستطيع أن يسري إلى الخارج، يولد له آلاماً هي ذات الآلام السابقة. ويولّد الهواء أعظم الآلام، عندما يحدق بالأوصال، وبما يجاورها من عروق ويورمها(٥). فيجذب هكذا إلى الوراء الأوصال المتصلة بالعضلات القابلة الامتداد، وبواسطتها يسحب أيضاً العضلات بالذات.

(مرض التتِنس ومرض التتَنس الخَلفيّ)

٨٥ وقد أطلق على هذه الأمراض، بسبب انفعال التشنّج، اسما تيِتني أي
a أمراض التشنّج وابسْثوتُيني أي تشنج الأعضاء والتواؤها إلى خلف، وعلاج

---

(٤) لم يبد من سياق الكلام سابقاً، أن الرئة تقوم بهذه الوظيفة العضوية، عندما وصف أفلاطون (٧٠ d) تركيبها. وفي الحديث عن نظرية التنفس (٧٩ a وما يلي) لم يذكر الرئة أيضاً. وربما يشار هنا إلى الاحتقان الرئوي على أنواعه، وإلى التهابات الرئة.

(٥) إن التتنس، والكلمة يونانية، أي تشنج الأعصاب، مرض وصفته بتفصيل كتب المدرسة الهبكراتية.

هذه الأمراض شاقَ، غير أن الصخونات أو الحميّات، خصوصاً عندما تنتاب العليل في مثل هذه الأحوال، تلين الأعضاء وتقضي على الداء.

٢ ً (الأمراض الناجمة عن البلغم أو النُخام)

أما النخامة البيضاء فهي صعبة وشاقّة، بسبب الهواء المحتجز في الفقاقيع أو الحَبَب. ولكن إذا لقي الهواء منافس إلى الخارج غدت النخامة (أو العلة الناشئة عنها) أخفّ وطأة وأهون، إلا أنها تلطّخ الجسم بلطخات بيضاء، وتولّد أمراضاً مجانسة لهذه.

b والنخامة البيضاء إذا اختلطت بالصفراء الضاربة إلى السود، وامتزجت بالدورات الإلهيّة جدّاً، القائمة في الرأس، شوّشت نظامها، وان دهمت العليل وقت السبات، فهي الطف وأهون، وان انتابت المرضى وهم صاحون، صعب التخلص منها؛ وإذ كانت هذه العاهة ذات طبيعة مقدسة سريّة، دُعيت بكلّ حقٍ المرض المقدس(٦).

والنخامة الحادّة الحامضة والمالحة هي منبع جميع الأمراض الرشحيّة وبما أن مواضع الجسم التي تسيل إليها، متنوعة جدّاً، فقد اتخذت أسماء متنوعة جدّاً.

٣ ً (الأمراض الناجمة عن الصفراء: الحبوب والبثور).

أمّا الأمراض التي يُقال إنها تحدث في الجسم التهابات، وذلك بفعل احراقها والهابها، فهي تنشأ جميعها بسبب الصفراء.

c فالصفراء إذن تأخذ لنفسها منفساً إلى الخارج، وتبعث في غليانها بثوراً من كل نوع.

---

(٦) إن المرض المقدس أو مرض الصرع عرفه أقدم أطباء اليونان ووصفوه. (راجع هروذتس ٣: ٣٣ وهبكراتس ٢٩١ Aer). وأفلاطون يلمح إلى هذا الداء في الشرائع ١١: ٩١٦ a.

(الالتهابات الداخلية)

ولكنّها إذا حُشرت في داخل الجسم، تُحدث فيه أمراًَ كثيرة التهابية محرقة، ويحصل أعظم تلك الأمراض، عندما تمتزج بدم نقيّ، وتحوّل جنس الألياف عن تركيبه الخاصّ.

(وظيفة الألياف الدمويّة)

وهذه الألياف قد وُزعت في الدم ليحتفظ بالدقّة والميوعة من جهة، وبالكثافة من جهة أخرى في تعادلٍ وتوازن، ولا يسيل من مسامّ الجسم
لميوعته بسبب الحرارة، ولا يعسر عليه أن يدور في العروق، لتثاقل حركته d
إن كان مفرط الكثافة. فألياف الدم بتركيب طبيعتها، تحافظ على تعادل هذه المزايا. وهذه الألياف، إن جمعها أحد حتى من دم ميتٍ وفي حالة برودة، يسيل الدم الباقي بجملته، ولكن ان تركها المرء على حالها، فهي تجمّد الدم سريعاً بفعل البرودة المحدقة به.

(فعل الصفراء في الالتهابات)

وإذ كان للألياف هذه الفعاليّة في الدم، وكانت الصفراء بطبيعتها دماً عتيقاً، يعود ويذوب من اللحوم لينصبّ في الدم، فهي أوّلاً تتجمّد إن وقعت في
الدم دافئة رطبة وبمقدار زهيد، بسبب فعالية الألياف، وإذا جمدت وأطفئت e
بعنف، ولدت داخل الجسم برودة وارتجافاً.

ولكن إذا تدفَّقت الصفراء في الدم غزيرة، تقمع الألياف بحرارتها ودفئها. وعندما تفوّرها تهزّها بعنفٍ وتسبب لها الاضطراب. وإن غدت قادرة على قمع الألياف إلى النهاية، تجتاز إلى صنف النخاع، وتحل ربط الروح من هناك، كما تحل ربط سفينة، وتدع الروح حرّةً طليقة.

أما إذا كانت الصفراء ذات كمية أقل. وقاوم الجسم الذوبان، فهي تتغلب
٨٦ عندئذ على أمرها. وإما أن تغادر الجسم من جميع مسامه، وإما أن تحشر
a خلال العروق إلى أسفل الجوف أو إلى أعلاه، فتتبذ من الجسم، كما ينبذ
المنفيون المشردون من دولة ثائرة، وتحدث عندئذ الإسهال والزحار وجميع
الأمراض المماثلة.

(الحمّى)

وهكذا إن كان الجسم مريضاً، خصوصاً من تفاقم النار فيه، فهو يحدث الاحتراقات المتواصلة والحميَّات(٧). وإن مرض بتفاقم الهواء فيه، أحدث الحميَّات اليوميّة. وإن نتج مرضه عن تفاقم الماء، أحدث الحميَّات الثلاثية، لأن الماء أبطأ من الهواء والنار. أما المرض الصادر عن التراب، فهو يحدث الحميَّات الرباعية، ولا يتخلَّص المرء منه إلا بالجهد، لأنّ التراب يأتي في الدرجة الرابعة وهو أبطأ هذه العناصر كلها.

---

(٧) إن لفظة pirétos الدالة على الحميات، هي لفظة عتيقة (راجع أرِسْتُفانِس السراميني، ١٠٣٨، ثم لأفلاطون، فيِذْرِسُ ١٠٥ c، وثيئيْتِتُس ١٧٨ c).

الفصل الثاني والخمسون

أمراض النفس

b إن أمراض الجسد تحدث وفقاً لما بيّنا أعلاه. وأمّا أمراض النفس فهي تجري على النحو التالي، طبقاً لاستعداد الجسد.

ولابدّ أن نسلّم أنّ اعتلال الروح هو اختلال العقل(١). وللاختلال ضربان، أحدهما الجنون والآخر الجهل. ومن ثمّةَ، أيّة إصابة عاناها المرء من هاتين العلّتين، لا بدّ أن نسمّيها مرضاً. وكذلك الملّذات والآلام المفرطة، يجب أن نحسبها من أخطر أمراض النفس، لأنّ الإنسان سواء استفزّه الفرح،
c أم عانى عكس هذا الشعور بسبب الألم، يتعجّل اختيار هذا الشيء في غير حينه، أو رذلِ ذاك في غير أوانه، ولا يستطيع أن يرى أو يسمع شيئاً ممّا يقوّم أموره. لا بل يثور ثائره ويهتاج جداً، ويغدو حينئذٍ عاجزاً كلّ العجز عن التعقّل، وبعيداً عن المنطق وعن إعمال الرويّة.

---

٥٢ - (١) يعثر على نفس التعبير في كتاب الشرائع ٣: ٦٩١ c أي «أعظم مرض هو اختلال العقل». هذا، وإن العبارة السقراطيّة «ليس المرء شريراً بإرادته»، نجدها مراراً في الحوارات. مثلاً في ابْرُتَغُوْرَس ٣٤٥ de. وحوار غُرْغِيَّس ٤٨٠ يتوسّع في النظريّة القائلة، بأن الرذائل ليست سوى أمراض. ويعمد إلى تعابير يستعيرها من المعجم الطبي: hypoulos ما ليس له سوى ظاهر الصحّة والعافية، kai aniatos ولا يقبل الشفاء. أمّا في حوارنا هذا، فالنظرية مدعومة باعتبارات دقيقةٍ مستمدّة من علم الحياة.

ومن غزر مناه وتدفّق حول النخاع، وشابه دوحة وافرة الثمار جدّاً نمت
وترعرعت وكثر جناها، وتجاوزت فيه الاعتدال، حصل هو أيضاً في كلّ أمر
على أتراح متواترة، وجنى من رغباته وثمرات الرغبات ملذّاتٍ وافرة. وإذ
d يُصاب بمسّ من الجنون في أطول فترة من عمره، بسبب الملذّات العظمى
والأتراح القصوى، يحتجز روحَه، في الجسدِ وبواسطة الجسد، عليلةً معتوهة.

(ليس الأشرار سوى مرضى)

ومثل هذا لا يحسب عليلاً، وإنما شريراً عن رضى وتعمّد. أمّا الحقيقة
فهي أن انزلاقه إلى الشهوات البدنيّة متأتٍّ، في قسطه الأعظم، من استعداد
عنصرٍ واحد، ينضح في الجسد رطوبته، خلال مسامّ العظام وفجواته. ويصير
هذا الاستعداد مرضاً في النفس. وكذلك القول تقريباً عن كلّ ما يُعدّ إفراطاً في
e الملذّات، وما يُنسب إلى الأشرار من عارٍ على أنهم متعمّدون شرَّهم.
فتعبيرهم هذا ليس بصائب. إذ لا يكون أحد شريراً بطوعه، وإنما الشرير
يصير شريراً بسبب استعداد فاسدٍ في جسمه، وتربيةٍ بلا تهذيب. وهذان
الأمران بغيضان إلى كلّ إنسان، ويلزمانه على كرهٍ منه.

(أصل الأهواء والميول المنحرفة)

هذا، وإنّ النفس تعاني شراً عظيماً عن طريق الجسم، من قبل الأتراح
٨٧ والأوجاع. فإن كانت الأخلاط الناجمة عن النُخام حامضةً في المرء ومالحة،
a وتاهت في الجسم مع كلّ ما فيه من رطوبات أو سوائل مرّة وصفراوية، ولم
تجدْ لها منفذاً إلى الخارج، وأدارت أبخرتها في الجسد مع دورة الروح
واختلطت وامتزجت بها، فهي تُحدث أمراض النفس المتنوّعة. وهذه
الأمراض تشتدّ وطأتها أو تضعف، ويزداد عددها أو ينقص، وتتدفع تلك
الأخلاط إلى مواقع الروح الثلاثة، كلّ منها إلى الموقع الذي يدهمه، ويزخرف

فيه ضروباً متنوّعة من الاستياء وحدّة الطبع ومن التخاذل والانهيار، أو من
b الجرأة والتهوّر ومن الخوف والجبن. وأيضاً من النسيان يرافقه البطء في
الحفظ وبلادة الفهم والفكر.

(نتائج التربية والحياة الاجتماعيّة)

أضف إلى ما تقدّم الاعتبارات التالية: عندما لا يكون لمثل هؤلاء الناس
الذين ترعرعوا على سجيّة فاسدة، كما ذكرنا، سوى سياسات شريرة؛ ولا
يَقرع مسامعهم في دولهم إن كان في الندوات العامة أو في الاجتماعات
الخاصّة إلاّ أقوال قبيحة؛ وفضلاً عن ذلك عندما لا يتعلّمون منذ حداثتهم أيّ
تعليم يشفيهم من أدوائهم، فهؤلاء جميعهم يغدون أشراراً، - وكلٌّ واحدٍ منّا –
بسبب علّتين قاهرتين ليس لنا فيهما أيّ ضلع. وإن وجب أن نشكو فيهما
c أحداً، فأولى بنا أن نشكو الأهلين من أن نشكو أولادهم، وأولى أن
نجرّم المهذّبين من أن نجرّم طلاّبهم وتلاميذهم. ولابدّ أن يسعى المرء
جهد المستطاع بالتهذيب والعلوم الملائمة أن يتجنّب الشرّ ويختار الخيرَ
المعاكس له.

ولكن هذه الاعتبارات هي موضوع دراسة آخر.

الفصل الثالث والخمسون

مبدأ الطب الجسماني والنفساني.
التعادل بين الروح والجسد

إنّ الموضوع الذي يتجاوب مع الموضوع السابق، هو أمر العناية بالأجساد والأرواح، والبحث عن الوسائل الكفيلة بحفظ هذه وتلك سليمةً صحيحة. فالآن يجدر بنا ويليق أن نقابل ذلك البحث بالبحث الحاضر. إذ العدل يفرض علينا أن نتكلّم عن الأمور الصالحة وأن نفضّلها في حديثنا على الشريرة.

وعليه نقول إن كلّ خير بهي. والبهاء والجمال هو الاعتدال. وإذ فُرض
أن يكون الكائن الحيّ صالحاً وجميلاً، فلابدّ أن نعتبره من ثمة معتدلاً. d
والصغيرة من المعادلات نشعر بها ونفكر بها وندركها. أما أخطر المعادلات وأعظم النِسَب، فنحن لا نقف منها موقف التفكير والمنطق.

فبالنظر إلى حالات العافية والمرض، وحالات الفضيلة والرذيلة، ليس من تعادل أو إخلال بالتوازن أعظم وأخطر من التعادل أو عدمه فيما بينها، اللهمّ إذا استثنينا التعادل بين الروح بالذات والجسد بالذات والتوازن بينهما، وهذه المعادلات والنسب لا نبحث عنها ولا نفكّر بها. ولا نفقه أن الكائن الحيّ برمّته لا يكون بهيّاً جميلاً، إذا حوت نفس قديرة وعظيمة على كل صعيد

صورة بشريّة هزيلة ومنحطة، أو إذا بُني هذان الجوهران على عكس ذلك،
e لأنّ الكائن الحيّ يكون متشوّشاً خالياً من أعظم النسب والمعادلات. وأمّا الكائن الحيّ الحاصل عليها، في الحالة المعاكسة، فهو لمن يستطيع أن يشاهده أبهى المشاهد على الإطلاق وأجدرها بتعشّقنا.

(تشبيه لايضاح الفكر)

ومثال ذلك جسم طالت ساقاه بإفراط، أو احرز ضخامة أخرى في أحد أعضائه. فهذا الجسم قبيح بالإضافة إلى اختلال التوازن فيه. وهو في مشاركته الروح أعباءَها، يعاني متاعب جمّة، واختلاجات كثيرة. وبسبب تقلقله وتهاديه يتعثّر مراراً ويهوي على الحضيض، ويسبّب لذاته أسواءً لا تُحصى.

٨٨ فلابدّ إذن أن ندرك أنّ المساوئ عينها تقع أيضاً للمركّب من جوهرين،
a وهو ما ندعوه الكائن الحيّ. فحين تكون النفس فيه أقوى من الجسد، فهي تتولى أمره بحدّة، وتهزّه بجملته هزاً عنيفاً من الداخل، وتوعبه عِللاً. وعندما تزاول باستمرار بعض الدراسات والمباحث فهي تذيبه. وتتصرف إلى القاء الدروس، وإلى المعارك الكلاميّة والخطابية في الندوات العامّة. وفي المجالس الخاصّة تلهبه بالخصومات والطموح وحبّ المنافسة وتضعضعه وتركضه بالإسهال وتجلب له الرشوحات وتخدع العدد الأوفر ممّن يُدعون أطباء، وتحملهم على عزو هذه الأعراض والأمراض إلى أسباب لا دخل لها في تلك الحالات. هذا من جهة.

b ومن جهة أخرى، قد يكون الجسد ضخماً ويفوق الروح بكثير ويُغرس مع ذهنٍ صغير وهزيل. وإذ نشأ في الناس بالطبع رغبتان اثنتان، رغبة تجاري الجسد هي رغبة الغذاء، ورغبة تماشي ما هو أوفر ألوهة فينا، هي

رغبة الفهم والإدراك، فإن حركات الجوهر الأقوى تتغلّب وتنمي ما يخصّها. أمّا العقل المنتمي إلى الروح، فتجعله طائشاً لا يقبل لعلم ولا ذاكرة له. وتولّد له هكذا أبهظ الأدواء وأخطرها، ألا وهو الجهل.

(العلاج هو العناية بالجسم والروح معاً)

c وهناك خلاص وسلامة واحدة للاثنين. وذلك بأن لا يُحرّك المرء الروح دون الجسد، وأن لا يحرّك الجسد دون الروح. كي يكون الاثنان في حرزٍ متكافئين متوازنين، وفي صحة جيّدة. فعلى العالم الرياضيّ، وعلى كلّ من يتعاطى أية دراسة أو أي نشاط عقليّ مجهد، أن يوفّي الجسد قسطه من الحركة، وأن يمارس الرياضة البدنيّة. ثم على من ينصرف إلى الهواية الرياضيّة الجسمانية، أن يوفّي الروح قسطها من الحركات، وأن يعمد لذلك إلى الموسيقى، وكلّ ضرب من الفلسفة والحكمة. اللهمّ، إن رغب المرء بحقٍ أن يدعى ويعدّ بصواب جميلاً صالحاً في آن واحد(١).

(ضرورة التمارين الرياضية الموقَّعة)

d فعلى المرء أن يعتني بالروح والجسد وبأقسامها، طِبقاً لهذه المبادئ عينها مقتدياً في ذلك بجوهر «الكل» وصورة العالم بأسره.

فالجسم يحترق ويبرد بفعل العناصر الوالجة إلى داخله. كما أنه يجفّ ويتندّى بفعل العناصر الخارجية المحدقة به ويتحمّل ما ينتج عن هذه الانفعالات بفعل الحركتين الداخليّة منهما والخارجيّة. فعندما يُسلم المرء جسمه إلى حركات رياضيّة، بعد أن يكون ذاك الجسم وادعاً مستسلماً إلى

---

(١) المألوف في هذه العبارة اليونانيّة أن يرد الوصفان فيها معطوفين بأداتي العطف té kai. ولذا استغرب ريفو تركيبها في هذا النصّ. راجع ابْرُتغُورَس ٣١٥ الجمهورية ٣: ٤٠١ e وثِئِيْتِتُسْ ١٨٥ e.

الهدوء، يغلب الجسم على أمره ويهلك. ولكن إن اقتدى المرء بمن دعوناها
e مربيّة العالم وحاضنته، ولم يَدَع قطّ جسمه يستسلم إلى السكينة في حالٍ من الأحوال. بل راح دوماً يحرّكه ويثير فيه بعض الاهتزازات، فهو يحميه بلا انقطاع على وجهٍ طبيعيّ ويدفع عنه الحركات الثائرة عليه من الداخل ومن الخارج. وإذ يهزّ الجسم باعتدال ينظّم عوامل الانفعالات الجائلة حول الجسم، وينظّم أعضاء الجسد المنفعلة بها حسب تجانسها، ويرتّب صلاتها بعضها ببعض، طبقاً للبحث الذي بسطناه سابقاً وتناولنا فيه طبيعة العالم. وعلى هذا النحو، لا يضع عدداً بإزاء عدد، ولا يسمح للعوامل أن تولّد في الجسم حروباً وأمراضاً. بل يجعل صديقاً بجوار صديق، ويوفّر العافية ويعمل على صيانتها.

٨٩ ومن الحركات الرياضيّة، أفضلها هي الحركة الجارية في الجسم
a والمنبعثة عنه. وهي أوفر الحركات مجانسة للحركة العقلية الروحيّة، ولحركة الكل أو العالم بأسره. أما الحركة الصادرة عن آخر فهي دون تلك. وأحطّ الحركات جميعها هي التي تصدر عن الغير، وتحرّك الجسم وهو مستلقٍ ومستسلم إلى الراحة والسكينة.

ومن ثمَّة، أفضل تطهيرٍ وتنشيط للجسم، هو التطهير والتنشيط الناتج عن التمارين الرياضية والتطهير والتنشيط الآتي في الدرجة الثانية، هو الصادر عن استنشاق الهواء في الزوارق والمراكب، أو في أية أداة نقلٍ غير متعبة.

(المعالجة الطبيّة بالذات)

b والصنف الثالث من الحركة قد يفيد، إذا اضطُرّ المرء إليه غاية الاضطرار. وإلاّ فيجب أن لا يقبله على الإطلاق كل امرئ حصيف مدرك. وهذا الصنف هو الصنف الطبيّ الذي يعمد إلى التطهير (والتنشيط) بواسطة

العقاقير الصيدليّة. إذ يجب أن لا نهيّج بالعقاقير، الأمراض الطفيفة التي لا خطورة لها. لأنّ قوام الأمراض يشبه من بعض الوجوه طبيعة الكائنات الحية.

لأن لقاء (العناصر والجواهر) في هذه الكائنات الحيّة، في كل صنف أو جنسٍ من أجناسها برمتّه، يَحدث وله أزمنة من العمر معيَّنة منظمة، وطبقاً
لهذا النظام يُغرس كلّ كائن حيّ، وينشأ وله عمر تحدّده له الحتميّة أو القدر، c
إلا في الحالات أو الطوارئ التي تفرضها الضرورة[٢]، لأن المثلّثات في كلّ كائنٍ حيّ تُركَّب حالاً ومنذ البداية، ولها قدرة معيّنة. فهي إذن قادرة أن تفي بمهمَّتها إلى فترة زمنيّة محدودة، لا يستطيع أحد أن يتجاوزها أبداً ولا أن يعيش من بعدها.

وهذا النحو عينه يتحقَّق في قوام الأدواء والأمراض وفي طبيعتها التي تتألّف منها. فإن اخلّ أحد بهذه الطبيعة وأفسدها بالعقاقير، وخالف الفترة الزمنيّة المحدّدة لها حتماً، (لنشوئها وتقلّصها وزوالها)، فهو يودّ أن تتحوّل الأمراض الزهيدة القليلة إلى أمراض خطيرةٍ وكثيرة. ومن ثمّةَ يجب على
المرء بقدر ما تسمح له أوقات فراغه، أن يتدبّر ويوجّه مثل هذه الأدواء جملةً d
بالحماية ونظام المعيشة، لا أن يُثيرها ويهيّجها معالجاً إيّاها بالأدوية والعقاقير الصيدليّة.

---

(٢) نجد نظرية مماثلة معروضة في المسائل المتحولة المنسوبة إلى أرسطو (٦:١: ٨٥٩ b ١٢). إن الاعتقاد القائل بأن كل داء يتطور تطوراً منتظماً، في فترة زمنية محدودة، هو أحد مبادئ الطب في المدرسة الهِبكُرْاتيّة.

الفصل الرابع والخمسون

ضرورة ترويض الأرواح الثلاث معاً

فليكن كلامنا على النحو السابق، بشأن الكائن السابق، بشأن الكائن الحيّ المشترك (في جوهرين)، وبشأن قسمه الجسديّ، كيف يستطيع المرء أن يهذِّبه ويوجهه التوجيه الصحيح، أو كيف يتوجه طبقاً لطبيعة هذا القسم، حتى يحيا حياة تناسب العقل.

e أم القسم المفروض فيه أن يهذّب ويقود ويوجِّه، فالأولى أن يعتني به أولاً جهد المستطاع، ليغدو في غاية الجمال والفضل، ويؤهَّل هكذا لتهذيب جوهر الجسد وقيادته وتوجيهه. والتبسّط في هذه المواضيع كافٍ وحده في حدّ ذاته، ليكون عملاً فكريّاً مستقلاً قائماً بذاته. ولكن إن تتّبعها المرء، حسب المبادئ السابقة، كعمل إضافي هامشي، وبحث فيها على هذا الوجه وختم هكذا المقال الحاضر، فلا يكون قد حاد عن منهجه وقصده.

لقد قلنا ورددنا مراراً، أن للروح ثلاثة أنواعٍ، وأن هذه الأنواع قد حلّت وسكنت فينا في ثلاثة أقسام، وأنّ كلّ نوع أو جنسٍ منها قد لقي حركاته.
٩٠ وعليه لابدّ من القول الآن أيضاً بأقصى الإيجاز، أن كلّ نوع من هذه الأنواع
a يعيش في البطالة ولا يُزاول حركاته الذاتيَّة ليخلد بعدها إلى السكينة يُمسي بحكم الضرورة ضعيفاً هزيلاً جداً. أمّا النوع المنصرف إلى رياضاته

الخاصة، فيصير في غاية القوّة، ولذا لابدّ أن يحرص المرء على أن تنال هذه الأقسام من الروح، حركات متوازنة متعادلة فيما بينها.

(الروح العاقلة ومنزلتها السامية)

وبشأن أسمى أنواع الروح فينا، يجب أن نفكر التفكير التالي، وهو أن الله قد أعطى كلاً منا هذا القسم من الروح بمثابة رب وملاك إلهي. وهو الذي نقول عنه إنه يسكن القمة من جسدنا، وإنه يرفعنا عن الأرض لقرابتنا بالسماء ومجانستنا لها. ونحن نؤكد بمنتهى الصواب والصحة أننا أغراس سماوية، لا
b نبتاتٍ أرضية، لأن الألوهة قد قوّمت جسم كل إنسان، ووجّهته إلى ذلك الصوب، حيث لقيت الروح ولادتها الأولى، وعلّقت هامتنا وجذورنا بذاك الاتجاه(١).

(كيف تشركنا تلك الروح بالخلود)

فمن ينهمك إذن في الشهوات والمطامع، ويتعب ويضنى بإفراط من أجلها، تتحول أفكاره جميعاً حتماً إلى أفكار مائتة، وتصير قدر ما يمكن، من كل الوجوه أفكار مائت، إذ لا يقصر عن المائت ولو بشيء زهيد، لأنه أنمى في ذاته ما يماثل المائت(٢). أما الذي يغار على حب المعرفة، ويجتهد

---

٥٤ - (١) لقد أبدي برغسون وغودري Bergson et Gaudry اعتبارات تداني هذه الاعتبارات في جوهرها.

(٢) يُستنتج من هذا النص ليس فقط أقسام الروح ليست كلها خالدة، ولكن أن في الخلود أيضاً درجات. راجع اسبنوزا، الأخلاق، الباب الخامس. ففي ذلك المقام يبسط هذا الفيلسوف نفس الفكرة. (انتهى).

ولكن يبدو لي أن أفلاطون لا يقول تماماً هذا القول. لا بل يقول عكسه صراحة في المقاطع ٤١ و ٤٢ b c d و ٤٣ a. فالروح العاقلة قد أبدعها الله إذن خالدة. ولكنها إن انهمكت في أهواء الجسد وميوله المنحرفة ومفاسد أطماعه، غدت وكأنها مائتة لأن أفكارها تمسي أفكار مائت – وهذا بالذات ما يقوله أفلاطون في نصنا الحاضر – وفي ما يلي ٩٠ e و d٩١ الخ. يعود الفيلسوف ويؤكد نظرية التقمص أو الولادات المتعاقبة، حتى يرجع الإنسان إلى صفاء أصله ومبادئه عندئذ بالخلود والسعادة التامة. (المعرّب)

لتحصيل أفكار صوابية صحيحة، ويروّض من مواهبه خصوصاً موهبة
c إدراك الأمور الخالدة والإلهية، فهذا الإنسان إنْ بلغ الحقيقة، لابد أن ينال الخلود بمقدار ما يمكن الطبيعة البشرية أن تحظى به، وأن لا يفوته منه شيء. هذا، ومن جهة ثانية، بما أنه يخدم الألوهة دوماً ويتعبّد لها، وبما أنه يحفظ الرب أو الملاك الساكن فيه بهيّاً مزداناً، فمثل هذا الإنسان يكون حتماً في غبطة فائقة.

أما العناية بأي شيء ومن قبل كلّ إنسان فقوامها واحد، وهو أن يُعطى كل جوهر قسطه الملائم من الحركة والغذاء. والحركات المجانسة للجوهر
d الإلهي فينا، هي أفكار «الكل» ودوران أفلاكه. فيجب على كل امرئ أن يتتبّعها، وأن يصلح دورات روحنا الفاسدة في رأسه، والمتعلقة بالمصير، وذلك باطلاعه على ائتلاف العالم وعلى دوران أفلاكه، ويجعل فهمه مماثلاً للمفهوم، طبقاً لطبيعته القويمة الأساسية. وإذا ماثل المفهوم، بلغ أخيراً إلى الحياة المثلى والفضلى، التي عرضها الآلهة على البشر، لحاضر زمنهم ومستقبله.

الفصل الخامس والخمسون

التقمص وأصل الحيوانات

والآن يبدو لنا أن ما كُلفنا عرضه في البدء والتبسط فيه، عن «الكل» أو العالم برمته حتى مولد البشرية ونشأتها، قد أشرف على الانتهاء. إذ لابد أن نذكر بكلمات وجيزات كيف نشأت الكائنات الأخرى، ولا ضرورة للإطالة في الموضوع، إذ يبدو للمرء هكذا أوفر اتزاناً واعتدالاً، في هذه المقالات الدائرة حول المواضيع التي تناولناها بالبحث. فلْيُعرض إذن الموضوع الحاضر على النحو التالي: e

١ - (أصل جنس الإناث)

إن كل الرجال الجبناء الرعاديد ممن جبلوا وكُوّنوا (في البدء) وقضوا ٩١
عمرهم في الإثم، عادوا في الولادة الثانية، وصاروا نساء حسب المنطق a
المحتمل المعقول. وفي تلك الفترة من الزمن بالضبط ولهذه الأسباب، خلق الآلهة وهندسوا حبّ المجامعة. وركّبوا فينا لذلك كائناً حيّاً ذا روح، وفي النساء كائناً آخر مماثلاً، وضعوا كلا منهما على الطريقة التالية.

(حبّ الجماع وأصله: الزرع البشريّ)

لقد ثقب الآلهة مخرج الشراب فينا، الذي به يمرّ المشروب، بعد اجتيازه الرئة، منساباً تحت الكلاوي إلى المثانة. وهذه تستقبله فيضغطه

الهواء، فتدفعه هي بمؤازرة هذا الضغط إلى الخارج. هذا المخرج إذن تثقبه
b الآلهة، لينفذ إلى النخاع المتكاثف، المنحدر من الرأس إلى العمود الفقاري، بعد
مروره بالرقبة. وهذا النخاع هو الذي دعوناه في مقالاتنا السابقة مني أو زرعاً.

فهذا النخاع، لأنه ذو روح حيّة، وقابل للاستنشاق، يؤتي العضو الذي يستنشق منه، الرغبّة الحيويّة في الفيضان، ويُخلّف هكذا حبَّ التوالد. ولذا نشأ الكائن الحيّ، الساهر في الرجال على طبيعة الأعضاء التناسليّة المكرّمة، متمرّداً منفرداً بحكمه، نظيرَ حيوان لا يفهم نواهي العقل ولا ينقاد لها، بل
c يسعى ويحاول بشهواته المهتاجة الجامحة أن يسيطر على الجميع.

(الرحِم وطبيعته: الرغبة الملحّة في الولادة)

وما يدعى عند النساء مهبلاً ورحماً، هو من هذه النواحي على الوضع عينه، وفيه يقيم كائن حي يطمح إلى إيلاد البنين. فعندما يبقى هذا الكائن بعد أوان المراهقة زمناً طويلاً، عاقراً بلا ثمار، يثور ساخطاً بشدة ويحتدم غيظاً فيجول في أرجاء الجسد كلّه، ويسدّ مجاري التنفّس ومخارجه. وحين لا يسمح باستنشاق الهواء، يزجّ بالجسم في أقصى المحن والضيق، ويولّد له أمراضاً وأدواء أخرى في غاية التنوّع(١).

وتدوم الحال على هذا المنوال، إلى أن يتلاقى حبّ الرجال وشوق
d النساء، فيتجامعان ويجنيان الثمر، وكأنه عن الشجر. ويزرعان في المهبل
كأنما في أخدود، كائنات حيّة لا ترى لصغر حجمها، غير متصوّرة بعد. ثم
يميّزان أعضاءها بعضها من بعض، ويغذيانها داخل الرحم، إلى أن تنمو

---

٥٥ - (١) هذه النظريّة، المتعلّقة بأخطار عقر المرأة، هي شائعة مدرسيّة في الطب اليوناني. وزعم أرسطو أن الرحم إذا بقيت فارغة تستطيع أن تصعد في الجسم وتخنق المرأة العاقر (مولد الحيوانات ١١:١، ٧١٩ a ٢١)، راجع غالِيُنس ٨:٤٢٥ - ١٦:١٧٩.

وتترعرع. وعقب تلك المدّة، يسوقانها إلى النور، وينجزان هكذا مولد كائنات حيّة تامة[١].

٢ - (أصل الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها).

١ - الطيور

على هذا النحو إذن نشأت النساء، وكلّ جنس الإناث، أما طائفة الطيور e
فقد تطورّت قليلاً، وأنبتت لها ريشاً وأجنحة بدل الشعر، وانحدرت هكذا من
رجالٍ لا طالحين ولا صالحين، وإنما خفاف الرؤوس، ينصرفون إلى الكلام
عن الأحداث الجويّة العلويّة، ويعتقدون بعد ذلك لسذاجتهم، أن البراهين التي
تدعم هذه الأمور بناء على معطيات البصر هي أرسخ البراهين[٢].

٢ - الدواب

أمّا صنف البهائم التي تدبّ على الأرض، وصنف الوحوش الضارية، فقد انحدر كلّ منها عن أناس لا يتعاطون الفلسفة أبداً، ولا يتأمّلون بطبيعة الفَلَك في شيء من الأشياء، لأنهم انقطعوا عن استعمال الدورات الإلهية السائرة في رؤوسهم، واتبعوا أقسام الروح المتسلّطة ولآمرة في الصدر.

فبسبب هذه المشاغل والشؤون إذن، حَنوا رؤوسهم وجرّوها إلى ٩٢
لأرض لقرابتهم معها ومجانستهم لها، وارتكزت أعضاؤهم الأماميّة على a
الحضيض وغدت لهم قوائم. واستطالت هاماتهم وتشكلّت جداً، طِبقاً لنوع
الضغط الذي لحق دورات الروح، وحركاتها في كلّ منهم. ولهذه العلة، برز
صنف البهائم الدابّة على قوائم أربع أو أكثر، وقد جعل لها الله من تحتها
قواعد، وكثّرها لمن غزرت غباوته منها، ليُجر إلى الأرض جرّاً أوفر.

---

(١) يبدو من هذا النص أن معلومات أفلاطون في علم الحياة، أو معلومات معاصريه العلماء الذين أخذ عنهم، كانت متقدّمة جدّاً وبصورة مستغربة على العلم الشائع في زمانه.

(٢) إن كل هذا المقطع يتّسم في وضوح بالتهكّم والسخريّة.

٣ - الزواحف والدود

b أما أغبى أولئك الناس الذين انبطحوا على الحضيض، ومدّدوا عليه أجسامهم تماماً، فقد استحالوا إلى حيوانات لا أرجل لها وغدوا زحّافات تتجرّر على الأرض.

٤ - الأسماك والحلزونيّات وضروب المحارات

أمّا الصنف الرابع فقد صار مائياً، وصدر عن أوفر الناس بلاهةً وجهلاً.

والآلهة الذين حوّروهم وركبّوهم فيما بعد، لم يحسبوهم أهلاً ولا للنسمة الصافية النقيّة، لأنهم لوّثوا نفوسهم بكل تمادٍ في الرذيلة، وعوضاً عن نسمة
c الهواء الرقيقة الناعمة النقيّة دفعوهم إلى قعر الماء لاستنشاق روائح لثقه الآسنة

ومن ثمّة صدر شعب الأسماك، وشعوب الرخويّات، وكل الطوائف الأخرى المائيّة، فنال أولئك كعقابٍ للجهل في أسفل درجاته سكنى العالم في أحطّ دركاته. وعلى هذه القواعد والأصول، تحوّلت الكائنات الحيّة جميعها بعضها إلى بعض في ذلك العهد، ولا تزال الآن أيضاً تتحوّل. وتتبدّل أحوالها
d بفقدان الفهم أو تحصيله والوقوع في الحماقة أو التخلّص منها.

الخاتمـــة

والآن نقول إن خطابنا عن «الكل» برمتّه قد انتهى، لأن هذا العالم إذ قد استوعب هكذا الكائنات الحيّة، المائية منها والخالدة، وأخذ ملأه بها، وغدا حيّا منظوراً يشمل الكائنات المنظورات، وإلهاً محسوساً هو صورة الإله المعقول، صار أعظمَ وأفضل وأبهى وأكمل فَلَك، وهو هذا العالم الأوحد مولوُد الله الوحيد.

حوار اكرتيَّس

المقدمة

الفصل الأول

صحة حوار اكرتيس وميزته العامة

١ - صحة الحوار

إنّ صحّة اكْرتِيَّسْ يعترف بها عموماً النقد الحاضر. فلم يناقشها، وببراهين غريبة من نوعها سوى سِوشر وسُكُوَف Socher et Suckow. فهذا الحوار في نظر الأوّل قد لا يليق بالمثاليّة الأفلاطونية، لأنه برمتّه وصف واقعي محسوس، لا بل انجراف وراء الحواس. إلاّ أنّ سُكُوف، وهو أوفر حذراً يعتمد استناداً إلى ابْرْوكِلسْ على مكانة اكْرانْتُر، وبدعي أن هذا الأخير في كلامه عن الأُطلنتيْس لا يستشهد إلا بالتِيْمئِس، كأنه يجهل اكْرتيَّس[١] ولكنّ هذا البرهان هزيل دونما ريب، لأنّ ابْرُوكلُس يذكر عبارة واحدة لاكْرَانْتُر، في حين أنّ هذا الكاتب قد قال أشياء أخرى كثيرة، وتكلّم ربما في موضعٍ غير هذا عن اكْرتيَّس.

وعلاوةً على ذلك، يستحيل الفصل بين التيمِئُس واكْرتِيَّسْ، لأن هذا تتمّة ذاك. فانشاء اكْرتِيَّس له أكبر العلاقات بإنشاء التِيمِئِس. بحيث اضطُرّ جميع

---

١ - (١) G.F.W. Suckow: Die Wisseus – chaftliche und Kűnstlerische From der Platonischen Schriften. Berlin 1855.

النقّاد الضلعين في دراسات الإنشاء، أن ينظروا إلى الحوارين في آنٍ واحد وأن يّسموهما بنفس السمة[٢]. وليس الأمر على هذا النحو فقط من جهة الإنشاء، بل يُعلن التِيمئس أيضاً في صراحة عن اكْرتيَّس. والموضوع العام في هذا الحوار ينطبق انطباقاً تاماً على الموضوع المشار إليه في التيمئس (b٢٧). وأوجه الشبه في التفاصيل تلفت النظر: فلقصّة الاطلنطيّين يُعلن عنها في الحوارين بعبارات تكاد تكون واحدة (التيمِئس ٢٤ e اكرتيس ١٠٨ e)، التمييز بين الطبقات الاجتماعية في أثينا، يعرض لنا على نحو واحد. وينوه لنا اكرتيس، كما ينوه التِيمئس، باعتدال الفصول في الاتكي (ت٢٤، ك١١١). ولا تضعف فينا هذا الانطباع العام الفوارق الطفيفة التي يمكن المرء أن يعثر عليها هنا أو هناك في النصين. ففي التِيمِئس تَبْسط أثِنا وحدها سيادتها على أثينا. أمّا في اكْرتِيَّس كما في مِنيكْسِنُسْ، فهي تتقاسم الملك وهيفِستُس وفي التِيمئس تجاري نُظم أثينا، وقوانيها الاجتماعية، نظم وقوانين مصر، أما في اكْرتيَّسْ فلا تُثار مسألة تلك البنوّة في الشرع. ويذكر اكْرتيَّس، نظير الجمهورية، مشاغل النساء الحربية، وكان التيمئس قد اغفل ذكرها الصريح[٣]. ولكن هذه فوارق لا نفع من التوقف عندها. فالحوار يجري عينَ النهار الذي تجري فيه منادمة التِيمئس[٤]. والمتحاورون هم أنفسهم، وأسلوب العرض واحد: حديث متواصل في حلقة سُمّاع أحجموا عن الكلام للأصغاء[٥].

---

(٢) C. Ritter: Untersuchungen uber Plato, Stuttgart, 1888. p. 58 – 59. et platon I, München 1910.P. 255.

(٣) الجمهورية ٥: .a 452

(٤) اكرتيس ١١٠ d. راجع:

Th. Bach Meletemata Platonicadiss. Vratislaviae, 1858, p. 21 et suiv. Il Raeder, Platons Philosophoische Entwickelung. Leipzig, 1905, p. 374.

(٥) ثِنترُن اكرتيس ٠٨ bd .

٢ - ميزة الحوار العامة

إن مخطط الحوار أو تصميمه جليّ أتمّ الجلاء. بعد تقديم وجيز يجاري تقديم التِيمئسُ، يصف اكرتيَّس، يصف اكرتيّس تباعاً الشعبين الخائضين الحرب، شعب أثينا وشعب الأطلنتيس، وعاصمتيهم وبلديهم. ثم يعدّد ما أبدى الإله مؤسس دولة الأطلنتيس من احتياجات يضمن بها المحافظة في تلك البلاد، على سؤدد العدل. ويفصّل الحفلات الطقسية التي تجعل تلك الاحتياطات أكثر أبّهة وحفاوة. إلا أن تلك الاحتياطات لم تكُ وافية بالمطلوب الآن، لأن البربرية والهمجية تغلّبت في النهاية، وغدّت لدى ملوك الأطلنتيس تشامخاً استمطر عليهم العقاب الإلهي. وعند هذا الحد، ينقطع نصنا فجأة.

فليس لدينا إذن من اكْرتيَّس سوى مقدمة، تُطلعنا أهميتها على المدى الذي كان من المحتمل أن يتخذ هذا الحوار، لو أنجِز تدبيجه. لا بل قد استرعى أفلاطون انتباهنا إلى أن خطاب اكرتيس سيطول جداً. ولكنه يتوقف بالضبط في حين أوشكت الرواية أن تبتدئ، وهي قوام العنصر الرئيسي في ذاك الخطاب(١). لأن كل ما تقدم من وصف البلاد والقوانين، لم يكن سوى تمهيد. ونحن نعرف من التيمِئُس أنه كان على حوار اكْرتِيَّس أن يشمل قصة الحرب بين الاثينيين والأطلنطيين، والكارثة التي عقبها. ويردد علينا اكرتيَّس أن ما يعالج أفلاطون من موضوع، هو حرب نشبت في عهد سحيق، حمت فيها أثِينا الحضارة الهليّنية، كما كان من شأنها أن تفعل أيضاً فيما بعد، وتحمي تلك الحضارة من سيطرة الفرس (a١٠٩).

فينقصنا إذن القسم الأساسي من الحوار. فهل كتبه أفلاطون ثم فقدناه؟ أو حال الموت دون أن ينجز الفيلسوف حوار اكرتيَّس؟ أو عدل عن مشروع ثلاثيته الكبير ليصنّف كتاب الشرائع؟ إن هذا الرأي الأخير هو المقبول عموماً

---

(١) b ١١٣: «ومطلع كهذا كان عندئذ مطلع خطاب طويل».

فن عهد هرمان Hermann[٢]. فقد قيل إن خاتمة الحوار لم تؤلف قطّ. والبرهان على هذا القول، أنه لم يبلغنا ولا مقطع واحد منها، وأنه لم يذكرها ولا كاتب واحد، ولا اختار من تلك الخاتمة مقطعاً واستشهد به. فعلينا ربما أن نردد عن أفلاطون نفسه، ما نقله لنا التِيمِئس عن صُولُن، وهو أن الأحداث لم تترك له متَّسعاً وافياً من الوقت، ليسجل ما اتمنه عليه الكهّان المصريون (٢١ c).

ولكن هذه الفرضية لا تخلو من بعض الصعوبة. فالكُرِيتَّس في قسمه الذي بلغ إلينا، يوحي أن هذه العمل الفكري تام، وأنه دُرس درساً متقناً في تفاصيله. فليس إذاً عملاً تمهيدياً، ولا مسودة، ويصعب على المرء حتى أن يرى فيه عجالة أولى. فهل تصور أفلاطون العمل برمّته، ولم يُنجز منه سوى مطلعه؟ وهل عدل من بعدُ عن موضوعه الأول لأسباب نجهلها؟ ولكن كيف نعلم كل هذه الأمور، ونحن لا نعرف لا تاريخ فكر الفيلسوف، ولا أساليب شغله وإنتاجه؟

هذا، ومطالعة الباب الثالث من كتاب الشرائع تدعو إلى التفكير. فيبدو أنّ المرء يجد في هذا النص شبه صدى لحوار أكرتيس. إذ إنّ أفلاطون بعد أن يلخّص قصّة ملوك اليونان الأوائل الأسطورية، يروي بعبارات رائعة كفاح الاثينيّين ضدّ المجتاحين الفرس. أما ما يتعلق بماضي أثينا الأبعد. فهو يردّد بنفس العبارات تقريباً ما سبق في حوار اكْرتِيس وحوار التِيمِئس، وهو أنّ كوارث متعاقبة منعت روايات مآثر أثينا القديمة من أن تبلغ إلينا، لأن الطوفان لم يبقِ كلّ مرة إلاّ جبليّين أميّين[٣]. ألاَ يعني هذا أنّ أفلاطون، بعد

---

(٢) Geschichte und System der Platonischen Philososrhie, I, 1839 P. 514. Cf, EMunk: Dte naturliche Ordnung der Platonischen, Schriften Berlin, 1857. 340, Bach.

(٣) كتاب الشرائع 677:3 b: «بعض الجبليين الرعاة». ثم 682:3 b: «وعل كل حال، يبدو أن نسياناً رهيباً قد أصابهم».

أن أقدم على عمل مخيّب، وهو أن يروي لنا قصّة الأثينيّين المثاليّة، عدل عن قصده الأوّل وعاد إلى هدف عادي، وهو أن يظهرهم على ما كانوا في الواقع؟ فقد فرض الفيلسوف على نفسه في التيمِئُس، مهمّة تفوق عبقريّته. ولذا نراه يعدل عنها في الشرائع، ويترك دون رجعة حوار اكرتيس وهِرمُكْرَاتس وبما أننا أحرار في اقتراح الفرضيات، فلتحجب هذه الفرضية جهلنا.

وسوف نتفحص على التوالي بعضاً من المسائل العويصة جداً، التي يثيرها حوار اكرتيس فنعالج الأنساب الأسطورية، ثم وصف أثينا والأطلنتيس، ووصفَ طقوس الذبيحة والقسم، وأخيراً نتحدّث عن مصادر اكرتيس.

الفصل الثاني

الأنساب الأسطورية

يختلف أصل الأثينيّين عن أصل الأطلنطيين، فأولئك كلهم مواليد أرضهم، نشؤوا من تربة موطنهم بالذات، في كنف أثنا وهيفستس دونما ريب. ولكنهم لا ينتمون إلى إله أحصي في عداد الأجداد[1].

وعلى عكس ذلك، فقد انحدر ملوك الأطلنطيين من إله البحر بُسِذُون، ومن مائتة بنت أحد مواليد الأرض. فملوك الأكلنتيس وحدهم أحرزوا ألقاب

---

(١) يسهو هنا البير رفو عن بعض أمور شهيرة أقرتها الأسطورة اليونانية. وهي أن الأرض هي الجدة الكبرى، وأن الآلهة طرّاً هم أبناؤها، ما عدا آلهة من الدرجة الثالثة أو الرابعة ولدهم الخواء وابنته دجنة الليل الحالك. فالآلهة الأولون العظام جميعهم، أبناء أورنوس وأبناء اخرونوس، هم وآباؤهم وأمهاتهم أولاد الأرض. فإذا خرج الأثينيون من الأرض فقد صدروا عن مصدر كريم شريف وجيه، أصل كل شرف وكرم وجاه، وأنبل وأعرق محتد، لأنهم أخوة الآلهة العظام. أضف إلى ذلك أن الآلهة والبشر أجمعين في اعتقادهم من أصل واحد. وأخيراً معروف أن إرختفس أو إرختونيس هو ابن هيفستس والأرض الجدة الكبرى. فالأثينيون، كسائر الشعوب اليونانية، قد انتموا هم أيضاً إلى إله من الآلهة الكبار. راجع في هذا كله، كتاب الأسطورة اليونانية، للأب فؤاد بربارة، طبعة وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٦، الباب الأول، ف١، ثم الباب الثاني ف٤، ١٧.

شرف، بينما كان الأثينيون برمّتهم أبناء الأرض. والاعتقاد السائد هو أن الأثينيين قد وُلدوا من تربة موطنهم نفسها. صحيح أن شعوباً كثيرة كانت تفاخر بأصلٍ كهذا. ولكنّ الأثينيّين كانوا يغالون بتلك المفاخرة، على ما يظهر. وفي زمن أفلاطون، ساد ذاك الاعتقاد عموماً، ونصوص كثيرة تنبئنا بهذا الأمر(٢).

١ - أصل الأثينيين:

إلا أنّ قصَّة منشأ الأثينيّين، على ما رواها حوارا كرتيس، لا تتفق، فيما يبدو، وأوسع الروايات رواجاً. ولا يعني قولنا أن أفلاطون يدسّ «مواليد أرض» جدداً ومجهولين قبل عهده. ولكنّه يختار بالضبط، في لائحة طويلة من الأبطال مواليد الأرض، أناساً يمكن سيرتهم الخيالية أن تتعلق بأسطورة الأطلنتيس دون تشويش كبير للتقاليد.

فملوك أثينا الأربعة الأوائل، المنكورون في الكرتيس، ككربس، وإرختفس وإرختونيس وإرسختون، هم من أبطال أهل الأرض، ومن أقدم من ذكروا في كتابات اليونان الأقدمين. وربّما ذكرنا ككربس على ما أشار فلامفتس wilamowitz، باسم احدى القبائل الأتيكية الأول. ويعرف صاحب الأنِسيّة، في أثينا، بيت إرختِفس، حيث اعتادت أثنا أن تتردّد. إذ يُحتمل أن يكون ذاك البيت من ذلك الحين هيكلاً مشتركاً للإلهة الأولمبية وللإله الأرضي(٣).

ويسمّي هِرُوُذتُس إرختفْس «مولوداً من الأرض». وكذلك سُفُكليس، في رواية إيئس، يقول عن الإرختيّين إنهم «مواليد الأرض»(٤). ويظن فلامفتس

---

(٢) السفستي ٢٤٧ c منيكسنس ٢٣٧ b ، الجمهورية ٣: ٤١٥ d e، السياسي ٢٦٩ b ٢٧١ a c.

(٣) أذسية ٧: ٨١، الياذة ٢: ٥٤٧. راجع: G. Finsler, omer 1,2 Leipzig, 1913, p. 222.

(٤) ش ٢٠٢ من الارختيين «مواليد الأرض». راجع هروذتس ٨: ٥٥.

Wilamowitz أنّ إرخثونيس هو ربما مرادف فقط لإرخثفس[٥]. وعلى كل حال، يذكره بِنذرُس أيضاً بين «مواليد الأرض». ويمثله لنا إفريبيذس بمثابة إله من آلهة الأرض، مرتبط بها بعد نصف ارتباط، يموج على سطحها بعجزه، وهو لايزال عجز زحّاف من الزحّافات[٦]. ويبدو إرسخثُون أحدث الآلهة الأربعة، ولعله هاجر وهبط الأتّكي، بعد إقامة في ثسليّا. وشهادات مختلفة، أقدمها دون ريب شهادة هِلّنكوس[٧]، تربط بين قصة «قالب التربة» وهيكل ذُوتبن الثسَّالي القديم. وتروي إحدى أساطيرهم، وقد نقلتها لنا شهادات هلِنستيّة فقط، أن إرسخثُون كان قد اقتلع، في ذُوتين، إحدى الأشجار المقدّسة المظللة هيكل ذمِيْتر. فتعقّبه ثأر الإلهة ولحق به أخيراً، رغم ما تخيّلت ابنته الساحرة ميْسترا من ألاعيب وحيل، دأبت في استنباطها لتدفع عن أبيها الأذى[٨]. ولكن إرسخثُون بن كيِكْربْس، وقد مات قبل والده، كان في زمن أفلاطون قد استوطن أثينا منذ عهدٍ بعيد وتجنّس بجنسيّتها[٩].

وعرفت تقاليدهم ملوكاً آخرين قدامى كثيرين، تعاقبوا على عرش الأتكي. وذكرت من جملتهم اكرَنَوُوس وأمفكْتيُّن، واثنين آخرين حملا اسم بنْذيّن، وإغيئُس وثِسفْس. وقد اختار أفلاطون من بين «مواليد الأرض» أناساً تشابكت حكايتهم، في عهد سحيق ولا شك، مع الأساطير المتعلّقة ببُسذُون وفارِخثفس قد قتل أبناء بسذون الثلاثة إيفمُلبُس وإمارَذُس وفُرفَس. وهيكل فُورْفَس في أثينا، يمثّل عراك إرخثفْس وفورفس، مالك الكوريته وابن إله البحار والأنهار. وكان إرخثفْس نفسه فتك بامّارذُس وشدخه شدخاً مميتاً.

---

(٥) Aristoteles und Athen, 2, Berlin, 1893, p. 128.

(٦) اين، ش ٢٧٠.

(٧) أثنيئس ١٠: ٤١٦ a.

(٨) كليم لس، نشيد لاكرام نميتر، ش ٣٠ وما يلي.

(٩) بفسنيس ١: ٢: ٦.

وإمّارذس هذا هو ابن ايفملبُس، وأمير أهل الفْسيس، الذين كانوا يحاربون آنذاك الأثينيّين[١٠]. وقد صُرع ايفملبُس نفسه، ابن بسذون واخرُنيّا، وتجندل قتيلاً أمام إرخثْفس.

وبعد ذلك قاربوا أيضاً بين أسطورة إرسخثُون وأسطورة بسِذون، فيبدو إذن أنّ أفلاطون قد اختار ملوكاً أوائل لأثينا، الأبطالَ الذين صارعوا أبناء الإله حامي الأطلنْتيس. وأولئك الملوك طرّا أبطال نبتوا من تربتهم، أبطال ولدتهم أرضهم. وهم يمثّلون نظام اليابسة مقابل سيادة البحار، وقدرة التربة المغذّية على الانجاب، تجاه نزوات الآلهة الفوضويّة. فالأثينيّون، على عكس أعدائهم، مرتبطون بالأرض التي تحملهم، ومتّحدون بها بوثاق لا يحلّ عراه بلى.

هذا، ويُعنى أفلاطون جده المستطاع باحترام التقاليد. فهو يقول إنّ الأبطال الذين يأتي على ذكرهم قد سبقوا عهد تِسفِس. وهذا كان الاعتقاد السائد، وقد نقله عن السلف أصحاب الأنساب اليونانيّة. ورُخامة بارس تذكر ارخثُونيُس وإرخثفْس قبل تِسفْس[١١]. أمّا الكارثة التي محقت الأطْلنتيس فقد وقعت بعد طوفان ذِفكليُّن. وزعم المؤرّخون الأقدمون أنّ ذاك الطوفان قد وقع على عهد أكرَنؤوس أو كيْكُربْس أو أمُفكتيُّن[١٢].

٢ - أصل الأطلنطيّين:

أمّا في ما يتعلّق بأنساب ملوك الأطلنتيس، فقد كان لأفلاطون حريّة أوفر. ومع ذلك، فقد اجتهد هنا أيضاً أن لا يجازف مجازفات تهول قراءه.

---

(١٠) بفسنيس، ١: ٥: ٢، ١: ٢٨: ٥.

(١١) رخامة بارس، العبارة ٤ وشكل اسم إرخثفْس، بدل إرخثفْس يوجد وحده في رخام بارس، ويعثر عليه هو نفسه في مخطوط فيينا ٥٥.

(١٢) Jacoby, Das marmor Parium, Berlin, 1904,p. 136 et sv.

فأمّة ملوك الأطلنْتيس تتحدر من اقتران بسذون بامرأة مائتة، هي اكْلتُو بنت افينُر ولفكيْبي، مولودي الجزيرة الأولين. وأنجب هذان المولودان الأوّلان عشرة ذكور. وُلدوا توائم اثنين اثنين على خمس ولادات. وهم أطلاس وايفلمسْ أو غاذَرس، أمِفيْرس وافيْمّن، أمنيسئِس وأفتُوختُنُسْ، إلاسبُس وميْستُر، وأخيراً ازَئيس وذِيبربيسُ. وقد يعجب المرء من انحجاب النساء انحجاباً تامّاً عن تلك السلالات الملكية. وهذا الإهمال الغريب لا يليه أيّ تعليل. أمّا أسماء الملوك بالذات، فقد استمد أفلاطون بعضها من القصائد الهُومِريّة دون أيّة صلة بين حامليها وشخصيّات الياذة هُومرس. فالإلياذة تعرف افيمّن وايفْملس، ابني اذْميتس والْكستيس. وتعرف أيضاً ميْستر نجل ابّريَّمس[١]. وافينر بن ليوكْرتس، يبرز في الأذِسّية، حيث يقضي عليه تليْمّخس[٢]. ثم أن بفْسنيَّس يذكر «مولود أرض» اسمه ايفملس وهو أوّل ملك تولى عرش باتْره[٣]. ولكن ملكين على الأقلّ، من ملوك الأطلنتيس يحملان اسماً لم يُعرف له مثيل عندهم. فلا نعثر في أي مصنّف على اسم ازَئيس، مع أن كل مخطوطات اكرتِيّس تثبته[٤]. ولقب ذِيبربيسُ لا يظهر إلا في نصوص متأخرة جداً عن نصوص حوارنا، عند هِراكلتس المزيّف مثلاً، الذي ينعت به الهسْبريذهْ[٥].

أما أطْلاس، أول ملك من ملوك الأطلنتيس، فله وحده شخصية أسطورية واضحة المعالم إلا أن اطلاس اكْرتيِّس لا يمتّ بأية صلة إلى

---

٢ - (١) افيمن، الياذة ٢: ٧٣٦ - ٥: ٧٩ - ٧ - ١٦٧ -٨: ٢٦٥ - ١١ ٢٧٥، ايفملس، ٢: ٧١١، ٨٦٣ - ٢٣، ميستر، ٢٤: ٣٧٥.

(٢) الأذسية، ٢: ٢٤٢ - ٢٢: ٢٩٤.

(٣) ٧: ١٨: ١٢.

(٤) لا يعرف بفسنيس سوى أزيفس بن اكليمنس، ٩: ٣٧: ١.

(٥) هراكلتس المزيف، طبعة فيستا، ص ٨٠، ١١.

أطلاس الأنُسِّيَّة أو «مولد الآلهة» لهسيُّذُسْ. وكيف غادر اطلاس، الإله اليوناني بلاد أرْكَذيّا، حيث كانت ذراعاه تسند قبة السماء، لينأى بلا انقطاع نحو الغرب باتجاه عَمَد هِرْقليس، ويغدو في آخر المطاف حارس تلك الأعمدة التي تدعم قنطرة السماء، إنها قصة رواها لنا فلامُفنْس في شيء من الفن، يجعلها قريبة جداً إلى الواقع(٦).

غير أن ابن الطيطان يابتُس من الأقيانسيّة اكلْميني لم يعد في حوار اكْرتيَّس سوى الملك اطلاس، أول عاهل على عرش الأطلنتيس. ولا شيء في الحوار يُذكّر بمهمّته الأولى كلما عيّنها هِسيُّذُس(٧). فهل اختار أفلاطون تلك الأسماء عفوياً وعرضاً، كما قد يغرر المرء بنفسه ويعتقد؟ وهل اكتفى بأن يقلب صفحات الأناشيد الهُوميريّة، كما ينقّب روائي معاصر عن أسماء أبطاله في دليل ما، رغبة من الفيلسوف بأن ينسّق في حواره سلالة خياليّة، وأن يجاري، ومن يدري، استنباطات سابقيه؟

إن عدة اتفاقات غريبة تمنعنا عن افتراض من هذا النوع. اذ قارب هسيُّذُس من ذي قبل بين حكاية الهِسْبِريذة - واسم ذيَبْرِبيس يردّنا إليها - وبين اسطورة اطلاس(٨). وإيفملُس، يقول لنا افلاطون، يحمل أيضاً اسم غاذِرُس. واسمه يُطلق على المقاطعة كلها التي حلّ فيها، فتدعى المقاطعة الغذيرية. والحال أن ابلينُس العتيق وسُلينُس سوف يكلّمانا، بعد ذلك بكثير، عن مدينة افريقية تدعى غَذير أو غَذّير. واسمها يشير في اللغة الفينيقية إلى مكان محصّن بأسوار(٩). وفي أواخر القرن الثالث للمسيح أو مطلع الرابع يذكر

---

(٦) الأذسية،١: ٦٢. Wilamowitz, Euripides Heracles 2, p. 130 Homerische. Untersuchungen p. 23, cf.G. Fiinsler. Homer. 1,2, p.3.

(٧) مولد الآلهة لهسيذس، ش ٥١٧ - ٥١٩ والشهادات في طبعة ارزاخ، ٢ ص ٧٣.

(٨) مولد الآلهة الهسذوس، ش ٥١٧.

(٩) هسيخيس: «يدعو الفينيقيون غاذِرا الأمكنة المحوّطة بأسوار».

أفْيينُس الشاعر اللاتيني قلعة في شمال افريقيا اسمها غَدّير[١]. فلا نتسرع إذن بافراط لنؤكد أن اختيار أسماء الملوك الأطلنطيين اعتباطي صرف. فبقدر ما نتعمق في درس مؤلفات أفلاطون، بذاك القدر نستشفّ فيها، حتى في التفاصيل نوايا ومقاصد خفيّة.

---

(١) De ora maritime, vers 266, "Nam Punicorum lingua conscriptum locum Gaddir vocabat". (Poetae latini minores, Wernsdorf p. 436).
يقول هذا الشاعر اللاتيني في قصيدته «الساحل»: «لأن لغة الفينيقيين تدعو (غدّير) مكاناً محصناً».

الفصل الثالث

وصف أثينا ووصف الأطلنْتيس

١ - أثينـــا :

إنّ وصف الأتكي القديمة المقتضَب يشمل في آن واحد معلومات تتعلق بمواقع الأمكنة وطبيعة البلاد، وملخّصاً عن النظام الاجتماعيّ الأول.

١ - فمن الوجهة الأولى، أي من وجهة موقع الأمكنة وطبيعة البلاد إنّ أبرز حدث قبل الطوفان، هو وجود طبقة كثيفة من التربة الصالحة للزرع على سطح أرض الأتّكي، حيث لا نرى اليوم سوى صخور جرداء. فبدل الجبال الحالية وأردافها المنحدرة عمودياً، وبدل جرود فلْسٍ الحجرة، تراكمت في القديم رواب تموج بسفوحها اللطيفة الانحدار، وآجامها الكثيفة ومراعيها الخصبة. وقد فاضت عيون متدفّقة في كلّ مكان، من أرض نضبت مياهها الآن وقحلت.

ويدلّل أفلاطون على ذلك بتفسير مستغرب لأحداث معاصرة. فالحركة التي جرفت بها أمطار الطوفان إلى البحر التُرَب الزراعيّة، تلاحظ بعد في الجزر الصغرى، إذ أن صخور سواحلها الناشزة تغوص في اليمّ بصورة شبه عموديّة. وكذلك الجسور الخشبية الثقيلة، (الداعمة عوارض سقف الردُهات) في الخرائب القديمة، تثبت هي أيضاً وجود الغابات في القدم. وفي الواقع ابتدأ

تجريد البلاد من غاباتها منذ أقدم العصور، وعرّى في بطء قمم جبال إيتا وبلِيُّن وهلكُون وبارْنَس من حلاها المخضلّة الخضراء. وقد لاحظ أفلاطون تلك الأحداث، ونسبها إلى كارثة من كوارث الطبيعة، في حين أنّ يد الإنسان هي التي دمرت دونما ريب الآجام والغابات، وأنضبت ينابيع المياه.

وعلى كلّ، فالأتكي القديمة كانت أرحب وأوسع مما بقيت عليه. فقد امتدت نحو الجنوب إلى حدود برزخ كُورنثُس. ومقاطعة ميغرا كانت لاحقة بها. وبلغت نحو الشمال خط كِثرُون وبارنسس وجبل فلفْس مع الصرود المنحدرة إلى نهر آسُبُسْ، واتصلت بمدينة أورُبُس على قناة إيفيا (de ١١١). فقد كانت اذن تمتدّ إلى مقاطعتي فيتيّا وميِغرا القائمتين على عهد الفيلسوف. ومع ذلك كلّه، فهي دولة صغيرة، ولو بدا لنا من أفلاطون أنه يشيد بعظمتها.

والمدينة وقلعتها أيضاً كانتا أكبر ممّا هما عليه في أيامنا. فالأكْرُوبُلس في العهود التاريخيّة لم يبقَ منها سوى الرابية التي انتصب فوقها هيكل البرْتِنُونْ. أما الأكْرُوبُلِس الأولى فقد انحدرت جنوباً وشرقاً إلى نهر الإلسُّوسْ، وقد شملت أكمة ابنِكْس وتلة لِكفتُّوسْ نفسها. ومن أكمَة ابْنكْس إلى هضبة لكِفتُّوس كيلومتران ونصف على خطّ مستقيم. أمّا الأكرُوبُلس التاريخية فقياسها من الغرب إلى الشرق لا يبلغ إلا ثلاث مئة وخمسين متراً. وقد كان يحوط المدينة والأكرُوبُلس في القدم سور واحد[1]. والأخبات الفاصلة بين الهضاب الحاليّة لم تكن قد اطمأنت بعد. وتفجر على الأكرُوبُلِس بالذات ينبوع فيّاض، هو ربما معين اكلِيبْسِذْرا الجاري إلى الآن، في أسفل المنحدر الغربّي. ولم يبق من ذلك الينبوع سوى مغايض شحيحة، انتظمت بشكل مستدير كعيون كليرُوئي ونبع البْنِكْس. والأثينيّون في أيام القيظ يتهافتون على تلك الجداول والغدران.

---

١ - (١) أرستفانس، لستراتا، ش ٩١٣.

في وسط الأكْرُوبُلِس، وهي ربوة المدينة، انتصب هيكل أكرموا فيه هِيفِسْتُس وأثِنا. ويبدو أنّ العبادتين قد اتحدنا في الواقع منذ أعرق الأزمان. وهذا ما يثبته لنا لقب أثِنا الهِفِسْتِيا[٢]. وقراء اكْرِتِيَّس كانوا يتصوّرون حالاً الهِفِسْتِيِّن، معبد أثِنا وهِيفِسْتُس[٣]، القائم في حيّ الفخار قرب السوق الكبيرة، إلى الشمال الغربي من الأكْرُوبُلِس الحاليّة.

٢ - ونظام أثينا القديمة السياسيّ، مماثل كل المماثلة في الكْرِتِيَّس، للنظام الذي أشار إليه التيمئس من قبل. وأساس ذلك عزل الطبقات عزلاً تاماً الواحدة عن الأخرى. فأصحاب الصناعات والفلاحون يقطنون البقعة المحيطة بالأكْرُوبُلِس. والمحاربون يسكنون الأكْرُوبُلِس نفسها حول الهيكل (١٢٢ d)، وقد قامت منازلهم على المنحدر المتّجه إلى الشمال. واحتلت المنحدرات الجنوبيّة حدائق وملاعب ومطاعم[٤]. وتشترك النساء في الخدمة الحربية. وعدد المحاربين يلبث على الدوام عشرين ألفاً[٥].

٢ - الأطْلَنْتِيس

إنّ الأطْلَنْتِيس هذه، قسمة بُسِذُون ونصيبه، هي حسب معطيات التِيمِئِس جزيرة كبرى تحوق بها جزر أخرى. وتعدل مساحتها مساحة آسيا وليبيا مجتمعتين. ولا يفيدنا اكْرِتِيَّس أكثر من التِيمِئَس عن موقعها بالضبط. ولكنّه يصفها في أدقّ تفاصيلها.

---

(٢) هسيخيس، في مادة هفستيا.

(٣) بفسنيس ١: ١٤: ٥.

(٤) راجع كتاب الجمهورية ٣: ٤١٦ b و ٤١٧ a.

(٥) راجع الجمهورية ٥: ٤٥٢ a ٤٦٦ c. إن هذا العدد لا يتفق والعدد الذي يشير إليه الباب الخامس من كتاب الشرائع.

١ - إليك أوّلاً وصف العاصمة. حول الرابية التي عقد عليها قرانه بالبشرية اكْلُتُو Cloto شيّد بُسِذُون مجموعة من الوصائد المتداخلة المستديرة. وكل وصيدة تتألّف من رصيف فسيح يحدق به خندق واسع عميق. والجزيرة الداخلية المتوسّطة، أي قمة الأكمَة التي اعتلاها هيكل بُسِذُون، لها قطر طوله خمسة أسْتاذِيا أي ٨٨٨ متراً[1]. وتحيط بها قناة عرضها أسْتاذِيُن أي مئة وسبعة وسبعون متراً، وستون سنتمتراً. وتحوّط الجزيرة الداخلية وقناتها، وصيدة أولى مستديرة عرضها استاذين مضاعف، أي ٣٥٥ متراً وعشرون سنتمتراً. ويحدق بهذه الوصيدة خندق ثان له نفس العرض. هناك أخيراً رصيف ضخم ثان وقناة ثالثة، عرض كل منهما ثلاثة استاذِيا ، أي ٥٣٢ متراً وثمانون سنتمتراً. وهذا الخندق الأخير يبعد عن البحر خمسين استاذِيا، أي ٨٨٨٠ متراً.

ذلك هو عمل الإله. وقد كمله ملوك الأطْلنتِيس بأشغال جبارة. فقد أقاموا اتصالاً بين الخندق المستدير الخارجي والبحر، بواسطة تُرعة مستقيمة، طولها خمسون أسْتاذِيا، وعرضها ثلاث ابْلِثْرات أي ٨٨ متراً وثمانون سنتمتراً، وعمقها مئة قدم أي ٢٩ متراً وستون سنتمراً. وقد شادوا جسراً ضخماً، عرضه ابْلِثْرٌ أي مئة قدم، فوق الخنادق والأرصفة، ليصل الأكمة الملكية بباقي بقاع الأطلنتيس. وتكلل الأرصفة، وتحمي سكنى الإله، أسوار هائلة عزّرتها الأبراج وغشّتها الصفائح المعدنية. وقد اقتلعوا الصخور لبناء الأسوار من الجزيرة الداخلية أي من الأكمة الملكية، ومن الأرصفة. والمقالع

---

(١) لم نردف القياسات بما يوازيها من الأمتار إلا ليكوّن القارئ لنفسه فكرة تقريبية عن مدى اتساع العاصمة. راجع H. Nissen Griechische und Romische metrologie, dans 1. Muller, Handbuch 1. 2, Munchen, 1892, p. 835. وكلمة أستاذين اليونانية جمعها عندهم استاذيا. وقد أثبتنا اللفظين ههنا.

التي استُخرجت منها الصخور تحولت إلى مرافئ في بطن الأرض، تأوي إليها المراكب. وقد حفروا في الأرصفة ممرّات مسقوفة، تعبر فيها السفن لتجتاز من خندق إلى آخر. أخيراً حول الخندق أو القناة الخارجية المستديرة خطّوا رصيفاً جديداً، يبعد عن القناة خمسين أسْتاذِيا ويبلغ شاطئ البحر. وبين ذاك الرصيف والخندق المستدير الخارجي، تمتدّ المدينة ببيوتها المتراصّة بعضها إلى جوار بعض. فالخنادق المستديرة أو القنوات، تؤلف ثلاثة مرافئ، تأوي إليها المراكب القادمة من كل البلدان. وهي ليلَ نهار تعجّ بجمهور من الناس، انصرفوا إلى أشغالهم وملؤوها صخباً (١١٧ e).

ويشاهد المرء في الجزيرة المتوسطة، هيكل بُسِذُون واكْلُتُو وقصر الملوك المنيف (١١٦ e). وفي وسط الجزيرة يُشرف الهيكل، وطوله استاذِيُن أي مئة وسبعة وسبعون متراً، وستون سنتمتراً، وعرضه ثلاثة ابْلِثْرات أي ثمانية وثمانون متراً وستون سنتمتراً، يشرف ذلك الهيكل بجدرانه المتألقة ذات الثراء البربري. وقصر العاهل يضاهي الهيكل رونقاً وبهاء، وقد أحاطت به معاقل الحرس الملكي. واحتل أكبر جزيرة مستديرة كالأسوار، أي الجزيرة الخارجية، ميدان سبق شاسع استدار معها وشغلها من جنباتها. وهناك نبعان لا ينضبان أحدهما ماؤه باردة والثاني ماؤه ساخنة، يتفجران في الجزيرة الصغرى المتوسطة، ويُمدّان الحمامات العموميّة المختلفة بمياههما، كما يؤتيان أجمة بُسِذُون الرطوبة الناعمة. وتتدفق تلك المياه إلى الوصيدة الخارجية في جهاز علميّ من القنوات.

أمّا تكوين باقي الجزيرة الطبيعيّ فلا يقلّ عَجَباً عنا سبق. إذ يحدق بكلّ الأطْلَنْتِيس سلسلة من الجبال، ما عدا جهة واحدة، هي الجهة الجنوبية حيث قامت المدينة. وبين تلك الجبال يمتدّ سهل مستطيل، يتّجه نحو الجنوب. ويبلغ طوله ثلاثة آلاف أستاذيا، أي ٥٣٢ كلم، و٨٠٠ م. وعرضُه ألفين، أي ٣٥٩

كلم و٢٠٠ م. وتحيط بذاك السهل تُرعة، عمقها ابلثر أي ٢٩ متراً وستون، وعرضها استاذين أي ١٧٧ متراً وستون. وهذه الترعة تكتنف السهل برّمته، ما خلا جهة المدينة، إذ تنحدر مياهها في البحر من جانبي المدينة. ويتفرع عن تلك التُرعة ثلاثون قناة مستقيمة متوازية عمودية بالنظر إلى سفوح الجبال، تؤّمن ري السهل كله. ولتلك القنوات روافد منحرفة تعرج على المدينة، لتحمل إلى أهليها المواطنين مباشرة حاصلات المناطق الجبليّة.

فمساحة السهل بجملتها تعادل إذن ستة ملايين استاذيا، أي ١٩١٢٨١ كم. مربعاً. وقد قسمت إلى ستين ألف ولاية. مساحة كلّ عشرة استاذيا في عشرة، أي أكثر من ثلاثة كلم مربعة بقليل. وخلف الترعة المحيطة بالسهل، والبالغ طولها عشرة آلاف استاذيا، تمتد المنطقة الجبلية، وقد قُسّمت هي أيضاً إلى ولايات لا تُحصى، واستوعبت عدداً غفيراً من السكان.

٢ - إنّ نظام الأطلنتيس الاجتماعي هو حربي صرف. والولاية قبل كل شيء هي مفرزة عسكرية. وجملة الولايات الستين ألفاً المنتشرة في السهل، تقدّم للدولة عشرة آلاف مركبة حربية، ومئتين وأربعين ألف حصان، ومليوناً ومئتي ألف محارب: بنسبة عشرين من كل ولاية، ومئتين وأربعين ألف نوتي، لألفٍ ومئتي سفينة تقل مئتي بحار. ومجموع الولايات يؤلف عشر مقاطعات يخضع كلّ منها لأحد الملوك العشرة، (١١٩ c).

ثم يرسم لنا أفلاطون لوحة رائعة عن الثروات المتنوعة جداً، التي اكتظت بها جزيرة الأطلنتيس. أوّلاً الثروات المعدنية. فقد حوت الجزيرة أصنافاً مختلفة من الحجارة الصالحة جداً لكل ضرب من البناء. وتتوافر فيها المعادن الثمينة من ذهب وفضة ونحاس جبلي، ذاك المعدن الذي لا يعرف منه الآن سوى الاسم، (١١٤ e، ١١٦ b، ١١٩ c) فأيّة مادة يدل عليها هذا الاسم الخفيّ المعروف دون ريبٍ قبل عهد أفلاطون؟ إن صاحب القصيدة

المدعوة مجنّا، والمعزوة إلى هِسيُذس، يكلمنا عن رانٍ من ذاك المعدن المجهول، نحاس الجبل[٢]. وأرسطو يذكر الكلمة، في مقطع من التحليلات الثانية، دون أن يعرّفها[٣]. وبعد ذلك بزمان يذكر كتاب العجائب المنحول والمعزو إلى أرسطو، مناجم نحاس جبلي في فينئس من أعمال أرْكَذِيّا على مقربة من مِكِيني[٤]. وفِلُبونس في تفسيره كتاب التحليلات يقول: إن نحاس الجبل هو واحد والنحاس الأصفر، المخلوط بالتوتيا. ويسلك المسلك نفسه أصحاب كتب الكيمياء[٥] القديمة. ولكن نحاس الجبال المذكور في الكرتيس ليس معدناً مركباً. إنه معدن بسيط لا يشبه النحاس الأصفر إذ له التماع كالتماع النار[٦] فهل اختفى ذاك المعدن، أو غدا مجهولاً في أيامنا؟ أو عنّ على بال أفلاطون، كي يضلل القارئ، أن يستعمل كلمة مأنوسة في عهده بمعنى غير معناها؟ نحن نجهل حقاً هذا الأمر، ولا ريب أننا سوف نجهله دائماً.

ولا تقلّ ثروة الأطلنتيس الزراعيّة عن ثروتها المعدنية. وأفلاطون يعدّد بارتياح ما توفر الأرض لسكانها من مختلف أنواع الثمار. وهو يدلّ عليها باستعارات يصعب على المرء أن يُعين لها أنواعاً محددة. فهل يتكلم أفلاطون عن الزيتون والرمّان والليمون، وهي ثمار معروفة، إن لم يكن في اليونان، فعلى الأقل في العالم الهليني؟ هذا ما يمكن المرء أن يخمنه. أو يتكلم

(٢) المجن ش ١٢٢: ران من نحاس الجبال اللامع.

(٣) التحليلات الثانية ٧: ٩٢ b. ٢٢.

(٤) ٥٨: ٨٣٤ b: ٢٥ «وفي فينئس معادن تدعى نحاس الجبال» راجع هروذتس ٦: ٧٤ .

(٥) لبلرتلو Berthlot، الكيمياء في الأجيال الوسطى، المجلد الأول، ١٨٩٣، ص ١٣: ٦: ٧٤ .

(٦) ١١٦ c: «وله التمتع النار».

الفيلسوف عن ثمار ليست من حاصلات اليونان، كجوز الهند والخروب والتمر؟ لا بدّ هنا أيضاً من الاعتراف بجهلنا (١١٥ b).

وحيوانات الأطلنتيس تشمل الحيوانات الداجنة والآبدة المعروفة في بلاد الإغريق. ويذكر أفلاطون منها خصوصاً الفيل «أكبر الحيوان نهماً».

الفصل الرابع

شَعائر الذبيحَةِ وَالقسَم

إنّ أغرب قسم ربما من الكْرِتيِّسْ، يصف لنا ما يتّبعه ملوك الأطلنتيس الكهنة من شعائر، عندما يُقْسِمون بان يملكوا بالعدل، وعندما يقضون في أمر فردٍ من أفرادهم العشرة إذا اجترح جريمة ما.

١ - شعائر الذبيحة

فكل خمس أو ستّ سنين، يلتئم الملوك العشرة في معبد الإله لهذه الغاية. ويُطلقون في حِمى هيكل بُـسَـسِذُوَن جملةً من الثيران الوحشيّة. فيتسلّح الملوك وحدهم بمزاريق وحبائل، ويختارون ضحيّتهم ويطبقون عليها في زاوية، وبعد أحكام ربطها يذبحونها على نُصُب من نحاس الجبال.

أمّا وصف رتبة الذبيحة، ففي غاية الدقّة المهنيّة. إذ يَعمد إلى المفردات المستعملة للدلالة على ذبح الأضاحي، المفروزة للآلهة أبناء الأرض(١). ولا يُغفل الوصف شيئاً: فالساعة المعيّنة، ساعة الأصيل عند إرخاء الليل سدوله، هي الساعة الملائمة لاستدعاء قوى الجحيم. وبعد انجاز الذبيحة واهراق الدماء؛ يطهّرون جزع العمود الذي تذبح عليه الضحيّة وتُحرق بقاياها محرقةً

---

١ - (١) ١١٩ c «كانوا يذبحون» ١٢٠ a «يقدّسون ويحرقون محرقة كاملة».

كاملة دونما ريب. وفي المأدبة الطقسيّة التي تَعْقِب التقدمة، لا يأكلون من بقايا الثور المضحّى(٢). والكلام هنا عن طقس من طقوس الذبح المتّبعة منذ آلاف السنين، نظير الطقس الذي يذكره هِروذُتُس (٢ :١١).

غير أن تفاصيل مختلفة من الرتبة الطقسيَّة تطلعنا إطلاعاً أدق على طبيعة الذبيحة المقدّمة لبُسِذُون. فأولاً ليست تلك الذبيحة محرقة من النمط المألوف. إذ يبدو بصورة شبه أكيدة أن ملوك الأطلنتيس يذبحون على هذا الوجه الإله نفسه في شكل من الأشكال التي يجبّ أن يتقمّصه. فبُسِذُون يدعى مراراً الثور، والخائر، والدابة ذات القرون الملتوية(٣). فعندما يشرب أولئك الملوك من دماء الثور يتهيّأ لهم أنهم يغدون والإله وحدةً ذاتية، ذاك الإله الذي ضحّوه في صورته ومثاله. وعندما يرشّون وينضحون بجُلط الدم أو علقه، فهم يمارسون طقس التطهير المألوف(٤). وثانياً، إن دم الثور هو الذي يُستعمل لختم وتأييد ما يُبرز الملوك من إيمان.

شعائر القسم :

وليس ذلك القسم قسماً عادياً، يشبه الإيمان التي يقسمها أفلاطون، على غرار مواطنيه، ويطيب له ولهم أن يرددوها في كل سانحة من حياتهم(٥). إذ

---

(٢) راجع P. Stengel, Die griechischen Sakralaltertumer (l. Muller, Handbuch der Kl. Alterums- Wirs. V, 3, 2, 1898. p. 57) J. – E Harrisson: Prolegomena 2, 1908, p. 61 et sv. ; Critias 120 a b.

(٣) راجع لهِسِيذس، أنشودته المنحولة «المجن» ش ١٠٤. - وقد كانوا يكرمون بُسذون بذبائح ثيران سود، الألياذة ٢٠:٤٠٣، والأذسية ٣:٥.

(٤) يستعمل أفلاطون كلمة Thromvos. راجع لايسِخلس الخنفوري أي حاملات تقادم الموتى، ش ٥٣٣، ٥٤٦، ثم الأفمنيذِس أي الرحيمات وهنّ إلآهات الانتقام، ش ١٨٤: جلط... الدم المسفوك.

(٥) راجع كتاب الشرائع ١٠: ٩٠٨ c و١١:٩١٧ a و١٢:٩٤٨ c، ٩٤٩ b.

إن «الشرب من دم الثور» هو في الدين الإغريقي القديم، من اعرق وأرهب تحكيم الآلهة في قضايا البشر. فمَن أقدم على شرب وهو حانث في دينه وضميره، يتعرض لأن يموت فوراً، كما حدث لِبْسَمِنِتِسْ المجرم بجريرة دس الدسائس على كمْفِيسِس[٦]. أما من اجتاز المحنة بنجاح وسلام، فهو مسلح لأشق الصعاب. لا بل ربما استطاع أن يجتاز دون أذى مياه نهر الجحيم.

وبقية الشعائر تفوق أيضاً ما سبق خفاء ورهبة وسرِّية. فبعد شرب الدم، وتقديس الكؤوس التي سُكب فيها، يجلس الملوك عند هبوط الظلام، على رماد الذبيحة، وقد اطفؤوا الأنوار كلها. وعلى هذا النحو، في ظلمةٍ دامسة، يقضون ويُصدرون الأحكام. وعند انبلاج الصباح، يسجّلون نصّها حفراً على صفائح من نحاس الجبال. وقد ارتدوا لخدمتهم هذه ملابس فاخرة، مشربة زرقة رصاصية، كأنها أثواب الأفاعي، أو مياه اليمّ العميقة الشفافة، أو سحب سماء عاصفة، أو ثياب حداد اتشحت بها ثِيتِس[٧]. ألوان الملابس الملكية إذن لون الحداد؟ أم هو بالأحرى لون إلآهات النقمة، وإلآهات المصائر، وآلهة الجحيم، عندما تصعد إلى النور وضوء النهار؟ فاللوحات أنفسها، التي ينقش الملوك عليها أحكامهم، توحي إلى الخيال صورة طقس من طقوس الموت.

---

(٦) هرودتس ٣؛ ١٥. -

(٧) التيمئس ٦٨ c، والألياذة ٢٤:٣٤.

الفصل الخامس

مشكلة مصادر الكريْتيَّسْ

في سياق الحديث، أبدى عرضنا بعض المعطيات الواقعية التي اعتمد عليها أفلاطون ليؤلف روايته. ولكننا لا نستطيع أن نجد من تلك المعطيات إلا عدداً زهيداً، إذ قد تلفت أغلب الوثائق القادرة أن تفيدنا. وما هو أكيد ثابت أنّ أفلاطون قد رمى في كل أمرٍ إلى حدّ أقصى من مماثلة الحقيقة.

فإن دار الكلام على قصة أثينا، فما يشير إليه أفلاطون من أحداث، لم يحو قطّ ما من شأنه أن يثير دهشة معاصريه. ففي زمانهم، بعدت الاتكي جداً عن أن تكون على ما هي عليه الآن من وحشة وإقفار. فقد كان جبل الكثِروُن، وهذا ما نتثبته من فَاكْخةٍ افرِيبِذِس، ظليلاً تكسوه غابات الصنوبر والسنديان[١]، وتغطيه مروج خضراء سقتها العيون الفياضة. ولم ينقطع قطّ فعل القوى البركانية عن الظهور في الاتِكي بين الفينة والفينة، بنتوء تلال أو انخساف تربة أو انشقاق صخور، كانخساف التربة الذي حفر وادي تمبي في عهد التاريخ، دون أن يكون ذلك بارزاً؛ بروزه في فِيتِيا ولكُونية أو في لكريس.

وأن تناول البحث نِظام بلاد الإغريق الأولى السياسي، فعدد وافر من التقاليد القديمة يثبت التمييز الشديد بين الطبقات في دولة أثينا الغابرة. وقد

١ - (١) الفاكخْة ش ٦٨٧ – ٦٧٨، ١٠٥١ – ١٠٥٢.

حفظ لنا تعليق على الأكِسُيخُس مقطوعة منن دستور الأثينيّين لأرسطو يذكر فيها انفصال طبقة الفلاحين عن طبقة أهل الصناعات[٢]. وإن رام أفلاطون التحدث عن تفاصيل شعائر العبادة وطقوسها، فقد كان يكفيه أن يفتح عينيه ليرى، في كلّ بلاد اليونان، ألف حفلة وحفلة، تضاهي كلها ما وصف برهبتها وسريتها.

ولكن ما هي العناصر التي كانت متوفّرة لديه لوصف الأطلنتيس؟ لقد عالجنا هذا الموضوع في كلامنا عن حوار التِيمِئس. فقبل أفلاطون، لم يذكر على ما يبدو، شعبَ الأطلنطيّين، سوى المؤرخ المِلِيتُسي هِكَتِيْئُس، وهِرُوْدُتُس الناسج على منواله. وما قاله هذا وذاك عن الشعب المذكور غامض ومستغرب، ولا علاقة له مع معطيات اكْرِتِيَّس. في داخل ليبيا، شماليّ كثب الرمال الفاصلة بين الصحراء والأرض الآهلة، قرب جبل أطلاس وإلى غرب أرض الأَطرّنطِيّين، انتشرت بلاد الأطلنطيّين. وتفصلها ليبيا الوحوش الأوابد عن سواحل البحر المتوسّط، إذ قد أقام على تلك السواحل الليبيّون الرعاة الرحل[٣]. وما عتّم فساد هذا الوصف أن ظهر، إذ ليس في البقعة المشار إليها سوى سهول متمّوجة، لا جبال شامخة[٤]. وبعد هِرُوذُتُس ما برح الكتاب يدفعون بجبال أطلاس نحو الغرب، إلى جوار الأطلنطي مباشرة بحيث جعله ذِيُنِيسِيُسْ المِلِيتَسِيّ في القرن الثاني قبل المسيح، على شاطئ المحيط

---

(٢) التعليق على ٣٧١ d.

(٣) هروذتس ٤: ١٨٤.

(٤) راجع فكتور بيرار V.Berard، «الفينيقيّون والأذَســيَّة» ١ ص ٢٤٤ – ٢٤٦. وهــذا الكاتب يجعل الأطلس في جبل القرود. ولكن اجْـسِيل S.Gs:II يدحــضه فــي كتابــه «نصوص تمتّ إلى تاريخ أفريقيا الشمالية» ١ هروذتس الجزائر وباريس ١٩١٦، ص ١٠٧.

بالذات[٥]. وتبع بلد الاطلنطيين نفس الطريق، وقد بحث عنه في تلك الجهات ولا يزال خصوصاً يبحث عنه كل من استثارتهم هذه المشكلة الشائكة التي لا حلّ لها[٦]. وعلى كل حال، ليس من علاقة بين القبيلة الهمجيّة المتوحشة الموصوفة في هِرودُتس، وشعب اكْرِتيَّسْ الراقي المتحضّر حضارةً فخمة.

وعلاوة على ذلك، كيف المرور من رمال أفريقيا إلى الجزيرة الشاسعة التي يحدثنا عنها أفلاطون؟ ويبدو أنّ تلك الجزيرة لم يعرفها أحد قبل التيمئس. وإنما يذكر ابْروكْلُس نصّاً لمؤرخ يونانيّ، اسمه مَرْكلُّس، ألف كتاباً على الحبشة[٧]، يتكلّم فيه صاحبه عن عشر جزر في البحر الخارجي، أكبرها جزيرة بُسِذون، وهي تبلغ طول ألف اسْتاذِيا أي ١٧٨ كلم. ويقول ذاك المؤرخ: «كان سكان جزيرة بُسِذون يلهجون بذكرى جزيرة الأطلنتيس، التي سبقت في الواقع ووجدت في تلك الأنحاء. وقد تناقلوا تلك الذكرى عن السلف. وقد كانت أفسَح الجزر، وسيطرت مدة أحقاب طويلة، وبسطت سلطتها على جميع جزر الأطلنطي. وكانت ملكاً لبُسِذون». غير أننا إذا استثنينا ابْروكلُس، لا يعرف أحد مَركلُّس هذا، مؤرخ أفريقيا. وعلى كل حال، فقد طالع مَرْكلس نفسه حوار التِيمِئس وحوار اكْرتِيَّس. ويبدو نصّه مجرّد مطابقة لرواية أفلاطون: «أن

(٥) ذِيُوذُرُسْ ٣: ٦٠.

(٦) راجع دربوا ده جوبانفيل D Arbois de Jubainville، أول سكان أوربا ١:٢، ص ٢١ و٢٤. ومن أحب التبحر في هذا الموضوع يجد معلومات في المصنفات التالية:

- مانتزي Manzi، كتاب الاطلنتيس، باريس، ١٩٢٢
- جاتفوسه Gattefosse، الحقيقة عن الاطلنتيس، ليون، ١٩٢٣
- ده فينيه R. Devigne، قارة متوارية، الأطلنتيس أو القسم السادس من الكرة الأرضية، باريس، ١٩٢٤.

(٧) راجع ديهل، ١:١٧٧، ص ٢٠ -١٠.

الأطلنتيس لا يذكرها سوى أفلاطون والذين قرؤوا له». إن هذا الحكم هو حكم مؤرخ من أوسع المؤرخين اطلاعاً على هذه المواد. وهذا الحكم يصحّ كل مرة ينّقب المرء عن المصادر تنقيباً دقيقاً[٨].

وفعلا حسب المرء أن يطالع الكْرِتيَّس، ليكتشف عملياً المنهج الذي ألِفه أفلاطون في النقل. فكل عناصر وصفه الأطلنتيس قد استمدها ممّا حوله في العالم اليونانيّ، في أثينا بالذات، أو على تخوم الحضارة الهِلِينّية، في كَريت وربّما في مصر.

فالقسم الأسطوري كلّه من حوار اكرتيّس هو أولاً دقيق كلّ الدقة يطابق التقاليد اليونانيّة، على ما رأينا. وحيث يظنّ المرء أنه يلقى بعض التباين، يُحتمل أن يكون أفلاطون قد اتبّع تعليما نجهله. وإذا أحصى الفيلسوف، خلافاً للعرف والعادة، حول بُسِذون مئة جنيّة من جنيّات البحار بدل خمسين، فما ذلك إلا من باب المغالاة في جزيرة ضخمة مثل الأطلنتيس[٩]. أضف إلى ذلك أنّ هيكل بسذون واكلُتو، قرينته البشريّة، يشبه شبهاً تاماً أيَّ هيكل يونانيّ. لا بل يكاد أن يكون في ضخامة هيكل أرتميس أفسس أو هيكل زِفْس الألَمْبِيّ في أثينا، ولا يبذّهما عظمةً إلا قليلاً. فالزخارف فيه أوفر ثراءً، ولكنّ نمط التزويق مماثل. وعلى غرار المعبد اليونانيّ، فهيكل الأُطلَنتيس هو مسكن الإله. وليس كالكنيسة المسيحيّة بيت المؤمنين. ففيه يهيمن صنم جبّار للإله، تحدق به تماثيل أولاده وأحفاده، نظير زِفس العظيم في هيكل أوْلَمْبِيا[١٠] وفي الغابة المقدّسة حول المعبد، انتصبت مئات التماثيل وقد نذرتها ووقفتها له

---

(٨) راجع اجسيل S. Csell، تاريخ أفريقيا الشمالية القديم١، ١٩١٣، ص ٣٢٨.

(٩) لم يحص بِنذَرُس إلا خمسين نرئِيذِسْ أي جنيّةً من بنات نرِفْس، الأناشيد البرزخيّة ٦:٨. راجع إفربِيذِس، أيَّن، ش ١٠٨١.

(١٠) بَفْسَنِيَّس ٩:٢٥ : ٤ ثم ١٠:٧٣: ١١.

تقوى المؤمنين. ولم يتمكّن الفنّانون اليونان أن ينمّقوا هياكلهم إلا بالرسوم والزخارف المنّوعة الألوان. أمّا ملوك الأطلنتيس فقد غشّوها بصفائح فضيّة وعسجدية. فالمادة أثمن وأغلى، وأما أسلوب التنميق والتزويق فلا يختلف.

وفيما يتعلق بنبات الأطلنتيس وحيوانها، نجد أفلاطون يقف منها متعمداً ولا ريب، موقفاً مبهماً. فعنده تفصيل واحد دقيق، وهو ذكر الفيل، ولكن هذا التفصيل لا ينطوي على أنوار خاصّة عن القارة المتوارية. والفيل لا يوجد الآن في شمال أفريقيا إلا أنّ شهادات وافرة تشير إلى وجوده فيها حتى القرون الأولى من التاريخ المسيحيّ. وفي أراضي الإغريق ذاتها، ألم يتهيّأ مرةً من المرات لأفلاطون أن يشاهد بقايا الفيل القديم، وقد انتشر ربما في العصور الغابرة على كل سواحل البحر المتوسط[١١]؟

ولكن أيّ نماذج استطاع أفلاطون أن يرى حوله، لوصف موانئ الأُطْلَنْتيس وترعها ومبانيها وحصونها المسّورة. من الثابت الأكيد أن أفلاطون لم يضطرّ أن ينأى في البحث والتنقيب. لأنّ مهندساً عبقريّاً، هو هبوذمس المليتسي، كان قد أنشأ في جوار أثينا وعلى مقربةٍ منها قبل عهد أفلاطون بقليل، مجموعةً كاملة عجيبة من المرافئ والمدن ومستودعات الذخيرة والقلاع. ففي البِرِئِفْس، في ما كان سابقاً جزيرة صخريّة، وصلها فيما بعد باليابسة برزخ من رواسب السيول، انتصبت منطقة عالية من الأسوار الكثيفة دُعمت من سبعين إلى سبعين متراً بأبراج قوّية. وقد عززت تلك المنطقة الحماية حول الموانئ الثلاث، ميناء كانْثَرُسْ وميناء زِيْئَا وميناء مُنِخيّا، وجعلت منها حصوناً لا ترام.

---

(١١) راجع اجْسلِ S.GesII، تاريخ أفريقيا الشمالية القديم ١، ١٩١٣، ٧٤ -٧٩. ثم كاييـه Cayeux اكتشاف الفيل القديم في جزيرة ذِيلس (محضر صادر عـن نـدوة العلـوم، ١٩٠٨، ص ١٠٨٩).

وبعد ذاك العهد بقليل، شُيّد في البِرِئِفس السْكِفثِيكِي أي مستودع العتاد، لتصنف هناك في نظام تامّ الذخيرة والمؤن المعدّة للأساطيل الأثينيّة.

لا غرو أن موانئ البِرِئفْس ليست مستديرة متداخلة. وهي تنفتح على البحر بترع متوازية مستقلة. ولكن اثنتين منهما ذات شكل مستدير. ولا بدّ أن تكون ضخامة المشروع قد أثرت في أجداد أفلاطون، فانطبعت نفوسهم بها انطباعاً عميقاً(١٢).

هذا، وتفاصيل أخرى من الوصف الأفلاطوني في هذا الحوار، توحي لنا صورة عن حضارة كانت قد اندرست في عهد أفلاطون، منذ زمان سحيق. غير أن ذكرياتها كانت ولا بدّ قد لبثت حيّة في عالم البحر المتوسط، وتلك الحضارة هي حضارة بحر إِغِيْئُس وكَريتي والمستعمرات الكريتيّة. وما انفكّت جزيرة كَريتي مدّة عصور، محورَ شغل النحاس والقِلّز، المرغوب فيه إلى حدّ كبير في الأطلنتيس. وقد عرفت زخارف الأحجار المتنوّعة الألوان. وقد زُيّنت بمثلها حصون جزيرة بُسِذون. ويبدو أنّ أيّ بلد من بلدان العالم القديم لم يتقن فن استخدام المياه إتقان كريتي له. ولم يجارها أحد في تخزين العيون والينابيع، وجرّها إلى أمكنة نائية في قنوات محكمة الصنع. فالحضارة الكريتيّة، كحضارة الأطلنطيّين، حضارة بحريّة. أخيراً جزيرة كريتي هي موطن مصارعة الثيران، ومهبط عبادة الآلهة التي اتخذت شكل الأثوار.

وصيد الثور المقدّس قسم لازم من رتبة الذبائح، ليس فقط في كريتي ذاتها، وفي اكْنُسُوس وغُورْنيا، ولكن أيضاً في كلّ بلد بدا فيها أثر الحضارة الكريتيّة، نظير مِكِيني وتِيْرِنْثُس وأرْخُمِيني وفَفِيُو. فاللوحات المنقوشة

(١٢) راجع لأرسطو، السياسيّات ٢:٧: ١٢٦٧ b ٢٢ وبَفْسَنِيّس ١:١: ١ – ٣ ولفرازير J.G. Frazer على أثار بَفْسَنِيَّس في اليونان القديمة، ترجمة روث Roth باريس، ١٩٢٣، ص ١٨٦، ١٩٤.

والأواني المصور عليها تبدي لنا الصّيادين الرشقين. فهم، نظير ملوك الأطلنتيس، متسلحون بشباك ومزاريق، ومستعدّون لاقتناص الوحش الضاري، قبل تضحيته، إذ فيه يتجلى إله كريتي العظيم(١٣).

فقد كان في وسع أفلاطون، دون أن يخرج تقريباً من أثينا، أن يعثر على كل عناصر روايته الجوهريّة. وليس المرء في حاجة إلى احتمال وجود تقاليد افتراضية، تتعلق بسلطنة سِلِتيّه قديمة، أو مملكة خفية المعالم تولاها أزْلان أو مِزلي. فعندما كان الأثينيّون يطالعون حوار اكْرِتيَّس، كانوا يلاقون فيه مشاهد مأنوسة لم تضخّم تقريباً ولم تحَّور. ومن يدري هل استمّد أفلاطون قروضاً من أدب روائي خياليّ سابق؟ إذ لم تخل الإغريق منذ عهد الأذِسّية وعهد أرِسْتِيئَس الْرُكُنِيسي الشيخ، من قصص أسفار إلى بلاد عجيبة. فتاريخ هِرُوذْتُس يفرض مجموعة من المؤلفات السابقة لعهده، صبغتها لا علمية صرفة ولا خيالية بحتة. وكثير من تلك المؤلفات كان متداولاً ولا بدّ في زمن أفلاطون.

وهناك سمة بين السمات في الأسطورة الأفلاطونية تسترعي الانتباه إلى أكبر حدّ، وهي انتظام المنشآت في الأطلنتيس انتظاماً هندسياً. فهذا الانتظام في الحقيقة هو صبغة تشترك فيها كل المدن أو الدول الوهمية. وهي تظهر فوق كل شيء عمل العقل، غير المبالي بتشوش المادة، أو العاكف على قمعه والسيطرة عليه. وقد عَرف رجل فذّ فريد، وهو هِبُوذَمُس مبدع البِرِئفس، ومؤلف مشروع غريب أيضاً لدستور مثالي، قد عَرف ذلك العبقري أن يحقق على الأقل في الحقل المادي مخططاً يقهر به فهمُ الإنسان الطبيعة المعاندة. فلا يستحيل أن يكون أفلاطون قد استوحى إحدى كتابات هِبُوذَمُس(١٤).

---

(١٣) A.- J. Evaus: The palace of Minos I. The Neolithic and early and middle Minoan ages. Oxford, 1921: G. Glots:la Civilization égéenne, Paris, 1923, p. 126.210.339.

(١٤) أرسطو، السياسيات ١٢٦٧:٢:٧ b ٢٢ (Diels. Vorsokr. 3. 1, p. 293) ويحتمل أن يكون هبوذمس قد استعمل كلمة «المناضلون» للدلالة على المحاربين. وأفلاطون في التيمئس يعمد إلى عين الكلمة.

وعلى كل حال يرى المرء في سهولة أن وصف الأطلنتيس لا يخلو من نوايا التهذيب والتوجيه. فحضارة أثينا الزمن الغابر، وحضارة الأطلنتيس تتعارضان تعارض مثالين متباينين. فمن جهة فضيلة رصينة وقوة معتدلة، ومن جهة قدرة غاشمة جامحة. ومن جانب دولة صغيرة قادرة في أقصى حدّ أن تجيّش عشرين ألف محارب. ومن الجانب الآخر شعب لا يحصى، وجيش قوامه مليون ومائتا ألف مجنّد، وعتاد ضخم جبار.

ذلك أن الأطلنتيس، خلافاً للأتّكي، هي بلد بربري: بربريّ بعظمة منشآته المفرطة، وبخصب أراضيه خصباً لا يُصدَّق، وبزخارف قصوره وهياكله الثرية الباذخة، ثم بربري بخطط معاركه المختلفة عن خطط الإغريق. وهؤلاء لم يلجؤوا قط في حروبهم إلى المركبات والرماة(١٥).

أخيراً، تعيش الأطلنتيس على الصعيد السياسي، في ظل نظام طغياني. إذ لا بدّ لملوكها من حماية حرس منتخبين بكل عناية (١١٢ d و ١١٧ d). ومع حفظ التناسب، لا يقدر المرء أن لا يرى في حوار اكْرِتيَّس شبه معارضة أو مجاراة لحوارٍ منْيكْسِنْس، حيث عولج موضوع مماثل في قالب مختلف. وسقراط لا يستسلم تماماً إلى السخرية، عندما يسدي فيه ثناء عاطراً إلى مدينته ومسقط رأسه، وإلى مواطنيه الاثينيين، محتذياً في ذلك حذو المراثي أو معارضاً لها. فبلاده بلاد غالية عزيزة على قلب الآلهة، إذ تنازع بُسِذون وأثِنا مهمّة السهر عليها. والأتّكي لم تولّد على متنها، نظير أرَضين أخرى، زرافات من الوحوش الضارية والآبدة. وإنما أنجبت هي نفسها قاطنيها، وأنتجت لهم الغذاء الملائم، وحبتهم ثمرة الزيتون. ومن ثم، فهي في الحقيقة

(١٥) «ولدى سماعهم أسماء يونانية تطلق على أنـــاس برابـــرة..» d١١٦ «ولهـــم نهـــج بربري..».

أمهم وربيبتهم وتربتهم[١٦]. ثم إنها ائتمنت الآلهة عليهم، فربوهم التربية اللازمة[١٧]. وهكذا، لما كان للاثينيين جميعاً أصل واحد، فهم وحدهم عرفوا المساواة الحقيقية. وفي كل بلد آخر يمارس المواطنون الأسياد الطغيان ويستسلم له العباد.

وفي الواقع أحبط الأثينيّون القدامى، أجداد الاثينيّين المعاصرين، أحبطوا في حالات متعاقبة، جهود الأحكام البربرية الطغيانيّة للسيطرة عليهم واستعبادهم. وتغلّبوا على إيفْمُلْبُس، وقهروا الأمَزونيّات، ودحروا كثيرين غيرهم من الفاتحين البرابرة[١٨]. أفليست الأطلنتيس أقدم السيادات البربرية وأرهبهن أيضاً؟ أليست ذاك الحكم المطلق حيث يتجلى جوهر البربرية بالذات في شرخ اقتداره وثرائه وفي ما يولّد من كبر وصلف؟ فعلى هذا النمط، يمازج المغزى الخلقي النيّات والتوجيهات الوطنية. وهل الحرب التي تشنها أثينا على الأطلنتيس، سوى معارضة شعرية للحرب الحقيقية التي ألبت على البربرية الفارسية، مدة نصف قرن من سنة ٤٩٢ قزم إلى سنة ٤٤٩، كل قوى اليونان بقيادة أثِينا؟

وفي رواية وقائع تلك الحرب، في القسم الضائع أو غير المكتمل من حوار اكرتيس، كان لا بدّ لأفلاطون من إعادة سرد إيسخلس الشيخ لها ذلك السرد الرائع، ولكن على طريقته الخاصة. ويتحتّم عليه إذ ذاك أن ينقل الصراع خارج حدود التاريخ، وأن يستخلص منه في حريّة مطلقة العبر الأزليّة.

---

(١٦) منيكسنس ٢٣٧ c.

(١٧) ٢٣٧ e و ٢٣٨b d e.

(١٨) ٢٣٩ b. «وكيف ردوا على الأعقاب أعداء قبل هؤلاء أيضاً...».

ومن هذا القبيل تعارض لا ريب فيه، بين القصّة الأفلاطونية وكلّ محاولات سابقي أفلاطون أو معاصريه. فما من كاتب عرف، بنهجٍ يفضل نهج أفلاطون، أنْ يلقينا في عالم الوهم، وأن يفرض علينا حلمه كحقيقة عينية. ولكن أفلاطون في استنباطه بالذات وفي تّلهيه بعارضته، لا يدع خياله ينساق، خلافاً لتلميذه هركليذس، إلى مدى أبعد ممّا عيّن لنفسه من حدود. ولا يحتاج بثغورس والمجوس أن يتدّخلوا في روايته. فهو يعرف أن يحقّق، معتمداً على ما يوّفر له العالم الذي يحيا فيه من معطيات، أسطورة مدهشة بتدفق حياتها، على كونها في ذات الوقت دقيقة كمحضر مَسّاح، وغارقةً في ضياء الأحلام. وهو يعرف أيضاً أن يُبرز خير إبراز ما انطوت عليه من عبر سامية، تطيب للفيلسوف وتروق السياسي.

فمقطوعة الكرتيس لا تقلّ قدراً عن الجمهورية والشرائع. لا بل ربما سمحنا لأنفسنا بالاعتقاد أنّ جوهر الفن الأفلاطوني الخاصّ بالفيلسوف والذي لا يجاريه فيه أحد، يظهر في هذا الحوار بنصاعة دونها نصاعة أي حوار آخر.

الفصل السادس

مخطوطات اكريْتيَّسْ

إنّ مخطوط حوار اكرتيس الرئيسي هو الباريزي ١٨٠٧، حيث نُسخ الحوار على الصفحات ١٤٥ -١٥٢. وشأنه في هذا الأمر شأن حوار التيمئس.

أما المحظوظان W.Y فلا يحويان نصّنا. لكن مخطوط فييّنا الخامس والخمسين ينطوي على نسخة ممتازة ذات اختلافات كثيرة هامة، لم يخرجها كلها المشرفون على طبع الحوار. والفاتيكانيّ ٢٢٨ والبندقيّ ١٨٤ يوفران هما أيضاً بعض الفوراق القيمة.

وقد قابلنا نصّنا كاملة على الباريزي A وعلى مخطوط فيينا الخامس والخمسين. وحواشي نصّنا اليونانيّ تشير إلى اختلافات ذنيك المخطوطين. وقد استفدنا فائدة كبرى من طبعة اكرتيس المنشورة سنة ١٨٥٥، مزدانة بحواش ثرية وترجمة لاتينية أنجزها اشنيدر[(١)].

---

١ - (١) Index lectionum in universitate litterarum Vratislaviensi per hiemem A. MDCCCLV , habendarum …et Diem natalem Regis … Friderici Guilelmi IV celebrandum ,.. indicit G. E . Chr . Schneider (2 diss, Vratislaviae, 1855).

حوَار اكرتيَّس

أو الحوار الأطلنطي

أشخاص الحوار

- تِيْمِئُسْ
- اكْرِتِيَّسْ
- سُكْراتِسْ
- هِرْمُكْراتِسْ

حــوار اكرتيس

أو حوار الأطلنطي

١ - المطلع: ارتياح تِيْمِئُس إلى الصمت بعد طول الحديث:

تِيْمِئُس: كم يلذّ لي، يا سقراط، أن أفلت الآن بسرورٍ من جولات
١٠٦ الحديث، وكأنني قد رحت أستريح بعد دربٍ طويلة. فابتهل إلى الإله الذي وُلد
b فعلاً من قبل، ذات يوم في الزمن الغابر، والمولود الآن في أقوالنا منذ عهدٍ
قريب، أن يهبنا صيانة ما قيل منها باعتدال، وإن شططنا في الكلام عن غير تعمّد، وتجاوزنا الحدود، أن يفرض علينا العقوبة الملائمة. والحكم القويم أن يعاد من فرّط وشذّ إلى الأصول والنغم السديد. ولكي يستقيم لنا القول من الآن فصاعداً، في كلامنا عن مولد الآلهة، نسأله أن يمنحنا خير العلاج وأنجعه، ألا وهو المعرفة. وبعد الابتهال، ندع، على ما اتفقنا، متابعة الحديث لاكْرِتِيّس.

٢ - اكْرِتِيّس يلتمس إِغضاء سامعيه:

c اكْرِتِيّس: ألا يا تِيمِئس، إني أقبل الأمانة. ولكنّني أحذو حذوك. كما
ابتدأت وطلبت تسامح سامعيك لإقدامك على حديث خطير، أنا أيضاً ألتمس
١٠٧ الآن نفس التسامح لا بل أحسب نفسي أهلاً لتسامح أعظم، بشأن ما أنا مقدم
a على قوله. وعلى كوني أعلم أنّني موشك أن أسأل سؤلاً مفرط التبجّح وأكثر
خشونة مما يُطاق، فمع ذلك لا بدّ لي من إبدائه.

أولاً، أي إنسان أريب مدركٍ يجرؤ على ادعاء أنّ ما قلت لم تُجد قوله؟ ولكن لا بدّ لي أن أحاول على وجهٍ من الوجوه تلقينكم أنّ ما سيقال بحاجة إلى تسامح أعظم، لأنه أكثر مشقّة وصعوبة. إذ أسهل على المرء، يا تِيْمِئُس إذا تحدث إلى الناس في قضيّة تدور حول الآلهة أن يظهر لهم في مظهر
b المصيب، من أن يحدثنا في قضية من قضايانا، ويظهر لنا ذاك المظهر عينه. لأن عدم خبرة السامعين بشؤون الآلهة، وجهلهم المطبق بأمورها، يوفران منفرجاً كبيراً لمن يُقدم على الخوض في قضيّة من قضاياها، ونحن نعرف حق المعرفة ما هي درجة اطلاعنا على قضايا الآلهة.

ولكن لأوضح مقالي إيضاحاً أوفى، اهتمّوا معي لهذه الناحية التالية. إنه لضروري حقاً من بعض الوجوه، أن تكون أقوالنا نحن جميعاً قدوةً ما ومماثلة(١). فلننظر إلى عمل الرسّامين الذي به يصوّرون أجسام الآلهة
c والبشر. ولننظر إليه في ما يلقى من هينة أو عناء، ليبدو للمشاهدين أنه يمثّل تلك الأجسام تمثيلاً وافياً، فنتثبّت عندئذ أننا فيما يتعلق بالأرض والجبال والأنهار والآجام والسماء وجملة ما فيها وما يدور في فلكها، في كل هذه نكتفي ونسرّ بأن يتمكن رسام أن يجاري شيئاً منها ولو زهيداً، ويقارب فيه شبهها. أضف إلى ذلك أننا لمّا كنا لا نعرف شيئاً مضبوطاً عن مثل تلك
d الأشياء، فنحن لا نتحرى رسومها ولا نناقشها، بل نجتزئ رسم ظلها رسماً غامضاً خدّاعاً.

ولكن عندما يقدم رسَّام على تصوير أجسامنا، بما أننا نشعر شعوراً مرهفاً بأي نقص في رسمه بسبب ملاحظتنا الملحّة الدائمة لذواتنا، نغدو

---

(١) إن نظريّة الفن التي يذكر بها أفلاطون في هذا المقام، قد بُسطت في الجمهورية ١٠: ٥٩٨ وما يلي، وفي السفستي أيضاً. ويبدو لنا أنّ التبسّط فيها ههنا يحمل على شيء من الملل لأنه لا يلائم الموضوع.

محكمين و(نقسو بأحكامنا) على من لم يؤدِّ تأدية تامّة كل أوجه الشبه. وهذا الوضع نفسه يجب أن نعتبره مطبّقاً على الأقوال والأحاديث. فنرضى بالأمور السماوية والإلهية ولو صورّها الكلام تصويراً زهيداً. أما الأمور التي تمتّ إلى المائتين والبشر فنتحراها بكلّ دقة.

فيجب إذن أن تغضّوا الطرف عمّا سأقوله حالاً وبدون استعداد، إن لم أستطع أيفاءه حقّه تماماً. إذ لا بدّ أن نفهم أنّ تصوير أحوال المائتين ليس
١٠٨ بالسهل، بل صعب وشاقّ لأن تلك الأحوال تمتّ إلى الظنّ والتخمين. ولقد
a نطقتُ بهذا كله، يا سقراط، لرغبتي في أن أذكّركم بهذه الأمور، والتماساً لا لتساهل أقلّ بل أعظم بشأن ما أنا مزمع أن أقول. فإن بدا لكم أني التمس منحة عادلة، فاحبوني إياها عن طيبة خاطر.

سقراط: ولمَ لا نحبوك إياها، يا اكرِتْيَّس؟ ولتوهب من قبلنا نفسُ الهبة
b للخطيب الثالث أيضاً، لهرْمُكراتِس. إذ من الواضح أنه سوف يلتمس بعد قليل عين الإنعام نظيركما، عندما يترتّب عليه أن يتكلم. فلكي يستنبط إذن مطلعاً آخر ولا يُضطر أن يردّد عين الاستهلال. فلينطق وهو واثق أنّ إغضاءنا مضمون له لذلك الحين. وإني أسبق وأقول لك، يا عزيزي اكرِتيَّس، استعداد الجمهور نحوك، لأن الشاعر الأوّل قد نال كلّ رضاه وأثار إعجابه. ومن ثمّ سوف تحتاج إلى تساهل جمّ، إن قُدرت فتمكّنت من نيل نفس التأييد والإعجاب.

c هرْمُكْراتِس: طبعاً يا سُقراط، إنك توجه نفس الانذار، إلى الزميل هذا وإليّ. ولكن في الواقع يا اكْرتيَّس، لم يرفع حتى الآن معالم الغلبة والانتصار رجال خُلعت قلوبهم. فعليك إذن أن تباشر خطابك بشهامة، وبعد الدعاء إلى أبْولُّن وربّات المعرفة والأدب والفنون، أن تظهر مآثر مواطنينا الأقدمين وتُشيد بمديحهم.

d اكْرِتيَّس: يا صديقي هرْمُكْراتِس، لا تزال ثابت الجأش لأن أمامك آخر، ودورك في الكلام عُيّن للغد. ولكن المهمة الملقاة عليك، سرعان ما ستبدي لك خطورتها. والآن عليّ أن أذعن لنصحك وتشجيعك، وأن أستنجد بمن ذكرت من الآلهة، وبالآلهة الآخرين، ولا سيّما الذاكرة امنِمُسيني. إذ أخطر أقوالنا تكاد تتعلق كلها بهذه الإلاهة الأخيرة. لأننا إذا تذكرنا ذكرى وافية وروينا أقوال الكهنة (المصريين) – وقد نقلها صُوْلُن إلى ديارنا – فأنا أعرف تقريباً أننا سوف نبدو لهذا الجمهور بمظهر من أنجز ما يليق به إنجازاً مقبولاً. والآن هيّا بنا إذن لنتمَّ ما قصدناه، دون أيّ أبطاء.

٣ - تلخيص معطيات التِيمِئُس:

c فلنتذكر قبل كل شيء، أن جملة ما انقضى من السنين تسعة آلاف، منذ أن وقعت الحرب وأعلنت بين الشعوب القاطنة ما وراء عمد هِركْلِيس وخارجاً عنها من جهة، وبين الشعوب كلها القاطنة قبل تلك العمد داخل البر من جهة أخرى. فينبغي لنا الآن أن نفصّل تلك الحرب.

كان الناس إذن يردَّدون أنّ هذه الدولة رئست الشعوب البرية وخاضت الحرب كلها، وأن ملوك جزيرة الأطلنتيس تزعّموا شعوب البحر. ولقد قلنا إن

١٠٩ تلك الجزيرة كانت آنذاك أكبر من ليبيا وآسيا. أما الآن وقد غاصت في اللجة

a بسبب الهزات الأرضية، فهي لا توفر للمبحرين من ههنا إلى البحر الكبير سوى لثقٍ لا يُعبر يمنع الإبحار والإجتياز بها.

وسيبدي سياق كلامنا، وهو يتبسّط وكأنه على سجيّته، سيبدي في كل تفاصيله، أن معظم الشعوب كانت بربريّة. وكم كان عندئذ عدد شعوب اليونان. ولكن الضرورة تفرض علينا أولاً أن نعرض من المبادئ، ما يتعلق بأثينِيي ذلك العهد، وما يتعلق بخصومهم ومناوئيهم، وأن نفصّل سطوة واقتدار كلا الطرفين والسياسة أو نوع الحكم المتّبع لدى كل منهما. وبين هذا وذاك

a بالذات، علينا أن نعطي الأفضلية في الكلام لهذا البلد، وأن نبدأ به مقالنا.

الفصل الأول

أثينا الزمن الغابر

١ - أثِيْنا ملك هيِفِسْتُس وأثِنا:

لقد اقترع الآلهة على بقع الأرض، واقتسموها كلها فيما بينهم بالرضى لا بالنزاع. إذ لا يجمل القول بأن الآلهة يجهلون كل ما يليق بكل منهم، كما لا يستقيم القول بأنهم، على علمهم بما هو أصلح لغيرهم، يحاولون أن يستأثروا به دون الآخرين بالخصومات والمشاحنات. فقد نالوا إذن بقرع العدل والحقّ، ما تصبو إليه نفوسهم وأقاموا في مقاطعاتهم. ولما هبطوها، جعلوا يربّونها ويغذونها كأنها قطعان رعيتهم وبمثابة قنايا وصغارٍ رضّع لهم. بيد أنهم لم
يعمدوا إلى العنف لإخضاع أجسادنا بقوة أجسامهم، كما الرعاة قطعانهم c
بالضرب، بل كانوا يقودونا ويقوّمون خطانا، من حيث ينقاد الحيّ غاية الانقياد، من رأس سفينتنا، مؤثرين على أرواحنا طبقاً لنواياهم بالإقناع، تأثير النوتي على سفينته بالدقة، فهكذا كانوا يقودون الجنس البشري طرّاً، وهو جنس المائتين، ويسوسونه تلك السياسة.

إذن قد نال بعض الآلهة بالقرعة جهات معيّنة، وحظي بعضهم بجهات أخرى، وتولّوا تنظيمها ورعاية شؤونها. ولما كان هيِفِسْتُسَ وأثِنا قد أحرزا

طبيعة مشتركة، هي أولاً طبيعة وسجيّة إخوة من أب واحد، وهي ثانيا ميل
d واحد إلى ذات الهواية والمرامي، ناتج عن حبهما المعرفة والفنون، لأجل ذلك
نال الإثنان معاً ميراثاً واحداً هو هذه البقعة، لأنها تلائمها وتصبو طبعاً إلى
الفضيلة والتعقّل. وقد أنجبا فيها أناساً أفاضل ولُدوا من التربة بالذات[1]،
ووضعا لهم نظاماً سياسيّاً قوامه العقل والفطنة.

وقد حُفظت أسماء أولئك الرجال، ولكنّ أعمالهم درست وعفت بسبب
الكوارث والبلايا التي حلّت بأعقابهم، وبسبب تراخي الأزمان وطول الحقب.
لأنّ الأجيال المتعاقبة الناجية من تلك الكوارث، على ما قيل سابقاً، لبثت جبليّة
e أمية، تسمع سماعاً فقط بأسماء عظماء البلاد، ولا يُنقل إليها فضلاً عن ذلك
إلاّ النذر المقتضب عن أعمالهم. فكانوا إذن يأتمنون أعقابهم بسرورٍ على تلك
الأسماء. أمّا فضائل السلف وشرائعهم فقد جهلوها، ما خلا أصداء غامضة
حول كل منها. ولما ضاقت بهم سبل العيش وضرورياته طيلة أجيال مديدة هم
وأبناؤهم، كانوا يتشاغلون بتلك الضائقات، صارفين إليها أفكارهم ومتناولين
إياها بأحاديثهم، ويهملون شؤون أسلافهم الأوائل، ويتغاضون عن فعالهم
١١٠ الغابرة السحيقة. لأنّ الاهتمام بالأسطورة والتنقيب عن الأمور الغابرة لم
a يجتاحا المدن إلاّ مع الفراغ من الهموم المعاشيّة، عندما عرف بعضهم أنّ
ضروريات الحياة قد أمنت لهم، وليس قبل. ومن ثمة قد حفظت لنا أسماء
الأقدمين دون الأعمال.

وأقول هذه الأشياء، وأقيم الدليل على قولي معتمداً في ذلك على رواية
صُولن. فهو يقول إن أغلب أمجاد كيكربس وإرختفس وإرختونيس وإرسختون
b وغيرهم (من الملوك)، وأن كلّ ما يتّردد عندنا من بطولات عمّن سبقوا عهد

---

١ - (١) راجع في تفصيل هذا كله كتاب الأسطورة اليونانية، للأب بربارة دمشق، طبعة وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٥. (المعرّب)

تشفس، عندما تُذكر أسماء كل منهم، إن أمجاد لك هؤلاء الرجال قد سردها أولئك الكهنة في حديثهم عن الحرب التي وقعت آنذاك، ذاكرين أسماء أبطالها. وكذلك أسماء وأمجاد النساء (اللائي عشن في تلك العهود)، قد رُويت هي أيضاً على الطريقة نفسها.

٢ - دستور أثينا القديم:

وبما أنّ المهام المتعلقة بالحرب كانت في تلك العهود مشتركة بين الرجال والنساء، - ولذا زيّن أهل هاتيك العصور المسلحة وأبدوها بذاك الزي، طبقاً للقانون المشار إليه في هذا المقام -، في الواقع يبرهن زيّ الإلهة وتمثالها على
c أنّ كل الحيوانات المزدوجة، المؤلفة من ذكور وإناث، تستطيع بطبيعتها أن توفر لكلّ جنس فيها، (لجنس الذكور ولجنس الإناث)، الفضيلة الملائمة المشتركة (بين الجنسين).

وقد قطن في هذا البلد آنذاك أوّلاً جماهير المواطنين المنصرفين إلى المهن والصناعات، وإلى تأمين العيش من الأرض، وثانياً جمهور المحاربين، وقد
d عزله منذ البدء أناس إلهيون، فأقام منفرداً عن الجماهير الأخرى، وقد أمنّت له كلّ وسائل العيش والتهذيب، لا يقتني أحد من أفراده ملكا خاصاً، معتقدين أن الأشياء كلها مشتركة بينهم. فهم لا يفرضون على المواطنين الآخرين إِتاوة ما، ولا يتقاضونهم سوى المعيشة الواقية، بعد أن يقوموا بجميع المهمّات التي وفيناها البارحة حقّها من التفصيل، في كلامنا على حماة البلاد المقامين (للذود عنها).

٣ - وصف الأتكي القديمة وحدودها:

وفي الحقيقة، ما كان يقال عن بلادنا صادق يحمل علة الثقة. فقد شملت
e في ذلك العهد حدوداً امتدّت من جهة إلى المضيق، ومن جهة البرّ المقابلة إلى

قمم جبال كِثرونٍ وبَارْنسس، وانحدرت نحو اليمين وضمّت مدينة أرُبيّا، وعلى
الشمال بلغت البحر وتاخمت نهر آسُبُسْ.

هذا وقد تفوّقت تربتنا على كلّ تربة بطيبتها وخصبها. لذا تمكنت البقعة أن
١١١ تقوت آنذاك جيشاً عرمرماً، مع انقطاعه التامّ عن أشغال الفلاحة والزراعة. ولنا
a دليل كبير على ذلك الخصب، وهو أن البقيّة الباقية من هذه التربة تضاهي أية
بقعة أخرى على الإطلاق بغزارة ثمارها الفاخرة وتنوّعها وطيبة مراعيها لكلّ
ضرب من الحيوان. وفي ذلك الحين كانت التربة تؤتي ثمارها بوفرة فائقة،
فضلاً عن جمال تلك الثمرات ولذّتها.

ولكن كيف يكون هذا الكلام أميناً صادقاً، وبناءً على أي أثر من تلك التربة
القديمة قد يستقيم؟ إن أرضنا كلها راحت تتباعد عن البرّ وتستطيل ممتّدة نحو
البحر، وتستلقي عليه وكأنها رأس. وحوض البحر حولها يغور بجملته إلى عمق
سحيق. وإذا حدثت طوفانات ضخمة كثيرة خلال الآلاف التسعة الماضية، -
b وهذا هو عدد السنين المنصرمة من ذلك الزمن إلى عهدنا هذا(١). – ففي تلك
الأحقاب الطويلة والغير المتعاقبة، انجرفت تربة الأرض من الصرود العالية،
ولم تترك نجوداً أو تلالاً تستحق الذكر، كما تفعل في أمكنة غير هذه الأمكنة. بل
سحبتها السيول دوماً إلى الأعماق المحدقة بأرضنا حيث غارت وتوارت. ولم
يبق منها سوى آثار، مثل الآثار الراسبة في الجزر الصغيرة(٢). وإذا قيست هذه
البقايا بالتربة القائمة في ذلك العهد، شابهت عظام جسم مريض. فقد جُرفت من
الأرض تربتها الخصبة الرخصة، ولم يلبث من البقعة سوى جسمها الأعجف.

---

(١) تلك هي المدة التي أشار إليها هذا الحوار من قبل (١٠٨ e)، كما أشار إليها حوار التيمِئس (e٢٣ e٢٤).

(٢) يلمّح أفلاطون ههنا إلى جزر الكِكْلاذِس، المنتشرة على شكلٍ مستدير في بحر اغيئس، وهذا معنى اسمها. وهي مجرد صخورٍ عارية، لا تربة فيها ولا مياه. إلا في ماندر.

c ولكنها في ذلك الزمان، كانت سليمة، وشملت جبالاً غزيرة التربة عالية واتسعت لسهول وافرة التربة أيضاً خصبة سُميت اليوم سهول فلْفِس البركانية[٣]. وحوت في جبالها غابات كثيفة لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا. لأن من تلك الجبال مالا يوفر الآن غذاءً إلا للنحل وحده. ولكن من زمن ليس بالبعيد، كانوا يقطعون منها أشجاراً ضخمة تصلح لدعم أكبر الأبنية. ولا تبرح سقوف تلك الأبنية سليمة حتى الآن. هذا وقد كثرت فيها أيضاً الأشجار المثمرة الباسقة. وتوافرت فيها المراعي الطيبة للمواشي.

d وكانت تلك التربة تستغل أيضاً مياه زِفْي[٤] السنوية، لا كأراضينا الحاضرة التالفة، التي يجري عليها الغيث وهي جرداء، ثم ينحدر إلى البحار. بل كانت هي نفسها كمّية غزيرة من المياه، ثم تتقبل ماء السماء وتختزنه في طبقاتها الصلصالية المتماسكة التي لا تدعه يرشح، وتتشرّب مياه الهضاب العالية، وتحقنه في جوفها، ثم تفجّر في كل البقاع كوثراً فيّاضاً يتدفق بلا انقطاع من الينابيع والأنهار. والهياكل القائمة إلى أيامنا هذه على عيون تلك الغدران، هي دلائل لنا على صحّة كلامنا الحاضر عن تلك التربة القديمة.

e تلك كانت طبيعة الريف، وذلك كان وضعه. وقد عمل فيه ونظّمه على ما يليق به مزارعون حقيقيّون منصرفون كلّ الانصراف إلى مهمّتهم، متعشّقون الجمال وصالحون بالطبع، ينعمون بأرض غاية في الجودة، ومياه متدفقة فيّاضة لا تنضب، وفصول مؤاتية تلك البقاع، معتدلةٍ خير اعتدال.

---

(٣) إن كلمة فلفس اليونانية تدّل على ضرب من الحجارة البركانية السوداء الكثيرة الثقوب كالاسفنج. وكلمة فلفس استعملت ههنا للدلالة على أرض كثرت فيها تلك الحجارة. راجع لأرستفانس رواية الاخرنيس ٢٧٣، والسحب ٧١.

(٤) زفس هو أبو الآلهة والبشر في نظرهم. وقد نسبوا إليه كل الأحداث السماوية العلوية من برق ورعد ومطر وبرد وثلج. ولذا قال ههنا «مياه زفس» وعنى بها الأمطار الموسمية. راجع الأسطورة اليونانية، للأب فؤاد بربارة طبعة وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق ١٩٦٥. (المعرب)

٤ - مدينة أثينا:

١١٢ أما المدينة فقد أُهِلت على الوجه الآتي في ذاك العصر الغابر: فقبل كل
a شيء لم تكن حالة هضبة الأكْرُوبْلِسِ على ما هي عليه اليوم. أذا انقضت عليها ليلة واحدة، انهمرت أمطارها انهماراً خارقاً فأذابتها وجرّدتها من التربة وصحبتها هزات أرضية، وقبل الهزّات فيضان ماء هائل، هو الطوفان الثالث قبل الكارثة التي حلّت على عهد ذفْكِلِيَّن(١).

وقد بلغت تلك الهضبة من العظمة مدى كبيراً، بحيث امتدّت إلى نهرهِرِدَنُيَوس وإِلسَّوْسْ وانطوت على تلة ابْنِيكْس وعلى جبل لِكَفِتَّوُس المقابل بها.
b وغزرت تربة الهضبة كلها، وانبطحت وتسطّحت في أعاليها ماخلا جهات قليلة منها. وسكن خارج الأكْرُوبْلِسِ، على سفوحها بالذات، أهل المهن والصناعات، ومن المزارعين كل الذين انصرفوا إلى الزراعة والفلاحة بجوارها أما رأس الأكْرَوبْلِسِ فقد أقام منطوياً على ذاته جمهور المحاربين، وجعلوا مساكنهم حول هيكل أثينا وهِيْفستُسِ، وحصّنوها بجدار واحد، كأنها حديقة منزل واحد، ونزلوا بيوتاً مشتركة واقعة في شمال الأكْرُوبْلِسِ وأعدوا هناك مطاعم شتويّة. وتوفرت لهم كل أسباب المعيشة المشتركة وما يليق بها من نوادٍ وهياكل إلا أنهم قد
c أعرضوا عن الذهب والفضة، ولم يعمدوا قطّ إلى استعمالها. بل اتبعوا سبيلاً وسطاً بين الترف والخسّة، وابتنوا لأنفسهم منازل جميلة، شاخوا فيها هم وأحفاد أحفادهم، منقلبّين فيها ذاتها على الدوام، وتاركينها من بعدهم لأعقاب يماثلونهم.

---

٤ - (١) قد وقع أذن أربعة طوفانات، ومنها طوفان ذفكلين، قبل الزمن الحاضر. والتميئس يقول فقط: وقد وقع من ذي قبل طوفانات كثيرة (٢٣ b). راجع المقدمة ٣: ١. والأسطورة اليونانية المذكورة، بشأن ذفكلين وطوفانه.

أمّا الجهة الغربيّة من الأكْرُوبلس فقد استفادوا منها لإنشاء حدائق وملاعب، ومطاعم جماعيّة يغادرونها آناء القيظ. وتفجّرت في موضع
d الأكروبلس الحاليّة عين غزيرة واحدة، غارت الآن بسبب الهزات، ولم تترك حولها سوى جداول صغيرة. أما أهل ذلك العهد، فقد كانت توفّر لهم جميعاً ماء غزيراً لا ينضب، يفيض فيضاناً في الشتاء وفي الصيف.

وهذا كان نمط حياتهم. كانوا يسهرون على مواطنيهم، ويسوسون شعوب اليونان الأخرى، وهي منقادة لهم عن رضى. ويحرصون أشدّ الحرص على أن يبقى فيهم عدد الرجال والنساء، الذين أصبحوا قادرين على
e خوض الحروب أو الذين خاضوها وظلّوا قادرين على خوضها، واحداً على الدوام، أي حوالي عشرين ألفاً في أقصى الحدود. فقد امتاز إذن أولئك الحماة بتلك المزايا، وساسوا دولتهم وبلاد اليونان طرّاً بالعدل على ذلك المنهج المطّرد. واشتهروا في كل أوربا وآسيا بجمال أجسادهم وبمختلف مناقبهم الروحيّة. وذاع صيتهم أكثر من جميع معاصريهم[٢].

---

(٢) إن هذا الوصف المقتضب يذكرنا باللوحة التي رسمها أفلاطون في الجمهورية عن الدولة المثلى. ولكنه لا ينطبق على البرنامج الذي بسطه الفيلسوف في التميئس (٢٧ a b). وطبقاً لذاك البرنامج، كان على اكرتيس أن يتوسع خصوصاً في عرض مناقب الأثينيين القدامى. ولعل أفلاطون يتعمد الغموض والإبهام، ولعله يدع هذا الموضوع ليجول فيه جولة أكمل في حوار هرمكراتس.

الفصل الثاني

الأطْلَنْتِيس

١ - لماذا يسمّى اكْرِتِيَّس أصحابها بأسماء يونانيّة؟

ولنبسط لديكم الآن أنتم الخلان – لأنّ كل المعارف مشتركة بين الأصدقاء -، لنبسط لديكم حال مناوئيهم الذين شهروا الحرب عليهم، ولنفصّل كيف كانت حالهم، وأطوار نشأتهم، إن لم تفتنا ذكرى الأمور، لأنّا سمعنا بها ١١٣
ونحن بعد أطفال. a

ولا بّد لي، قبل مباشرة الحديث، أن أبيّن لكم أيضاً هذه النقطة التالية بإيجاز، خشية أن تدهشوا لكثرة سماعكم أسماء يونانيّة، أطلقت على أناس برابرة. سوف تعلمون إذن سبب تلك التسميات. إن صُوَلن، لعزمه على الاستفادة من هذه القصّة في شعره، قد استفهم عن معنى الأسامي. فوجد أن أولئك المصريّين الأوّلين قد دوّنوا تلك الأسماء بعد أن نقلوها بمعناها إلى لغتهم. وهو في نوبته، تفهّم مفاد كلّ اسم من تلك الأسامي ونقلها إلى لغتنا وسجّلها. وهذه المخطوطات قد كانت طبعاً عند جدي، ولا تزال لديّ إلى الآن. وقد أكببت على درسها وتأمّلها وأنا بعد غلام صغير[١]. فإن سمعتم إذن

(١) لعل أفلاطون قدسها عما قال في الفقرة السابقة، وهو أن اكرتيس قد سمع سماعاً فقط في طفولته بتلك القصص والروايات، لا أنه قد أكب على درسها وتأملها. ولم يرد ذكر لهذه المخطوطات المحفوظة عند اكرتيس في حوار التميئس (٢٦).

b أسماء تجاري أسامي بلادنا، فلا يأخذكم العَجَب، إذ اطلعتم على سببها. أما تلك القصة الطويلة، فقد ابتدأت في ذلك العهد كما يلي تقريباً.

٢ - الأُطلَنْتِيس ملك بُسِذُون. ملوكها الأوائل:

على ما قلنا، في ما سبق، عن اقتراع الآلهة (على أرجاء الكون)،
c واقتسامهم الأرض كلّها بينهم[١]، حصصاً هنا أكثر اتساعاً وهنا أقلّ، وإقامة الهياكل والذبائح لأنفسهم[٢]، حظي بُسِذُون على هذا النحو بجزيرة الأطلنْتِيس، وأقام أبناءه الذين أنجبهم من امرأة مائتة، في مكان ما من الجزيرة هذه أوصافه.

على مقربة من البحر وإلى منتصف الجزيرة بجملتها، امتدّ سهل قيل عنه إنه كان أبهى كلّ السهول طراً، ومن أوفرها طيبةً وخصباً. وانتصبت
d كذلك في هذا السهل، على خمسين استاذياً من منتصفه، هضبة منخفضة الجوانب. هنالك كان يسكن رجل اسمه افِيْنُرْ، من أهل الأرض الأوّلين الذين نشؤوا في تلك البقعة، ومن تربتهم بالذات. وقد أقام مع امرأته لِفْكِيبْي. وأنجبا ابنة وحيدة اسمها اكلِتُو. ولمّا بلغت الصبيّة سنّ الزواج، ماتت أمها وتوّفي أبوها ومال إليها بُسِذُون واقترن بها. وحصّن الهضبة التي أقامت عليها. وقدَّها على شكل مستدير، وحوّطها بحلقات أو وصائد صغيرة فكبيرة من ماء ومن تراب تلتف تباعاً الواحدة حول الأخرى؟ اثنتين من تراب، وثلاثاً من ماء. وقد خطها وكأنه يدور على نفسه من منتصف الجزيرة. وكل حلقة تبعد
e بعداً واحداً من كل جهاتها عن ذاك المنتصف. ولمّا حّصنها على هذا الوجه،

(١) بشأن قسمة الأراضي بين الآلهة انظر ههنا المقطع ١٠٩ . يذكرنا أفلاطون ههنا باعتقاد عم وانتشر عندهم، وقد حاولوا أن يفسروا به اختلاف العبادات المحلية.

(٢) راجع في أسماء الأشخاص على اختلافهم، المقدمة، الفصل الثاني.

غدت ممتعة على البشر. إذ لم يكن بعد من سفن ولا من إبحار. وهو نفسه كإله زيّن الجزيرة المتوسطة (الناشئة عن الوصائد والخنادق المحدقة بها)[٣]. وفجّر من تربتها ينبوعي مياه، أحدهما يتدفّق ساخناً والآخر ينساب من عينه عذباً بارداً. وقدّم للجزيرة من الأرض طعاماً متنوّعاً وافراً.

١١٤ وولد له في خمس ولادات عشرة توائم ذكور. فربّاهم وقسّم جزيرة
a الأطلنّتيس كلهّا إلى عشرة أقسام، وأعطى الأوّل من مولودَيه الأكبَرين مقرّ أمّه والحصّة المحدقة به. وهي أفضل الحصص وأكثرها اتساعاً. ونصّبه ملكاً على إخوته الآخرين. وجعل هؤلاء أمراء. وأقطع كلا منهم ولاية أناس كثيرين وسلّطه على بقعة شاسعة.

وسمّاهم جميعهم بأسمائهم. وأعطى الأكبر أو الملك الاسم الذي أطلقت نسبته على الجزيرة كلهّا وعلى البحر المسمّى أطلنطيّ، لأن اسم أطلاس كان
b اسم (ابنه) الأوّل، الذي ملك في ذلك العهد. وأطلق على الثاني، المولود بعد ذاك، اسم إيْفْمِلُس باليونانية وغَاذَرُس باللهجة المحليّة، لأن التوأم الثاني نال بالقرعة طرف الجزيرة المتّجه نحو أعمدة هركليس، والمقابل الآن المقاطعة الغذيريّة المسمّاة باسم مكان هناك أطلق اسمه على تلك المقاطعة[٤] ودعا ابنيه المولودّين في الولادة الثانية، الأوّل أمْفيْرِس والثاني إفِيمُن. وأعطى
c الاثنين في الولادة الثالثة، السابق أعطاه اسم امنسِيْئَس واللاحق اسم افْتُوخْثُن.

---

(٣) يلاحظ القارئ أنّ أفلاطون يصف حالتين متعاقبتين على جزيرة الاطلنتيس. وقد زيّن الجزيرة وجملها على التتالي الآلهة ثم البشر بحذقهم ومهارتهم.

(٤) كل هذه السلالات والأنساب تبدو وكأنها مجاراة أو معرضة لما ألِف منها الشعراء والمؤرخون. ولا ريب أن أفلاطون ينهمك في هذه التفاصيل كلها، ونيته المزج والتهكم. لأنها كما يبدو لن تفيد أيّة فائدة في ما بعد، أمّا اختيار الأسماء ومعانيها فليرجع في ذلك إلى المقدّمة، الفصل الثاني.

والأوّل من البطن الرابع دعاه الاسِبُس والتالي مِيسْتر ولمولودي البطن الخامس للمتقدّم فيهما جعل اسم أزائِسٍ وللمتأخّر اسم ذِيبْرِيِيْس.

فهؤلاء قطنوا الجزيرة هو وأعقابهم مدى أجيال وأجيال. وتسلّطوا على
جزرٍ كثيرة أخرى في البحر. لا بل، على نحو ما قيل سابقاً، بلغت سيادتهم
حدود مصر وتِرنِيّا الواقعة داخل أعمدة هِركَلِيس من جهتنا هذه[1]. ووُلدت d
لأطلاس سلالة كبيرة وكريمة. والملك وهو الأكبر كان يسلّم الملك دوماً لبكر
مواليده. فحفظوا الملك مدى أجيال وأجيال.

٣ - موارد الأطلَنْتِيس الطبيعيّة:

وقد أحرز أولئك الملوك ثروةً بلغت من الضخامة حداً لم تبلغه قط ثروة
أيّة سلالة ملكيّة قبلهم، ولا يسهل أن تبلغها يوماً ثروة من بعدهم. وتوافرت
عليهم كل موارد المدينة وكل موارد المقاطعات الأخرى من البلاد. وقد كان e
يأتيهم من الخارج بسبب سيادتهم، خيرات وافرة. ولكن أكثر الخيرات
الضرورية للحياة كانت الجزيرة توفّرها لهم. أوّلاً كل ما يُستخرج من المناجم
من معادن صلبة أو سهلة الذوبان[2]. وذلك المعدن الذي نسميه الآن فقط، وفي
ذاك العهد، بالإضافة إلى اسمه كان صنفه يُستخرج من الأرض. وهو نحاس
الجبال الموجود في بقاع كثيرة من الجزيرة. وقد كان لأهل ذلك العهد أنفس
المعادن ما خلا الذهب[1]. ثانياً كلّ الأخشاب التي تقدّمها الغابات للنجارين في
شتى أشغالهم، كانت الجزيرة توفرها لهم بلا انقطاع. وتقوت أيضاً بوفرة ١١٥

(١) في موضوع السلطنة الأطلنطِيّة راجع التيمئس (ab ٢٥).

(٢) يعني بكلمة تِكْتا ticta المعادن السهلة الذوبان كالرصاص والقصدير، راجع السفستي (c ٢٦٥).

(١) في ما يتعلق بنحاس الجبال، راجع المقدمة، الفصل الثالث، القسم الثاني.

صنوف الحيوانات الداجنة والآبدة. وكان فيها علاوة على ذلك ضرب من
a الفيلة منتشر جداً. إذ قد تيسّر فيها المرعى والغذاء لكلّ الحيوانات الأخرى، العائشة في البحيرات والمستنقعات والغدران، والتي ترعى في الجبال والسهول، وتيسّر أيضاً حتى لذاك الحيوان وهو أضخم الحيوانات وأشدّها نهماً[٢].

وبالإضافة إلى تلك الخيرات، كانت الجزيرة تحمل وتنمي خير إنماء كل صنوف العطور والأطياب، التي تنميها الأرض الآن في أيّة بقعة من بقاعها، سواء صدرت تلك الأطياب من الجذور أم الأعشاب أم الأشجار أم
b الصموغ المتقطرة من الأزاهر أو الثمار. وتؤتي أيضاً أثماراً طريئةً وجافّة جُعلت لطعامنا، وثماراً نستعملها لإعداد الخبز، ندعو أصنافها كلها حبوباً، وثماراً تحملها الأشجار المختلفة فتعطينا المشروبات والمآكل والدهون، والأثمار التي جعلت للتسلية واللذة، ذات القشور والصعبة الادخار، وكل الأثمار التي تقدمها بعد الطعام والاكتظاظ منه لمن تعب من الأكل كفاكهة مسلية مستحبّة، كل تلك الفواكه والأثمار على اختلاف أصنافها، كانت الجزيرة الواقعة تحت الشمس تؤتيها إذ ذاك فاخرة بهيّة رائعة، وبكميّات لا تحدّ.

c فقد استغل القوم، إذن كل تلك الخيرات وجنوها من تربتهم، ثم انصرفوا إلى تشييد الهياكل والأبنية الملكيّة والموانئ ومرافئ تخزين السفن وإصلاحها. وعمّروا أرجاء البلاد برمّتها وزينوها بانتظام على النحو التالي.

٤ - تخطيط حاضرة الملك وأبنيتها:

فأقاموا الجسور أوّلاً فوق الخنادق التي مُوّنت بماء البحر، المحدقة بحاضرة الملك القديمة، وفتحوا هكذا طريقاً إلى الخارج، ومن الخارج إلى

(٢) بشأن حيوانات الأطلنتيس، راجع ن.م. من المقدمة.

d القصور الملكية. أمّا القصور الملكية فقد شيّدوها حالاً ومنذ البدء، في مهبط
الإله وموطن أجدادهم. وكان الواحد منهم يتسلمها من سلفه مزينة منمقة،
فيعود إلى تزيينها، ويفوق من سبقه في الأبهة والسؤدد. وهكذا دواليك حتى
بلغوا في تزيين البناء حد الدهشة والذهول، يستولي على من يشاهد ضخامة
الأشغال ورونقها.

واحتفروا ترعة باشروا بها من البحر، عرضها ثلاثة ابلترات (٨٨,٨٠
متراً) وعمقها مئة قدم (٢٩,٦٠م) وطولها وطولها خمسون استاذياً (٨٨٨٠
متراً) وبلغوا بها الخندق الخارجي وجعلوا مرور السفن عن طريق تلك
الترعة من البحر إلى الخندق ممكناً، وقد أصبح ذاك الخندق بمثابة ميناء.
وشقّوا فوهة الترعة بحيث تتّسع لإبحار ثلاث سفن معاً من أضخم السفن.
وكذلك حفروا الوصائد أو الأرصفة الفاصلة بين الخنادق، حفروها بازاء
e الجسور، بحيث تتسع لإبحار سفينة ثلاثيّة واحدة من خندق إلى آخر وسقفوها
فوق الممّرات. فصارت السفن تعبر تحت تلك الجسور لأنّ شفاه (أي جوانب
ممرّات) الأرصفة علت علوّاً كافياً سطح البحر لتسمح (لأكبر السفن أن تعبر
منها إلى الخنادق). لأن أكبر الخنادق الذي جرت إليه مياه البحر بلغ من
العرض ثلاثة أستاذِيا. والرصيف الذي تلاه ساواه عرضاً. والحلقتان التاليتان
(أي الخندق والرصيف)، الرطبة منهما عرضها أستاذين مضاعف، واليابسة
لها هي أيضاً نفس العرض الذي لسابقتها الرطبة. وأما الخندق الذي يلتف
١١٦ حول الجزيرة عينها الواقعة في وسط الهضبة فعرضه أستاذين (١٧٧,٦٠م).
a والجزيرة أخيراً التي قام بها القصر الملكي بلغ قطرها خمسة استْاذِيا.

وقد حوّطوا هذه الجزيرة الأخيرة والأرصفة وجانبي الجسور، ولها
ابلِيثْرُنِ من العرض، بسور من حجارة. وأقاموا أبراجاً وأبواباً على الجسور
عند ممرات مياه البحر إلى الخنادق. واقتطعوا الحجارة من دائرة الجزيرة

المتوسّطة ومن الأرصفة الملتفة حولها، من جانبي تلك الأرصفة الجانب الداخليّ والجانب الخارجيّ. ومن تلك الحجارة ما هو أبيض وأسود وأحمر،
وفي حين اقتطاعها كانوا يحفرون في الصخر مستودعين للسفن سقفُهما b
الصخر ذاته. وقد نسَّقوا الأبنية تنسيق الحائك لخيطان نسجه. فمنها ما شادوه بسيطاً من لون واحد، ومنها ما نمّقوا ألوان حجارته مازجين بين لون ولون، بغية اللهو والتسلية. فحبوها لذّة طبيعيّة وصفّحوا وجه سور الرصيف الخارجيّ كله بالنحاس، مستخدمين هذا المعدن وكأنه دهان «وصبّوا على سور الرصيف الداخلي قصديراً وغلّفوه به، أما سور الاكروبلس نفسها (أي
الجزيرة التي توسّطت الهضبة)، فقد غشّوه بنحاس الجبال، ولهذا المعدن c
التماع النار.

٥ - البلاط والهياكل والينابيع ومختلف الأبنية:

أمّا الأبنية الملكيّة داخل الأكروبلس فقد نُظّمت على النحو التالي: ففي وسط الجزيرة بالذات شيّد هيكل مقدس لاكليتُووبسذون، حوّطوه بسياج من ذهب وحظروا دخوله على الجميع، فهناك خلّف بسذون واكتلو سلالة الملوك العشرة، وولداها في ذاك المكان. والى هناك كانوا يأتون كلّ سنة من
المقاطعات العشر، ويقدّمون الذبائح الحوليّة الربيعيّة لكلٍّ من أولئك الملوك d
الأولين(١).

وهيكل بسذون نفسه كان له أستاذين طولاً وثلاثة ابلثرات عرضاً. وله من العلو ما يلائم الطول والعرض ويجمل في النظر. ولكن شكله كان بربريّاً.

---

(١) إن كلمة هوريئا اليونانية تعني الربيعية. ولما كانوا يأتون كل سنة أي مرة في السنة يقدمون الذبائح للملوك العشرة الأولين، أبناء بسذون وأنصاف الالهة، كانت تلك الذبائح الحولية الذبائح الربيعية التي يقدمون فيها بواكير الثمار والغنم. وهذا معنى الكلمة أيضاً أو أحد معانيها. (المعرب)

e وقد لبّسوا الهيكل كله من الخارج بالفضّة، ما عدا مشارفه فقد غشّوها بالذهب. ومن داخل الهيكل شوهد السقف كله من عاج منمّق بالعسجد واللجين ونحاس الجبال، وما تبقى من جدران وأعمدة وحضيض، غطّوه بالنحاس الجبلي. ونصبوا في الهيكل تماثيل من ذهب، الإله واقفاً على مركبته، يقود أحصنتها الستّة المجنّحة، (ممشوق القامة) يكاد يمسّ ذروة السقف بهامته، والنرِئيذة على مئة دِلفين من حوله. وقد اعتقد أهل ذاك العهد أنَّ هذا كان عدد هاتيك الجنيّات[٢]. وقامت أيضاً داخل الهيكل تماثيل أخرى كثيرة، قدّمها أفراد المواطنين وفاء نذورهم. وحول الهيكل الخارجي، نقشوا في الذهب رسوم كلّ النساء وكل
١١٧ الرجال الذين أنجبهم الملوك العشرة الأولون. وأقيمت تماثيل كثيرة قدمها الملوك
a وفاء نذر أفراد المواطنين في العاصمة، أو في المقاطعات الخارجيّة التي تسلّط الأمراء عليها. وقد جارى المذبح بفخامته وإتقان صنعه تلك الزينة الرائعة. كما لاق البلاط الملكي بعظمة السلطنة وأبّهة الهياكل ورونقها[٣].

وقد استغلوا الينبوعين، ينبوع الماء البارد وينبوع الماء الحار، وغزارة مياههما لا حدّ لها. وكلاهما صالحان بالطبع صلاحاً عجيباً للاستعمال، للذة
b مياههما وخصبها. وأنشؤوا حولهما أبنية، وغرسوا أشجاراً تلائم طبيعة المياه. واحتفروا أحواضاً وبركاً، منها ما هو في العراء تحت أديم السماء، ومنها ما هو مسقوف شتوي للحمّامات الدافئة. وجعلوا الحمّامات الملكية على حدة، وحمّامات الرعايا على حدة، وجعلوا أيضاً حمّامات خاصة بالنساء، وخَصّوا غيرها بالخيل، وأخرى بالدواب الباقية. وأعطوا كل فئة من تلك الحمّامات

---

(٢) في الإله بسذون إله البحر والبر، راجع للأب فؤاد بربارة، الأسطورة اليونانية، دمشق ١٩٦٦، ٢: ١١: ١ وما يلي. وفي النرِئيذة بنات زفس، نفس الكتاب ٣: ٢ الفقرة الأولى. (المعرب)

(٣) لقد لفتنا النظر في المقدمة، الفصل الخامس، إلى أن هيكل بسذون واكلتو يماثل على نطاق أوسع، وأكبر تقاسيم الهيكل اليوناني المألوفة.

الزينة اللائقة بها. وفائض المياه سحبوه إلى أجمة بُسِذُون المقدسة، وقد انطوت على كل أصناف الشجر، البديع الإلهي بروعته وبسوقه بسبب طيبة التربة.
c ومددوا قنوات إلى الجزيرتين أو الوصيدتين أو الرصيفين المحدقينَ بالجزيرة المتوسطة بازاء الجسور، ليوصلوا المياه إليهما بواسطة تلك القنوات(٤).

وبنوا هنالك هياكل كثيرة لآلهة كثيرين، وغرسوا حدائق وبساتين، وأقاموا ملاعب عدة رياضية وميادين تدريب للخيل، كل فئة على حدة في كلتا الجزيرتين المستديرتين كالإسوار. ومن جملة الأشغال ميدان سبق خاصّ، أقيم في منتصف الجزيرة الكبرى المستديرة، عرضُه استاذين وطوله ينتشر حول دائرة الجزيرة
d كلها ليتيح للخيل التنافس. ومن على جانبي ذاك الميدان الملتف حول الجزيرة (الكبرى الخارجية)، شُيِّدت معاقل الحرس لجمهور حملة الرماح. وأكثرهم أمانة نُظمت حراستهم في الصغرى من الجزيرتين المحدقتين بالأكْرُوبُلِس، في الجزيرة المقابلة تماماً لرأس الهضبة. والذين فاقوا الجميع أمانة أعطيت لهم منازل في داخل الأكْرُوبُلِس، حول (قصور) الملوك بالذات(٥).

---

(٤) إن اهتمام أفلاطون البالغ بمنشآت الأطلنتيس المائية يفسر ولا ريب بالاعتبارات التالية:

١ - باعتبار أن أفلاطون يعارض بين ذاك البلد الغارق في كل صنف من الخيرات الطبيعية، وبين الأتكي القاحلة الجافة في عهدها التاريخي.

٢ - بالنظر ربما إلى ذكريات الأعمال الرائعة العجيبة التي حققها الكريتيون في هذا المضمار، على ما فرضنا سابقاً في المقدمة، الفصل الخامس.

(٥) أن الذوريفوري هم بالضبط حراس الطغاة. ويعني اسمهم حملة الرماح وبريِئَنذْرُس، على ما يقال، هو أول من أقام مثل أولئك الحرس لذاته في مدينة كورنثس. راجع في هذا الموضوع الجمهورية، ٨: ٥٦٧ d ثم ٩: ٥٧٥ b، وذيجنس اللاثرتي ١: ٩٨. هذا، وفي دولة يونانية، على زعم أفلاطون، لا يحتاجون إلى لكنات ولا إلى ذلك التمييز بين كتائب أكثر أو أقل أمانة.

أما مستودعات السفن، فقد غصّت بالمراكب الثلاثية، وكل التجهيزات
والمعدّات اللازمة لها، وكلها على خير أهبة. هذا ما يتعلق بمسكن الملوك وقد
e نُظم على النحو الذي بيّنا. أما من يجتاز المرافئ، وهي ثلاثة، ويتجه نحو
خارج الهضبة، يلقى سوراً يبتدئ عند البحر، ويدور حول الهضبة، على بُعد
خمسين أسْتاذِيا من أكبر الخنادق. وهذا الخندق هو نفسه أكبر الموانئ
المستديرة حول الهضبة، ويلزم السور هذا البعدَ من كل جهة. ثم ينغلق على
ذاته عند فوهة الترعة الممتدة من البحر.

فكل تلك البقعة كانت عامرة بمنازل كثيرة متراصّة. وازدحمت الترعة وأكبر المرافئ بالمراكب والتجار. وقد أتوا من كل حدب وصوب، وملؤوا الفضاء أثناء النهار وآناء الليل، لوفرة عددهم، صراخاً وصخَباً وكل ضرب من الضجيج.

٦ - الرقعة الباقية في البلاد، طبيعتها الجغرافية وتنظيمها:

لقد ذكرنا الآن عن حاضرة الملك وعن المسكن القديم، (مسكن الإله
١١٨ وأبنائه الملوك العشرة وقرينته اكْلِتُو) ما كان يتردد تقريباً في ذلك العهد.
a وعلينا أن نعيد إلى الذهن طبيعة الرقعة الأخرى من البلاد، وما كانت عليه
ونوع تنظيمها.

قد كان إذن يقال أوّلاً إن البلاد كلها كانت عالية جداً عن سطح البحر ناشزة الصخور، وإن البقعة المحدقة بالعاصمة كانت كلها سهلاً يحوط تلك العاصمة، وإن السهل نفسه أحدقت به الجبال على دائرته، وانحدرت الجبال حتى ساحل البحر، وإن السهل كان بطاحاً متساوية الأديم، كلها مستطيلة، يبلغ مداها على جانبها ثلاثة آلاف اسْتاذِيا، ومن وسطها أخذاً من

b البحر نحو الداخل، ألفي استاذِيا[1]. ونظراً إلى الجزيرة بجملتها، وقد اتجهت تلك البقعة نحو الجنوب، وأمنت أذى رياح الشمال. وقد أشادوا آنذاك بوفرة الجبال المحيطة بها وشموخها وبهائها، إذ تفوّقت على كل جبالنا الحاليّة وضمّت عدداً كبيراً من القرى الغنيّة بالسكان، كما اشتملت على أنهار وبحيرات ومروج، توفر القوت لكل المواشي، من الحيوانات الداجنة أو الآبدة؛ وغابات كثيفة من كل صنوف الأشجار، اللازمة لجملة الصناعات الخشبية، ولكلٍّ منها بوفرة منقطعة النظير.

c لقد عملت الطبيعة إذن في ذلك السهل، وتعب عليه ملوك كثيرون، ومدّة أحقاب طويلة. وكان رباعيِّ الشكل، وأكثره مستقيم الجوانب مستطيل. وما شذ عن ذلك منه، فقد قوّموه بحفر خندق حوله. وإن تحدّث المرء عن عمقه وعرضه وطوله، فقد لا يُصدَّق قوله عن عمل كهذا من صنع الأيادي، لضخامة ذلك المشروع إذا قوبل بالأشغال الأخرى. ولكن لا بدّ لنا من ترداد ما قد سمعنا.

d حُفر الخندق إلى عمق ابْلِيْثْرُن، وبلغ عرضه في كل مداه استاذِيَن. وإذ أحاط بالسهل كله، فقد وصل طوله إلى حد عشرة آلاف استاذِيا. فهذا الخندق كان يستمدّ مياهه من الجداول المنحدرة من الجبال، ويدور حول السهل، ويبلغ ضواحي العاصمة من على جانبيها، ومن هناك يتركونه يجري نحو البحر
e ليصبّ فيه. وفي أعالي ذلك الخندق (من جهة الجبال) اشتقّوا منه قنوات وسيعة، عرضها بالضبط مئة قدم (٢٩,٦٠ متراً)، جروها في السهل نحو قسم الخندق القريب من البحر. وكانت كل قناة تبعد عن الأخرى مئة استاذِيا. وعن طريق تلك القنوات كانوا يزجّون أخشاب الجبال إلى المدينة، وينقلون

---

(١) فتكون مساحة السهل ستة ملايين استاذين. راجع ١١٨a و١١٩a.

المحاصيل الأخرى بالمراكب في مواسمها. وشقوا ترعاً جانبية للملاحة بين
قناة وأخرى وبين حاضرة الملك.

واعتادوا جني ثمرات الأرض والفواكه، مرتين في السنة، مستغلين مياه
١١٩ زفْسٍ في الشتاء، وما تحمل منها الأرض في الصيف، جارّين جداول من
الترع والأقنية.

أما عدد الرجال الصالحين في السهل لخوض الحروب، فقد فرضوا
a بشأنه أن يُقدّم كل قلم اقتراع أو ناحية رئيس سريّة. واتسعت الناحية إلى
عشرة استاذيا في عشرة. وجملة النواحي ستّون ألف ناحية، وقيل إن عدد
رجال الجبال والبقاع الأخرى من البلاد لا يُحصى. وقد وُزِعوا، حسب
الأمكنة ومواقع القرى، على تلك النواحي، وأخضعوا جميعهم لرؤسائها. وقد
رُتّب على كلّ رئيس سريّة، أن يتبرّع للحرب بسدس مركبة حربيّة، ليبلغ عدد
المراكب عشرة آلاف، وأن يقدّم حصانين وفارسيهما، وجوادي مركبة أيضاً
b ولكن دون المركبة، ومحارب يصلح للخدمة في المشاة أو الفرسان مع ترس
صغير، ومع فارس الجوادين الإضافييّن سائسهما أيضاً، وجندييّن من المشاة
المدجّجين بالسلاح وقوّاسَين، ومن الرماة أصحاب المقاليع اثنين أيضاً، ومن
المشاة رماة الحجارة وحملة الرماح ثلاثة من كل صنف، وأربعة ملاحين
لتجهيز ألف ومئتي سفينة. فقد نُظّمت إذن أمور حاضرة الملك الحربيّة على
النمط الآنف الذكر. أمّا أمور المقاطعات الأخرى فقد نُظّمت على وجه غير
هذا. وقد يطول بنا الوقت لتفصيله(٢).

---

(٢) إن التنظيم العسكري الذي يصفه أفلاطون في هذا المقام هو تنظيم بربري لأن اليونان لم يستعملوا قطّ المركبات الحربيّة، التي شاع استعمالها عند المصريّين والفرس والمقلاع أيضاً كان سلاحاً بربرياً، استعمله خصوصاً أهل لغوريا. راجع المقدمة الفصل الخامس.

٧ - السلطات وحفلة القسم ومحاكمة الملوك:

c أمّا السلطات ومراتب الشرف فإليك ما كانت عليه، وقد نُظمت كذلك
منذ البدء. لقد تسلّط كلّ من الملوك العشرة في مقاطعته وفي مدينته، على
الناس وأغلب القوانين، معاقباً من يشاء وقاتلاً من يشاء. أمّا سلطة الملوك
الواحد على الآخر وصلاتهم فيما بينهم، فقد حدّدتها فرائض بُسِذُون، على ما
نقله إليهم الشرع وتوصياته، وقد نقشها الملوك العشرة الأوّلون على نُصب
من نحاس الجبال، وضع في منتصف الجزيرة في هيكل بُسِذُون.

d فهناك كان الملوك العشرة يلتئمون مرةً في السنة الخامسة، ومرة في
السادسة بالتعاقب، مراعين في تحديد السنين تساوي العدد المفرد بالعدد
المزدوج. وفي اجتماعاتهم كانوا يتقاضون في الشؤون والمصالح المشتركة
بينهم، وينظرون في مخالفات الشرع إذا تجاوزه أحدهم، ويقضون فيها.

وعندما كانوا يزمعون الجلوس للقضاء، كانوا قبل ذلك يتبادلون الأيمان
التالية. بعد إطلاق الثيران في (أجمة) هيكل بسذون، ينفرد فيها الملوك العشرة
e ويضرعون إلى الإله أن يقبض على الضحيّة المقبولة لديه. ثم يطاردون تلك
الثيران بلا سلاح من حديد، ولكن بالدبابيس والشباك فقط. والثور الذي
يقبضون عليه، كانوا يسوقونه إلى النُصب، ويذبحونه فوقه طبقاً لسنتهم.

١٢٠ وقد نُقش على النصب، فضلاً عن الشرائع، قسم يستدعي لعنات كبيرة
a على الحانثين. فبعد تضحية الثور طبقاً لشرعهم، وبعد إحراق كلّ أعضائه
يمزجون كأساً كبيرة من دمه، وينضحون به كلاً منهم بمفرده. وما تبقّى من
دم الثور يأخذونه ويلقونه في النار، بعد تطهير النُصب به. وعلى الأثر
يتناولون جامات من ذهب، ويستقون دماً من الكأس الكبيرة، ويسكبون منه
فوق النار، ويحلفون أن يرعوا في القضاء السنن المنقوشة على النصب، وأن
يعاقبوا من يكون قد سبق وتجاوز إحدى تلك السنن، وأن يتقيّدوا بها من بعد

ولا يتجاوزوا إحداهما عمداً، وأن لا يحكموا أو ينقادوا لأمر حاكم منهم، إلا اذا حكم طبقاً لشرائع أبيهم. وبعد أن يتعهد كلّ منهم بهذه الأمور عن نفسه وعن سلالته مستدعياً اللعنات، يشرب من دم الثور ويقدّم جامه لهيكل الإله[١].
b ثم ينصرف إلى العشاء وما إليه من ضروريات.

وعند حلول الظلام، وقد خمدت وبردت نار الأضاحي، يتشحون جميعهم بحلة زرقاء من أبهى الحلل، ويجلسون على الحضيض، فوق رماد الأضاحي التي أقسموا عليها. وفي الليل الحالك، بعد إطفائهم كلّ نور حول الهيكل، يشرعون في التحاكم، ويقضون في أمر من قد يتّهمه أحدهم أنه خالف الشرع في شيء. وبعد التقاضي وإصدار الحكم، حالما ينبثق الفجر، يسّجلون أحكامهم على لوحة من ذهب، ويعلقونها للذكرى مع حللهم.

وكان لهم سنن كثيرة أخرى خاصة، تتعلق بصلاحيات وامتيازات كل من الملوك العشرة. وأعظم تلك السنن أن لا يشهروا السلاح أبداً بعضهم على بعض، وأن يهبّوا جميعهم لنجدة من يستنجدهم، اذا حاول أحدهم في مدينة من
d مدنهم أن يعزل الأسرة المالكة، وأن يتفاوضوا معاً نظير أسلافهم في شؤون الحرب وغيرها من المهام، تاركين الزعامة والقيادة العليا فيها لسلالة أطلاس، وأن لا يكون للملك من صلاحية في إصدار حكم الموت على أحد أقربائه، إن لم يوافق على ذلك الحكم أكثر من نصف الملوك العشرة.

٨ - انحطاط ملوك الأكلنتيس الخلقيّ:

e كانت إذن تلك القدرة الجبارة الهائلة في هاتيك البلاد، فجيّشها الإله (زِفْس) ودفع بها إلى بلادنا هذه، لعلةٍ تماثل على ما قيل العلة التالية:

---

[١] تلك كانت عادة مألوفة بعد الذبيحة، لاسيما في الأمور الخطيرة الهامة.

مدة أجيال طويلة، وما دامت فيهم طبيعة الإله وافية كافية، لبث الملوك
العشرة خاضعين للشرع منقادين له، عائشين بحلم وتعقل طبقاً للعنصر الإلهي
المنتمي فرعُهم إليه. لأنهم حصّلوا بفضله مشاعر وعواطف صادقة ونبيلة من
كل وجه، متصرّفين بحكمة في كل صروف الدهر الطارئة، ومعاملين أيضاً
بعضهم بعضاً بدراية وحنكة. ولذا ما خلا الفضيلة ازدروا كل ما توفّر لهم
١٢١ من خيرات، وعدّوه من الصغائر حقيراً. وحسبوا بسهولة كوقرٍ شاقّ أكداس
a الذهب وغيره من النفائس المقتناة. ولم يسكروا بسبب ثرواتهم، ولم ينزلفوا في
الترف، بل لبثوا واعين صاحين، يستشفّون في ثقابة ذهنهم أن تلك الخيرات
تزداد لهم بسبب مودتهم وتصافيهم المتبادل وفضلهم وفضيلتهم، وأن الخيرات
على عكس ذلك تتقلص وتتلاشى بفرط التهافت عليها والتقدير الزائد لها، وأن
الفضيلة أيضاً تتلف آنئذ معها. فكل صنوف النعم التي أتينا على ذكرها
وتفصيلها سابقاً، توافرت وتكاثرت لديهم بسبب مثل هذا التفكير ومثل تلك
العقلية، وبسبب الطبيعة الإلهية المستقرة فيهم.

b ولكن عندما ذبل فيهم العنصر الإلهي وذوى، ومازج مراراً وتكراراً
العنصر المائت المتفاقم، تغلّب عليه الطبع البشري. وعندئذ، لم يعد في وسعهم
حمل نعمائهم الحاضرة، فهانوا وتحاقروا. وبدوا لأنظار أصحاب البصيرة
ملطخين بالعار والشنار، وأتلفوا أبهى النفائس الروحية وفقدوها. أما
القاصرون عن النظر إلى حياة السعادة النظرة الصادقة، فقد حسبوهم إذ ذاك
في ذروة الفضل والغبطة، مكتظين جشعاً ظالماً وسؤدداً واقتدارا.

إلا أن زفْس السائد بالحق والشرع على الآلهة، لقدرته على استشفاف
مثل تلك الأمور، لمّا فقه إلى أيّة حالة زرية وصلت تلك السلالة الفاضلة
c (أصلاً) أراد أن يُنزل بها العقاب، كي تعود وتضحي أكثر اتزاناً واعتدالاً،
وتُردَّ بالعقوبة إلى صوابها. فاستدعى الآلهة أجمعين ليعقدوا جلسة طارئة في

أفخم قصورهم، الواقع في قلب الكون بأسره، والمطلّ على كل الكائنات التي ينالها التحول والصيرورة. وبعد أن لمّ شملهم قال.

انتهى بعون الله تعالى وأيده

أنجز تعريب هذا الحوار وأعاد النظر فيه،

الأب فؤاد بربارة الدمشقي

في ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٦٨- دمشق.

الفهارس

الصفحة

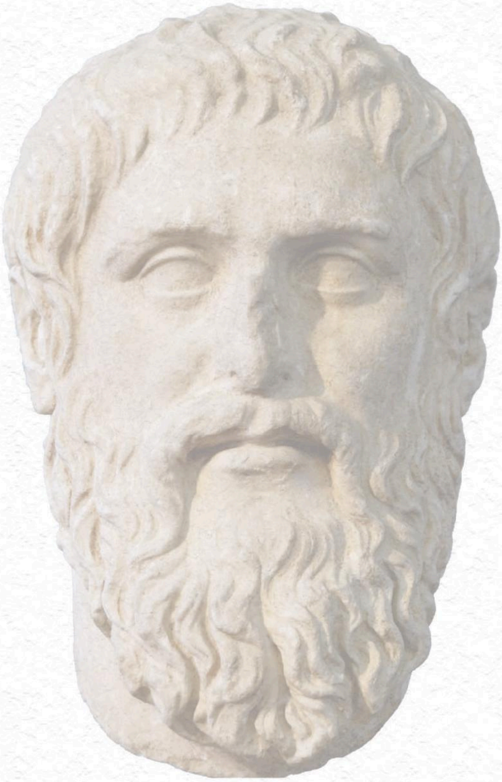
التيمئس وهو حوار في نشأة الكون والإنسان

مقدمة حوار اكرتيَّس

حوار اكرتيّس أو الحوار الأَطلنطّي

الطبعة الثانية / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٦٦٠ ل.س أو ما يعادلها